

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية والدراسات القرآنية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

شرح الشيخ ياسين
على منظومة ابن الوردي

(دراسة وتحقيق)

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير

إشراف الأستاذ الدكتور :
سامي عبدالله الكناني

من إعداد
فائزة الصيد

السنة الجامعية

1401/1400 هـ

2000/1999 م

شكر وتقدير

لا يسعني، وقد منّ الله عليّ بإكمال هذا البحث، إلا أن أتقدم

بجزيل شكري وعميق امتناني:

لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور سامي الكناني لما بذله من جهد

وصبر في الإشراف على البحث ومراجعته بدقة وصبر.

وللقائمين على المكتبتين الجامعيتين العامرتين، مكتبة الأساتذة

والمكتبة المركزية العامة، لما لقيته منهم من عون. ولكل من ساعدني

من قريب أو من بعيد لتمام هذا البحث لكل هؤلاء أقدم شكري

وتقديري

المقدمة

جامعة الأمير الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

في تاريخ الأدب العربي فترات ملحوظة الازدهار لقيت من عناية الدرس والبحث ما أتاح لها أن تُعرف وتشتهر، حتى صارت معلومة التفاصيل والدقائق، وفترات أخرى، لم تكن أقل ازدهارا، في حقيقتها، وإنما كانت العناية بها أقل وأضال، لسبب أو لآخر، لذلك لم تعرف ولم تشتهر بالقدر الذي عرفت به الأولى واشتهرت.

وما يصدق على فترات الأدب يصدق - بتمامه - على الأعلام؛ من الأدباء والشعراء والمصنفين والعلماء، وما يتصل بهم من أدب وثقافة ...

ومن هذا المنطلق بالذات كان اهتمامي بفترة تبدو (مظلمة) - إن جاز لي التعبير هنا عن ذلك - هي الفترة الموسومة في تاريخ الأدب بـ "عصر المماليك البحرية" التي تدخل في إطار ما سمي (باجحافا وتعسفا) عصر الانحطاط.

والحقيقة أن ما أشيع حول هذا العصر في حاجة إلى تمحيص وبيان، فأكثر ما قيل عنه كلام عام وأحكام مطلقة لا دليل عليها، وإن تكن شاعت وانتشرت بين الناس، هكذا على إطلاق.

والواقع أن هذا العصر شهد من الازدهار في ضروب الثقافة وصنوف التأليف وألوان الأدب، ما لم يستطع أن يرقى إليه أي عصر لاحق أبدا؛ حتى عصر النهضة كما يسمونه.

ويكفي أن نعلم أن فترة كفترة (المماليك البحرية) ضمت نخبة ممتازة من كبار المشاهير ممن ازدهت وتزدهي بهم الثقافة العربية الإسلامية، كأمثال: ابن سيد الناس، وجلال الدين السيوطي، والصلاح الصفدي، وصفي الدين الحلبي، والمقريزي، والقلقشندي، والفيروز أبادي وابن منظور، وابن عطاء الله الاسكندراني، وابن دقيق العيد، والبوصيري وسعد الشيرازي ...

وغيرهم كثير من أعلام الفكر والثقافة والأدب والشعر الذين قدموا للثقافة العربية الإسلامية ما كان على الدوام (ذخيرة حية)، ولبنات قوية في صرحها الشامخ الكبير.

ومن جملة هؤلاء الأعلام يجيء الشاعر عمر ابن الوردى كشاهد حي على ما يستطيع الشعر (كلون من ألوان الثقافة) أن يقدمه للناس، في تربيتهم وتهذيبهم، ونصحهم، ودعوتهم إلى صياغة شعورهم وفق المثل والمبادئ الإسلامية الشائخة، وإن قصيدته "لامية ابن الوردى" والمعروفة أيضا باسم نصيحة الإخوان، التي تزخر بالمعاني الشريفة والمقاصد الكريمة والأغراض التربوية اللطيفة، لتصلح أن تكون مثالا عاليا لما ينبغي أن يكون عليه الشعر عندما تستقيم أسسه على قواعد إسلامية وأصول حضارية... أداة مشرقة ورسالة مضيئة، رفيعة القدر، جليلة الشأن، ولا غرو أن يكون لكل ذلك أصوله وجذوره في القرآن الكريم، وفي الإسلام.

فمن الحق أن يقال أن ارتباط الأدب العربي بالقرآن هو ارتباط عضوي، لا سبيل إلى تجاوزه أو التخلي عنه أو تغييره، بل إننا يمكن أن نقرر جازمين أن موقف القرآن من الشعر يستمد مفهومه من أصل أصيل في الإسلام هو الصدق الذي ينهى عن الباطل، وعن الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب، والغزل، وبيع الكلمة بالطوى أو العصبية أو المادة. فالإسلام يجعل الأخلاق إطارا للأدب والشعر بالذات، ويجعل الالتزام الأخلاقي ضابطا هاما، ربما عده البعض قييدا يحول دون حرية الإبداع، غير أن الإسلام يضحى بهذه الحرية التي هي في انطلاقتها لا تمثل الخير ولا الحق، ولقد رأينا الآفاق التي يمضي إليها الفن (منطلقا) ومنفلتا من ضوابط القيم الأخلاقية لا تصل إلى شيء إلا لشيء واحد هو تجاوز الحق إلى الهوى والعصبية.

والإسلام يضع الالتزام في مقابل حرية لا تصل إلى شيء إيجابي أو بناءً، ذلك أن الإسلام في أساسه يجعل الفنون الأدبية موجهة إلى بناء المجتمع والفرد، ولا يضحى بالأخلاق في سبيل تجاوز قدر من الحرية، لا يصل إلى الإبداع، بقدر ما يصل إلى الهوى، ذلك أن الإبداع له في الأدب العربي الإسلامي مفهوم غير مفهومه في الآداب الأخرى. وخير مثل لفهم الإسلام للشعر ما صورته الرسول - صلى الله عليه وسلم - "قولوا قولكم ولا يستخفكم الشيطان" فكل ما يخرج إلى الصنعة والإعنت والمباهاة والهوى والتشدد، لا يمكن أن يكون إبداعاً للفن في الفهم الإسلامي..

وفي ضوء المنظور السابق، أعني المنظور القرآني الإسلامي كان اهتمامي بالأدب دائماً أدباً أخلاقياً ملتزماً صانعاً للمشاعر الجميلة، منمياً الأحاسيس الفاضلة. وقد وجد ذلك في الكثير من النماذج في العصور الإسلامية الزاهرة، وفي شعر الدعوة الإسلامية وشعراتها في القديم والحديث. كان تفكيري متجهاً في الأساس إلى دراسة الأدب الإسلامي الحديث والمعاصر، من حيث قضاياها وأساليبه ومعالجاته وارتباطه بنبض الحياة الإسلامية، لكنني وجدت في بعض المخطوطات الإسلامية القديمة ما جعلني أعيد النظر في الاهتمام بالأدب الحديث.

كما كان لبعض الكتب والأسفار التي توجد ضمن المكتبة العائلية، وخاصة منها المخطوطات التي لم تتح الفرصة لدراستها وتحقيقها ونشرها، مادفعني في هذا الاتجاه، قاصدة إلى إنقاذ بعض تلك الأسفار الجليلة. وهكذا وجدت في مخطوطة "شرح الشيخ ياسين على منظومة ابن الوردي" المتن المتميز الذي قدّرتُ أي يكون مدوّنة فريدة لبحث يحقق كل تطلعاتي، وأنجزُ بها أكثر ما أصبو إليه من بيان حقيقة أن الأدب أخلاقٌ وفضائلٌ أو لا يكون.

يضاف إلى ذلك اندراج المخطوط ضمن فترة حضارية خاصة عرفت ، أكثر من أي فترة أخرى، الحيفَ والظلمَ، ولحقها الإهمالُ والتزيفُ، فكان ذلك دافعا آخر للاختراط في هذا المجال وإنجاز البحث فيه.

فإذا أضفتُ إلى كل ذلك أسبابًا أخرى مثل:

- كون المخطوط في حد ذاته على قيمة عالية في مجال الأدب العربي الإسلامي الهادف .

- المساهمة في نشر التراث العربي الإسلامي، والكشف عن أسفاره المجهولة.
- خدمة الأدب العربي من خلال لغته ، لغة القرآن الكريم كتاب الله تعالى، والتي تمثل المخطوطة حلقة مهمة من حلقاتها المضيئة ، بما اشتملت عليها من علوم العربية من نحو وصرف ، وعلوم البلاغة ، والبيان والبديع ، إلى جانب فنون وعلوم أخرى... مما يجعل المخطوطة من حيث الغنى المعرفي والفكري موسوعة كاملة مفيدة كل النفع .

- وبالطبع يأتي اشتمال المخطوطة ، بما هي خطاب نصحيّ موجه من أب شفوق لابنه، ... يأتي اشتمالها على ذلك الكم الهائل من النصائح اللامعة والمواعظ الكريمة السمحة ليضيف بعدا تربويا تعليميا جليلا إلى هذا العمل ، وهو ما زاد في رغبتني ، على صعوبة العمل، للتصدي لهذا العمل ، لتقديم خدمة أتشرف بأن أسهم من خلالها في تقديم صورة عن إسهامات هذه الجامعة الإسلامية الكبيرة ، التي قدمت وماتزال الكثير للعربية والإسلام في هذه الربوع الطيبة...

خطة البحث :

وعلى ذلك جاءت خطة البحث، بحسب تقديري، وبالاتفاق مع الأستاذ المشرف، على نحو يحاول تلبية طلب الدراسة الوافية الدقيقة لهذا السفر التراثي الجليل، فجاءت على قسمين كبيرين :قسم الدراسة ، وقسم التحقيق.

أولاً : قسم الدراسة :

وقد قسمته إلى ثلاثة فصول أساسية ، يتضمن كل فصل عدداً من المباحث يختص بفكرة رئيسية، أو قضية هامة، أو جانب من جوانب البحث المهمة، وفق التسلسل التالي:

الفصل الأول: عن عصر المماليك وتاريخهم.

المبحث الأول : عصر المماليك البحرية.

المبحث الثاني: تشويه العصر.

المبحث الثالث: صورة المجتمع المملوكي.

المبحث الرابع: الثقافة في العصر المملوكي.

المبحث الخامس: قضايا وخصائص الثقافة في العصر المملوكي.

المبحث السادس : الأدب في العصر المملوكي .

الفصل الثاني: ابن الوردي : حياته وأدبه :

المبحث الأول: ابن الوردي: نشأته وحياته .

المبحث الثاني: شعرا بن الوردي: دراسة عامة وتحليل.

المبحث الثالث: "اللامية" أو نصيحة الإخوان :

(دراسة في المضامين والأشكال).

المبحث الرابع: في علاقة الأدب بالأخلاق.

الفصل الثالث: الشيخ ياسين ومنهجه في شرح اللامية .

المبحث الأول: ترجمة الشيخ ياسين العلمي .

المبحث الثاني: منهجه في الشرح (في اللغة والأسلوب) .

المبحث الثالث: مصادره من كتب اللغة .

المبحث الرابع: عنايته بقضايا البلاغة .

المبحث الخامس : شواهد من القرآن الكريم .

المبحث السادس: شواهد من الحديث النبوي الشريف .

المبحث السابع: شواهد من الشعر .

وخصصتُ مبحثاً من ثلاث صفحات في النهاية لوصف المخطوطتين .

ثانياً: قسم التحقيق : وفيه تتبعت المخطوطة بالتحقيق الدقيق الموثق ، قدر

الاستطاعة، حسب ما أوضحتُه في "منهج البحث" .

صعوبات البحث:

وكما كان العمل، وفق الخطة المشار إليها، مُسليماً للعمل، خطوة بخطوة، لإنجاز

العمل ، فقد اعترضتني على الطريق ، كما هو الشأن بالنسبة لكل بحث

وباحث، كثير من الصعاب، منها ما هو موضوعي كصعوبة الحصول على

المخطوطات التي تتم بها المقابلة والمقارنة، والصعوبات التي تتعلق بالرجوع إلى

المصادر والمراجع ، وهي كثيرة متنوعة، مختلفة في موضوعاتها وعلومها ...ومن

تلك الصعوبات ما يتعلق بما هو ذاتي، وهو الوضع الخاص الذي يكون فيه

الإنسان في بعض الأحيان ملزماً بأداء واجبات لا بد منها، مع التزامه بالبحث

وهمومه الكثيرة. وقد وجدتُ والحقُّ أقولُ في هذا الخصوص ، من الأستاذ

المشرف خاصة ، ومن إدارة القسم ومسؤولي المكتبة كل عون .

فلهم جميعاً أقدم شكري الخاص الخالص والله لا يضيع أجر المحسنين .

القسم الأول

(الدراسة)

جامعة الأمير
عبد القادر
للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

عصر المماليك تاريخهم وثقافتهم

المبحث الأول: شيء عن التاريخ المملوكي

المبحث الثاني: تشويه العصر وأسبابه

المبحث الثالث: صورة المجتمع المملوكي

المبحث الرابع: الثقافة في العصر المملوكي

المبحث الخامس: قضايا وخصائص الثقافة في العصر المملوكي

المبحث السادس: الأدب في العصر المملوكي

المبحث الأول: عصر المماليك البحرية

شيء عن التاريخ :

نبدأ أولاً بتحديد معنى كلمة "مملوك" هذه التسمية التي خصت عصرنا بأكمله، عرف بها واشتهر، فالمملوك لغة: الشخص المشتري بالمال، وقد جاء في لسان العرب " المملوك العبد، ويقال: هو " عبد مملكة إذا ملك ولم يملك أبواه ، وفي التهذيب " الذي سبي ولم يملك أبواه، ونحن عبيد مملكة لا قن، أي أننا سبينا ولم نملك قبل ... ويقال القن المشتري"⁽¹⁾. وجاء في القاموس المحيط :

المملوك : كل ما ملك، واختص في العرف بالرقيق من البشر. ملكه ، يملكه ملكا، وملكه ومملكة بضم اللام : احتواه، قادرا على الاستبداد به، ملك الولي المرأة هو خطرته إياها، وعبد مملكة مثقلة اللام : ملك ولم يملك أبواه⁽²⁾.

أما اصطلاحا : فالمماليك طائفة من الأرقاء المشتزين بالمال، وقد جلبهم الأيوبيون من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز، وآسيا الصغرى، وفارس، وتركستان، وبلاد ما وراء النهر، فكانوا خليطا من الأتراك والشراكسة، والأكراد، وقد دخلوا في خدمة الدولة الأيوبية كجنود في الجيش ووصل بعضهم إلى مراكز القيادة فيه، وكان المملوك شديد التمسك بسيده أو أستاذه الذي اشتراه⁽³⁾.

المماليك نوعان :

اتخذ الأيوبيون في أواخر حكمهم مماليك من الأتراك ، فلما جاء الملك الصالح أيوب استكثر منهم حتى كانوا معظم جنده، وحرسه وخدمه، وأسكنهم روضة نهر النيل، ومن أجل

(1) - لسان العرب لابن منظور: تحقيق: عبد الله علي الكبير . محمد حسب الله. هشام محمد الشاذلي. دار المعارف مصر. مادة : ملك/ ج 6 ص 4276.

(2) - القاموس المحيط: للفيروزآبادي . دار الجيل. بيروت. مادة : ملك ، ج 3 ص 310 .

(3) - انظر: في التاريخ الأيوبي والمملوكي: احمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، ص102 مصر، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك: حمدي عبد النعم حسين، دار المعارف الجامعية، مصر ص12.

ذلك سموا بالممالك البحرية ، ودولتهم ظهرت في أعقاب الحرب الصليبية ، وحكمت من سنة 648 إلى سنة 784 للهجرة أي بين سنتي 1250 و 1382 للميلاد، والذين سكنوا أبراج قلعة الجبل سموا بالممالك البرجية ، وهم شراكسة اشتراهم السلطان "قلاوون" ، ودولتهم حكمت من سنة 784 إلى سنة 923 هجرية ، (1382_ 1517 ميلادية) فظهورهم على مسرح الحياة السياسية لم يكن مقترنا بظهور شجرة الدر⁽¹⁾ واستمر هذا العصر أكثر من خمسة قرون ونصف القرن من الزمن تقريبا ، فقد بدأت فترته الأولى بتولي المعز أيك سنة 648 هجرية 1250 م وانتهت بهزيمة طوماي باي آخر سلاطين الممالك موقعة الريدانية على يد الجيش العثماني ودولة الممالك قامت في مصر قبل قيامها في حلب والشام بعشر سنين⁽²⁾ .

الممالك البحرية:

بدأ حكمهم بقيام شجرة الدر، بعد تدبير مؤامرة لقتل السلطان الأيوبي "توران شاه" نجل الملك الصالح نجم الدين أيوب ، استعانت بممالك أيه البحرية ، وطلبت مساعدتهم ، وبذلك تكون أول من حكم من سلاطين الممالك ، وجاء بعدها المعز أيك التركماني ، وعده المؤرخون الحاكم الفعلي الأول لمصر في هذا العصر واتسعت المملكة آنذاك " حيث قال خطيب مكة مرة عند الدعاء له : "سلطان مكة واليمن ، ومصر، والشام والجزيرة ... سلطان القبلتين وخدام الجرمين"⁽³⁾.

وبعد مقتل عز الدين أيك أول حكام الممالك على يد زوجته شجرة الدر ، خلفه ابنه علي ، ولقب بالمنصور، ولكن عليا كان صغيرا ضعيفا ، فخلفه سيف الدين قطز الذي خرج للقاء المغول بعد ذلك فحاربهم وانتصر عليهم في معركة "عين جالوت" انتصارا رائعا ، فتملك

⁽¹⁾ - شجرة الدر : الملكة عصمت الدين أم خليل ، تزوجت الملك المعز عز الدين أيك، مدة حكمها حوالي ثلاثة أشهر... استتكرت الخلافة العباسية أن تلي الأمر امرأة . أنظر: الخطط للمقريزي. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع. القاهرة ج2 ص237 والسلوك للمقريزي ج 1 ، ص 359 .

⁽²⁾ - نفس المرجع السابق ج 2 ص238

⁽³⁾ - حسن المحاضرة للسيوطي ، مطبعة الموسوعات. مصر ج 2 ص33.

البلاد الشامية واستتاب بها⁽¹⁾. وبذلك أصبحت مصر والشام دولة واحدة تحت السلطة المملوكية، وتقلد الحكم بعد ذلك الظاهر بيبرس "، واعتبره المؤرخون من أعظم سلاطين المماليك، إذ اجتمعت فيه صفات العدل والقروسية والإقدام... ويعد مؤسس دولة المماليك، ومبتدع طريق حكمها، فقد نظم الإدارة واستحدث كثيرا من الوظائف الهامة وأعد جيشا قويا قاده في محاربة الصليبيين⁽²⁾. وتلاه السلطان "قلاوون" الذي بسط ملكه على الحجاز وسائر البلاد الإسلامية من يمن وعراق فالرقعة المكانية للدولة المملوكية شملت مساحة كبيرة من العالم الإسلامي، وما لم يكن منه تابعا لها ربطته بها علاقات الجوار والسلام والخلافة والحج، بل إنها اتسعت حتى شملت بلادا غير إسلامية مثل: قبرص وصقلية، وخضعت لنفوذها العلمي والديني بلاد أخرى كمالى والحبشة.

والعصر المملوكي كان امتدادا طبيعيا للعصر الأيوبي الذي سبقه، وورث عنه البلاد وما يهددها من أخطار صليبية ومغولية وغيرها... "ولقد استطاع هؤلاء المماليك أن يردوا تلك الأخطار بمقدرة فائقة، وأن يكونوا حماة للدين والبلاد والعباد"⁽³⁾. وأن يقيموا دولة قوية ذات نفوذ عسكري وسياسي وتجاري وحضاري واسع. وانتهى حكم المماليك البحرية بموت السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي، وقد ذكر المقرئزي ذلك بقوله "إن دولة المماليك البحرية الأتراك وأولادهم انقضت، ومدتهم مائة وثلاثون سنة وسبعة أشهر، وقد تولى الحكم في هذه المرحلة خمسة وعشرون سلطانا"⁽⁴⁾. سبقت الإشارة إلى أهمهم.

(1) - النجوم الزاهرة لابن تغري بردى. تحقيق. إبراهيم طرخان ج 7 ص 83.

(2) - أنظر: دولة الظاهر بيبرس في مصر: محمد جمال الدين، دار الفكر العربي، القاهرة ص 48.

(3) - صحح الأعشى للقلقشندي مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ج 12 ص 236. ج 12 ص 236.

(4) - المخطط: للمقرئزي. ج 1، ص 112.

المبحث الثاني : في تشويه العصر وما لحق به

إنَّ العصر المملوكي الذي كانت مصر والشام منبع العلم والأدب فيه، والذي شهد نشاطا ثقافيا واسعا، وسجلت فيه انتصارات مشهودة على المغول والصليبيين، وآثاره المعمارية، المدنية والعسكرية العظيمة هنا وهناك في كل مدينة تقريبا، في مصر والشام، وحلب... وهو أيضا العصر الذي تقف موسوعاته وكتبه كشاهد، حيث لا يستطيع باحث الاستغناء عنها، وهي من صنع رجالاته الموسوعيين الكبار⁽¹⁾.

هذا العصر، للأسف الشديد، لم يلق نصيبه الكافي من الدراسة والبحث، ولم يحظ بالاهتمام المناسب من قبل المختصين، وبقي على امتداده الزمني كله عصرا أشيع عنه أنه عصر انحطاط وجهود وأنحدار. كما أدخل في دائرة ضيقة أفقدته حيويته وأذهبت رونقه، وجعلته عصرا يحتاج إلى أضواء جديدة تنير جوانبه، وتبرز خصائصه وتعطيه حقه دراسة وتقويما. "...وساد اعتقاد أن عصر الانحطاط على امتداده الزمني كله، كان فترة العقم والجمود... ونراهم يتخبطون حتى في التسمية التي استحدثوها، فيطرق آذاننا: (عصر الانحطاط) أو (عصر الأنحدار) أو (عصر الأتراك) أو (عصر الأعاجم) أو (عصر المغول والتار)..."⁽²⁾.

أسباب ظلم العصر:

ولو حاولنا أن نتعرف على مدلول هذا اللفظ "الانحطاط" لتبين لنا أنها تسمية "استحدثت في أوائل عصر النهضة، وبواكير العصر الحديث عند بعض النقاد والمؤرخين الذين تصدوا لتاريخ أدب هذه العصور. ويظهر أن إطلاق هذه التسمية كان في الأصل تعريفا للفظة الفرنسية (DECADENCE) والمعروف أن هذه اللفظة مترادفات متعددة في اللغة الفرنسية، وتطلق أصلا على تأخر الحياة الأدبية والفكرية والعلمية"⁽³⁾.

(1) - منخصص مبحثا كاملا لتلك الآثار في مكان لاحق من هذا البحث بعون الله.

(2) - الأدب العربي في العصر المملوكي والعثماني عمر موسى باشا. دار الفكر بيروت لبنان ص3.

(3) - نفس المرجع السابق ص4.

فالتسمية في حد ذاتها وافدة على الأدب العربي ، لأنها تسمية أجنبية لا علاقة لها بموروثنا التاريخي والحضاري، فضلا عن ذلك فإنها تحمل في طياتها دعوة صريحة للهدم يتمثل في الانتقاص من مقومات الفكر الإسلامي واتهامه بالتزدي والانحدار...ومثل هذه الاتهامات التي أضفاها النقد الغربي بتياراته المختلفة على الأدب العربي وتاريخه اتهامات معروفة ومردودة لقد شاعت كلمة "الانحطاط" وانتشرت في مؤلفات بعض الأدباء ، خاصة منه أتباع المدارس الأجنبية ومعاهد الإرساليات . فهم الذين وصفوا هذا العصر بالانحطاط ووسموا آدابه بالضعف والهزال والركاكة ووصموه بالتقليد. وفي أحيان كثيرة عمل هؤلاء على إسقاط العصر بأكمله من تاريخ الأدب العربي مارين بسرعة إلى عصر النهضة⁽¹⁾.

ومهما يكن من أمر أدب هذا العصر المملوكي ، ومهما كانت اتجاهاته ومضامينه وأشكاله ، فقد كان لابد من التأريخ له ودراسته وتقويمه ، لأنه جزء مهم من النتاج الأدبي والفكري للأمة الإسلامية ... وما يصدق على الأدب يصدق بتمامه على مختلف ميادين المعرفة والثقافة ، من علوم وفنون وتاريخ واجتماع، وفقه، وما سواها من علوم أخرى وتلك الأحكام المطلقة العامة تحتاج إلى تمحيص وتدقيق، بل وتحتاج إلى إعادة نظر متعمقة في ضوء المناهج العلمية الرصينة، وفي ضوء ما كشفته لنا الآثار التي توصل الدارسون المنصفون إلى تحقيقها ونشرها. فهذا العصر ليس عصر انحدار، كما وصفته الكتابات المتسرعة غير الموضوعية، ولم يكن بكل تأكيد عصر تخلف عقلي أو وجداني، بعبارة أخرى لم يكن عصر انحطاط علمي وأدبي، وإنما على العكس من ذلك تماما، فلقد شهد هذا العصر نشاطا ثقافيا ومعرفيا واسعا في مختلف ميادين النشاط العقلي بما في ذلك الأدب واللغة .

ولولا نتاج هذا العصر الزاخر والمتنوع لما كان ممكنا وصل تيار العلم والأدب ليصل إلينا ونهل منه ونستفيد .. ولو كان ذلك وحده من مفاخر هذا العصر ، أي كونه حفظ لنا التراث العلمي والأدبي الإسلامي لكان كافيا في حد ذاته، وإنما كان أيضا "عصر الإبقاء على حياة اللغة العربية، بعد كسر جناحي الإسلام في المشرق والمغرب، فالفضل إنما كان للذكر الحكيم والأزهر الشريف ولسلاطين المماليك الذين اتخذوا مصر موطنًا والإسلام دينًا، والعربية

⁽¹⁾ - خصائص الأدب العربي أنور الجندي. دار الكتاب اللبناني. بيروت ص 191.

لغة، وعضدوا العلماء، وقربوا الأدباء، وشدوا من أزر المعلمين والمؤلفين حتى نبغ في ظلهم كثير من المشهورين... " (1).

كما كان هذا العصر الدور الرائد في عملية تعويض الخسارة التي لحقت المكتبة الإسلامية على يد التتار الذين عمدوا، كما هو معروف، إلى إعدام وإتلاف الكتب غرقا وحرقا، وعلى يد الفرنجة الذين أبادوا كمية ضخمة من الكتب والأسفار النفيسة في الأندلس... حيث كان الأسبان، كلما استولوا على مدينة، أخرجوا العرب منها وأحرقوا كتبها فيها" (2).

وكانت المؤلفات العديدة التي ظهرت في رحاب ذلك العصر، في شتى الفنون والآداب والعلوم، سببا قويا في حفظ التراث الإسلامي العظيم من الاندثار، وعُرفت بالموسوعية، أي أنها كانت أقرب إلى دوائر المعارف منها إلى الكتب والمصنفات العادية .

وقد فاق إنتاج العصر، من الناحية الكمية وحدها، ما أفرزته العصور اللاحقة كلها، كما اتسمت فترته بأبرز ظاهرة في تاريخ الأدب العربي كله، ونعني بها ظاهرة التجميع الموسوعي (3). وقد أغنى الكم الهائل من الأعلام الذين برزوا فيه المكتبتين العربية والإسلامية، وأثروا التراث الإسلامي، بل والإنساني وخدموا الفكر والفن والعلم خدمة جليلة.

بعض الآراء بخصوص العصر:

يربط السيوطي بين النشاط العلمي الواسع على زمن المماليك، وبين وجود الخلافة العباسية في القاهرة قائلا: " إنه من إحياء الخلافة العباسية في مصر غدت هذه البلاد محل سكن العلماء ومحل رجال فضلاء (4).

وفي كل الأحوال فإنه إذا أمكن أن توصف هذه المرحلة بالتخلف في المناحي السياسية

(1) - انظر: تاريخ الأدب العربي : لأحمد حسن الزيات ، مطبعة الرسالة ، القاهرة، ج 3 ص 401.
(2) - النقد الأدبي في العصر المملوكي : عبد العزيز قلقيلة ، مكتبة الأجلو المصرية ، القاهرة، ص 29
(3) - خصائص الأدب العربي : أنور الجندي ، ط 3 ص 191.
(4) - حسن المحاضرة : لجلال الدين السيوطي ، ج 2 ، ص 86.

والاجتماعية كما أشار إلى ذلك بعض الدارسين والمؤرخين⁽¹⁾، فإنها في مجال الأدب والدراسات العقلية والإنتاج الفكري كانت، بحق، حافلة وزاخرة.

وقد تفتن كثير من أعلام النقد والمختصين في هذا المجال إلى ضرورة تقويم آداب هذا العصر وعلومه منذ أوائل الستينيات، وظهرت بذلك الدراسات والأبحاث والمؤلفات هنا وهناك محاولة سبر أغوار هذا العصر وتأريخه، ودراسة آثاره وربط الأسباب بالنتائج في تقويمه وتتبع اتجاهاته وكان من الأعلام الذين أبدوا إعجابهم بأدب الماليك محمد بهجت البيطار الذي قال في تعليقه على الشواهد الشعرية لشعراء ذلك العصر: "إن هذه المقطوعات الشعرية والنزلية قد اشتملت على أدق المباني وأرق المعاني، وفيها بدائع الوصف والتمثيل ما لم يبلغه من سائر الشعر إلا القليل"⁽²⁾.

ومن الأوائل الذين أعادوا النظر في تقويم العصر محمود رزق سليم، من خلال بحثه عن ابن حجة الحموي، وما أورده في هذا الشأن: "ينبغي أن نعلم أن لكل عصر أسلوبه، وأن أسوب العصر راجع لمؤثراته وملابساته... وأن من الظلم أن نؤاخذ أدباء العصر بمنطق عصر آخر دون رعاية لظروفه، وأن ننزلم قسراً على أقيسه غيرهم وأذواقهم"⁽³⁾، ويؤيد هذه الفكرة الدارس المتمرس شوقي ضيف، فيقول في سياق الدفاع عن هذا العصر ومحاولة رد الاعتبار له بقوله: "لعل عصورنا لم تظلم كما ظلمت العصور المتأخرة وبخاصة عصري الأيوبيين والمماليك، فقد قيل مرارا وتكرارا: أن الشعراء جمدوا حينئذ وجمد معهم الشعر... وكل ذلك ظلم... وكيف يكون هذا الخمود والركود في عصر ردت إلينا فيه قوانا الحربية الضارية، وسحقنا الصليبيين والمغول سحقاً ذريعاً... ولعل عصرنا لم يظلمه الباحثون المعاصرون من عرب ومستشرقين، فقد أسموه خطأ باسم العصر المغولي وعتوه بأنه كان عصر انحطاط وضعف.. وهو حكم جائر كتب له أن يذيع ويشيع على الألسنة، وأن يلقي أستارا صفيقة

(1) - من الأقدمين: السيوطي، المقرئ، ومن الحديثين: أحمد شلبي، عبده قلقيلة، جودت الركابي، أنور الجندي، عمر موسى باشا... الخ.

(2) - حلية البشر. تحقيق محمد بهجت البيطار (تعليق المحقق). مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق 1963م. ج2 ص1169.

(3) - تقي الدين بن حجة الحموي: محمود رزق سليم (سلسلة نوابع الفكر). دار المعارف، القاهرة، مصر. ص58.

١٨
على هذا العصر تحجب حقائقه العلمية والأدبية "

وتناول أنور الجندي الباحث الإسلامي المعروف هذه القضية تناولا أبرز من خلاله رأيه الواضح في هذا المجال، ودعمه برأي محمد بهجت الذي أكد أن هذا العصر في أزمته الطويلة التي تعاقبت لم يكن كله ظلما .

وأشار أحمد بدوي خلال دراسته لأدب الحروب الصليبية إلى هذه المسألة فقال: " إن واجب البحث العلمي يقتضي أن أقرر أن كثيرا من أدب الحروب الصليبية لا يزال خبيثا في الخرائن ، مخطوطا أو مصورا لم يحقق تحقيقا علميا يظهره في أكمل صورة ممكنة (2) ". وأرجع شكري فيصل محاولة اتهام هذه الفترة للطابع الاستعماري . أما طه حسين فقد أقر أن هذا العصر لم يكن عصرا مظلما، واعتبره من أزهى العصور الإسلامية بالنسبة للقاهرة والبلاد العربية، ويكفيه فضلا أنه عصر دوائر المعارف (3)

ومما ذكره زكي المحاسني في مقدمة كتابه عن "الشاب الظريف" .. وكل ذلك دليل من التاريخ الفكري للعرب والإسلام على شيوع العلم والعرفان في بلاد العرب مما لم تعرف مثله العصور الأموية والعباسية الأولى .. فإن عصورا تقوم فيها مدارس العلم بهذا العدد الهائل ويكون فيها سيل من كتب التأليف في العلوم والآداب ومختلف الثقافات المعروفة .. فهي عصور ازدهار، ومن الجور عليها أن تنعت بالانحطاط (4) آراء المستشرقين :

ولم يقتصر الاهتمام بهذا العصر على هذه الطائفة من الأدباء العرب الأعلام وإنما امتدت الدراسات إلى المستشرقين أنفسهم والذين كانوا غير مختلفين كثيرا عن العرب في إهمالهم للعصر المملوكي دراسة وبجثا. نبه المستشرق "هانس" (5) لذلك وسجله في مقدمة تحقيقه لكتاب "الروض الزاهر" للعيني عندما قال : "وقد شعرت في أعماق نفسي بأن الفترة من عام 1250 م إلى 1517 م من تاريخ مصر لم

1 - البحث الأدبي. شوقي ضيف. دار المعارف. القاهرة. مصر ص 53

2 - الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية. أحمد بدوي. ص 566

3 - المصور. العدد رقم 221 شهر أبريل سنة 1969م

4 - الشاب الظريف . زكي المحاسني. سلسلة مفكرين من الشرق والغرب. دار الأنوار بيروت ص 25.

5 - هانس « ولد في مدينة جينجن - ذات الجامعة الشهيرة - كانت رسالته الأولى عن الحسن البصري والمأبنة »
عن الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي . 1954م . 9 أنظر موسوعة المستشرقين . عبد الرحمن بدوي . دار العلم للملايين بيروت

تجد من يعطيها حقها الكافي من الدراسة من جانب العرب والمستشرقين على حد سواء"
أما المستشرق الذائع الصيت "اندري ميكائيل" فقد أرجع الفضل في حفظ كنوز
الحضارة العربية لغويا وأديبا وفكريا ، وكذلك بعث النهضة العربية الحديثة إلى العصر
الملوكي .
كما لا ننسى إعجاب معظم المستشرقين بالموسوعات إعجابا شديدا، وسجلوا ذلك في
دراساتهم، ومن بين هؤلاء المستشرق الروسي كراتشوفسكي.

المبحث الثالث: صورة المجتمع المملوكي

أولاً: الناحية السياسية

شهد هذا العصر حركة علمية وأدبية وفنية رائعة، وقد أثبتنا من قبل أنه لم يكن بأي حال من الأحوال عصر تخلف عقلي أو أدبي، واستطاع هؤلاء المماليك في دور قوتهم أن يقيموا دولة قوية متينة البنيان، في المجال العسكري والسياسي والتجاري، مما جعل مساحتها تشمل رقعة واسعة من العالم آنذاك.

وإن دولة قاومت هجومات التتار والفرنجة من كل صوب، وعمل مماليكها على إحياء الخلافة العباسية في مصر، بعد سقوط بغداد في أيدي التتار على يد هولاءكو وعساكره، وكانت مصر دار الخلافة العباسية، فقد ذكرها القلقشندي بقوله: "... ثم لم ينزل يعلو قدرها ويسمو ذكرها إلى أن صارت دار الخلافة العباسية وقرار المملكة الإسلامية⁽¹⁾

وأهدى إليها ابن تغري بردي كتابه القيم "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" تقديرًا منه لدورها المميز في الحفاظ على الأماكن الإسلامية، حيث يقول في خطبة الكتاب: "أما بعد فلما كان لمصر ميزة على كل بلد تخدمه... أحببت أن أجعل تاريخًا لملوكها... فحملني ذلك على تأليف هذا الكتاب وإنشائه، وقمت بتصنيفه وأعبائه⁽²⁾

وازدهرت الشام وخاصة حلب في عهد المماليك، وغدت مدينة من المدن الرئيسية حضارياً وثقافياً، وسياسياً وعسكرياً⁽³⁾

ومع الأحداث⁽⁴⁾ غدت مصر والشام دولة واحدة تحت السلطة المملوكية وإنضمت إليها الحجاز واليمن والعراق وسائر الأطراف البرية والبحرية، وارتبطت بدول أوروبا وحوض

1 - صبح الأعشى : للقلقشندي ج 1 ص 6

2 - النجوم الزاهرة : ابن تغري بردي ج 1 ص 2

3 - أنظر: الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهداء: أحمد فوزي الهب ، مؤسسة الرسالة بيروت ص 35 وما بعدها.

4 - نعي بالأحداث: معركة "عين جالوت" ... حيث حارب سيف الدين قطز التتار وأحرز نصراً مؤزراً في تلك المعركة في الموقعة بين بيسان

ونابلس ، وملك البلاد الشامية يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة 658 للهجرة ، فتوحدت مصر والشام مرة ثانية ، وانتصر

المماليك حضارياً بدرء خطر المغول عن العالم الإسلامي وعن الإنسانية كلها. (أنظر: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك: حمدي عبد

المنعم حسن، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ص 196. وموسوعة التاريخ الإسلامي : أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ج 5 ص 25

البحر الأبيض المتوسط بصلات عديدة تجارية وسياسية .

المماليك والصليبيون:

واصل المماليك الأشداء مسيرتهم الضخمة التي بدأها صلاح الدين الأيوبي في حصار الصليبيين ومحاربتهم، وقد أعد الظاهر بيبرس جيشا قويا قاده محاربة الصليبيين، فسقطت إمارة أنطاكية بعد حصار دام خمسة أيام، وإمارة طرابلس والجزء الذي كان باقيا من مملكة بيت المقدس.

ويذكر المؤرخون أن من أهم أبطال المماليك الذين أدوا أدوارا تاريخية في تلك الحروب: الظاهر بيبرس، وقلاوون، والأشرف خليل الذي على يديه سقطت عكا ودمرت آخر الحصون الصليبية، واستسلمت كل البلاد التي كانت باقية لهم، وبذلك انتهى عهد الصليبيين في المشرق^{١٨١}
أسلوب الحكم :

لم يعتمد سلاطين المماليك على الوزراء لإدارة الحكم وسياسة شؤون البلاد كما كانت الحال في العهود السابقة، بل استبدلوهم ببعض الموظفين " فأصبح كل من ناظر الدولة والناظر الخاص يقوم مقام الوزارة^{١٩١}

ومن الوظائف المهمة التي برزت وانتشرت في هذا العصر أيضا (الولاية) وهي تقابل ما عرف في العصر الإسلامي الأول بالشرطة، ومهمة صاحبها : حفظ النظام، وتسيير الأعمال الإدارية التي تكفل راحة وسلامة الشعب^{١٩١}

كما برز ديوان الإنشاء خاصة في عهد الملك بيبرس، لكثرة ما أقامه من معاهدات وعلاقات مع الملوك والأمراء المجاورين له، وما ترتب على ذلك من تبادل المكاتبات والمراسلات وتبادل المنافع والمصالح تبعا لذلك، ولعله بسبب من ذلك تطور البريد تطورا ملحوظا .

وكان للقضاء نصيب واسع من الاهتمام في عهد المماليك، لحرص السلاطين على إقامة

1 - موسوعة التاريخ الإسلامي : أحمد شلبي ج 5، ص 253.

2 - دولة الظاهر بيبرس في مصر : محمد جمال الدين سرور ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ص 52

3 - الخطط : للمقريزي، مؤسسة ، ج 2 ، ص 222.

العدل بين أفراد الرعية ومعاملتهم بالمساواة، وقد وصل الأمر بالظاهر بيبرس الى بناء دار للعدل وجلس بها للنظر في المظالم... ولما بُني الإيوان¹ واضب محمد بن قلاوون الجلوس يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع (2) تدهور الأوضاع:

غير أن ذلك لم يكن ليتمد في الزمن دون نهاية، فإن كل ازدهار واستقرار يعقبه قلق واضطراب وتقلب الأوضاع هو ميزة المجتمعات البشرية في كل عصر. ولقد حدث بالفعل ما يشير إلى بداية فترة التقلب، حيث أضحى من السهولة بمكان، فذلك الدور الأخير من تاريخ الممالك عزل السلاطين وإقامة غيرهم، فلايكاد السلطان يبقى في منصبه أياما حتى يعزل ويقام غيره (3)

وبذلك تسلل الوهن إلى جسم الدولة وحل بها الهرم والهزال، وارتبكت مؤسساتها وضعفت وضعف معها مركز السلطان في مصر، كما قامت ثورات وفتن كثيرة لم يستطع هؤلاء المماليك إخمادها والقضاء عليها، فترعرعت هيئتهم أمام الرعية، وتدنّت مستويات المعيشة "وصارت ولاية الخطط السلطانية، والمناصب الدينية بالرشوة كالوزارة والقضاء ونيابة الأقاليم، وولاية الحسبة وسائر الأعمال⁽⁴⁾ مما أدى إلى مضاعفة الضرائب على الرعية وانتشار الظلم والقهر بينهم، وأثر كل ذلك سلبا بطبيعة الحال على الرعية التي تدهورت صحتها وقلت معيشتها وأصبحت فريسة سهلة للكثير من الأوبئة والأمراض والطواعين الوافدة عليها من هنا وهناك.

وبذلك دارت الدائرة على المماليك، واستولى الجيش العثماني على البلاد، وانتهت بذلك حقبة تاريخية من عمر التاريخ الإسلامي الطويل.

ثانيا/ الحالة الاجتماعية:

تغيرت وجوه الحياة تغيرا كبيرا عن العهود السابقة في عصر المماليك، نظرا لما لحق هذا

1- الإيوان: الضيقة العظيمة، وفي المصطلح: شجرة أزج غير مسدود الوجه، وهو أعجمي، ومنه إيوان كسرى..
وجماعة الإيوان: أداوين وإيوانات، والإيوان: من أعمدة الخيام، قال: بل شيء عمدت به شيخانهر لإيوان له...
2- الخطط: للمقريزي، ج 2 ص 208.
لسان العرب لابن منظور ج 1780.

3- العصر المماليكي في مصر والشام: سعيد عبد الفتاح عاشور: دار النهضة العربية، القاهرة، ص 256.

4- إغاثة الأمة بكشف الغمة: للمقريزي، دار ابن الوليد، دمشق، 1956 ص 43

المجتمع من أحداث، وما عاناه من ويلات الحروب الصليبية والمغولية، وما سببته تلك المقاومة العنيفة والتصدي للأخطار الخارجية من ضعف في الحياة بصفة عامة.

ولما كانت البيئة الاجتماعية الوعاء الذي يضم كل الفئات المكونة للمجتمع، ولما كانت هذه البيئة أهم البيئات أثرا في حياة الأدباء والشعراء، لأنها بهم ألصق وإليهم أقرب، كان لابد من وقفة لتحديد أهم سمات الحياة الاجتماعية وبيان عناصرها ومكوناتها وخصائصها.

عناصر المجتمع المملوكي :

كان المجتمع المملوكي، بصفة عامة، يتكون من أعراق عدة، يخالف بعضها بعضا، سواء من حيث اللغة، أو الطبع، أو الخلق أو الدين. فهناك العنصر العربي، والتركي، والكردي، والشركسي وغيرهم... وكانت ديانات هؤلاء تتوزع بين : الإسلام، والنصرانية، واليهودية. وقد أدى التعايش بين هؤلاء جميعا إلى تمازج وتداخل في اللغة و التقاليد والأعراف، ولم يعمل هذا الاختلاف الظاهر في أصول الممالك إلى الابتعاد بهم عن صورة المجتمع الإسلامي، بل ساعدهم على الاجتماع حول المحافظة على مظاهر حياتهم الإسلامية، بحيث كان تمسكهم بالدين الإسلامي وبالأخلاق الإسلامية باديا بوضوح.

قسم ابن خلدون عناصر المجتمع المملوكي إلى قسمين اثنين :

سلطان، ورعية¹؛ فيما رأى المقرئزي أن فئات المجتمع وقتئذ كانت أربعا :

أولا: طبقة الممالك، وكان منهم السلطان ونوابه وأفراد الدولة والجيش وقادته.

ثانيا: طبقة رجال الدين والأدب، وكان من هؤلاء القضاة والكتاب.

ثالثا: طبقة التجار وأهل البيع والشراء.

رابعا: طبقة الصناع والزراع وأرباب الحرف والفلاحين⁽²⁾

فالمجتمع كان إذن طبقات، وحكم الممالك للبلاد كان، كما هو معروف، مطبوعا

بالطابع العسكري .

واعتبر الممالك أنفسهم طبقة ممتازة تختلف وتنفصل عن بقية سكان المجتمع وفئاته. ولم

1 - مقدمة ابن خلدون دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان ص 168

2 - الخطط للمقرئزي ج4 ص 161 .

يكن الزواج عندهم يتم إلا من بنات جنسهم، وعاش سلاطين المماليك بذلك في ظروف اجتماعية مريحة، إذ استطاعوا أن يمتلكوا أسباب القوة، كما امتلكوا قدرا واسعا من أسباب النعيم والرفاه، بالرغم من الحياة القاسية التي كان معظم الشعب يعاني فيها معاناة شديدة قاسية (1).

تعرضت البلاد المملوكية كمصر والشام وحلب للحروب الكثيرة المتوالية، كما تعرضت للكوارث الطبيعية كالزلازل، وإجداب الأرض وجفافها بسبب انخفاض منسوب المياه، وقد أدى ذلك بدوره إلى انتشار الأوبئة الفتاكة وشيوع الطواعين والأمراض التي حصدت مئات الألوف من الأنفس.

وأدت كل تلك الظروف مجتمعة إلى بروز تيارين في المجتمع المملوكي، وظهر نموذجين يختلف كل واحد منهما عن الآخر ويتعد عنه بشكل واضح:

التيار الأول : هو من يمكن تسميته بتيار الدين (أي التيار المتدين).

التيار الثاني : هو تيار الجون والميوعة .

التيار الديني :

ازدهر هذا التيار ونشط نشاطا ملحوظا، ولعل السبب في ذلك يعود إلى نشاط حركات التصوف وانتشار الشعر الديني بصورة كبيرة آنذاك، فضلا عن رابطة الدين القوية التي وصلت عناصر المجتمع المملوكي بصلة وثيقة قوية، وربطت المماليك بالبلاد والعباد، مما جعل النزعة الدينية تتبلور في نفوس الكثير من طبقات المجتمع.

كان المماليك على مذهب أهل السنة والجماعة، كرسوا جهودهم لإثراء هذا الاتجاه، ويلاحظ أن الظاهر بيبرس قد عمل على ذلك " فأمر باتباع المذاهب السنية الأربعة وتحريم ماعداها . ولا يتولى قاض، ولا تقبل شهادة أحد، ولا يرشح لوظائف الخطابة أو

الإمامة ، أو التدريس مالم يكن مقلدا لأحد هذه المذاهب السنية. (2)

كما لجأ المماليك إلى وسيلة أخرى لتدعيم الفقه السني وهي بناء المدارس السنية التي

1 - البداية والنهاية: لابن كثير طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة 1359 هـ ج 14 ص 176. وانظر أيضا : إعلام النبلاء : ج 3 ص 86

2 - الخطط : للمقريزي ج 4 ص 344.

ساهمت بشكل واسع في ترسيخ العقيدة الإسلامية بصفة عامة و تثبيت دعائم الفقه السني بشكل خاص. وليس هذا بطبيعة الحال مجال لمناقشة كل ذلك.

تيار المجون:

التيار الثاني الذي برز بقوة في الفترة نفسها هو تيار المجون والخلاعة، وهذا التيار كان ضعيفا ومحدودا إذا قورن بالتيار السابق، ولكنه مع ذلك كان موجودا ظاهرا، وقد حاربته المماليك أنفسهم وواجهوه بضروب شتى من التضييق، وقد أصدر الظاهر بيبرس أمرا^{١٨١} بهدم الحانات وإهراق الخمر، وحرق الحشيش في جميع مناطق المملكة.

وعلى الجملة فقد كانت الحياة الاجتماعية زمن المماليك حياة تلفها أجواء الدين الإسلامي، ولا يكاد يهمل الدارسون في هذا المجال وجود مناخ إسلامي عام يشيع أريجيه في مختلف مظاهر الحياة في المجتمع المملوكي، وإن شأبه بعض الشوائب في هذه الناحية أو تلك، فذلك مما لا يخلو منه أي مجتمع إنساني.

مكانة الأدباء والعلماء:

غير أنه وبالرغم من تلك الأوضاع المشوبة بالتناقض والموسومة بالتباين فقد كان لبعض أهل الفضل مكانة مرموقة، ومن بين أولئك : العلماء والأدباء والقضاة؛ فقد كانت مكانتهم في المجتمع محفوظة وبالغة مبلغا واضحا من العلو والسمو، وكانت صلاتهم بالمماليك الحكام علاقة تتمتع بكثير من التقدير والاهتمام، ويعود ذلك إلى الاهتمام الملحوظ من قبل المماليك أنفسهم ، على اختلاف مراتبهم، بالشعراء والعلماء والإغداق عليهم بكل سخاء وتشجيعهم على التأليف المتنوع في مختلف المجالات الفكرية والأدبية، وكان سعي المماليك للإكثار من من بناء المدارس والمكتبات والمساجد والمعاهد سعيا دائبا. وقد مال بعض أولئك السلاطين إلى المشاركة في إنماء الحركة العلمية والأدبية لما كانوا يتمتعون به من نبوغ وعبقريّة، ومن هؤلاء : السلطان الظاهر بيبرس، والناصر قلاوون، والسلطان الغوري الذي كان

شاعرا ... وغيرهم كثير⁽²⁾

1 - النجوم الزاهرة ج 9 ص 07

2 - المرجع السابق ج 9 ص 9

كانت موارد المعيشة للممالك ومجتمعهم تركز بصفة خاصة على التجارة والخدمات، وجاء ذلك بناء على الموقع الجغرافي الذي استثمر استثمارا جيدا، حيث نشطت التجارة زمن الممالك وازدهرت الكثير من الحواضر بسبب النشاط التجاري في كل من مصر والشام. كما كان للزراعة أيضا دور مهم في هذا الازدهار، فشكلت هي الأخرى أحد الموارد المعيشية الهامة التي أعانت المجتمع المملوكي على النمو سواء في المجال الاقتصادي أو في المجال الاجتماعي. فقد كانت الزراعة مجالا مهما رعاها الممالك واهتموا به، وقد بذل سلاطين الممالك، كما ذكر ذلك صاحب صبح الأعشى "جهودا واسعة... واعتنوا بالزراعة فنهضت نهضة كبيرة، وعرفت نجاحا واسعا خاصة زراعة القمح وقصب السكر والقطن، كما انتشرت زراعة الخضراوات والفواكه المختلفة، بحيث كانت البساتين تغطي مساحات شاسعة من الأراضي هنا وهناك، خاصة في القاهرة والمدن المجاورة...¹؛

من جانب آخر عرفت الصناعة بعض النشاط، فظهرت بعض الصناعات المعدنية وصناعة الزجاج، مما أكسب مصر شهرة في هذا المجال، كذلك عرفت بعض الصناعات الدقيقة وفن الزخرفة، واتسعت صناعة الخشب المنقوش لتزيين المنابر والأبواب والنوافذ، ولا زالت بعض الآثار منها موجودة ماثلة هنا وهناك في المدن والحواضر الإسلامية العريقة كالقاهرة وحلب وغيرهما.

1 - صبح الأعشى: للقلقشندي، ج 3 ص 311.

المبحث الرابع: الثقافة والأدب في العصر المملوكي

مع أن المماليك لم يكونوا أهل حضارة في البيئات التي جاءوا منها، لكن رغبتهم في نشر العلوم وتوفير كل الجهود للرقى العلمي والثقافي كانت رغبة شديدة أفصحت عن نفسها من خلال ما أبدوه من رعاية سامية للعلم والعلماء والأدب والأدباء، كما اتضحت من خلال حرصهم الكبير على بناء المدارس والمعاهد والمكتبات ودور العلم.

فقد بلغت المدارس في عهد المماليك عددا معتبرا، ذكر المقرئزي شيئا من ذلك فقال:

... في مصر وحدها وجدتها ثلاثا وسبعين¹؛ ودور العلم اتسعت باتساع السلطنة المملوكية، ولم تكد تخلو منطقة من مناطق المملكة في مصر والشام من تلك المنارات العلمية التي كانت بحق سببا في تعليم الصغار حفظ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة، وتزويد الكبار بشتى أنواع العلوم والفنون والآداب والفقهاء. ويكفي للدلالة على ذلك النزوع النبيل نحو العلم والتعليم ما صنعه بعض السلاطين، فقد أنشأ الصالح أيوب المدرسة الصالحية، وكانت أشبه بجامعة تضم كليات مختلفة لدراسة المذاهب الفقهية السنية الأربعة ... كما أنشأ الظاهر بيبرس مدرسة عرفت باسمه وزودها بمكتبة هائلة ... وشيد الناصر محمد بشارع القصرين المدرسة الناصرية عين بها مدرسين للمذاهب الأربعة وزودها بمكتبة ضخمة ...²

ولم يكن الأمر مقتصرًا على الحواضر الكبرى فحسب؛ فقد سارع المماليك إلى بناء المدارس وتشييد الجوامع والمكتبات في كل مكان. وهاهو السلطان برقوق والسلطان الغوري يبنيان مدارس عديدة امتلأت بالأساتذة والمدرسين، وزودت بالمكتب المختلفة في شتى العلوم والفنون ... وقد ذكر المقرئزي في خطه من ذلك الشيء الكثير بتفاصيل واسعة. لولا يحسن، ونحن نتحدث عن العلم والتعليم، أن نهمل الأزهر الشريف⁴ هذا المعلم العلمي التعليمي البارز الضاربة جذوره في أعماق التاريخ، والذي يعد أقدم مدرسة على الإطلاق. وقد برز دوره بشكل واسع في العهد المملوكي بعد أن كان مهملا محدود التأثير، فبعث المماليك روحه المشعة

1 - الخطط للمقرئزي، ج 2 ص 362.

2 - دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ص 281

3 - الخطط : للمقرئزي . ج 2 ص 370

4 - أول جامع أسس بالقاهرة زمن المعتز لدين الله الفاطمي على يد القائد جوهر الصقلي: الخطط للمقرئزي ج 2 ص 277

وأطلقوا لعلمائهم العنان فإذا نور إشعاعه ينبعث قويا جديدا فعلا، فاستقطب الطلاب ومحبي العلم والمشتغلين به من كل الأنحاء، حتى صار قبلة للطلبة والباحثين والدارسين يأتون إليه من كل حدب وصوب.

ولعل هذا الكم الهائل من المدارس والمعاهد المنتشرة في العصر المملوكي كان نتيجة طبيعية للتنافس الشديد للمماليك في خدمة العلم. كما كان نتيجة للتسابق في التحصيل وتناول العلوم والآداب، وهو كله بسبب المناخ العلمي الذي أشيع في ذلك العصر.

وربما ظهرت القيمة الحقيقية لتلك المدارس في الصورة التي كانت تتمتع بها من حيث الشكل والمضمون والأهداف؛ فنظام كثير من المدارس لا يقل عن النظام المتبع في الجامعات المعروفة الآن، من حيث نظام المدارس، وهيئة التدريس. فقد كان لكل مدرسة مدرّسوها الخاصون، ومعيدوها، وإمامها ومؤذنها، وخادمها، وقيّمها بالإضافة إلى طلابها (1). المذاهب العلمية :

إلى جانب هذه المدارس والمعاهد ظهرت مدارس، بمعنى مذاهب واتجاهات، ولم يكن ما قدمته أقل فائدة، فقد ساهمت في إثراء الثقافة. ويمكن أن نذكر في هذا الخصوص البعض منها، كالمدرسة المصرية في النحو التي عمل ابن هشام في إثرائها بما أضافه من دقة في البحث والاستنباط والتحليل والعرض، وقد قال عنه ابن خلدون : "مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام"⁽²⁾.

ولم يكن ابن هشام الوحيد، كما أن مذهبه لم يكن أيضا الفريد في ذلك الزمن المملوكي، بل كان معه آخرون كأبي حيان الأندلسي، وابن عقيل. المساجد الجامعة :

وينبغي أن نتطرق ونحن بصدد الحديث عن دور العلم إلى الرسالة العلمية التي أداها المسجد كمكان للعبادة، وأيضا كمحل للتحصيل العلمي وتنوير العقول والنفوس. فحلقات العلم التي كان يقيمها العلماء والفقهاء والمنتديات التي كان يقيمها الأدباء مما كان يبسط فيه الغذاء الروحي والفكري في مختلف مناحي المعرفة : كالأدب، والشعر، والنحو، والفقه،

1- راجع معيد النعم ومبين النعم السبكي المطبعة الأدبية - مصر - ص 140 (نقلا عن الحركة الشعرية زمن المماليك)

2- مقدمة ابن خلدون دار الكتاب اللبناني بيروت 1957

والتفسير والحديث... فكانت من نحو أو آخر شبيهة بالمدارس والمعاهد، ولا تكاد تختلف ربما عنها إلا من حيث الحرية التي كان يملكها الطلاب في انصوائه تحت هذه الحلقة دون تلك، وربما جمع بين حلقتين في يوم واحد، فهو حر في اختيار ما يناسبه من المجالس العلمية والتزود بما يريد دون أدنى إلزام. وكانت معظم تلك الحلقات العلمية موجودة في الجوامع العامرة كالجوامع الأموي في دمشق، والجامع العتيق وجامع أحمد بن طولون، والجامع الأزهر، وجامع الظافر وجامع الصالح في مصر⁽¹⁾.

المكتبات:

ويلحق بمجال التعليم والتنوير الكتب والمكتبات فهي الحجر الأساس للبناء الثقافي والعلمي والحضاري، والمكتبات هي الحلقة الحساسة في انتظام منظومة التعليم، كما أنها ركن كبير في الحياة الفكرية والأدبية والعلمية لأي مجتمع أو أمة. وقد اهتم المماليك بهذا الجانب، والحق يقال، اهتماما بارزا وأنشأوا المكتبات وألحقوا بكل مدرسة أو معهد مكتبة، كما جعلوا لكل مسجد عامر مكتبة خاصة به، وقد ساعد ذلك على اغتناء الحواضر الإسلامية بآثار كبيرة فكانت خزائن الكتب منتشرة في القاهرة وحلب ودمشق وسواها انتشارا كبيرا. ومن أهم تلك المكتبات: "خزانة جامع الحاكم زوده بها السلطان بيبرس، وخزانة القبة المنصورية التي قيل أنها كانت تحتوي على عدة أعمال من الكتب النفيسة في مختلف العلوم، وخزانة الفاضل التي كانت مضرب المثل وكان بها - كما أورد ذلك المقرئزي - مائة وأربعة وعشرون ألفا من الكتب.. كان يقفني الكتب من كل فن ويحتلبها من كل وجه، وكان له نَسَاح لا يفترزون، ومجلدون لا يبطلون" (2).

عناية المماليك بالعلماء:

كان لازدهار الحركة العلمية في السلطنة المملوكية ولانتشار المؤلفات وظهور الأعلام والعمران هنا وهناك أسباب عدة دون شك، لعل أهمها تلك الروح الطيبة التي كان يتمتع بها سلاطين المماليك في تكريم العلماء وأرباب الفضل من الفقهاء، وتوفير كل مامن شأنه أن يساعدهم على أداء واجبهم في العلم والتعليم والعمل الصالح النافع.

1 - الخطط: للمقرئزي: ج 2 ص 246 وقد ذكر المقرئزي الكثير من تلك الجوامع بالتفصيل.

2 - المرجع السابق نفسه: ج 2، ص 283.

وقد ذكر القلقشندي شيئا من هذا الأمر فقال: " إن أول ما صرفت النفوس إليه همّها، وأخلصت فيه نيتها أمر المدارس التي هي مسقط حجر الاشتغال بالعلم، ومستقر قاعدته .. ومحيط دائرته، وميدان فرسان المشايخ ومورد ظمإ الطلبة ومحط رحالها. ⁽¹⁾"

فالفضل فيما شهدته العصر من حركة في العلم والتعليم إنما يعود إلى أولئك السلاطين وجهودهم في إنشاء المكتبات وتشجيع العلماء على التأليف وجمع الكتب، خاصة وأن بعض منهم كان بارعا ماهرا في صناعة التأليف، والسلطان قلاوون قدوة في هذا المجال، كما عرف عن الظاهر بيبرس ولعه بالتاريخ وأهله وريادته في تكريم العلماء معروفة غير منكورة. واستبدل الملك حسام الدين لاجين، لما اقتعد الحكم مجالس اللهو بمجالس الذكر والعلم ورفع العلماء إلى منزلة رفيعة ... "دخل عليه ابن سيد الناس وهمّ بتقبيل الأرض بين يديه فممنعه من ذلك، وقال: أهل العلم منزّهون عن هذا، وأجلسه بجواره. ⁽²⁾ واشتهر السلطان علم الدين سنقر بالميل إلى أهل العلم. وكانت أيام الملك الأشرف شعبان على أحسن حال، وقد علق على ذلك قائلا: " أفعل هذا لئلا تموت الفنون في دولتي وأيامي. " ⁽³⁾

يضاف إلى ذلك كله ما تمتع به السلاطين والأمراء في ذلك العصر من النبوغ في العلم والشعر والكتابة؛ فالسلطان الأشرف خليل كان يطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء وقاد لا يعلم عن مكتوب حتى يقرأه كله.

وهذا أبو المحاسن بن أتابك العساكر مؤلف حوادث الدهور، والمنهل الصافي، والنجوم الزاهرة، وغير ذلك يملأ المكتبة الإسلامية بروائعه الكثيرة.

واعتماد السلطان الغوري ⁽⁴⁾ أن يعقد بالقصر السلطاني مجالس علمية عدة مرات في الأسبوع، داعيا إليها كبار العلماء والأدباء للبحث والمناظرة، وكان يدير الجلسات بنفسه. وعرف عنه تمتعه بحظ وافر من العلوم الدينية والعربية: كالفقه، والتوحيد، والبلاغة. وكان شاعرا يقول الشعر ويحسن تذوقه.

1 - صبح الأعشى للقلقشندي ج 11 ، ص 237 .

2 - النجوم الزاهرة : لابن تعري بردى ، ج 8 ص 108 .

3 - المرجع نفسه : ج 11 ، ص 82 .

4 - قصوة الغوري : تولى سنة 922 للهجرة . أحد السلاطين المماليك ، خلف ديوان شعر ، وكتاب " المنقح الظريف على الموشح الشريف .

وإلى جانب هذا النموذج من السلاطين المماليك المحبين للأدب والعلم كان هناك نموذج آخر لا يقل شأنًا، حيث سعى واجتهد في سبيل إثراء الحركة العلمية في ذلك العصر، وهو نموذج يمكن أن نقول عنه إنه رغب أيضا في هذا الجانب وإن كان من باب تخليد اسمه وترسيخ نفوذه، ونعني بأولئك من ألفت المصنفات بشأنهم وكتبت الكتب في آثارهم وخصاهم ... فقد ذكر أن المؤرخ أبا بكر بن أيك ألف كتابه "كنز الدرر وجامع الغرر" للسلطان محمد بن قلاوون. وأشار السيوطي في حسن المحاضرة إلى أنه ألف للخليفة المتوكل على الله أبي العز عبد العزيز بن يعقوب كتابين هما: "الأساس في فضل بني العباس"، و"رفع البأس عن بني العباس"، كما ألف للسلطان الغوري "الكوكب الدرّي في مسائل الغوري" و"تذكرة الملوك في حسن السلوك".¹

وضمن هذا الخط التألّفي وجدنا موسوعة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" للعمري الذي ألفها برعاية خزانة السلطان المؤيد. من جهة أخرى استفاد العلماء وأهل الأدب والفقهاء من المناصب الرفيعة الشأن، ووفرت الأموال الكثيرة لهم ليكون سيرهم في هذا السبيل يسيرا منتجا، ففاضت المكتبات بآثار عقولهم وثمار أفكارهم وسجلت أضخم حركة تأليف على مدار الزمن في هذا العصر بالذات.²

1 - حسن المحاضرة: للسيوطي ج3 ص 82.

2 - دولة الظاهر بيبرس في مصر؛ محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي مصر ص136 وموسوعة التاريخ الإسلامي أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ج5 ص276.

المبحث الخامس: قضايا وخصائص الثقافة والأدب في العصر المملوكي

كان لظهور الموسوعات العلمية والأدبية في العصر المملوكي ، بذلك الشكل الواسع الباهر، أسباب يمكن أن نوجزها فيما يأتي:

أولاً: سقوط بغداد : لم يكن المماليك عرباً - كما سبق أن ذكرنا - ولكنهم كانوا مسلمين، وقد دفعهم اهتمامهم بالدين الإسلامي إلى الاعتناء باللغة العربية عناية كبيرة، لأنها لغة القرآن الكريم، فعملوا على بعث الحياة الفكرية بعثاً جديداً، بعد العطل الذي أصابها أيام الاجتياح التتري، وبعد أن قضى على كثير من دور العلم وفقد المسلمون تراثاً ضخماً من الكتب والمصنفات والأسفار. وما قام به العلماء والأدباء لما استقر بهم المقام في مصر والشام هو إنقاذ للتراث الإسلامي بجمع المواد التي كان يتكون منها وإخراجه في ثوب جديد جامع هو الموسوعة.

ثانياً: ديوان الإنشاء :

وقد أدى دوراً كبيراً في توجيه مسار العلماء نحو تأليف الموسوعات .

ثالثاً: تشجيع سلاطين المماليك للعلم والعلماء وأصحاب الفكر .

فبهذه الأسباب والدوافع نبغ المفكرون والأدباء والفقهاء والعلماء ونضجت الحياة الثقافية، وضحمت النتاج الحضاري، ودخل العصر مرحلة من الازهار والتفوق في التأليف لم يشهدها عصر آخر. ولو حاولنا أن نتبع آثار هذا العصر لوجدنا كما هائلاً من الكتب الأصيلة في شتى العلوم والفنون .

العصر المملوكي عصر الموسوعات:

وأطلق على العصر المملوكي عصر المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف؛ لأن المؤلفات آنذ كانت ضخمة وافية، عمد أصحابها إلى تجميع مختلف المواد العلمية والفكرية والأدبية وتصنيفها في كتاب واحد، وفق التسلسل الزمني أو وفقاً لتسلسل حروف المعجم.

وهذه النزعة الجديدة في أسلوب التأليف وطرائقه كانت وليدة الظروف السياسية لهذا العصر الذي عانى من ويلات الهجومات الصليبية والمغولية ، ومن ثم فقدت الكثير من الآثار الفكرية والأدبية، في كل من مصر والشام وخراسان والأندلس... ومحاولة الأعلام للمحافظة على التراث المتبقي وتجديده بما يمكن أن يضاف إليه، فجاء الكتاب الواحد من

تلك المصنفات والتأليف خلاصة مفيدة لعشرات من الكتب والأسفار، كما فعل ياقوت الحموي بمعجمه، حيث " اعتمد على مصادر كثيرة وعديدة وردت في معجمه ... وكان أميناً في عزو كل معلومة إلى صاحبها"¹

وكما صنع أيضا ابن أبي أصيبعة بطبقاته، وأبو النداء بتقويمه، والقلقشندي بصبحه، وابن تغري بردى بنجومه، وابن شاكر بفوات وفياته، وابن حجر العسقلاني بدرره وغيرهم كثير.

إذا نحن راجعنا تراجم هؤلاء الأعلام وتراثهم نجد شيئا بالغ القدر جليل الشأن. والحق أن هذه الفترة كانت من أخصب فترات التحدي التي واجهت الفكر العربي الإسلامي بصفة عامة والأدب العربي الإسلامي بوجه خاص⁽²⁾

وسنحاول فيما يلي إعطاء لمحة موجزة عن المصنفات التي تركها أعلام ذلك العهد:

1 - ولنبدأ بالمعاجم :

لسان العرب : لابن منظور الإفريقي

القاموس المحيط : للفيروزابادي

تاج العروس في شرح القاموس : لمرتضى الزبيدي

2 - في التاريخ والجغرافيا :

عيون الأنباء في طبقات الأطباء : لابن أبي أصيبعة

وفيات الأعيان : لابن خلكان

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات : عماد الدين القزويني

تاريخ مختصر الدول : لابن العبري

الفخري في الآداب السلطانية : لابن الطقطقي

تقويم البلدان والمختصر في تاريخ البشر : لأبي الفداء

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : لابن فضل الله العمري

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ابن حجر العسقلاني

1 - معجم البلدان : لياقوت الحموي . تحقيق: فريد الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت / ج 1 ص 11.

2 - أنظر: خصائص الأدب العربي : أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني / بيروت ص 190.

فوات الوفيات: لابن شاکر.

الوافي بالوفيات وأعيان العصر : لصالح الدين الصفدي .

الإحاطة في أخبار غرناطة وديوانه "الصيب والجهام والماضي الكهام "

والكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة : للسان الدين بن الخطيب

تحفة النظر: لابن بطوطة .

المقدمة : والتاريخ : لابن خلدون .

البداية والنهاية : لابن الأثير .

السلوك لمعرفة أحوال الملوك ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار: للمقريزي

الكشكول: للعاملي .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري بردى .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة .

تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام: للذهبي .

3- وفي الأدب واللغة:

طبقات الحفاظ، المفسرين، النحويين، واللغويين: جلال الدين السيوطي

المستطرف من كل فن مستظرف: للإبشيهي .

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ونهاية الأرب في معرفة قبائل العرب : للقلقشندي

نهاية الأرب في فنون الأدب : النويري .

كشاف اصطلاحات الفنون : التهانوي .

هذا كله غيض من فيض ، وقليل من كثير مما عرف من مئات التصانيف التي طبعت،

وهناك عشرات بل مئات لم تجد سبيلها إلى النور، فلم يتح لها حتى الطبع فتذيع في الناس

وتعرف . وما طبع في حاجة إلى العناية ، فما بالك بما لم يطبع.

خصائص أسلوب الموسوعات:

يقتضينا العصر المملوكي من حيث غلبة التأليف الموسوعي فيه أن نشير بعض إشارات

إلى الأسلوب المعتمد في تصنيفها فقد اعتمد العلماء في التصنيف والتأليف أقوم منهج وأحسن

سبيل، بحيث "تحرروا روايات المصادر ، واشترطوا ألا يدخل على ألفاظها أي تحريف... وبرزت

عندهم فكرة شرح المصادر الأساسية في كل فرع من فروع العلوم المختلفة ، وكانوا يسمون مثل هذه المختصرات متونا ... " (1)

كما أن تلك الموسوعات تمتعت بالموضوعية العلمية، في جمع العلوم وتنظيمها وتحقيقها والتدقيق البارع في الأخذ والاقباص. وقد سجل ابن منظور ذلك بقوله : "نقلت من كل أصل مضمونه، ولم أبدل منه شيئا .. بل أدت الأمانة في نقل الأصول بالنص، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص... " (2)

حافظ أغلب المصنفين، حتى لا نقول كلهم، على التأكد من صدق الرواية وصدق الراوي وأمانته فيما يرويه من أخبار، حتى يكون النقل أمينا وتكون المعلومة صحيحة، تتوفر على الروح العلمية اللازمة في كل عمل فكري وعلمي. وخير نموذج يمكن أن نمثل به لذلك ابن تغري بردي الذي أبان عن أسلوبه في التصنيف والتأليف فقال :

"...وأجمعُ في ذلك أقوالَ من اختلف من المؤرخين وأهل الأخبار وأربابهم، وذلك بعد

اتصال سندي إلى من لي عنه منهم رواية ليجمع الواقف عليه بين صحة النقل والدراية. " (3)

لما كان الدافع في هذه الأعمال دافعا متصلا بنهوض الحضارة الإسلامية وتقوية بنيانها الذي كادت الهجمات الخارجية تأتي عليه، فقد بعد هذا النشاط عن المنفعة الذاتية أو الخاصة، وخلص من كل ما يمكن أن يكدر صفوه من مصالح شخصية ومآرب دنيوية زائلة؛ لذلك وجدنا أكثر تلك الأعمال مشحونة بروح الواجب، ولعل ما أثبتته ياقوت الحموي فيه أحسن الإبلاغ والتصوير لتلك الحقيقة المهمة المتصلة بمهمة الإقلاع في المجتمعات الناهضة، فقد ذكر وهو بصدد الحديث عن تصنيفه الكبير معجم البلدان : " لم أقصد بتأليفه وأحمد نفسي لتصنيفه لا هوا ولا لعبا، ولا رغبة حثني إليه ولا رهبا، ولا حيننا استفزني ولا طربا حفزني إلى ذي ود وسكن، ولكن رأيت التصدي له واجبا، والانتداب له مع القدرة عليه فرضا لازبا... " (4) وأكد معاصره ابن تغري بردي على ذلك من نحو آخر، وزاد عليه أن أوضح أن عمله لم يكن

1- الأدب العربي في العصر المملوكي : ص 35

2- لسان العرب : لابن منظور: ج 1 ص 12.

3- النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي ج 1 ص 2

4- معجم البلدان : لياقوت الحموي ، ج 1 / ص 21.

للتقرب من هذا السلطان ولا لتلبية أمر ذاك الصديق، بل كان عملا لفائدة هذه الأمة بأسرها: " ... ووقفت في كتب التاريخ على كثير من آثارهم، فحملني ذلك على سلوك هذه المسالك وإثبات شيء من أخبار أمم الممالك... غير مستدعي إلى ذلك من أحد من أعيان الزمان ولا مطالب به من الأصدقاء والخلان، ولا مكلف لتأليفه من أمير أو سلطان ...¹!

تتسم الموسوعات بالاتساع والضحامة فيما تقدمه من معارف، كما تتميز بالشمول والإحاطة فيما تعرضه من مختلف الفنون ومتنوع العلوم، وما تحتوي عليه من معلومات تتسع لكل الأزمنة وتكاد تشمل كل الأمكنة، فالمضمون والمنهج يسيران جنبا إلى جنب في وحدة متناغمة تسلم في النهاية إلى بناء متكامل من المعلومات الوفيرة والطرح الجيد والمعالجة المتينة المتميزة، حتى إن القارئ ليخرج بعد مدارسته لأي من تلك المصنفات بفوائد جمة .

فالموسوعات أو دوائر المعارف كانت بحق الخزانة الكبيرة التي حافظت على التراث الإسلامي.

وقد عدَّ الباحثون، بسبب من ذلك، التأليف الموسوعي ظاهرة فريدة من نوعها فرضت نفسها في العصر المملوكي، ولم تكد تتكرر بنفس الوتيرة أبدا، خاصة فيما يتصل بقيام فرد واحد بتصنيف عدد من الكتب والمؤلفات التي تعجز اليوم مؤسسات كبيرة على القيام بجزء يسير منه.

1- النجوم الزاهرة: لابن تغري بردى ج 1 ، ص 2.

المبحث السادس: الأدب في العصر المملوكي

كانت الرغبة في التأليف وإتقانه دافعا لإتقان الصناعة اللفظية والتفنن في استخدام البديع، والتوسع في مختلف ضروب الأساليب الإنشائية، وأضحى لكل فن أسلوبه، ونهض علم البيان في هذا العصر حتى صار علما قائما بذاته.

وطبع الشعر بطابع جديد صرفه إلى أجواء جديدة، وأصبح الشاعر مهتما بالعلوم الدينية، مستغرقا في الفقه والتصوف... ينظم القصائد في المدائح الدينية والأدعية والحكم. وتكاثر الشعراء هنا وهناك في مصر والشام والعراق واليمن والمغرب: كالتلعفري، والشاب الظريف، وابن نباتة المصري، وصفي الدين الحلبي، والبوصيري، وابن الوردي، وشرف الدين الأنصاري، وشمس الدين الأنصاري دانيال، وبدر الدين الدماميني، وعلاء الدين بن مليك وغيرهم (1)...

بل كان بعض سلاطين المماليك شاعرا كالسلطان "طوماي باي" آخر ملوكهم، وهذه أبيات من شعره (2):

ذُمُوعُ الْعَيْنِ فَاضَتْ مِنْ أَمَاقِي وَقَلْبِي ذَابَ مِنْ كَثْرِ احْتِرَاقِ
فَلَا نَارِي طَفَاها دَمْعُ عَيْنِي وَلَا دَمْعِي يَفِيضُ مِنْ اخْتِنَاقِي
وَبِي أَسْفٌ عَلَى أَسْفٍ وَحُزْنٌ وَهَمٌّ فَوْقَ هَمٍّ وَاشْتِيَاقِ

فهذه الكثرة في الشعراء في هذا العصر الدليل القاطع على ثراء الفكر والأدب، وكان الشعر سببا للرفعة في المكانة أو هكذا اعتبره، جل الشعراء آنذاك وكان ابن الوردي أحد هؤلاء إذ نلتقي به يقول:

وَلَسْتُ بِمَدَّاحٍ وَلَا الشَّعْرُ حِرْفَتِي بَلْ لِكَمَالِ النَّفْسِ نَظْمِي وَالنَّشْرُ

ومع هذه النظرة الخاصة لنظم الشعر كان من النادر جدا أن يكتفي الشاعر في العصر

المملوكي بقول الشعر فقط، بل يشرك معه القضاء أو كتابة الإنشاء أو غيرهما (3)

1 - أنظر تراجم هؤلاء الشعراء في كتب التراجم مثل: الدرر الكامنة، الضوء اللامع، الوالي بالوفيات، الأعلام، النجوم الزاهرة...

2 - أنظر: حركة الشعر في حلب ص 89.

3 - ابن الوردي كان قاضيا، تنمة المحصر لابن الوردي ج 1 ص 07 الطغراني كان وزيرا أيام محمد السلجوقي صاحب الموصل الأعلام

للزركلي دار العلم للملايين بيروت ج 2 ص 246

ولعل الطابع الذي ساد الحياة الأدبية في عهد المماليك، وُعد ميزة من مميزاته هو وضوح الاتجاه الديني، بملاحمة المختلفة: كالزهد، والحكمة، والتصوف، والبديعيات وهي القصائد والأشعار التي قيلت في مدح الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. ولقد استمد الأدب، خاصة الشعر منه، موضوعاته وأساليبه وبالتالي قوته، من الأجواء الدينية التي لفتت البيئة المملوكية لفا جميلا آنذاك، والتي جعلت الشاعر يعبر عنها تعبيرا بسيطا واضحا، مؤكدا مدى تأثيره بما يجري ويحدث في مجتمعه. وارتقى هذا اللون الأدبي بشكل متكامل أنيق، وكان لذلك أسباب لعل أهمها:

1- انتشار التصوف انتشارا واسعا، واعتناء المماليك بهؤلاء الرجال لسبب أو لآخر، رجال المتصوفة من أدباء وشعراء وفقهاء، فشيئت لهم الخوانك(1) وتم تقريبيهم بشكل حسن. تطور الأدب الصوفي بذلك تطورا ملحوظا، وأول ظهوره كان في بلاد مصر على شكل قصص ومواعظ وإرشادات من أعلام هذا اللون الأدبي: ذو النون المصري، وابن الفارض، ومحمد بن إدريس الشافعي.

2- ظهور المديح المديح الديني: نظرا للظروف الصعبة التي أحاطت بالعصر المملوكي كظروف الحروب المغولية والصليبية، تلك الحروب التي قامت باسم الدين وانتصر فيها المماليك باسم الدين أيضا، ثم كثرة الأوبئة وانتشار الطواعين والجذام والزلزل، اضطرت الأديب في ذلك العهد أن يقوم مدافعا عن دينه معبرا عن واقعه.

وظهر ميل شديد عند الكثير من الشعراء إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتمجيده بقصائد طويلة تتحدث عن صفاته وخصاله وأفضاله وخلاله الكريمة الشريفة صلى الله عليه وسلم. وساعد كل ذلك على إذكاء الروح الدينية وتأصيلها في النفوس، وتغذية الوجدان الديني للشاعر، فلم يكتف بهذا النوع، بل تعداه إلى أغراض أخرى: كالزهد، والنصح، والدعاء، والتضرع والتحدث بآلاء الله ونعمه والحكمة وغيرها.

وقد كان ابن الوردي من الشعراء الذين أجادوا في كل من هذه الفنون القولية والذين ساهموا في إثراء هذه الحركة الشعرية الدينية في العصر المملوكي.

(1) الخوانك: جمع خانكاه، وهي كلمة فارسية معناها: بيت، وقيل أصلها: خونقاه أي: الموضع الذي يأكل فيه الملك... وجعلت الخوانك لقيام الصوفية للعبادة فيها. أنظر: الخطط: للمقريزي/ ج 2، ص 414.

الفصل الثاني

ابن الوردي :حياته وأدبه

المبحث الأول: ابن الوردي، نشأته وثقافته

المبحث الثاني: شعر ابن الوردي: دراسة عامة وتحليل

المبحث الثالث: "اللامية" أو "مرشدة الخلان":

دراسة في المضمون والشكل

المبحث الرابع: في علاقة الأدب بالأخلاق في ضوء اللامية

المبحث الأول : ابن الوردي : نشأته و ثقافته

هو زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي المعري الحلبي

الشافعي ، المعروف بابن الوردي . ينتهي نسبه إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه (1)؛
كان مولده سنة إحدى وتسعين وثمانمائة^{للمعروف} في المعرة ، بلد أبي العلاء المعري، وقد أظهر
في بعض مؤلفاته وقصائده حينه إليها، واعتزازه الكثير بها، اعتزازا وصل إلى حد التعصب لها
أحيانا.

رحل ابن الوردي عن معرة النعمان طلبا للعلم، فتلمذ على كثير من الشيوخ والفقهاء
والقضاة، ومنهم: الشيخ الزاهد عيسى ابن عيسى بن علوان الرحاوي العلمي الدمشقي،
وقاضي القضاة شرف الدين أبو القاسم هبة الله البارزي، وقاضي القضاة فخر الدين عثمان
الشهير بابن خطيب جبرين(2)

يقول ابن حجر في الدرر: " نشأ بحلب وهي حاضرة إقليم المعرة، وتفقه بها، ففاق
الأقران. وأخذ عن القاضي شرف الدين البارزي بحماة، وعن الفخر خطيب جبرين بحلب"(3)
تولى ابن الوردي القضاء في بلدات عديدة مختلفة متفرقة من إقليم حلب التي سكنها
واستوطنها. ويتضح من شعره عموما أنه كان متبرما دائم الشكوى والعتب على القضاة "من
مقامه في البر وعدم إلحاقه بأخذانه ، ومساواته بأقرانه وتقديم من هم دونه علما وتقوى عليه،
وظل كذلك حتى استعفائه من القضاء"(4)

بدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من حياته تفرغ فيها للعلم والبحث والدرس والتدريس،
فأسس مدرسة في المعرة(5) وأجاز بها جماعة من أعلام عصره بمؤلفات غيره في الفقه والبيان

1 - أشار ابن الوردي إلى نسبه هذا في مؤلفاته وقصائده . أنظر: تمة المختصر في أخبار البشر ، ج 1، ص 6 .

2 - ذكرهم ابن الوردي في كتابه " تمة المختصر " ، وأشار إلى تراجمهم بشيء من الإسهاب خاصة في ج 1 ص 7 وما بعدها.

3 الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : أحمد بن حجر العسقلاني . تحقيق: محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، مصر
ج 3 / ص 272.

4 - أنظر في التعريف بابن الوردي : طبقات الشافعية للسبكي، ج 1 ص 373 ، والدرر الكامنة لابن حجر ج 3 ص 272 ، وفوات الوفيات
ج 2 ص 229 ، والنجوم الزاهرة ج 10 ص 240 ، وشدرات الذهب ج 6 ص 16.

5 - أطلق عليها اسم المدرسة الشافعية . ذكر ذلك في تمة المختصر ج 1 / ص 7.

والنحو والمعاني والبيان .

توفي رحمه الله في السابع عشر من ذي الحجة سنة 749 للهجرة النبوية الشريفة، وكان ذلك في طاعون حلب.

كما توفي أخوه جمال الدين قبله بوقت قصير. وكان ابن الوردي قد رأى عجائب الطاعون في حلب، فألف فيه رسالة أبدع فيها وقد سماها " النبا في الوباء"، وسيأتي الحديث عنها لاحقا عندما نعرض لأدبه.

مؤلفاته:

عرف عن ابن الوردي أنه من أصحاب المصنفات والمؤلفات الكثيرة، وقد ذكرت المصادر التاريخية عددا من مؤلفاته التي توزعت على حقول متنوعة، وكان منها ما جاء شعرا في أغراض وموضوعات مختلفة، ومنها ما بسطه نثرا في محاور وموضوعات مختلفة أيضا.

وقد شهد له المؤرخ الكبير صلاح الصفدي، في تاريخه، بعقريته في التأليف فقال عنه:

"الشيخ الإمام، الفقيه، النحوي، الأديب، الشاعر، الناثر، ... أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه، تفنن في علومه وأجاد في منشوره ومنظومه ...".⁽¹⁾

لقد جمع ابن الوردي إلى جوار النثر والنظم، الفقه، والنحو، والإمامة، واستطاع أن يوفر لنا تراثا ضخما عظيما قيما من المؤلفات والمصنفات، منها ما طبع ومنها ما لم يطبع بعد.

وتمتاز كل تلك المصنفات بالدقة والعمق والغزارة⁽²⁾؛ ومنها على سبيل المثال :

- 1 - كتاب بهجة الحاوي، أو "البهجة الوردية"، نظم فيه الحاوي الصغير للشيخ نجم الدين عبد الغفار القزويني في خمسة آلاف بيت وثلاث وستين بيتا .
- 2 - ضوء الدرّة على ألفية ابن معطي : شرح الألفية لابن مالك.
- 3 - الرسائل المهذبة في المسائل الملقبة، وهي الفرائض: رجز في أربع وعشرين مسألة .
- 4 - تاريخ المختصر في تاريخ البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي. لخص فيه "المختصر في أخبار البشر" لأبي الفداء، وأضاف إليه أحداثا عشرين سنة.

1 - أعيان العصر وأعيان النصر : لصلاح الصفدي ، طبعة مصورة أصدرها فؤاد مزكين بالتعاون مع مازن عماوي ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت / ألمانيا. ج 2 ، ص 307 . 308 .

2 - راجع مقدمة تلمة المختصر ج 1 ، ص 9 .

5 — رسالة السيف والقلم

6 — تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة في حل الألفية.

7 — تذكرة الغريب في النحو.

8 — نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان.

9 — أحوال القيامة.

10 — أبكار الأفكار في مشكل الأخبار.

11 — وله مقامات ومنطق الطير. (نظماً ونثراً).

خطاً نسبة الخريدة إليه:

تستوقفنا في مصنفات ابن الوردي ، كآخرين غيره ، كثرتها وتنوعها . ولعله بسبب من هذا الغنى في مجال التأليف والكتابة ، وقع خطأ علمي تمثل في نسبة كتاب كبير ذائع هو " خريدة العجائب وفريدة الغرائب " إليه؛ فقد ساد اعتقاد واسع أن ابن الوردي هو مؤلف هذا الكتاب ، وورد ذلك حتى في بعض أهم المراجع المعتمدة كدائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي الذي ذكر في ترجمته لابن الوردي أنه له تأليف في التاريخ والجغرافيا (1) كما نجد المصنف العثماني الشهير حاجي خليفة صاحب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون " ينسب كتاب الخريدة لزين الدين عمر بن الوردي المتوفى سنة 749 هجرية أيضاً (2) وكذلك صنع عمر رضا كحالة في "معجم المؤلفين " ؛ الذي قال في معرض حديثه عن ابن الوريدي ، " ... ومن تصانيفه الكثيرة خريدة العجائب وفريدة الغرائب" (3) .

ويعود هذا الالتباس في نسبة كتاب "الخريدة" لابن الوردي (الشاعر) إلى ندرة المعلومات عن المؤلف الحقيقي سراج الدين الذي يتقاطع اسمه مع اسم ابن الوردي المعروف بزین الدين الفقيه المؤرخ اللغوي ، وهو التباس قد يحدث عند عدم التحري الدقيق والاستفادة من المعلومات الجديدة أثناء البحث .

1 أنظر : دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي . دار الفكر . بيروت . ج 9 ، ص 772

2 كشف الظنون : حاجي خليفة . ج 1 ، ص 701 .

3 معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة . دار إحياء التراث العربی ، بيروت . لبنان . ج 2 ص 580

وقد كشف صاحب إحدى الأطروحات العلمية الجامعية وهو أحمد ظاهر المنفي بالأدلة القاطعة على خطأ نسبة الخريدة لصاحب اللامية، وإنما صاحبها سراج الدين... وقد أثبت في هذا الخصوص: " أنه لم يعرف عن حياة سراج الدين ابن الوردى إلا السنزور اليسير، وما عرف عنه لا يخبرنا عن تاريخ ولادته وظروف نشأته وتكوينه وثقافته، ولا حتى تاريخ وفاته بدقة، فالقدماء والمؤرخون لم يترجموا له كما ترجموا لغيره ممن هم أقل منه شأنًا ومنزلة... ومما زاد الأمر تعقيدًا أن المؤلف لم يكتب عن نفسه إلا شذرات قليلة ألف بها كتابه "الخريدة" سنة 822 هجرية / 1419 ميلادية⁽¹⁾. وقد وقع في قريب من هذا الإشكال المتصل بخطأ نسبة المصنف إلى غيره، مسعود بن أبي بكر القناوي الذي نسب اللامية، موضوع هذا البحث، لسراج الدين بن الوردى⁽²⁾ بدل زين الدين بن الوردى، وهو مما يعود إلى عدم الدقة؛ من حيث وجوب التفريق بين المؤلفين والمصنفين. وما نريد إثباته أن هناك فرقا بين زين الدين بن الوردى وسراج الدين بن الوردى، فزين الدين هو صاحب اللامية وصاحب التصانيف الكثيرة التي ذكرناها آنفا. بينما سراج الدين هو صاحب "الخريدة" وموضوعها في الجغرافيا.

زهده :

قد يكون من الضروري، ونحن بصدد بحث يتأسس بنيانه الكلي على القيم الحقيقية للإنسان المسلم، وتدور موضوعاته حول طائفة من القضايا ذات الصلة بالأخلاق والحكمة، والنصح، والرشادة والتعقل أن ننظر إلى مرجعية ابن الوردى ونتعمق أسباب اتجاهه هذا، في كثير من أدبه الذي وصل إلينا⁽³⁾.

وغني عن البيان أن الجزء الذي استأثر ويستأثر باهتمامنا هو هذا الجانب المعنوي الذي انطوت معاني هذه القصيدة (اللامية) تحت سقفه. ونعني بذلك الزهد في الدنيا وما يتصل بها، والنصح لولده وما تضمنه من أهداف أخلاقية وتربوية وتعليمية.

1 أطروحة ((دكتوراه دولة)) موسومة (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) لسراج الدين عمر بن المظفر بن الوردى، دراسة وتحقيق أحمد ظاهر المنفي إشراف: علي عبد الله الجداوي رقمها في مكتبة الأسد الوطنية: 6587 المقدمة، وأيضاً ص 7 وما بعدها).

2 أنظر: فتح الرحمن الرحيم : شرح نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان . لمسعود القناوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

3 في ديوان ابن الوردى على سبيل المثال هناك الكثير من الشعر الرقيق الذي يدور حول موضوعات الزهد والصلاح والتقوى، وهو من الكثرة بحيث يصعب إيرادها جميعاً، ولكننا سنشير إلى بعض الامثلة منه في مواطن مختلفة من هذه المباحث.

فما هي أسباب هذا الاتجاه يا ترى في شعر ابن الوردي ؟

ليس من المبالغة القول : إن صلاح ابن الوردي وزهده إنما يعودان إلى البيئة التي نشأ فيها، وقد تميزت البيئة الشامية بأنها بيئة عبادة ونسك وتقشف، وبها كان مهبط ديابيتين هما: اليهودية والمسيحية. ولما عمّ نور الإسلام وشاعت تعاليمه، وتغلغلت في نفوس الناس، وأضحت مساحة كبرى من مساحات الدين والعبادة لأولئك الشعراء والأتقياء من العلماء وزهادهم الذين سجلوا كل ذلك في أشعارهم، من أبي تمام... إلى أبي فراس الحمداني القائل:

أما يروع الموت أهل النهى ويمنع من غيّه من غوى
فيا لأهيا آما والحمّام إليه سرّيع قَريب المدى
إذا مرّرت بأهل القبور تيقنت أنك منهم غدا
فلا أمل غير عفو الإله ولا عمل غير ما قد مضى⁽¹⁾

ولقد سار ابن الوردي في هذا الطريق، طريق الزهد، وإن لم يصل إلى هذه المرتبة أعني مرتبة اختيار سبيل الصلاح إلا بعد "الصراع الشديد مع الآخرين من جهة، وبعد مجاهدات عنيفة مع النفس من جهة أخرى.

أما صراعه مع الآخرين فقد تجلّى في استقالته من القضاء. وأما صراعه مع نفسه فقد كان قويا شديدا؛ لأنها كانت رغبة بالغي والجاه والرخاء والترف، فوقف منها موقفا صلبا، ونظر إليها نظرة عدا، وأنكر عليها حرصها وسعيها واستزادتها من الذنوب من غير أن تدرك أن العمر ينقص كل يوم ليقترّب الموت..⁽²⁾

ومما قاله ابن الوردي نفسه في هذا المعنى:

ألا يا نفس لا تعصي وقد صدّقت بالنص

إلى أن يقول :

عدوي أنت يا نفسي فكم سعي وكم حرص
ذنوبي في زيادات وعمري لج في النقص

⁽¹⁾ ديوان أبي فراس الحمداني: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ص 292

⁽²⁾ الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء: أحمد فوزي الهيب، مؤسسة الرسالة، بيروت ص 128.

أنا في غمرتي ساه وأعمالي لها مُحص¹

فزهـد ابن الوردى كان يتمثل فى مذهبه البسىط الداعى إلى الاستغناء عن الحىاة الدنيا ومباهجها، وعن وظائف الدولة، وعدم الحرص على العىش فى نعىم وترف ... وإنما القناعة بالكفاف، والتفرغ للعلم والعبادة والاعتماد على الله تعالى وحده . وله فى هذا نظم معبر عن هذه القناعات نورد بعضه هنا:

رضتُ كسادى واستخرتُ بطالى وقلبى مسرورٌ وعىشى طيبٌ
وما ذاك عن مالٍ كثيرٍ وإنما كفانى كفاف والقناعة تغلب
لقد نلتُ من كنزِ القناعة بُغىتى وجانبتُ حرصى والحريصُ معذب²

وربما كانت مصادر هذا الزهد لصيقة بالاتجاه الدينى الذى كان بدوره لصيقا بحياة الأفراد والمجتمع، والذى كان ميزة من ميزات العصر المملوكى فى بعض جوانبه .

ومعروف أن القرآن الكريم دعا إلى الزهد فى كثير من آياته . كما دعا النبى صلى الله عليه وسلم، فى أحاديث كثيرة له إلى التزهد وعدم الحرص على الدنيا والاستخفاف بمباهجها ولذائها... ومن هذا المنطلق الإيمانى بالذات تبوأ الزهاد مكانة عالية فى الحياة الاجتماعية للمسلمين، واتخذ كثيرون منهم هذا المسلك منهجا فى حياتهم، ومنهم ابن الوردى .

على أنه من الإنصاف أن نفرق بين الزهد والحكمة فى هذا المقام . فهما وإن التقيا فى أكثر من موضع وناحية فإنهما يفترقان فى كون الزهد فى الجانب الظاهر منه على الأقل يمكن أن يكون مذهب حياة ومنهج عىش... أما الحكمة فشىء أقرب إلى أن يتأتى من الفهم العميق الواسع للحياة واضطرابها وتحولاتها وتغيراتها. فزهـد ابن الوردى فى حياته أفرز شعرا عكس فىه نظرتة إلى الحياة، وكان فى ذلك بعض الحكمة التى جاءت من سبيل التجربة والمعاشة .

"الزهد مذهب فى الحياة له قواعدها ورسومه الخاصة، وله ملابسـه وفرائضه المعينة. ويفترض فى متبعى هذا المذهب أن يتجردوا لله ويعكفوا على صلواتهم فى خلوة من البشر، متجردين من الترف وزخرف الدنيا... أما الحكمة ، إن لم تكن تجربة ذاتية، فهى مذهب فى

¹ ديوان ابن الوردى . مطبعة الجوائب، القسطنطينية . ص 271 .

² المصدر نفسه . ص 281 .

الشعر لا في الحياة، ينظم فيه صاحبه بتأثير نظرة فلسفية للكون وحقائق الأشياء فيه بحكم ثقافته أو تكوينه الفكري، ولا يطلب منه شيء وراء ذلك .. وقد أصبحت الحكمة من الموضوعات الثابتة في الشعر العربي عامة ونمت فيما بعد على يد المتنبّي والمعري بصفة خاصة... (1)

أدبه :

تنوعت حقول الثقافة والمعرفة لدى ابن الوردي، ومن ثم كان عطاؤه متنوعا ثريا، سجل فيه نفاسة بالغة وغنى كبيرا واتضح ذلك كله فيما وصلنا من آثاره (2)؛ فقد كتب في : الفقه، والتاريخ، والنحو. وكتب المنظوم والمنثور على حد سواء. وشهد له بالجودة الأعلام من المؤرخين والنقاد، فقال عنه الصفدي : " تفنن في علومه وأجاد في منثوره ومنظومه، شعره أسحر من عيون الغيد وأبهى من الوجنات ذات التوريد. قام بفن التورية فجاءت معه قاعدة (3) وقد جاء شعره صورة صادقة لشاعريته الفياضة؛ حتى عد سيد شعراء عصره. وجاء شعره منثورا هنا وهناك في ثيايا آثاره المطبوعة في أغراض مختلفات، ومعظمه ينحو ذلك النحو الذي جسده في مطولته الحكمية " نصيحة الإخوان " موضوع هذا البحث.

كان أسلوبه في صياغة ونظم الأشعار سهلا في ألفاظه ، قريب المأخذ واضح المعاني متين السبك حتى قيل "إنه في الذروة العليا والطبقة القصوى".

وسنعرض في موضع لاحق للكلام عن شعره من خلال اللامية بالذات. وقد عُرف ابن الوردي بذكائه وسرعة بديهته التي جعلت منه راجزا عظيما؛ حيث نظم "أرجوزته التي سارت الركبان ببلاغة ارتجالها ولطف انسجامها، وعذوبة ألفاظها، لاسيما وقد نظمها وهو في حالة غضب من رفقته... (4)

(1) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثامن الهجري :مصطفى هدارة , دار المعارف ، القاهرة، ص 448.

(2) في كتابه : " تمة المختصر في أنباء البشر" قال ابن الوردي نفسه عنه :إني رأيت المختصر في أخبار البشر تأليف مولانا السلطان الملك المؤيد صاحب حماة من الكتب التي لا يقع مثلها ... فاختصرته في نحو ثلثيه اختصارا زاده حسنا، وكفل بوجازة اللفظ وكمال المعنى. أقمت به إعرابه وذلكت صعايبه وثقته بيانا، وأودعته شيئا من نظمي ونثري... ص 10. وكتابه بهجة الحاوي" الذي طبع بمطبعة دار الإحياء بجلب وبهامشه كتابان :التيسير نظم متن التحرير ، والتدريب :نظم غاية التقريب وكلاهما للعلامة العمريطي ، وديوانه ، ولاميته .

(3) أعيان العصر وأعران النصر : لصالح الصفدي . ص 307.

(4) هذه الأرجوزة ارتجلها بدمشق: " قدم ابن الوردي أيام القاضي نجم الدين بن مضرّي الشافعي، فأجلسه في الصفة المعروفة بالشباك في جملة الشهود محضر كتاب مشرّي فقال بعضهم :أعطوه للمعري يكتبه. فقال: الشيخ زين الدين :أنا أكتبه نظما أو نثرا فزاد استهزاؤهم، =

وأما ابن الوردي الأديب الناثر فلا يقل مكانة عن الشاعر، وقد عد من شعراء القرن الثامن النابهين، ومن كتابها البارعين؛ فقد كتب في: الفقه... وكان " فقهه للطالب روضة، ولأصحاب الفتاوى قد شرع حوضه، نظم الحاوي وزاده مسائل، وجعله بعد وحشة الأذهان منه خمائل.. "لأوقال عنه شوقي ضيف: " نثره أروع من شعره " (2).

وله خمس مقامات ورسائل كثيرة منشورة مع ديوانه، وقد تحدث في أحد كتبه عن الصوفية فقال: " إن الصوفية اليوم أصحاب أكل وشرب ونوم، يروون الأقوال، ولا يتبعون الأفعال، وافقوا أسلافهم ملبسا وخالفوهم أنفسا. "

وله المقامة المنبجية⁽³⁾ وهي وصف لما أصاب المدينة من دمار وعبث بعد استيلاء الصليبيين عليها. ومقامته المشهية تتحدث عن الاحتفالات والعادات الاجتماعية المنتشرة والمواسم وما يجري فيها من مناكر واختلاط النساء بالرجال، وقد أبطل قاضي القضاة الزمלקاني ذلك فدعا له ابن الوردي قائلا:

لَأَزَالَ نِدَاهُ مِثْلَ حَرْفِ النَّدَاءِ كَفَيْلًا بِضَمِّ الْأَقْرَبِينَ وَالْبَعْدَاءِ

وله رسالة في الوباء الذي حل بحلب سماها " النبا عن الوباء " وجاء في مبتدئها :

" اللهم صل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ونجنا بجاهه من طغيان الطاعون .. وأنشد قائلا:

يَا أَيُّهَا الطَّاعُونَ إِنَّ حِمَاةَ مِنْ خَيْرِ الْبِلَادِ وَمِنْ أَعَزِّ حُصُونِهَا
لَا كُنْتَ حِينَ شَمَمْتَهَا فَسَمِيَتْهَا وَلَثَمْتَ فَاها أَخْلَدًا بِقُرُونِهَا(4)

(1) فقالوا: نظما ، فأخذ القرطاس وكتب ارتجالا عشرين بيتا :

باسم إله الحكم هذا ما اشترى محمد بن يونس بن سنقرا

من مالك بن أحمد بن الأزرق كلاهما قد عرفا من خلق

أنظر : ثمرات الأوراق : لابن حجة الحموي . تحقيق وتعليق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجليل ، بيروت ص 333 .

(1) أعيان العصر : للصفدي ، ج 2 ص 308.

(2) تاريخ الأدب العربي : شوقي ضيف ج 6 ص 807.

(3) منبج : مكان قرب حلب .

(4) أنظر : تنمة المختصر : لابن الوردي ج 2 ص 498.

المبحث الثاني: من شعر ابن الوردي : دراسة عامة

من المفيد ونحن نتحدث عن شعر ابن الوردي، ونفرد له هذا الحيز في جملة مباحث لنقيم أداءه الشعري عامة، وقصيدته "نصيحة الإخوان" خاصة، أن نشير قبل كل شيء إلى مذهبه الذي ارتضاه، ونعني به مذهب السهولة الذي شاع في عصره شيوعا واسعا. ويراد بمذهب السهولة وضوح المعنى وخفة اللفظ⁽¹⁾، وهي في الأصل مذهب قديم في الأدب العربي؛ فقد سأل معاوية عمرو بن العاص: من أبلغ الناس؟ فقال: أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة⁽²⁾.

وقد دعا ابن خلدون إلى السهولة، وهو يناشد الأديب أن يتجنب المعقد من التراكيب، وأن يقصد منها ما كانت معانيه تسابقه ألفاظه إلى الفهم⁽³⁾؛

شاع هذا المذهب في العصر المملوكي، وكثر شعراؤه وغني نتاجه بشكل واضح، ووقف النقاد منه موقفا مشجعا، واعتبروه مقياسا لجودة المعاني، ودافعوا عنه، ودعوا إليه... فقد علق عبد الوهاب الخزرجي⁽⁴⁾ على شعر جرير ومروان بن أبي حفصة؟ قائلا: "ومثل هذا الشعر يسمى السهل الممتع؛ لأن الإنسان يعتقد أول ما يسمعه أن نظم مثله سهل، فإذا فكر فيه وجده صعبا"⁽⁵⁾ كما أحبه صفي الدين الحلبي واستخدمه كأسلوب متميز في نظم بديعته وأشار إلى ذلك بقوله: "وألزمت نفسي في نظمها عدم التكلف وترك التعسف والجري على ما أخذت به نفسي من رقة اللفظ وسهولة وقوة المعنى وصحته"⁽⁶⁾.

وسار جنبا إلى جنب هاذين الناقلين ابن القيم الذي رأى أن السهولة هي الأصل في الأداء اللغوي أيا كان نوعه.

وابن جابر الذي جعل هذا المذهب على رأس المذاهب النقدية في العصر المملوكي،

1 الخصالص: لابي الفتح عثمان ابن جني . تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب ، القاهرة . ج 1 ص 53 .

2 المستطرف من كل فن مستظرف: الإبيهي . تحقيق: درويش الجويدي . المكتبة العصرية ، بيروت ج 1 ص 48 .

3 مقدمة ابن خلدون : مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ج 1، ص 45.

4 عبد الوهاب الخزرجي: صاحب شرح الهادي المشهور، ومعار النظر في علوم الأشعار. أنظر: بغية الوعاة: ج 2، ص 122 وتاريخ الآداب العربية : جرجي زيدان، ج 3 ص 45.

5 النقد الأدبي في العصر المملوكي : عبده عبد العزيز قلقيلة ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 233.

6 النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية: صفي الدين الحلبي، دار الكتب المصرية، ص 4.

وابن حجة الحموي الذي دعا إلى الجمع بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة⁽¹⁾.

وكان لانتشار هذا المذهب في العصر المملوكي وشيوعه أسبابا لعل أبرزها ما ذهب إليه قلقيلة؛ حين ربط بين "بيئة مصر السهلة السمحة الواضحة، وبين أدبها وشعرها الذي كان سهلا واضحا فيما وفره من آثار أدبية دالة"⁽²⁾.

أما أحمد فوزي الهيب⁽³⁾ فيشير إلى عدد من الأسباب يُلخصها في : شيوع الثقافة التي كانت للجميع؛ يلقيها في المساجد كبار العلماء، ويستطيع أي إنسان أن يحضر حلقاتها من غير أي شروط. وظهور الغناء وتأثيره على النصوص الشعرية، بما منحه من طلاوة وحلاوة وسهولة، وتفشي العامية، وتطور اللغة عبر العصور؛ بسبب الاحتكاك الدائم مع الأمم الأخرى، وسيطرة الأعاجم على دفعة الحكم، وقلّة اهتمامهم بالشعر.. الأمر الذي جعل الشعراء يعتمدون السهولة في أشعارهم ويعودون بها إلى الشعب بعدما خسروا القصر. ومهما يكن من أمر فقد تفرد ابن الوردي بين أولئك الشعراء والنقاد، في العصر المملوكي، في تأكيد مذهب السهولة الذي اتجهه في أكثر شعره. فدعا إلى الالتزام هذا الأسلوب السهل الممتنع، والابتعاد عن الصنعة، والركون إلى الطبع والنفور من التكلف وقال في ذلك شعرا:

إذا أَحْبَبْتَ نَظْمَ الشَّعْرِ فَاخْتَرِ لِنَظْمِكَ كُلِّ سَهْلٍ ذِي امْتِنَاعٍ
وَلَا تُكَثِّرْ مَجَانِسَةً وَمَكَّنْ قَوَافِيهِ وَكِلْبَهُ إِلَى الطَّبَّاعِ

ولم يكتف بهذا، على قوته ووضوحه، وإنما نجده يدافع عن مذهبه هذا ضد من عابه عليه مستقلا(من الإقلال) قيمته؛ لأنه سهل، علماً أن هناك طباعاً لا تأنس إلا للموحش الغريب، البالغ العقادة، والله في خلقه شنون .

قال ابن الوردي يرد على أولئك النفر مينا أن سهولة شعره ليست سهولة ضعف وعدم اقتدار فني، وإنما هي سهولة مقصودة متوخاة، وهي من نوع السهل الممتنع، تحتاج إلى الموهبة والجهد:

1 النقد الأدبي في العصر المملوكي ص 285.

2 المرجع نفسه . ص 286 .

3 في كتابه " الحركة الشعرية زمن المماليك" ص 377.

يَعِيبُ شِعْرِي أَقْسَامًا وَأَعْدُرُهُمْ فَإِنْ شِعْرِي وَرَدِّي وَهُمَّ جَعَلُ
شِعْرِي وَإِنْ كَانَ سَهْلًا فَهُوَ ذُو ثِقَلٍ عَلَى حَسَوْدِي فَهُوَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

والذي يعيننا في هذا المقام أن مذهب السهولة هو مذهب ابن الورددي المتوخي في جميع شعره ونظمه؛ فهو ينحو هذا النحو المتبسط في الأداء قاصداً. ويسري كل ذلك على مختلف الموضوعات التي دار عليها شعره، وهو أوضح ما يكون في شعره النصحي أو الحكمي الذي يتوجه فيه إلى القارئ (المتلقي) على سبيل النصح والإرشاد والوعظ وطلب الزهادة؛ فهو في مثل هذه المقاصد حريصاً أبليغ الحرص علي "تبليغ" وأداء الرسالة بصفة نقية كاملة. وربما أسرف في الحرص على السهولة حتى يسقط بعض شعره في البساطة التي تقترب من الإسفاف اللغوي.

وإذن ... فقد تخير ابن الورددي هذا الأسلوب في شعره الحكمي خاصة، حتى اقترب في بعض الأحيان فيه من الأسلوب النثري العادي؛ من حيث استخدام ألفاظ ومفردات وتراكيب قريبة المعنى سطحية الدلالة كمثل قوله في إحدى قصائد الديوان الموسوم بديوان ابن الورددي¹!

فولٌ بفلسٍ غَدَاءٍ واللِّبْسِ سُحْقُ قَطِيفَةٍ
فأشمخُ بأنفِكَ تَيْهًا وعِشْ بنفسٍ شَرِيفَةٍ
والموتُ عدلٌ يُسَوِّي بيْنِي وَبَيْنَ الخَلِيفَةِ

فالألفاظ هنا تبدو لنا يسيرة، في تناول القارئ أيا يكن مستواه، وهو أمر مقصود بالنسبة للشاعر.

كما في قوله في حوارية لطيفة تحدث فيها عن مجيء إبليس إليه يسأله في عدد من

القضايا:

بَتُّ وَإِبْلِيسُ أَتَى بِحِيلَةٍ مُنْتَدِبَةٍ
فَقَالَ: مَا قَوْلُكَ فِي حَشِيشَةٍ مُنْتَخَبَةٍ
فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: وَلَا خَمْرَةَ كَرَمٍ مُدْهَبَةٍ
فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: وَلَا مَلِيحَةَ مُطَيِّبَةٍ
فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَنِمَّ مَا أَنْتَ إِلَّا حَطْبَةٌ

¹ ديوان ابن الورددي : ص 288 .

ويمكن القول : أن هذه القصيدة، على بساطتها، وقد قصد الشاعر إلى ذلك قصدا كما أُلحنا إلى ذلك من قبل؛ من حيث توحيه لمذهب السهولة.. فإننا لا نستطيع، من نحو آخر، أن نتجاوز هذا الموقف الإيماني الراشد الذي سجله الشاعر وعبرَ عنه، رافضا كل ما عرضه عليه إبليس. لكل ذلك وجب القول: أن هذا اللون من الشعر، وإن نقصت فيه أوزان الشكل والصياغة الفنية المتينة، فإنه من جانب آخر يزخر بالمعاني الجليلة والمواقف الشريفة الهامة وهو ما يحتاج إلى التنويه على أقل تقدير.

استمر ابن الوردي، كغيره من شعراء العصر المملوكي، في نظم الشعر على الأسلوب التقليدي المتوارث من الثقافة القديمة الأصيلة، والتي كان الاهتمام بها من قبل الشعراء ورجال الأدب والعلم اهتماما بالغا؛ لأنها احتوت القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين لقيت العلوم والفنون المتصلة بهما، من قريب أو بعيد، عناية كبيرة في العصر المملوكي، إلى جانب الأدب القديم بشعره ونثره، وقد أحاطه المهتمون في هذا العصر بعناية كبيرة أيضا.

فابن الوردي كان صورة حية للبيئة المملوكية، واستطاع بشعره أن يبرز معظم ملامحها، وأن يسجل أهم دقائقها.

ولا نراه يتردد في نقد مجتمعه، بل وفي نقد الدولة المتمثلة في السلطان ورجاله في القاهرة؛ حيث قال معبرا عن ضمير الأمة ومصالحها:

هَذِي أُمُورٌ عَظَامٌ مِنْ بَعْضِهَا الْقَلْبُ ذَائِبٌ
مَا حَالُ قَطْرِ يَلِيهِ فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ نَائِبٌ (1)

كما سلط ابن الوردي أضواء نقده نحو مظاهر السوء في المجتمع، فتحدث عن أحد المعزولين من القضاء بسخرية بالغة:

عَزَلُوكَ لِمَا قُلْتَ مَا أُعْطِيَ وَوَلَّوْا مِنْ بَدَلُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ بَأَنَّ (مَا) حَرَفٌ يَكْفُ عَنْ الْعَمَلِ (2)

كما نجد، من ناحية أخرى، يسخر شعره في تصحيح العقائد، ويبذل جهده في الذود عن حياض العقيدة الإسلامية الصافية التي لا تعرف الكهانة ولا التنجيم،

1 تنمة المختصر: لابن الوردي ج2، ص 493.

2 ديوان ابن الوردي . ص 149 .

إِنِّي بِفَعْلِ اللَّهِ أَوْلُ مُؤْمِنٍ وَمَا قَضَاهُ النَّجْمُ أَوْلُ كَافِرٍ
كُتِبَ الْحَكِيمُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَذَوُّ النَّجْمِ فَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ⁽¹⁾

وقبل أن نترك الهجاء لابد أن نشير بإعجاب إلى ابن الوردي الذي كان شاعر النقد الاجتماعي وفارسه الأول، على الرغم من وجود غيره من الشعراء الذين شاركوه في هذا الفن؛ لأنه استطاع أن يصور بدقة كثيرا مما كان في بيئته من مثالب ونقائص، ويترجم ما كان يسودها من مشكلات⁽²⁾.

الفخر:

الفخر غرض آخر من أغراض الشعر التقليدية، لكنه لبس ثوبا جديدا يتلاءم مع طبيعة البيئة المملوكية الجديدة، واستطاع الشعراء من خلاله أن يفتخروا بالبيت النبوي الشريف وآله، وبالتائبين والعابدین.. وكل ذلك كان تعبيرا عن الروح الدينية القوية المنتشرة آنذاك؛ نظرا لظروف الحرب، ولكون الدين بمثابة الرابط الوحيد الذي يربط بين الناس وبين حكامهم. وهذا ابن الوردي يفتخر بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فيقول:

هذا وبالصديق لي نسبةٌ ووصلَةٌ تُعرفُ كالتَّجْمِ
أعددتُها للحشرِ ذُخْرًا ولا أبغى بها فخرًا عليَّ خصمي
يا ثنائي المختارِ في غساره وقبره الزاكي وفي الحكم⁽³⁾

كما افتخر بالعفة وغنى النفس، والاستعانة بالله فقط.. وكلها ظلال واضحة في نفوس الشعراء المتشبعين بصفات جميلة حث عليها الدين الحنيف ورفع من شأنها، وابن الوردي واحد من هؤلاء الشعراء ومن هؤلاء الناس، فهو القائل:

إني أمرؤٌ قلَّ بين الناس أشباهي إذ لا أزالُ غنيَّ النفسِ باللهِ
رفعتُ كلِّي عن الأصحابِ كلِّهم فلا أثقلُ في مالٍ ولا جأه⁽⁴⁾

كما افتخر بعلمه وفضله، وشعره ونثره، قال :

1 المرجع السابق ص 176 .

2 الحركة الشعرية زمن المماليك : ص 288 .

3 ديوان ابن الوردي : ص 295 .

4 ديوان ابن الوردي. ص 305 .

أيها الحاسدُ لولا أنِّي رَجُلٌ من دونِ حَدِّي أَقِفُ
 كنتُ أَضْنِيكَ فَخَارًا وَغَلًّا وَأَنَا الدُّرُّ وَأَنْتَ الصَّدْفُ
 وليَ الفِقهُ الَّذِي فَتَّتْ بِهِ وَوَجُوهَ النُّحُوِّ وَنُحُويَ تَعْرِفُ
 وليَ النِّظْمُ الَّذِي سَارَتْ إِلَى سَائِرِ الأَقْطَارِ مِنْهُ التُّحَفُ
 أَنَا فِي حَلْقِ حَسُودِي غَصَّةٌ وَبِهِ مِنِّي أذَى لَا يُوصَفُ¹

وكان ابن الوردي، شأنه في ذلك شأن أهل عصره، يفضل العلم ويفتخر به، تاركا
 القضاء مبتعدا عن الشعر، وقد عبر عن ذلك نظما في عدد من المواضع، ومنه قوله في قصيدة
 من ديوانه:

إِنِّي تَرَكْتُ عَقُودَهُمْ وَفَسُوخَهُمْ وَفَرُوضَهُمْ وَالْحُكْمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ
 وَلِزِمْتُ بَيْتِي قَانِعًا وَمُطَالِعًا كُتِبَ العُلُومِ وَذَلِكَ زَيْنُ الزَّيْنِ
 أَهْوَى مِنَ الفِقهِ الفُرُوقِ دَقِيقَةً فِيهَا يَصِحُّ تَفَرُّزُ النَّصِيصِ
 وَأَحَبُّ فِي الإِعْرَابِ مَا هُوَ غَامِضٌ عَن نِصْفِ نُحُويِ وَعَايِرِ عَيْنِ
 وَتَرَكْتُ نِظْمَ الشَّعْرِ إِلاَّ نَادِرًا كَالْبَيْتِ فِي سَنَةِ أَوِ البَيْتَيْنِ
 مَا الشَّعْرُ كَالعِلْمِ الشَّرِيفِ نَبَاهَةً فَالعِلْمُ فِيهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ²

فالشاعر يسرد أنواع العلوم هنا، وهذا دليل على انتشارها في العصر المملوكي واهتمام

الشعراء بها.

الغزل:

هناك غرض آخر من الأغراض الشعرية التي يجدها الدارس مبثوثة هنا وهناك في شعر
 ابن الوردي، بل إن للغزل نصيبا وافرا من شعر ابن الوردي عامة. وقد سجل فيه أشعارا
 جميلة، ونلاحظ أنه تأثر بما كان يجري من حروب صليبية ومغولية آنذاك. فقد استخدم فيها
 أدوات الحرب بل ألفاظها الصريحة الجارية الدالة عليها: كالسيوف، الأسر، التيز، الرمح
 .. الخ. قال من قصيدة له :

لِي مِنْ بِنَاتِ المَغْلِ مَنْ تَفَضَّحَ مِنِّي مَا أُسْتَرَ

1 المرجع نفسه ص 288 .

2 المرجع نفسه . ص 288 .

وكيف حالٌ مسلمٍ أصبحَ في أسرِ التترِ

وزاوج بين أعجاز ميمية المتبي الحماسية وبين صدوره مزاجية فنية ظريفة، فقال¹!

إذا نظرَ السمرَ العوالي بطرفِهِ (تقولُ كأن الرمحَ للسيفِ شاتمُ)

عزائمٌ سخرٍ في أولي العزم طرفُهُ (على قديرِ أهل العزم تأتي العزائمُ)

فسل عن دمي فيه وعن فيضِ أدمعي (لتعلم أي الساقين الغوامُ)

لئن شبه العشاقُ خديه جنّة (افموج المنايا حولها متلاطمُ)

وكما أثر تنوع الأجناس على غرض الغزل والتغزل ذاته، فقد أثر تنوع الأديان كذلك

على هذا الغرض. وقد كان المجتمع المملوكي خليطاً من الأجناس المختلفة وأهل الديانات

المتعددة. وقد عبر ابن الوردي عن بعض ذلك فقال متغزلاً بنصرانية:

زنارُ بنتِ النصرى لقتلي متسوخ

أرحاني الشدُّ منه وكثرة الشدِّ ترخي²

الوصف:

وصف الشعراء في العصر المملوكي بيئتهم وعصرهم وطبيعتهم، طبيعتهم الصامته

والمتحركة الوجه العابس منها والباسم، شأنهم في ذلك شأن السابقين، وكان ابن الوردي

أحد هؤلاء، فقد أعلن بأعلى صوته نهاية الشتاء وبرودته، ناكراً على الراقدين رقودهم،

والربيع قد أطل بوجهه الحسن، قال:

البردُ قد ولّى فمالك راقداً يا أيها المدثر المزمّلُ

أو ما ترى وجه الربيع وحسنه والروضُ يضحك والحيا يتهلل³

والروض عند ابن الوردي مكان فسيح جميل، يأوي إليه عندما تتكاثر عليه الهموم.

قال في هذا الشأن:

¹ ديوان ابن الوردي، ص 236.

² المبرج السابق، ص 336.

³ المبرج السابق، ص 336.

الرَّوْضُ أَحْسَنُ مَآرِيبِ تِ إِذْ تَكَثَّرَتِ الْهُمُومُ
تَحْنُو عَلَيَّ غُصُونُهُ وَيَبْرِقُ لِي فِيهِ النَّسِيمُ⁽¹⁾

وبالإضافة إلى هذا التفنن في رسم مظاهر الطبيعة، فإن ابن الوردي استطاع أن يعد لوحات فنية رائعة لأماكن مختلفة من وطنه، كما استطاع أن يسجل فيها تفاصيل دقيقة؛ فتحدث عن الأنهار والعيون والمنتزهات والأشجار، كما أنه لم ينس أن يصف فستق حلب... وهذه اللوحات الشعرية تزخر بعاطفة الشاعر الصادقة التي بثها في شعرها فجاءت معبرة، وأضفت على القصائد الوصفية جمالا خاصا.

ونلتقي به في هذه الأبيات يتحدث عن مسقط رأسه " معرة النعمان"؛ حيث يقول:

رَعَى اللهُ عَيْشًا بِالْمَعْرَةِ لِي مَطَى حَكَاهُ ابْتِسَامُ الْبَرْقِ إِذْ هُوَ أَوْمَضَا
أَعَاذِلُ لَوْ شَاهَدْتُ بَابَ جَنَانِهَا لَمَّا كُنْتُ يَوْمًا نَاهِيًا بَلَّ مُحَرَّضَا

فَقَسْتُهَا عِنْدَ ابْتِسَامِ ثُغُورِهِ يُضَاحِكُ بَرْقًا قَدْ أَضَاءَ بِلَدِي الْأَضَا
فَوَاللهِ لَا فَضَّلْتُ فِي الْأَرْضِ بَقْعَةً عَلَيْهَا سِوَى مَا فَضَّلَ اللهُ وَارْتَضَى
فَلِلَّهِ هَاتِيكَ الْبَيْتِ وَسُفُوحُهَا وَاللهِ عُمُرٌ فِي سِوَاهَا لِي انْقَضَى⁽²⁾

وهاهو، من نحو آخر، يصف الفستق الحلبي اللذيذ الشهى المطعم، الذي اشتهرت وما

تزال تشتهر به مدينة حلب فيصف قائلا :

وَفَسْتَقٌ زَادَ حُسْنًا أَتَاكَ فِي كَفِّ رِيمِ
زُمَرْدٌ فِي عَقِيْقِي فِي عَاجِيهِ أَدِيمِ⁽³⁾

والطبيعة بجمالها تقسو أحيانا على الإنسان فتزلزل وتضطرب، فيخاف ابن الوردي

لذلك، ويسجله في شعره، بل لا يجد مخرجا من ذلك غير التعوذ بالله تعالى طالبا حمايته، مبديا

استسلامه التام لقضاء الله، قال في ذلك :

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مِثْلِهِمَا زَلْزَلَةَ أَشْهَرِ الْأَعْيُنَا

1 خزينة الأرباب : ص 267

2 أنظر: ديوان ابن الوردي ، ص 262

3 المرجع السابق ص 264.

قد واثبت باهم من لا عصى وعاقبت بالرجيم من لازني

حكّم عزيز قاهر قـادر في كلّ حالٍ لم يزلّ محسناً⁽¹⁾

وكان للأوبئة والطواعين يد قاسية في ضرب النسل والحراث؛ فخلقت وراءها مآسي، وأعدادا هائلة من اليتامى والأرامل والمحبين الذين فقدوا أحبتهم. وسجل الشعراء تلك الظروف المحزنة بألم شديد ظاهر... من ذلك ما قاله ابن الوردي وهو يصف ما صنعه الطاعون ببلدته:

رأى المعرّة عينًا زانها حورٌ لكنّ حاجبها بالجورٍ مقرونٌ

ماذا الذي يصنع الطاعون في بلدٍ في كلّ يومٍ له بالظلم طاعون⁽²⁾

ولا يجد ابن الوردي إزاء ذلك غير اللجوء إلى الله تعالى، وهنا يبرز الحس الديني الذي تلبس روح الشاعر، هذه الروح التي يدعو بحرارتها الله تعالى ليخصه برحمته التي وسعت كل شيء. قال :

ألا إنّ هذا الوباء قد سبّا وقد كاذ يرسل طوفانه

ولا عاصم اليوم من أمره سوى رحمة الله عبداً⁽³⁾

ونلاحظ أن شعر الوصف كان كثيرا واسعا مبهوثا في كثير من المظان، وكأن سعة من سعة الطبيعة والحياة في مظاهرها المتنوعة. وقد استطاع ابن الوردي أن يكون رشيقا أنيقا في وصفه دقيقا في رسمه.

الرتاء:

الرتاء من أقدم أغراض الشعر العربي، واستمراره من العصر الجاهلي إلى العصر المملوكي كان أمرا عاديا؛ لأنه يتصل بحقيقة من أكبر حقائق الحياة وهي الموت. فهذا اللون من الشعر باق ما بقي الإنسان وما بقي الحزن والألم والبكاء على الراحلين. ولقد سار الشعراء في العصر المملوكي على تلك السنن التقليدية في: الندب، والبكاء. ولعل أشد الأحزان على الإطلاق وأقساها هي فقدان الأب لابنه. وابن الوردي عانى في هذا

¹ ديوان ابن الوردي ص 179.

² تنمة المختصر لابن الوردي ج 2، ص 498.

³ المرجع نفسه: ج 2، ص 498.

الخصوص معاناة كبيرة؛ فقد نكب بفقد ابنته، وحزن عليها حزنا شديدا، وسجل ذلك في شعره قال:

أَثَرَ الْحُزْنِ بِقَلْبِي أَثْرًا يَوْمَ غَيَّبْتُ الثُّرَيَّا فِي الثُّرَى
إِنْ تَأَلَّمْتُ فَقَلْبِي مُوجِعٌ أَوْ تَصَبَّرْتُ فِيمِثْلِي صَبْرًا
دُرَّةٌ يَا طَالَمَا حَجَبْتُهَا وَبِرُغْمِي نَبَذُوهَا فِي الْعَرَا(1)

ويتألم ابن الوردي لوفاة أخيه بمرض السل، ويبكيه بكاء مرا. ويسجل ذلك في شعره:

بِعِلَّةِ السَّلِّ تُوْفِي أَخِي وَكَانَ فِي الْأَسْيَافِ مَعْدُودًا
يَا مَعْمَدًا فِي التَّرْبِ مِنْ بَيْنِنَا أَبْكِيكَ مَسْلُولًا وَمَعْمُودًا(2)

ويعبر الشاعر نفسه بعزائها بشتى الوسائل؛ لأنه يدرك ضعفه أمام الموت وسطوته. ويستند في عزائه إلى قاعدة إيمانية قوية ترتبط بانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدار الآخرة...

لَوْ أَنَا صَبَرْنَا كَانَ أَوْلَى فَمَا نَالَ الثَّوَابَ سِوَى الصَّبْرِ
وَفِي خَيْرِ الْأَنَامِ لَنَا عَزَاءٌ وَغَايَتُنَّسَا إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ(3)

كما استند في رثاء أخيه على الحكمة المستمدة من واقع الحياة كعزاء يقدمه لنفسه المكروبة الحزينة المتألمة، قال :

أَخٌ أَبْقَى بِيذَلِ الْمَالِ ذِكْرًا وَإِنْ لَأَمُوهُ فِيهِ وَوَجَّوهُ
أَزَالَ فِرَاقَهُ لَدَاتِ ذِكْرِي وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ(4)

لغته الشعرية:

لما كان ابن الوردي ممن سار كما أسلفنا، على طريق السهل الممتنع، ورفع لواء مذهب السهولة في جل ما قاله من أشعار، فقد تميز شعره باستخدام المفردات السائدة في عصره؛ لكي يوصل فكرته وشعوره إلى الآخرين بوضوح، واستخدم هذا الغرض الأوزان

1 ديوان ابن الوردي ص 282 .

2 المرجع نفسه ص 295.

3 المرجع نفسه ص 261.

4 تنمة المختصر لابن الوردي. ج 2 ص 502.

الخفيفة، المجزوءة، والألفاظ المأنوسة؛ بل تعداه أحيانا إلى استخدام لغة هي أقرب إلى لغة النثر منها لغة الشعر، قال :

أيادادًا حكتُ صدغاك واوا وما أحلى ثنْيَاك العذابا

لقد صدتك أمك عن لقانا فيا ماما دعني للوصل بابا⁽¹⁾

وهذا لا يتنافى مع الفصاحة طالما ظل الشاعر بعيدا عن الكلمات العامية، ويؤيد عبد القاهر الجرجاني ذلك ويشترط لفصاحة اللفظ أن يكون مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا أو عاميا سخيفا⁽²⁾ فشعر ابن الوردي فيه خفة وزن وعذوبة عبارة وسلامة لغة، الشيء الذي يجعله من الأساليب الشعرية الجميلة وقد استطاع بتمكنه الكبير أن يستخدم لفظا فصحا وهو انفلق لكن بمعناه العامي في قوله :

قلت وقد عانقتُ عندي من الصبح قلقُ

قال : وهل يجسُدنا قلت: نعم، قال : انفلق⁽³⁾

وهذا المثال يدلنا على قوة شعر ابن الوردي وتوفيقه في تحقيق السهولة والانسياب النغمي ورشاقة الإيقاع وأثر البيئة واضحة هنا أيضا.
أوزانه:

يتألف الشعر من كلمات تنتظم فيما بينها انتظاما يضيفي عليها إيقاعا خاصا "ويصبح هذا الإيقاع جزءا من جمال الصياغة والتعبير، يصاحب المعنى والظلال، ويضيفي على الحركة قوة واتساقا، ولا بد من أن يرتبط إيقاع اللفظة مع إيقاع اللفظة حتى تتكون موسيقى التعبير الفني .."⁽⁴⁾

ولقد استفاد ابن الوردي كغيره من الشعراء في العصر المملوكي من ذلك التناسب الصوتي الذي وجد في أوزان الشعر التقليدية إفادة طيبة، بل إننا نجد، في كثير من الأحيان، ملتزما بتلك

1 ديوان ابن الوردي . ص 217.

2 أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني . تحقيق: هـ . ريز . مطبعة وزارة المعارف، استانبول ج 1، ص 98

3 ديوان ابن الوردي. ص 318.

4 الأدب الإسلامي : إنسانيته وعالميته، عدنانة علي رضا النحوي، ص 51.

الأوزان معبرا على إيقاعاتها المختلفة: الفنية جل ما أفرزه من شعر وفي جميع الأغراض " (1)
قافيته:

وكان التنوع في موسيقى الشعر العربي يقتزن دوما بقيد واحد هو القافية الموحدة، ولم يقف هذا في وجه الشعراء كعقبة أمامهم للتخليق في أجواء العبقرية والابتكار والإبداع؛ "فالقافية قيد إلا أنها ذو جمال خاص؛ فهي مركز الثقل المهم في البيت لأنها خاتمة التي إن صحت فقد استقام الوزن وحسن الموقف والنهاية" (2)

وقد انتبه ابن الوردي لذلك فاهتم بقوافيه وأتى بها متمكنة، على الرغم من طول القصيدة (3) أحيانا الأمر الذي يدل على مقدرته وعلى ثراء لغته بكثرة مفرداتها. وكان للصنعة البديعية الأثر الكبير في إضفاء ظلال جميلة على القافية بل على البيت الشعري. ونلاحظ في هذه الأبيات ما يشير إلى ذلك... يقول ابن الوردي:

الطرف ساه ساهرُ والدمع وافِ وافِرُ
فاجفوا ولينوا في الهوى فالقلب شاكٍ شاكِرُ
واحلوا ومرّوا سادتي فالصبر قاصٍ قاصرُ
عجبا لدمعي سائلاً والحب ناهٍ ناهرُ (4)

ومن الصور البديعية البلاغية التي استخدمها ابن الوردي، وأثرت في جمال قافيته ما قاله:

تعشقت أحوى لي إليه وسائل وإصلاح أحوالي لذيه لديه
أمرُّ به مستعطفًا متلطفاً فيتقلُّ تسليمي عليه عليه
فلا كان من واشٍ كدر الصفو بيننا وبغضٍ تحببي إليه إليه (5)

فالبناء الفني للقصيدة العربية هو إذا بناء متميز منذ أزمان طويلة؛ فهو بناء تتظافر فيه

1 يمكن أن ندخل هنا الموشحات والمسمطات ..

2 الحركة الشعرية زمن الممالك . ص 394

3 وصل عدد أبيات القصيدة "اللامية" إلى سبعة وسبعين بيتا .

4 ديوان ابن الوردي. ص 226.

5 ديوان ابن الوردي ص 248

جوانب الشكل وجوانب المضمون⁽¹⁾! وجمال هذا الشعر لا تصنعه بالضرورة اللغة وحدها والألفاظ بمفردها، كما لا تصنعه المعاني الشريفة فحسب، وإنما يصنعها اتلاف هذين الجانبين معا؛ حيث تنتظم اللغة بمعانيها و ألفاظها في وحدة متكاملة متناغمة منسجمة، يخدم اللفظ فيها الفكرة وتخدم الفكرة اللفظ في آن واحد معا. وهو ما نسميه تساوق الشكل والمضمون وتعاونهما معا لأداء ما وصفناه بالرسالة الفنية الجمالية .

بناء القصيدة:

وابن الوردي في شعره وفق إلى تحقيق معظم الجوانب الفنية والإيحائية والموسيقية، فيما أنتجه واستطاع أن يجدد في بعض الأحيان مسائرا في ذلك تطور المفاهيم النقدية للقصيدة العربية آنئذ، مع محافظته على غمطها التقليدي المعروف .

فثمة مظاهر تجديد غير أنها أدخلت في باب الاعتدال، والاعتدال كما نعلم " مطلب من مطالب النفس، وأسلوب من أساليب الفن، ومذهب من مذاهب الحياة، وهو الوسط الذهبي في الماديات والمعنويات. وقد حرص النقد الأدبي على ذلك واتخذ مقياسا يقيس به الآثار الأدبية من ناحية مضمونها، وسمي تجاوزه مبالغة⁽²⁾... كما استطاع ابن الوردي أن يجعل المقطوعة من ضمن إهتماماته الشعرية وعددها يفوق عدد القصائد في ديوانه وهذا اتجاه كثير في العصر المملوكي.

فابن الوردي له كتاب «الكلام على مائة غلام»، وفيه مائة مقطوعة لطيفة، وله أيضا كتاب «الدراري السارية في مائة جارية»، وفيه مائة مقطوعة أخرى⁽⁴⁾!

1 أما الشكل فمن حيث : اللغة وألفاظها وتعبيرها وأساليبها وطرائق الأداء فيها . وأما المضمون : ففيما تحمله من معان وأفكار ورسائل فنية جمالية...

2 أنظر : النقد الأدبي في العصر المملوكي ، د. عبده قلقيلة، ص 350.

3 الحركة الشعرية زمن المماليك ص 410.

4 - المرجع السابق ص 411

المبحث الثالث: دراسة اللامية

أولا : مضمونها:

كمعظم المنظومات العربية، تنحو "لامية ابن الوردي" المعروفة باسم " نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان" ذلك النحو النظمي الرتيب الذي يتكئ على الأدوات المعروفة في مجال النظم وهي: الأوزان والقوافي، دون اهتمام كبير بالجانب الإبداعي الذي يركز على المادة الفنية؛ بما هي تجربة نفسية قائمة على المعيشة والمعاناة الإنسانية العاتية.

نقول هذا، دون أن يكون هنالك أي قصد للانتقاص من القصيدة في حد ذاتها، ولكن نظن أنه من الضروري التفريق الحاسم بين ما هو شعر مادته إبداع، وما هو شعر في شكل نظم يراد به إيصال المعاني وترسيخ الأفكار؛ ذلك أن مادة الفن الدائمة "هي الحياة في أحشاء أبنائها وفي أفئدتهم وخلاياهم" (1)

وبطبيعة الحال فلا يعني ذلك أن اللامية تخلو من كل ماله علاقة بالتجربة الانسانية، بل إن كثيرا من مادتها وأبياتها هي تجارب حياتية، غير أن الناظم يسوقها كنصائح باردة يقدمها لابنه أولا، ومن ثم لكل من هو في حاجة إليها.

وتبدو لنا النصائح في صورة أفكار ذهنية تتحرك في إطار عبارات إنشائية تقريرية قريبة من الفهم، بسيطة في عمومها. فالإطار الطبيعي لهذه القصيدة، إذا، هو النظم أو المنظومات، والتي ازدهرت في تاريخ الأدب العربي، وبصورة خاصة في العصر العباسي، ثم تتالت بعد ذلك إلى أن وصلت إلى عصر ابن الوردي.

ولقد تنوعت ميادين وحقول النظم فيها؛ بحيث شملت الكثير من الفنون والمعارف، ومست الكثير من موضوعات المعرفة والعلوم بدءا بالعلوم الشرعية: كالفقه، وأصول الفقه، والتفسير، والحديث... إلى ما سواه من العلوم التجريبية كما تدلنا عليه المنظومات المختلفة في

¹ في النقد والأدب : إيليا الحايي "مقدمات جمالية عامة". دار الكتاب اللبناني ، ج 2 ص 53.

هذا المجال. (أو كان ذلك نتيجة لاتساع أنواع المعارف والعلوم وازدياد الإقبال على العلم والرغبة في تسهيل حفظه (2).

فالشاعر في العصر المملوكي لم يترك بابا من الأبواب إلا وجه وقال فيه كلاما موزونا مقفى؛ لأنه كان يسعى لهدف تعليمي. "واستمر النظم العلمي حتى العصر المملوكي الذي شهد إعجاب الناس به وكثرته وشيوعه وتفوقه.. ولا نبالغ إذا قلنا: إن عصر المماليك كان عصرًا ذهيبًا لهذا الضرب من النظم كما وتنوعا وتطويلا؛ فقد أربت بعض القصائد على ألف بيت... (3).

ولعل من المفيد هنا أن نذكر ذلك التشابه الواضح بين البديعيات والنظم العلمي، فكل منهما غرض تعليمي، إلا أن البديعيات تتميز، مع ذلك، عن النظم العلمي بتلك الروح أو العاطفة الدينية (4).

فحركة العلم والتأليف والتعليم ارتبطت بالنظم، وكان من نتيجة ذلك أن انحرف قسم من الشعر عن طبيعته، وباتت الصلة بينه وبين العلم أوثق، أو قل إن شئت أن طائفة من الأدباء المسلمين آثروا الإسهام فعليًا في حركة العلم الواسعة. وهذا التوجه الجديد إنما هو حالة تعكسها تلك الحاجة في نفوس العرب المسلمين إلى كل ما هو علمي، بعد أن كان شغلهم الشاغل الأدب الوجداني (5).

غير أن ذلك اللجوء، وإن لم يكن ربحًا صافيًا للشعر؛ لأن معظم المنظومات كما يقول الباحثون لم يتأت فيها شعر جيد، فقد استحال أكثرها قوالب لفظية جامدة. غير أن ذلك لم يمنع بعض المنظومات أن تكون ذات فائدة عظيمة، وهي أيضا شديدة الدلالة على الحالة العلمية

1 "نظم ابن الوردي لصيدة الباب في علم الإعراب"، وفي اللغة نظم همز بن عيسى الباري من منظومة ضمنت أسماء الولايم، وفي العلوم الدينية نظم حسين بن سليمان الطائي أرجوزة القلائد في أحكام الموالد، ونظم ابن الوردي في الفقه "ليهجة الوردية في نظم الخاوي"، والألفية في تعبير الرؤيا والمنامات، كما نظم العلماء أسئلتهم وأجوبتهم في مختلف العلوم شعرا". أنظر: الحركة الشعرية زمن المماليك، ص 350.

2 اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري. د محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1963، ص 355.

3 عصر السلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي: محمود رزق سليم: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ج 8 ص 159.

4 الحركة الشعرية زمن المماليك. ص 353.

5 نقل الروح العلمية في المنظومات الشعرية: أحمد علي محمد، مجلة الأدب الإسلامي عدد 20 سنة 1917 هـ ص 89.

والنزوع إلى المفيد والنافع في العقل الإسلامي على مدار العصور⁽¹⁾

ولامية ابن الوردي من المنظومات الرائعة التي تنحو نحواً سديداً في مجال النصح والمواعظ، ولا شك أن الرائد في ذلك هو النفع والإفادة. وهو ما يجعلها تدرج في الإطار الذي أشرنا إليه قبل حين.

تألف هذه المنظومة من سبعة وسبعين بيتاً على تفاوت في الزيادة والنقصان. من شرح إلى آخر، ومطلعها :

إِعْتَرِلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالغَزَلِ وَقُلِ الْفَصْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
وَدَعْ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا فَلأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفْلُ

وتنتهي بقوله:

غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مِنْ يَكُنْ فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلَى الْأَجَلُ
وَاجِبٌ عِنْدَ الْوَرَى إِكْرَامُهُ وَقَلِيلُ الْمَالِ فِيهِمْ يُسْتَقَلُ
كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غَمْرٌ وَأَنَا مِنْهُمْ ، فَاتْرِكْ تَفَاصِيلَ الْجُمَلِ

وبين المطلع والنهاية يصول ابن الوردي ويجول، في حديث متشعب، يسوقه جميعاً في شكل نصح مصوغ في قالب خطاب ذي طابع حكّمي، ناتج عن تأملاته وتجاريبه في الحياة. مضمناً كل نصيحة ما أمكن من الوهج، سائفاً إياها في نظام من الكلام يريد أن يتلقاه المنصوح بكل ما له من قوة تأثير.

أَيُّ بَنِي اسْمَعْ وَصَايَا جَمَعَتْ حِكْمًا خَصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ

تبدأ تلك النصائح الجامعة بحديثه الأمر مخاطباً ابنه وكل من كان في مقام النصح معه: بأن يترك ذكر الأغاني والغزل ويعترفها، لما فيها من خطأ وخطل. وأن يقول في المقابل القول الفصل: أي السديد الصحيح، ويجافي من هزل وهذر.

ونلمح في البيت الأول وما يليه دعوة غير مستترة إلى التزهد والإقلال.

ومن الدعوة إلى ترك الأغاني والهزل والغزل إلى "ترك" الذكرى، وقد وردت بهذه الصفة العامة؛ من حيث إنها تنطوي على كل ما يمكن تذكره مما فرط، وصلتها بفترة الشباب وطيدة؛ فكانه يقول: دع تذكر كل ما فات من الصبا وقد أفل هذا الزمن الآن وذهب ومن

¹ تمثل الروح العلمية في المنظومات الشعرية. مرجع سابق. ص 89

الخير ألا تذكره.

ويعيننا هنا، كما في سائر أبيات القصيدة ، أن نشير إلى الأصول الفكرية في هذا الخطاب الذي ساقه ابن الوردي؛ حيث نجد جذوره ضاربة في عمق المرجعية الفكرية الإسلامية التي تركز على الكتاب والسنة. فليس ما ذهب إليه ابن الوردي من الدعوة إلى ترك الأغاني والغزل سوى إشارة إلى ما تضمنه عموم الخطابين القرآني والنبوي؛ من حيث الدعوة إلى اجتناب الفتنة، وخاصة منها فتنة النساء. فقد قال صلى الله عليه وسلم "ما تركتُ في الناس بعدني فتنةً أضرتَّ على الرجال من النساء" (1)؛

فدعوته لها سند من المصادر الأصلية، وقد أكد الدعوة في بيت لاحق؛ حيث صرح بقوله:

واترك الغادة لا تحفلَ بها تمش في عزٍّ وترفع وتجك

والناظم، عليه رحمة الله، نظر إلى المرأة الغادة، والنساء عموماً، كأصل لكل فتنة. ولذلك شدد وكرر الدعوة في تجنب الوقوع في حائلهن. ومن الدعوة إلى ترك الغزل والامتناع عن الاحتفاء بالغادة، يسوق ابن الوردي الحديث في جانب آخر من جوانب الانحراف الممكن؛ فيأمر بترك آلة اللهو والطرب، ويشدد في التنفير من الأمر المرتج الكفل. ونعلم أن أخطر ما تكون المعصية عندما تأتي منافية لما جاء في الفطرة الإنسانية كما سواها المولى عز وجل. لذلك ذكر وشدد في النكير في مجال النهي عن الأمر ومصاحبه لخطورة الفحش المنجر عن ذلك.

إن الخوف من الفتنة على المسلم المستقيم، يقتضي غلق أبوابها جميعاً، خاصة فيما يتصل بجانب الشهوات الخبية إلى النفس: كالاحتفاء بالحسان، والاستماع إلى الطرب، والمبالغة في البشر والسرور، ومسايرة النفس فيما ترغب فيه.

وفي ديننا آداب جمّة ومبادئ رفيعة ترسم طبيعة العلاقة في مجال المعاملات، كالنهي عن النظر، بما يفيد تطويع الحواس تطويعاً رائعاً فيفض المسلم والمسلمة نظرهما اجتناباً للوقوع فيما قد لا تستطيع النفس مقاومته بعد ذلك.

وفي معاملة الأمر خصوصاً هناك آداب رفيعة تزخر بها أسفار مختلفة من مجاميع تراثنا

1 - صحيح مسلم باب: أنزأهل الجنة الفقراء. كتاب الذكر والدعاء. ج 6 و 64

الرائع.

ويختتم ابن الوردي تلك الدعوة جميعا في الأبيات الأولى من منظومته بالقول:

وافتكرك في منتهى حسن الذي أنت تهواه مجده أمرا جلا

وهو معطوف على ما قبله . فكأن الناظم يسوق الحديث الناصح لولده قائلا له:

إذا غلبت عليك نفسك، ودعتك إلى محبة شيء من الدنيا وزينتها ولذاتها، فتفكر
نهائيتها. فهو، في المنتهى، شيء جليل أي: حقير تافه، لا وزن ولا قيمة له. فالدنيا فانية وعاقبتها
إلى زوال.

وقد أفصح القرآن الكريم أبلغ إفصاح عن هذا؛ حيث تتألى الآيات البينات
الواضحات في هذا المجال من مثل قوله تعالى: " زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ " (1)

ثم يواصل ابن الوردي خطابه النصحي في النهي عن شرب الخمر، وأمرها معروف
وخطرها قائم معلوم، ثم يأمره بتقوى الله تعالى؛ لأن التقوى هي السبيل إلى الوصول إلى
مرضاة الله. والمراد بالتقوى هنا اتباع الأوامر واجتناب النواهي. وقد ربط ابن الوردي في
لماحةٍ وذكاءٍ بين تقوى الله المانعة لكل الشرور، وبين بعض الأفعال السيئة: كقطع الطرق مثلا،
في إشارة منه إلى أن القوة والبطش ليست في مثل الاتيان بهاتيك الأفعال، وإنما البطولة هي
انتصار الإنسان على نفسه وعلى الشر الذي في ذاته. كما يربط كذلك الخطاب في البيت
التالي بقوله: " صدق الشرع " والمقصود بالشرع كل ما جاء بالإسلام الحنيف، كما بلغه رسولنا
صلى الله عليه وسلم.

وهناك إشارة للمنجمين والكهنة ومن في حكمهم، والأحاديث في النهي عن تصديقهم
كثيرة متنوعة منها: " مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا " (2)؛
وعلى هذا النسق النظمي الحكمي يستمر الشاعر في رصد النصائح يصوغها ميسرة
سهلة سائفة المذاق، يرسل في كل واحدة معنى من المعاني الكبيرة، أو يرسخ قيمة من القيم

1 آل عمران . الآية : 3

2 أخرجه مسلم في صحيفته، كتاب السلام ص 1751 سنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة ج 1 ص 209 .

الجليلة. فهو مثلاً يقول :

حَارَتِ الْأَفْكَارُ فِي قُدْرَةٍ مَنْ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا عَزَّ وَجَلَّ

فهنا إشارة إلى بديع صنع الله الذي يترجم قدرته العظيمة اللامحدودة، من حيث هدانا وبين لنا الطرق والسبل الموصلة إلى النعيم الدائم من خلال ما شرع وأوضح لنا من أوامر ونواه. وربما كان مراد الشاعر أيضاً من خلال هذا البيت هو التفكير في آلاء الله ونعمه وعظيم صنعه ولطف خلقه سبحانه. فإعمال الفكر في مصنوعات الله ومخلوقاته من أقرب القربات وأجلّها، والندب إلى ذلك وارد بكثرة كقوله تعالى " أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (1).

ثم ينتقل الشاعر إلى موضوع هو من ألزم الموضوعات بالموعظة وهو الموت؛ فكأن الشاعر أراد أن يلفت النظر إلى حقيقة كبرى في حياة الإنسان وأشدّها وقعا عليه. وعلى سبيل التأكيد على هذه الحقيقة يستمر مستخدماً أسلوب الاستفهام التقريري فيقول متسائلاً:

أَيْنَ عَادُ أَيْنَ فَرَعَوْنُ وَمَنْ رَفَعَ الْأَهْرَامَ مَنْ يَسْمَعُ يَجَلُّ؟
أَيْنَ غَمْرُودُ وَكَنْعَانَ وَمَنْ مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلُ؟
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَابْتَوَّأَ هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ الْقُلُلُ؟

وقد تحدث ابن الوردي هنا عن العتاة من الطواغيت والمستكبرين، ليؤكد لابنه ولكل من غفل أو تغافل على ضرورة فعل الخير، وأنه لا بقاء إلا لله تعالى وهو أقوى الأقوياء . وعلى ذلك النحو نفسه يبقى ابن الوردي في سياق متهاود يحشد النصائح حشداً؛ فيدعو ولده وينصح له بطلب العلم، وعدم التكاسل في ذلك؛ لأن أهل الكسل يبعد أن يناهم خير. فالكسل باب من أكبر أبواب الفساد والمفاسد. والكسل هو الثاقل، على إطلاق، فإذا كان في العلم وطلبه فالنتيجة معروفة . وقد أوجز الإمام الشافعي رحمه الله أمر العلم والعالم فقال:

رَأَيْتَ الْعِلْمَ صَاحِبَهُ كَرِيمٌ وَلَوْ وِلْدَتُهُ آبَاءٌ لِنَامُ
وَلَيْسَ يَزَالُ يَرْفَعُهُ إِلَى أَنْ يُعْظَمَ أَمْرُهُ الْقَوْمَ الْكِرَامُ

1 سورة الأعراف : الآية 185

فَلَوْلَا الْعِلْمُ مَاسَعَدَتْ رِجَالَ وَلَا عُرِفَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ⁽¹⁾

وفي نطاق الإيحاء دائما بالعلم والاشتغال به، وعدم الكسل فيه تحصيل ومتابعة، يوصي ابن الوردي بالاحتفاء بالفقه؛ لأهميته ودوره في ضبط حياة الإنسان المسلم وتحديد معالمها الأساسية بدقة متناهية.

وعلى طريق تأكيده على التحصيل وعنايته بالعلوم الهامة يوصي كذلك بعلم النحو بقوله:

جَمَلَ الْمَنْطِقُ بِالنَّحْوِ فَمَنْ يُحْرَمُ الإِعْرَابَ فِي النُّطْقِ اخْتَبَلَ

فالنحو هو الذي يقيم بناء الكلام ويحمي الكلمة من اللحن ويضع لها معناها ببيان موقعها، كما يوصي أيضا بنظم الشعر؛ لأنه عنوان على الفضل، خاصة إذا كان شعرا شريفا، سامي المعاني وحسن المقصد غير متبدل .

ونلاحظ أن الشاعر في بعض الأحيان تندفع به عاطفته، فتدقق بعض الأفكار والمعاني المتعلقة بزمانه وبينته التي يبدو أن ابن الوردي عانى من بعض ما كان فيها . يقول مثلا:

مَاتَ أَهْلُ الْفَضْلِ لَمْ يَبْقَ سِوَى مُقْرِفٍ أَوْ مَنْ عَلَى الْأَصْلِ اتَّكَلُ

وواضح هنا أنه يعتب، إن لم يكن يقصد أبعد من ذلك، على زمانه الذي يراه خاليا من أهل الفضل ويبث شكواه بصورة واضحة لا لبس فيها، مظهرا تبرمه. وربما كان ذلك هو الذي دفعه دفعا إلى تثبيت ذلك في وصيته؛ حيث نصح بعدم الاستناد إلى الأصل وأنكر سخف الافتخار بالأصل والفصل؛ حيث يقول:

لَا تَقْلُ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ

قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَبِحُسْنِ السَّبِكِ قَدْ يَنْفَى الزُّغْلُ

قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَوْ أَقْبَلُ

ويتماذى الشاعر في مزج نصائحه بالواقع الاجتماعي من جهة، وبالأخلاق الإسلامية

من جهة ثانية، فيحذر ولده من مسؤولية الحكم وينفره منه تنفيرا واضحا. يقول له :

لَا تَلِ الْحُكْمَ وَإِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ، وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ

وإذن، فالقصيدة بكل ما حملته من أفكار، وما احتوته من نصائح وحكم لم تعبر سوى

¹ ديوان الشافعي . ص 74

عن نفسية الشاعر القلقة على ابنه، ومن وراء ابنه المجتمع كله. وكلمته كانت واضحة، مضت عبر الزمان والمكان محققة وظيفتها؛ لأنها انطوت على معان حكيمة.

وكان مضمون القصيدة بذلك سلسلة مترابطة الحلقات، متتالية الموضوعات والأفكار. ولما كان الشعر، من بعض وجوهه، نشاطاً إنسانياً يرتبط بسعي الإنسان نحو الكمال كما قال الدكتور جابر عصفور⁽¹⁾؛ أمكن لنا أن ننظر إلى ما قاله ابن الوردي على أنه جملة من القوانين والتوجيهات تسعى في سبيل السمو بالإنسان نحو مدارج الفضائل والكمال.

البناء الفني :

أما البناء الفني للقصيدة فبناء متميز، تضافرت فيه جوانب الشكل وجوانب المضمون، جوانب الشكل من حيث اللغة في ألفاظها وتراكيبها وتعابيرها وأساليبها. والمضمون من حيث ما اشتملت عليه من قيم إنسانية ومعان جلية تعمل على تشكيل السلوك الإنساني تشكيلاً ينحو به نحو الإيجاب ويدفع به إلى مراتب الرفعة؛ بتزكية النفس وتطهيرها من كل الشوائب.

وفي لامية ابن الوردي تتلامح تلك النظرة الفكرية الخاصة في شؤون الحياة التي ذهبت في أغراض الحكمة والموعظة مذاهب متعددة؛ فتحدثت عن الأخلاق، والعلم، والموت، والحياة، والقضاء والعدل، والحكم، والأصل والفصل، والتقوى، والظلم،... إلى آخر السلسلة التي لا تنتهي حلقاتها في شؤون الحياة المختلفة المتنوعة، كل ذلك مربوطاً بمعايير الحياة ومبادئها الأساسية التي تعطي لها بعدها الحقيقي، وتجعل منها حقلاً إيجابياً من خلال الاحتكام إلى القيم التي ركزت عليها المنظومة في "نظامها النصحي والحكمي". ولعل ذلك هو الذي جعل للمنظومة تلك القيمة السامية فاهتم بها كثير من الشراح من الأدباء والفضلاء.⁽²⁾

ولعلنا لا نبالغ إذا نظرنا، من جهة ثانية، إلى منظومة ابن الوردي على أساس أنها من قبيل جوامع الكلم، ولاعجب في ذلك؛ لأن ألفاظها قليلة وعباراتها قصيرة، مع غزارة المعاني وغني المضمون. فلو حاولنا أن نشرحها لوجدنا الكثير مما نقوله، وهو ما فعله الشراح والمهتمون، ومنهم: الشيخ ياسين العليمي صاحب الشرح الذي هو مدونة هذا البحث.

¹ مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي: جابر عصفور، مؤسسة فرح للصحافة والثقافة، نيقوسيا، قبرص، ص 133.

² يمكن أن نشير في هذا الخصوص إلى عدد من تلك الشروح ومنها: شرح الشيخ اسماعيل البيجوري، شرح الشيخ القناوي، شرح الشيخ الغزي العامري الدمشقي.

ثانيا/ شكلها:

وشكل القصيدة لا يخرج عن مقاييس النقد في ذلك الزمان، وقد فصل نقاد العصر المملوكي الكلام تفصيلا فيما يجب أن يكون عليه الشعر أو النظم، وأقوى ما يكون الوصف قريبا في قصيدة ابن الوردي ما ذهب إليه ابن أبي الأصبع من مطالبته الشاعر أن يعمل في "أحب الأغراض إليه وفيما وافق الطبع؛ فالنفوس تعطي على الرغبة مالا تعطي على الرهبة".⁽¹⁾ ثم يضيف: "واعمل الأبيات مفرقة بحسب ما يوجد به الخاطر ثم انظمها في الآخر واحترس عند جمعها من عدم الترتيب، وتوخَّ حسن التنسيق عند التهذيب ليكون كلامك آخذا بعضه بأعناق بعض.."⁽²⁾

وإذا كان مقياس الجودة في ذلك العصر هو ما أشار إليه نقاده وفي مقدمتهم ابن أبي الأصبع الذي قمرس في نقد الشعر وصنعتة، فإن مقاييس الجودة عامة لا تختلف عن ذلك؛ بحيث يهتم النقاد عموما بمواءمة المعاني مع الألفاظ وتناسق التراكيب وجمال الإيقاع. ويردُّ ابن طباطبا براعة الصنعة أو براعة الشعر إلى عملية نظم المعاني وإعادة ترتيبها؛ فالصلة وثيقة بين المعاني والألفاظ، فحسن الشعر عنده يرجع إلى حسن انتظام عناصره.⁽³⁾

وإذا كان نظام القصيدة على ما ذكرنا؛ فإن ما يلفت نظر الدارس لقصيدة ابن الوردي أنها في مجملها، على كثرة ما ورد فيها من الموضوعات، وما تنوع منها من محاور النصح والعظة والحكمة، جاءت في بيان موجز وجمال مركز تأخذ الأفكار الواحدة منها برقاب البعض الآخر في رفق وأناة.

وكان ابن الوردي ينتقل من الموضوع إلى الموضوع الذي يليه في لين يسر، وفي إحكام وحسن ربط، حتى يمكن أن نقول: إنه بلغ مرتبة الكمال في صناعة النظم؛ من حيث قدرته

(1) أنظر تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع تحقيق: حفني شرف. طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة. ص 213. وابن أبي الأصبع هو: العلامة عبد العظيم بن عبد الله بن الحسن زكي الدين أبو محمد البغدادي. كان أحد الشعراء الجليدين وأحد أساتذة البلاغة العربية في مصر المملوكية. كانت له جولات موفقة على طريق النقد الأدبي آراء وتطبيقات في كتيبه وتحرير التحرير، وبتدبير القرآن، والخواطر والسوانح في أسرار الفوائح، توفي سنة أربع وخمسين وستمائة.

أنظر: النجوم الزاهرة: لابن تغري بردى، ج 7 ص 38 وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي، منشورات دار الآفاق، بيروت ج 5 ص 295.

(2) المرجع نفسه: ص 217.

(3) عيار الشعر: لابن طباطبا، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المناع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 11.

على الأداء البياني ونظم أفكاره في صيغ قصيرة واضحة تنقل للقارئ والسامع، على حد سواء، المعاني الجليلة في سهولة ووضوح، بفضل الأسلوب الذي اعتمده ابن الوردي في قصيدته وهو الأسلوب الحكمي المباشر، على اعتبار أن الشاعر كان في موقف "إبلاغ وتبليغ"، ومقتضى ذلك أن تأتي لغته خادمة للفكرة الرئيسة، تخضع للمضمون خضوعاً تاماً ... وعلى ذلك جاء كلام الشاعر خطاياً آمراً بعيداً عن كل إيجاء، معتمداً الكلمات الواضحة الدالة على المعاني البارزة، وليس الكلمات ذات الظلال والألوان التي تكتفي بالتلميح دون التصريح، وتؤثر الإشارة الموحية بدلاً من التصريح الواضح.

فقوله:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل	وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكرى لأيام الصبأ	فلأيام الصبأ نجم أفل
واترك الغادة لا تحفل بها	تمس في عز وترفع وتجمل
واهجر الحمرة إن كنت فتى	كيف يسعى في جنون من عقل

لقد تواردت الألفاظ عنده في البيت الواحد في انسياب ملحوظ، دون عثار، وانتقلت

من ثم المعاني بين الكلام الخبري والاستفهامي، يقول:

كتب الموت على الخلق فكم	فل من عرش وأنى من دول
أين أرباب الحجى أهل النهى؟	أين أهل العلم والقوم الأول؟
أين عاد؟ أين فرعون؟ ومن	رفع الأهرام من يسمع يخل

فالكلمة عند ابن الوردي تنفس حرارة النفس، وبالرغم من أنه استمد نصائحه

وحكمه من تجربته الذاتية المخصوصة، فإنها استطاعت أن تعبر عن دائرة إنسانية واسعة،

فأخذت طابع الشمول والكلية والعموم. ولعل ذلك هو الذي أثار كل ذلك الاهتمام بها؛

فجرت على كثير من الألسنة بل جرت مجرى الأمثال، واستأنس بها خلق كثير من الناس.

ويبدو طابع الشمولية فيها في مثل قوله :

اترك الحيلة واتئد	إنما الحيلة في ترك الحيل
لا تقل أصلي وفصلي أبداً	إنما أضل الفتى ما قد حصل
لا تقل: ذهب أربابه	كل من سار على الدرب وصل

فهذا البناء اللغوي، على بساطته، يبدو متماسكا، وقد أعان ذلك في أن تكون المنظومة من المنظومات الخاصة القليلة المتصلة بالقيم والتعليم والتربية¹؛ لأن اللغة هي المادة الأولية للأدب، والاهتمام بها كان ولا يزال وسيبقى من ضرورات ارتقاء العمل الأدبي إلى مرتبة الإبداع والخلود.

وإذا كانت الفكرة والإحساس لا يتمثلان حتى يسكنا إلى اللفظ كما أشار الدكتور قلقيلة²؛ فإن ابن الوردي استطاع أن يوفر في منظومته توافقا ملحوظا بين الأفكار والألفاظ، وسعى إلى إضفاء مسحة من الجمال، والانتناس ببعض الألفاظ البعيدة عن التداول، فقربها إلى ذهن المتلقي في مثل : مرتج، الكفل، ماس، يزري، الأسل... الخ وجاءت في سياق لفظي مستأنس مقبول، يقول:

وَالهُ عَنِ آلهِ لَهُوَ أَطْرَبَتْ وَعَنِ الْأَمْزِدِ مَزْتَجَّ الْكَفَلُ
إِنْ تَبَدَّ تَنَكَّسِفُ شَمْسِ الضُّحَى وَإِذَا مَاسَ يَزْرِي بِالْأَسَلِ

إن مقاييس الجودة بالنسبة للمفردة في النص الأدبي والفني الجيد ألا تكون حوشية³؛ وأن تتمتع بالحلاوة في الذوق وبالرقة، «ولا يكفي أن تكون الألفاظ مليحة رائقة في نفسها، بل لابد من حسن تأليفها مع أخواتها⁴؛ فهذا التهامس النفسي يشير إلى عمق تجربة الشاعر، والذي ساعده على نقل تجربته إلى ولده حسنه المرهف، وحرصه على أن يستفيد ابنه، وكل منصوح معه، بما عاناه هو من قبل. فلذلك جاء شعره رقيقا هادفا، حرص الشاعر على أن تأتي الأبيات متاليات متلاحمات. وذلك بالرغم من أن القصيدة في عمومها تتكون في الظاهر من أبيات مستقلة بعضها عن بعض، لكنها في جملتها متكاملة. وقد اثني ابن أبي الأصبع على هذا المنهج؛ حيث قال : "أن يكون كل بيت إذا أفرد قام بنفسه، واستقل معناه بلفظه، وإن ردفه مجاورة صار بمنزلة البيت الواحد؛ بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما ونقص كماهما وتقسم معناه وما ليسا كذلك بل حالهما في كمال الحسن وتمام المعنى، مع

¹ نعتي بالتربية هنا تربية النشء الصاعد وتوجيهه وإعداده للحياة الحقيقية المبنية على الموازين الصحيحة والتجربة النافعة .

² النقد الأدبي في العصر المملوكي ، ص 390

³ الحوشي من الألفاظ هو: المهجور غير المستعمل ..

⁴ تاريخ النقد الأدبي :محمد زغلول سلام، دار المعارف ، القاهرة، ج2 ص290.

الانفراد والافتراق كما هما مع الالتحام والاجتماع" (1).

ومنظومة ابن الوردي من جهة أخرى خاضت غمار بحر البلاغة العميق الواسع بقوة، فجاءت الصور المبتوثة في ثنايا الأبيات مرتكزة على هذا الفن، كعقود لتحلية جود الحسان، استثمرها الشاعر في تقريب المعاني وتجسيدها وتصويرها حتى لتكاد تشخص في عين الناظر وتقوم في ذهنه صورة كاملة. وقد رصد الشارح ذلك بدقة وتبع تفصيلاتها تبعا واسعا في المظان المختلفة من المنظومة. فالتشبيه والتمثيل والاستعارة " أصول كثيرة كأن جل محاسن الكلام إن لم نقل كلها متفرعة عنها وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها. " (2) ومن هنا كان اهتمام الشعراء بالصورة. وابن الوردي كان مصورا بارعا. ففي قوله: " فلأيام الصبا نجم أفل " رُقوله: " وبحسن السبك ينفي الزغل ". وقوله: " وكذا الورد من الشوك .. " صور تراءى لنا ملامحها في الأذهان بشدة ووضوح.

كما عمد الشاعر إلى البديع ، وهي ظاهرة طغت على الأدب المملوكي جميعا ، فنهل منه، وزين به أبيات المنظومة. وإذا كان الذوق العام المسيطر آنذاك هو الذوق البديعي الذي سرى في أوصال المجتمع وأوجد أدبا مشبعا بالاستعراض البلاغي الذي صار في أحيان كثيرة غاية في حد ذاته (3) فقد كان ابن الوردي موائما بين الشكل والمضمون، وجاءت ألفاظه مساوية لمعانيه ، وكان كلامه يطابق ما قاله النقاد في كون " أول ما يقصده المتكلم إخراج معناه في لفظ مساو، إذ هو خير ضروب البلاغة لكونه وسطها، وخير الأمور أوسطها (4) يقول :

زَادَ إِنْ قَسْنَاهُ بِالْبَدْرِ سَنًا وَعَدَلْنَاهُ بِغُصْنٍ فَاغْتَدَلَّ

فالبيت يضم الانسجام والمساواة وتمكين القافية، وكلها صور بديعية خدمت المعنى الذي يريده الشاعر.

وفي البيت الذي يقول فيه :

1 تحرير التحرير: ص 425.

2 أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ص 440

3 الحركة الشعرية زمن الماليك . ص 440

4 تحرير التحرير: ص 393 .

أَيْنَ مُزَوَّدٌ وَكُنْعَانُ وَمَنْ مَلِكُ الْمَلِكِ وَوَلِيٌّ وَعَزَلٌ

استخدم الشاعر من ألوان البديع : الاشتقاق، والجناس المحرف، ومراعاة النظير. فالصور البديعية والبيانية بصفة عامة هي وسيلة لتعميق المعنى وتجميل اللفظ، وهذا ما لمسناه في هذه النصيحة.

وإيقاع القصيدة كان إيقاعاً موزوناً، فيه من حسن التركيب واعتدال الأجزاء النصيب الأوفر.

وكان لبعض المعاني القرآنية الحظ الأكبر في المنظومة، اعتمدها الشاعر لثمين تلك النصائح وجعلها قريبة المأخذ، فيها من روح الإقناع النصيب الوافر. ففي قوله مثلاً:

حَارَبَ الْأَفْكَارُ فِي قَدْرَةٍ مَنْ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا غَزًّا وَجَلَّ

عَجَزَ الْبَيْتَ مَقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا"¹

وكذلك من قوله تعالى أيضاً:

" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا"²؛

وربما كانت اللامية من الأشعار التي ينتظم فيها القول انتظاماً يتسق به أوله مع آخره. وكان أقرب إلى أن تكون كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجاً وحسناً وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معانٍ وصواب تأليف. وكان خروج الشاعر من كل معنى يضيفه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً. وبدت كأنها مفرغة إفراغاً اقتضت كل كلمة ما بعدها، وكان ما بعدها متعلقاً بها مفتقراً إليها⁽³⁾ يقول الشاعر مثلاً في فضل العلم والعمل معاً:

فِي زَيْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى وَجَمَالُ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ

ويربط هذا كله بعلم النحو، فيقول:

جَمَلَ الْمَنْطِقُ بِالنَّحْوِ فَمَنْ يُخْرِمُ الْإِعْرَابَ فِي النَّطْقِ اخْتَبَلَ

وبالنسبة لدور الشعر وبيان مذهبه فيه يقول:

وَأَنْظِمَ الشَّعْرَ وَلَا زِمَّ مَذْهَبِي فَاطْرَاحُ الرَّفْدِ فِي الدُّنْيَا أَقْلٌ

¹ سورة إبراهيم . آية 18.

² سورة العنكبوت آية 69.

³ عيار الشعر : لابن طباطبا، ص 213

فَهُوَ عِنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا أَحْسَنَ الشَّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ

فالأبيات بدت كسلسلة متناسقة، منتظمة، وكل معنى من المعاني يولد الذي بعده، وهذا الرباط نشأ من طبيعة الصياغة الفنية ومن طبيعة المعنى المعروف. ويبرز ملمح آخر من ملامح القوة في هذه القصيدة ونعني به التأثير، فلم يخطئ النقاد والدارسون عندما ذهبوا إلى اعتبار "قوة التأثير" أحد أهم المقاييس التي يُحتكم إليها في مجال بيان جودة القطعة الأدبية، شعرا كانت أو نثرا، فالنصائح الواردة في هذا النظم لها شديد الأثر في نفس المتلقي، وهي تعمل في إصلاح النفوس والعقول ما يعمله المرابي تماما، وجل ما دعت إليه يتوافق مع مقاصد الأخلاق الإيمانية الحميدة فالوظيفة الأهم، إن لم نقل الوظيفة الأولى للأدب هي التأثير في المتلقي بما يفيدته بالطبع. ومن شروط الفصاحة والبلاغة حسن الوقع في النفس.

ومن النقاد القدامى كان حازم القرطاجني⁽¹⁾ الذي اتخذ من التأثرية مقياسا نقديا لقياس جودة الأعمال الأدبية .

كما جعل ابن طباطبا⁽²⁾ اغاية الشعر هي التأثير، والتأثير يعني التغير في الاتجاه والتحول في السلوك .. وذلك أمر لا يمكن أن يتم بمجرد النظم العادي للأفكار، بل يتم بضرب بارع من الصناعة⁽³⁾.

ونأتي هنا إلى طبيعة الإيقاع الشعري وأوزانه في هذه المنظومة، حيث نجدته يتماشى بانتظام دقيق مع ألفاظ ومقاطع الأبيات؛ " فالأوزان الشعرية أنغام إيقاعية يجرى عليها اللفظ وتنتظمه بكل حروفه انتظاما دقيقا تاما، من غير ما خلل... وهذه الأوزان قدسية تفرض نفسها بقوة على مجرى التقليد الأدبي"⁽⁴⁾.

¹ هو أبو الحسن حازم القرطاجني. استعمل تعليمه بحفظ القرآن الكريم، وتخرج في قراءاته على شيوخ بلده. كان فقيها مالكيًا، نحويًا، حافظًا للحديث، راوية للأخبار والأدب، وكان شاعرا. يمثل حازم حلقة هامة في سلسلة النقد العربي بكتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء". كانت وفاته ليلة السبت 24 من رمضان سنة 684 للهجرة. انظر: بغية الوعاة: للسيوطي ج 1 ص 492.

² محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولد في أصبهان من كتبه: "عيار الشعر" وكتاب العروض تولى سنة 322 للهجرة بأصبهان. انظر: معجم الأدباء: لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت. ج 6، ص 284. وبتيمة الدهر: للتعالي. ج 3 ص 136.

³ عيار الشعر. لابن طباطبا. ص 48

⁴ الفن والأدب: ميشال عاصي، مؤسسة نوفل، بيروت، ص 91

وابن الوردي وظف بحر الرَّمْل والتزم بروي واحد واستجاب بذلك لمبدأ الإيقاع والأوزان التقليدية في الشعر كجانب أصيل فيه، لا يمكن التخلي عنه.

وبدت الكلمة بجرسها وظلالها ومعناها في معظم أبيات اللامية قابعة في مكانها المناسب لها إيقاعها المميز، ولها معناها الخاص، ولها ظلالها الجميلة...ومن ذلك قوله في البيتين التاليين:

لَا تُؤَاذِي لُدَّةَ الْحَكِيمِ فَمَا ذَاقَهُ الْمَرْءُ إِذَا الْمَرْءُ أَنْعَزَلَ

فَالْوَلَايَاتُ وَإِنْ طَابَتْ لِمَنْ ذَاقَهَا فَالْسُّمُّ فِي ذَاكَ الْعَسَلِ

إن الشاعر يبدو دقيقا في اختيار اللفظة المناسبة عند الحديث عن بهجة الحكم ويربطها باللذة وبالعسل، ويقابلها من جهة أخرى بالعزل والسم عند حديثه عن الوجه الآخر في نيل المسؤوليات والعزل منها.

المبحث الرابع: الأدب والأخلاق

نرى لزاما علينا أن نعرض هنا لقضية ذات صلة وثيقة بالمبحث وهي أخلاقية الأدب؛ ذلك أن الشعر لا يجعل من قبيل المتعة العارضة أو التسلية الهينة، أو الوصف المنمق، أو مجرد الدعاية التي تهدف إلى الإقناع على حساب الحقيقة؛ بل هو قول يشد الشاعر إلى مهمة أخلاقية لها آثارها في حياة الفرد والجماعة⁽¹⁾.

ولقد التفت النقد من وقت مبكر إلى القيمة الأخلاقية للأدب، واختلفت الآراء في ذلك اختلافا واضحا، لكن يعيننا أن نوضح هنا أن الشعر الذي لا يفيد شعر تافه، ومن ثم نوافق على قول الشاعر "وردزورث" الذي كان يردد: " كل شاعر عظيم معلّم، وأحب أن يعتبرني الناس معلما أو لاشيء"⁽²⁾؛ إن الفصل بين الأدب والأخلاق أمر يكاد يكون مستحيلا؛ لأن حقيقة العلاقة القائمة بينهما في أكثر من موطن ومربوطة بأكثر من رباط، والفن كتعبير جمالي عن معاناة الإنسان بثتى الوسائل الجميلة المعروفة: الكلمة، اللون، الحركة، النغم، يحقق المتعة الأخلاقية، فكثير من التجارب الخلقية تمتعنا وتسرنا من ناحية جمالها... أي أن الأخلاق نفسها فنية⁽³⁾.

وقصيدة ابن الوردي هنا ترتبط برسالة الأدب ودوره الفعال في بناء الفرد والمجتمع. وكل ما احتوته من دعوات بناءة لإصلاح النفس والخلق بذلك الشكل الفني البسيط المتمثل في النظم الرائق الجميل، وهو الدليل الأمثل على وجوب سير هذا الفن في إطار أخلاقي هادف.

ولما كانت الموعظة هي الأساس الذي أقام عليه الشاعر بناءه الفني في المنظومة، فقد استخدم للارتقاء بهذا الشعر إلى مراقبي الجودة ومدارج الكمال الفني... استخدم كل الأدوات اللازمة والعناصر الضرورية من صياغة فنية وأسلوب لغوي جمالي بديع. إن وظيفة الشعر ينبغي أن تقوم على أساس أخلاقي. والإعجاب يشتد ويبسود وواضحا إزاء الشعر المنطوي على الحكمة أو الشعر الذي يساهم في تكوين وتدعيم البناء الأخلاقي للإنسان، والدليل على ذلك هذا

¹ مفهوم الشعر : دراسة في التراث النقدي: جابر عصفور، ص 129

² النقد الأدبي في العصر المملوكي : عبد العزيز قلقيلة. ص 290 .

³ فن الشعر : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان. ص 179

الاهتمام الطيب بهذه النصيحة، على مر الأزمنة واختلاف الأمكنة.

إن الأديب غير مبتور الصلة بواقعه ومجتمعه وبيئته ، ومن ثم فهو غير منقطع عما يدور في تلك البيئة المعنوية من أخلاق وأعراف وتقاليد وأنظمة اجتماعية صالحة أو فاسدة ، وعليه فإن مهمته في تعديل تلك البيئة بما تحتاجه من مكونات الإصلاح والتقويم والترشيد والتوجيه تبدو أكثر من ضرورية، فهو في موقع المسؤولية الذي يفرض عليه أن يربي الذوق ويرقى به ويسمو بالفرد ويعلو به. ولذلك يُنظر إلى شعره على أنه تواصل بينه وبين المتلقين؛ من حيث إنه يعمل على تبليغ رسالة من نوع خاص ذات محتوى متصل بالقيم يوجهها المبدع إلى المتلقي من خلال وسيط هو القصيدة (1)

والقيم الأخلاقية التي توزعت على مدار المنظومة وتناثرت عبر أبياتها، واتصلت بأكثر محاورها وموضوعاتها، والتي كانت تدعو إلى الالتزام بقول الفصل واجتناب الهزل وترك الغادة وآلات اللهو، والأمرد والخمرة، والتحلي بالتقوى وتصديق الشرع، وطلب العلم والاهتمام بالفقه، والابتعاد عن النميمة والنمائم، وهجر القضاء... إلى ما هنالك من مواعظ ونصائح وحكم قد سعت جميعها إلى تحقيق هدف أخلاقي رفيع ومقصد إنساني إسلامي نبيل، وهو ما سعى ويسعى إليه الأدب الإسلامي والإيماني من قديم إلى اليوم إلى ما شاء الله من الأزمنة. "ذلك أن الدين الذي جعل للحياة الدنيا كلها، بكل عصورها وأجيالها، أهدافا مشرقة واضحة، لا يرضى أن يعزل الأدب في زاوية ينحني فيها، ولا يساهم في السعي لبلوغ تلك الأهداف (2)

إن الدفاع عن الشعر لا يمكن أن يصبح له قيمة في مجتمع إسلامي إلا بتأكيد محتواه الأخلاقي وآثاره الإيجابية في السلوك. وهذا ما أردنا توضيحه في هذا البحث؛ فابن الوردي شاهد حي على ما يستطيع الشاعر أن يقدمه للناس في تربيتهم وتهذيبهم ونصحهم ودعوتهم إلى صياغة شعورهم وفق المثَل والمبادئ الإسلامية الشائخة. وقصيدته المعروفة باسم " نصيحة الإخوان" التي تزخر بالمعاني الشريفة والمقاصد الكريمة والأغراض التربوية اللطيفة تصلح أن

1 مفهوم الشعر جابر عصفور ص 133 .

2 الأدب الإسلامي إنسانيته وعاليته: عدنان النحوي دار النحوي، النشر والتوزيع، الرياض، المملكة السعودية ص 24.

تكون مثالا لما ينبغي أن يكون عليه الشعر عندما تستقيم أسسه على قواعد إسلامية وأصول حضارية، أداة مشرقة ورسالة مضيئة.

ولا عجب أن يكون لكل ذلك أصوله وجذوره في القرآن الكريم "فالإسلام يجعل الأخلاق إطارا للأدب والشعر بالذات، ويجعل الالتزام الأخلاقي ضابطا هاما، وربما عدّه بعضهم قيّدا يحول دون حرية الإبداع، غير أن الإسلام يضحى بهذه الحرية التي هي في انطلاقتها لا تمثل الخير ولا الحق... فالقرآن يضع أساس الأصالة في أن يكون الفن أخلاقيا حين يقرر أن كلا من الفن والأدب والعلم إنما يبدأ من خلال التوحيد نفسه... فالقانون الأخلاقي أساس تتحرك كل القيم في إطاره"؛

ولامية ابن الوردي تحمل في مضامينها روح الأدب الإسلامي، وفكره وحضارته، وتأثيرها الفعال عبر الأجيال في تربية الناس جعلها تحلّد ويخلّد معها كل ما قيل حولها وفيها من كلام وشروح، وهي تعكس، بكل وضوح، صورة المجتمع المملوكي آنذاك وصورة الإنسان فيه، وما صيحه الشاعر في نقدهما إلا رسالة لتصليح أحوالهما بإعطاء البديل القائم على أسس دينية وأخلاقية سمحة، فهو يقول مثلا :

غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَن يَكُنْ فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلَى الْأَجَلْ

وَإِحْبَابٌ عِنْدَ الْوَرَى إِكْرَامُهُ وَقَلِيلٌ الْمَالِ فِيهِمْ يَسْتَقْلُ

ويحذر من الحاكم وبطشه فيقول:

جَانِبِ السُّلْطَانَ وَاحْذَرُ بَطْشَهُ لَا تُخَاصِمُ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ

ويصرح بموت الفضل، وهذه قمة الشكوى وقمة الراداءة فيقول:

مَاتَ أَهْلُ الْفَضْلِ لَمْ يَبْقَ سِوَى مُقْرِفٍ أَوْ مَنْ عَلَى الْأَصْلِ اتَّكَلْ

وفي نفس القصيدة يقدم الوجه الآخر، للمتلقى، الوجه المشرق المساعد على الصبر على

كل تلك النقائص ويقدمها في شكل أوامر بل نصائح وحكم ومواعظ فيقول:

مَعَ أَنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيَّ نَسِي إِذْ يَا بِي بَكَرَ اتَّصَلَ

1 خصائص الأدب العربي : أنور الجندي. ص 183 .

وتَغَافَلُ عَن أُمُورِ إِنْسَانِهِ لَمْ يَفُزْ بِالْحَمْدِ إِلَّا مَنْ غَفَلَ
 لَا تَلِ الْحُكْمَ وَإِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ
 قَصَّرَ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا تَفُزْ فَدَلِيلَ الْعَقْلِ تَقْصِيرِ الْأَمَلِ

فالأديب على ذلك "مرتبط بالحياة كلها ارتباط جيل بجيل، ورحم برحم، وارتباط عقيدة وإيمان وأصل ومنشأ. إن هذا الأديب لا بد أن يتأثر أدبه بهذا الامتداد التاريخي ويؤثر هذا الامتداد في فكر المؤمن وعاطفته وفي سلوكه وأخلاقه وفي آرائه ومواقفه.. ويصبح هذا الأدب هو أعمق آداب الأرض بعدا إنسانيا وامتدادا عالميا. (1)

والنافع في الفن لا بد أن يكون نافعا في الحياة، ومادام الشعر نشاطا إنسانيا يرتبط بسعي الشاعر، كمبدع، نحو الكمال؛ فإنه لا يمكن إلا أن يكون أحد الأنشطة الإنسانية الراقية؛ لأن رقي الغاية يسطر ظله على كل وسيلة تؤدي إليه، وبذلك تصبح القيمة الأخلاقية مصاحبة للقيمة الجمالية وغير مفارقة لها (2)

لقد ظل الأدب العربي، في جميع أطواره ومراحله، ينمو ويتطور دون أن يعاني معاناة الأدب الغربي من قلق وتناقض واضطراب، بما حملته له المذاهب الأدبية في أوروبا وغيرها. ويرجع ذلك إلى سببين اثنين :

أولهما : طبيعة اللغة العربية وعظمتها واكتمال نضجها .

وثانيهما: استقرار الأمة كلها نفسيا في حمى العقيدة والإيمان . ولهذين السببين لا نجد عندنا مذاهب كتلك التي وجدت في الغرب. وظلت الدراسة الجمالية بذلك تدور حول النص الأدبي والبلاغة والبيان، دون أن تحتاج إلى فلسفة جمالية جديدة في كل مرة لتستند إليها. (3)

1 الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته : عدنان النحوي . ص 36.

2 مفهوم الشعر ، مرجع سابق، ص 133 .

3 الأدب الإسلامي : عدنان النحوي . ص 263.

الفصل الثالث

الشيخ ياسين العليمي ومنهجه في شرح المخطوطة

المبحث الأول: ترجمة الشيخ ياسين

المبحث الثاني: منهجه في الشرح (مع بيان أسلوبه ولغته)

المبحث الثالث: مصادره من كتب اللغة

المبحث الرابع: عنايته بقضايا البلاغة

المبحث الخامس: شواهد من القرآن الكريم

المبحث السادس: شواهد من الحديث النبوي الشريف

المبحث السابع: شواهد من الشعر

المبحث الأول: ترجمة الشيخ ياسين

اسمه ونسبه: هو ياسين بن زيد الدين بن أبي بكر بن الشيخ عَلِيْم، الحمصي، الشافعي، الشهير بالعلَيمِي، نزيلُ مصر. الإمام البليغ، النحوي، البياني، المتكلم شيخ العربية وقدوة أرباب المعاني والبيان والمشار إليه بالبنان في محفل التبيان. مولده كان بجمص⁽¹⁾ نشأ بها ثم رحل مع والده إلى مصر أين استقر وبدأ مشواره في تحصيل العلوم.

أساتذته: تعلم في أول الأمر على يد الشيخ منصور السطوحِي، ثم على يد الشهاب الغنَيمِي ولازمه في العلوم العقلية، ولقنه الأصول والفقه، فبرع في ذلك.

وتابع أخذه للفقه بعد ذلك على يد الشوبري، إلى أن وصل إلى مراتب عليا واستطاع أن يلم بهذا العلم إلماما تاما.

صفاته: كان مطبوعا على الحلم والتواضع، ذكيا، حسن الفهم، يملك موهبة فذة في استيعاب العلوم المختلفة، وبرع خاصة في العلوم العقلية منها.

شاع ذكره وبعُد صيته. كان له مال جزيل وإنعام كثير على طلبة العلم وكلمة مسموعة بينهم. وتصدّر في الأزهر لتلقي العلوم، وشاركه في ذلك أعيان أفاضل.

ملازمته للتدريس: استقر ملازما للتدريس والإفادة، مُعْتَكفا على تحصيل العلم، ملازما للعبادة، متمتعا بجواسه، نافعا بأنفاسه، وكان مغرقا بالطيب إذا دخل الجامع الأزهر يشتم ... فيه رائحة المسك والعنبر الغالية فيعلم أهل الجامع بقدمه⁽²⁾

آثاره: له كتب مفيدة، ورسائل نافعة، وله شعر كثير أكثره جيدا؛ منه قوله (3) :

عَجَبًا لِعُصْنِ الْبَانِ مِنْ أَعْطَافِهِ	فَوْقَ الْكَثِيبِ لِبَدْرِ ثَمِ أَمْثَرَا
قد صام عبد وصل زكاة جماله	قربا فقير القلب رام فقطرا
فالرأسُ مُشْتَعِلٌ بِشَيْبِ صَدْوِهِ	والعَظْمُ أَضْحَى وَاهِيًا وَقَدَانَبْرَى
ولربّ ليلٍ طَسَالَ حَتَّى أَنِّي	قد قلتُ لو كان الصَّبَاحُ لِأَسْفَرَا

(1) - لم تذكر الكتب التي ترجمت له سنة مولده.

(2) - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. دار صادر - بيروت، ج4، ص192. كما وردت ترجمته أيضا في: الأعلام: 130/2 وهداية

العارفين للبغدادي: 5/2، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة. 177/13.

3 القصيدة مثبته في: خلاصة الأثر" للمحبي. ج4، ص130

لكن ذكرت بطوله وسواده
شعر الحسان فطاب لي أن أسهراً

له حاشية على شرح ألفية ابن مالك في النحو وله أيضا:

- حاشية على شرح السنوسي في التوحيد؛

- حاشية على شرح القطر للفاكهي في النحو؛

- حاشية على شرح التهذيب للخبيصي؛

- حاشية على المختصر وحاشية على المطول؛

- حاشية على فتح الرحمان في شرح لقطعة العجلان في الأصول؛

- السمرقندية، حاشية على شرح الإستعارات في البلاغة؛

- شرح لامية ابن الوردي.

قال عنه المحيي في الخلاصة : "الذي بعث نفسا عاطرا إلى الإحسان، وأثبتته عقدا

نفيسا في جيد الكواعب الحسان، يتناول المعاني والألفاظ من مدى قريب، وأن مدّ باعه فمن

سحاب وأن اغترف فمن قليب..... وحواشيه حواشي حدود، لا حواشي برود، وتخريجات

أصداع على وجنات أو سواف على حدود غانيات .

وله أشعار تحل لها عقد الحبر، وتهتز لها النفوس كما تهتز تحت القطر الربى. وكان

عهده قد جمع نضارة الورد إلى بقاء الآس وافتر عن رقة المدامة في نقاء الكأس، وهو يرجع إلى

شيم دمنة وهمم على الخير منعتة، طالما هبت منه على طلبته نسمة المنى، فنبهت من

أفواههم زهرة الثنا⁽¹⁾. فالشيخ ياسين كان له باع في كل العلوم والفنون وما تركه من حواشي

وشروح وأشعار يدل على ذلك.

وفاته:

كانت وفاته بمصر في نهار الأحد عشر شعبان سنة احدى وستين وألف 1061 هـ .

(1) خلاصة الأثر للمحبي . ج 4 ص 192

المبحث الثاني: منهجه في الشرح

لغته وأسلوبه:

استطاع الشيخ ياسين في شرحه القيم أن يرهن للقارئ على تمكنه الكبير من كل ألوان المعرفة النقلية والعقلية، وأن يعطي صورة واضحة لعقلية العالم المتبحر في العلوم والآداب واللغة، فجاء شرحه سلسلة مترابطة الحلقات، منتظمة في انسجام تام، فيها من الجمال والإتقان ما يجعلها تحفة نادرة في عالم المتون والشروح.

كان منهجه في شرح اللامية يستند أولاً على ما يتمتع به الشارح نفسه من قدرات شعرية فذة، تحتاج إلى حس مرهف في تذوق المعاني وذكاء حاد لالتقاط خفايا البيت الشعري ومن ثم تذوق جماله، وتحديد أهدافه، وعلى بديهية حاضرة في توظيف الشواهد المختلفة في مكانها اللائق، لتضفي على الشرح قوة وعلى المنظومة وضوحاً وبياناً. وما يحمله ثانياً من معارف مختلفة، غنية في كل العلوم والفنون.

وجاء الشرح بذلك تجربة ممتعة، على أسلوب تقليدي بحت، لا يفصل بين العالم والأديب ولا بين اللغوي والبلاغي ولا المحدث والفقهاء، مع التفاوت - طبعاً - في الدرجة بين الإتقان والإطلاع العام.

وظاهرة الشروح ظاهرة صحية، لإثراء العلم والثقافة ومنهج قويم، لتجديد وبعث الآثار الفكرية بعثاً جديداً يادخال الإضافات عليها، وتوسيعها وتعميق فهمها؛ فقد "برزت عند العلماء فكرة شرح المصادر الأساسية في كل فرع من فروع العلوم المختلفة، وكانوا يسمون هذه المختصرات متوناً، وكثيراً ما كان يعتمد صاحب المتن إلى شرحه وقد يشرحه عالم آخر من تلاميذه..."⁽¹⁾ وقد سار الشيخ ياسين على ذلك محققاً في شرحه جملة من الفوائد والأهداف خدّمت النص الشعري والمتلقي والتراث العربي.

أسلوبه بسيط، بعيد عن التعقيد، يعتمد على الطبع السليم في فهم الأشعار والأفكار ولغته قوية، سليمة، ألفاظها سهلة، قريبة المأخذ، قلما نجد العبارات الصعبة في لفظها، البعيدة في معناها.

(1) - عصر إحياء التراث العربي وتجديده، شوقي صيف، الخلة، (مجلة شهرية، تصدرها وزارة المعارف بمصر) العدد 122، سنة 1967، ص 7.

أما تراكيبه فواضحة، مأنوسة، بعيدة كل البعد عن الغرابة والإضطراب والإبهام. أحسن اختيار الألفاظ فجاءت منسجمة مع المعنى المطروق، سمحة، عليها رونق الفصاحة، وكل ذلك يدل دلالة واضحة على الذوق المرفه للشيخ ياسين وتمكنه من اللغة العربية.

للتقي به في بداية شرحه، مستعرضا عمله بتمهيد رائق يقول فيه:

"الحمد لله الذي شرح صدور أهل العلوم، ومنحهم شعور الإدراكات والفهوم وحلّى من شاء منهم بجوهر المنثور والمنظوم... وبعد فلما كانت لامية السراح ابن الوردي في غاية الإنسجام والتهذيب، واردة في النصيح على الأسلوب الحكمي العجيب... خالية من الحشو ما أمكن دالة على أن ناظمها ممن اقتعد سهوة الفصاحة وتمكن.."⁽¹⁾

وقد استطاع أن يوفق في اختيار ألفاظه في وصف اللامية والتي نعتها بـ: (الإنسجام التهذيب، العجيب، الحكمة) وأن يعطي للقارئ انطباعا أوليا معقولا يدفعه إلى التمسك بفكرة الإطلاع على أسرار القصيدة بكل اصرار.

فالشيخ ياسين التزم براعة الإستهلال في شرحه والتزم به. واستعمل أساليب أو خصائص أو لتقل بعضها والتي "لابد منها في كل رسالة أو كتاب من البدء (الحمد) و(البسمة) و(التشهد) و(الصلاة) وقد يطول ذلك التحميد أو يقصر بحسب المناسبة"⁽²⁾، وذكر الألقاب والنعوت كقوله: (الشيخ، سيدنا، مولانا، سيدي)، فتفوق الشارح في اللغة ساعده على تبسيط ما احتوته المنظومة من أفكار والتعامل مع خباياها بكل يسر، وقد اعتمد شرح القصيدة بيتا، بيتا، مستهلا شرح البيت الواحد منها بشرح أول كلمة فيه شرحا نحويا تارة ولغويا تارة أخرى. ففي هذا البيت مثلا:

إِنَّ أَهْنَا عَيْشَةَ قَضَيْتَهَا ذَهَبَتْ لِدَاتِهَا وَإِثْمُ حَلُّ

يقول: "إنَّ" للتوكيد؛ لأن المخاطب منكر، ونزل منزلة المنكر، و "أهنا عيشة" اسم

(1) - راجع قسم التحقيق، ص

(2) - الأدب العربي في العصر المملوكي والعصر العثماني، عمر موسى باشا، مطبعة الإنشاء، دمشق، ج1، ص506.

منصوب بفتحة مقدره مضاف إلى عيشه⁽¹⁾ . فالشرح هنا يتكئ على النحو وقواعده .

أما في البيت الموالي :

وَأَتْرَكَ الْغَادَةَ لَا تَحْفَلُ بِهَا تَمَسُّ فِي عِزِّ وَتَرْفَعُ وَتَجَلُّ

فيستهله استهلالا لغويا قائلا: "الترك معلوم و (الغادة) بالعين المعجمة : المرأة الناعمة، يقال: امرأة غادة، وغيد، أبنة الغيد..."⁽²⁾

ويطيل الشيخ ياسين النفس في الشرح والتوضيح، فيلتجئ إلى التكرار والإسهاب وربما الإطناب في كثير من الأحيان، وهو يريد من وراء ذلك -دون شك- إبراز المعنى والتأكيد عليه، ووسيلته دوما في تأصيل المعلومة الإستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف وآراء السلف من رجال البلاغة واللغة والأدب والفقهاء ممن تعرف هويتهم وأعمالهم ومن تجهل، فالمتبع للشرح يلاحظ مثلا ورود عبارات: (قال بعض الحكماء، قال العلماء، قال بعض الفضلاء، قيل، قال الشاعر، قال بعضهم، قال بعض السادة..."⁽³⁾ فكلها عبارات تدل على عدم معرفة القائل.

إن مادته دسمة، تنساب انسيابا بلا عناء ولا تعب حتى يحس القارئ عند الإطلاع على الشرح أن الشيخ ياسين يستمد مادته من منبع لا ينضب، وأنه لا يتكلف جهدا كبيرا في الإحاطة بموضوعه، وطرق جوانبه المتعددة، المختلفة بيسر واتقان. فالبيت الواحد تتزاحم عليه المعلومات والتوضيحات والإحالات بشكل غزير يؤكد ما قلناه ولاحظناه، والمثال على ذلك مايلي: قال في شرح هذا البيت مثلا:

كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمَّ فَلَّ مِنْ عَرْشِ وَأَفْتَى مِنْ دَوْلٍ⁽⁴⁾

قوله: "كتب" فعل ماضي وفاعله راجع إلى الله في البيت قبله....

قال في الصحاح: "والكتابة: الفرض والحكم والقدر..." ثم أورد بيتا من الشعر

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ

وأورد آخر لزهير بن أبي سلمى، وقول للحجاج بن يوسف، وشطر بيت لجرير وقول

(1) - راجع قسم التحقيق، ص 137.

(2) - راجع قسم التحقيق، ص 136.

(3) - هذه العبارات منتورة في الشرح هنا وهناك، راجع ص 116، 121، 127، 128، 132، 135، 141، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

(4) - راجع قسم التحقيق، ص 167.

لمحمد بن سلام الجمحي، وآيات قرآنية، وتحدث عن المساواة كلون من البديع.
ففي البيت الواحد يصول الشارح ويجول بين مختلف ألوان المعرفة ويطرق كل أبوابها.
والشرح في جملة موسوعة تنوعت مصادرها، أعطتنا فكرة واضحة لتوفيق الشارح، بلاغيا،
لغويا، أدبيا، فقها...
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: مصادره من كتب اللغة

إن مادة الشرح وثروته العلمية ارتبطت بطبيعة تحصيل الشارح ومدى استفادته من العلوم التي أخذها عن أساتذته ومدى ارتباطه بجمركة التأليف والمؤلفين على مدار عهود طويلة. وإسهامه في تنشيط الدراسات النحوية في العصر العثماني ظاهرين، حيث تكاثر الشراح وأصحاب الحواشي، فقد أشار شوقي ضيف إلى حاشية الشيخ ياسين "التصريح على التوضيح" وعدّها من أشهر الحواشي في القرن الحادي عشر الهجري⁽¹⁾.

وبذلك كانت مصادره في اللغة والنحو مصادر أصيلة، متنوعة وقيمتها العلمية معروفة، تكشف عن تبحر الشارح في ذلك الميدان وسعة إطلاعه، وتملكه لخاصية اللغة والنحو، وهي ترد مقترنة بذكر أصحابها وغير مقترنة بذكرهم تارة أخرى. وكان على رأس هذه المصادر (المعجم) التي لا يستغني عنها باحث والتي جمعت واستقصت معاني ألفاظ اللغة العربية ومادتها اللغوية بصفة جيدة. وقد اعتمد الشيخ ياسين على:

1 - القاموس المحيط للفيروز آبادي كمصدر أول في شرح مفردات المنظومة، وهو معجم لغوي، تقوم طريقته على ترتيب الألفاظ على الباب والفصل وهي نفس طريقة الصحاح لكن المؤلف وضع لنفسه قواعد معينة في ترتيب الصنيع التي تحويها كل مادة⁽²⁾، فقد قال الفيروز آبادي في خطبة الكتاب: "ألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد، مطروح الزوائد..."⁽³⁾ وتكرر ذكر القاموس المحيط في الشرح هنا هناك، وكان الشيخ ياسين يأتي بالنص المعتمد عليه في شرح الكلمة كاملاً أحياناً ومختصراً أحياناً أخرى.

يقول مثلاً في شرح البيت التالي:

كَمْ جَهُولٍ وَهُوَ مَثَرٌ مَكْثَرٌ وَعَلِيمٌ مَاتَ مِنْهَا بِالْعِلِّ

"قوله: بعلى يجوز أن تكون الفاء فيه للآلة وأن تكون لا للسببية. قال في القاموس:

والعلل: جمع علة بالكسر المرضي، يقال: عل فهو معل واعتل" وهذا المثال لللازم وأما

فهو كقولك أعله الله تعالى، فهو معل وعليل وقال صاحب القاموس: ولا يقال فيه معلول".

(1) - المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ص 361.

(2) - مصادر اللغة في المكتبة العربية، عبد اللطيف الصوفي، دار الهدى. عين مليلة. الجزائر، ص 168.

(3) - القاموس المحيط للفيروز آبادي، دار الجليل، بيروت، المقدمة.

انتهى. نلاحظ هنا أن النص فيه من الإختصار الشيء الكثير.

والشارح يستعمل لفظ "قاله في القاموس" أو "قال صاحب القاموس"

ففي شرح البيت التالي:

حُبُّكَ الأوطانَ عَجَزٌ ظَاهِرٌ فَاغْتَرَبَ تَلَقَّى عَنِ الأهلِ بَدَلٌ

يقول الشارح: "الأوطان: جمع وطن يحرك ويسكن وهو منزل الإقامة كما قاله في

القاموس⁽¹⁾ ويقول أيضا في شرح لفظ آخر في البيت الموالي:

حُدَّ بِنَضْلِ السِّيفِ وَاتْرُكْ غِمْدَهُ وَاعْتَبِرْ فَضْلَ الفَتَى دُونَ الحَلَلِ

"وقوله: بنصل السيف، النصل هو حديدة، قال في القاموس: النصل والنصلان حديدة

السهم والرمح والسيف ما لم يكن له مقبض" انتهى⁽²⁾

والمصدر الآخر الذي استعمله الشيخ ياسين في توضيح معاني مفردات القصيدة لغويا

كان:

2 - الصحاح الذي عدّ نموذجا حسنا لإزدهار حركة التأليف المعجمي خلال القرن الرابع

الهجري، ولئن كان همُّ أصحاب المعجمات قبله إحصاء مفردات اللغة وتجميعها...

فإن هم الجوهري انحصر في جمع الصحيح منها⁽³⁾ وهو ما أشار إليه في مقدمة الصحاح بقوله:

"أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها وجعل علم الدين

والدنيا منوطا بها"⁽⁴⁾.

وطريقة المعجم تقوم على ترتيب الألفاظ على أواخر الحروف، إذ جعل الباب للحرف الأخير

والفصل الأول، فسهل ذلك وسيلة البحث عن الكلمات المراد شرحها.

يقول الشيخ ياسين في شرح البيت التالي:

والهَ عَن آلهِ هُوَ أَطْرَبَتْ وَعَن الأَمْرِدِ مُرْتَجَّ الكَفَلُ

"قوله: وأله: هو فعل أمر مبني على حذف الألف المنقلبة عن الياء وهاؤه مفتوحة...

تقول: هيت عن الشيء بالكسر أهي بالفتح إذا سلوت عنه وتركت ذكره... وقوله: أطربت

(1) - التحقيق، ص 274

(2) - راجع قسم التحقيق، ص 278

(3) - مصادر اللغة في المكتبة العربية عبد اللطيف الصوري، ص 169.

(4) - الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار. دار العلم للملايين. بيروت. ج 1، ص 33.

أي: من شأنها ذلك وهو جملة من فعل وفاعل وهو ضمير راجع لآلة اللهو والتاء علامة التأنيث... و قال في الصحاح الطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور وقد طرب قال الجعدي:

طرب الواله وكالمختبل

وأراني طربا في إثرهم

وأطربه غيره وتطربه" انتهى⁽¹⁾

فالشيخ يتعرض في شرح البيت الواحد للجانب النحوي من جهة والجانب اللغوي من جهة أخرى، وتلك طريقة تقليدية بحتة تعطي الصورة جلية عن أسلوبه في الشرح وتبرز منهجه في التعامل مع النص الشعري، لأن علاقة اللغوي بالنحوي لم تنفصل أبدا في مجال الدرس والتوجيه وقضايا اللغة والنحو سارت جنبا إلى جنب⁽²⁾.

يقول أيضا في شرح البيت:

كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكُمْ فَلْ مِنْ عَرْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ

"قوله: كتب: فعل ماضي وفاعله راجع إلى الله في البيت قبله، ويحتمل الكتابة المعلومة

أي: كتب بقلم القدرة في اللوح المحفوظ، فلا يغير ولا يبدل، وهي بمعنى فرض وحكم وقدر. قال في الصحاح: والكتابة: الفرض والحكم والقدر... والموت: مفعوله وهو ضد الحياة"⁽³⁾ فيلاحظ ضمن هذا الشرح أن الشارح يستعمل كلمة "إنتهى" للدلالة على إنتهاء الكلام الذي نقله أو اقتبسه عن غيره وأن ما يأتي بعدها من كلام فهو له.

وتلك طريقة اعتمدها المؤلفون القدامى أمثال: ابن تغرى بردى في النجوم مثلا، وابن العماد، وكل من أتى بعدهم⁽⁴⁾، وهي منهج قويم، سليم وأداة موضوعية أمينة في التأليف والبحث، وهي روح اتسم بها الشيخ ياسين وتعبر عن شخصيته تعبيرا واضحا: شخصية العالم المتأدب طبعا.

(1) - قسم التحقيق، ص 149

(2) - نلاحظ مثلا في كتب التراجم أن اللغويين والنحويين يضمهم الكتاب الواحد من ذلك: طبقات النحويين واللغويين محمد الزبيدي وإنباه الرواة على إنباه النحاة لعلي القفطي وبغية الرواة للسيوطي.

(3) - قسم التحقيق، ص 167

(4) - مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، تأليف: فرانتز روزنتال. ترجمة أنيس فرنجة. مراجعة: وليد عرفات، دار الثقافة - بيروت،

3- وكان لكتاب فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي الحضوة الكبرى في شرحه فقد بثت فقراته هنا وهناك في ثنايا الشرح وجاءت قارة في أماكنها تخدم الفكرة التي يريدتها الشارح خدمة جليلة.

وفقه اللغة من أشهر معجمات المعاني يمتاز بحسن الترتيب وجمال التبويب فقد وزعت مادته على ثلاثين بابا كبيرا... يمتاز بكونه يوجه العناية للألفاظ المفردة دون التراكيب وهو في ثوبه الخاص ذلك يكشف عن غنى اللغة العربية في الألفاظ خاصة وإتساعها وشموها لأدق الفروق بين المترادفات⁽¹⁾.

فالشيخ ياسين عند حديثه عن صفات المرأة من حين نشوئها إلى آخر عمرها ؛ وهو يشرح البيت الذي يقول فيه ابن الوردي:

وَاتْرِكِ الْعَادَةَ لَا تَحْفَلِ بِهَا تَمْسِي فِي عِزٍّ وَتُرْفَعُ وَتُجَلُّ

يورد قول أبي منصور الثعالبي كاملا ، كما ورد في أصل الكتاب، فصل بتمامه في ترتيب أسنان المرأة⁽²⁾.

4- كما استشهد بكلامه عند التطرق لأشعار المولدين من كتابه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وهو أكبر كتب الثعالبي وأحسنها وأجمعها، وضع على أربعة أقسام يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول⁽³⁾.

قال الشارح: "... والتعبير بمثل هذا سلكه كثير من المولدين فإن شعرهم كما قال صاحب يتيمة الدهر: أبداع من أشعار المحدثين والصناعات الشعرية موجودة في كلامهم أكثر من كلام غيرهم..."⁽⁴⁾.

ورجع إليه أيضا عند تطرقه للشعر قال الشيخ: "... قال صاحب يتيمة الدهر وهو الإمام الثعالبي: لما كان الشعر عمدة الأدب وعلم العرب الذي اختصت به... إلخ" جاء بالنص

(1) مصادر اللغة العربية، ص 259.

(2) قسم التحقيق، ص 138.

(3) يتيمة الدهر للثعالبي، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، المقدمة، ص 5.

(4) قسم التحقيق، ص 20.

كاملا من المورد الأصل⁽¹⁾ وهو اليتيمة طبعا.

5- وأدى كتاب المزهر للسيوطي دوره في هذا الشرح، وبرزت أهميته في الإفصاح عن مسائل اللغة واختلافاتها، وساهم مساهمة فعالة في إثراء الشرح من الناحية اللغوية البحتة، والكشف عن دقائقها وأسرارها. والمزهر من خير الكتب التي ألفها السيوطي، والرجوع إليه ضرورة للباحث اللغوي وقد جعله صاحبه في خمسين نوعا.

والشيخ ياسين يتكئ عليه لتوضيح بعض المسائل اللغوية يقول مثلا:

"دع: بدل أمر بمعنى أترك، وهو من ودع يدع، وأصله، يودع بكسر الدال ثم فتحت طلبا للخفة في الاستعمال، وعد، يعد، ووقعت الواو بين الفتحة والكسرة فحذفت، إلا أن ودع مهجور الاستعمال، قال في المزهر: دع بفتح بصيغة الماضي لأنه لا يستعمل ودع إلا فيها ويحسن فعل أمر أو فعلا مضارعا"⁽²⁾ انتهى.

6- وكان مغني اللبيب عن كتب الأعراب في النحو للشيخ ابن هشام النحوي مصدرا من مصادر الشيخ ياسين في هذا الشرح وعند تعرضه للمسائل النحوية في بعض المواضع فهو مثلا في حكم "إذا" التي جاءت في بيت ابن الوردي:

جَانِبِ السُّلْطَانِ وَاحْتِيزَ بَطْشَهُ لَا تَخَاصِمُ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلَّ

يقول الشيخ: "إذا: ظرف للزمان المستقبل، وهي من الشروط العشر الجازمة وفعل الشرط: قال وفعل الجواب" فعل... قال في المغني: إذا هذه تخرج عن الاستقبال وتجي للماضي كما جاءت إذ للمستقبل في قول بعضهم "ويستطرد الشارح بقوله: "ومثل بأمثلة قرآنية عربية ثم ذكر أنها تخرج عن الشرطية فلا تكون شرطا، ومثل لها يقوله تعالى" (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)... " وهو يتحدث هنا دائما عن ابن هشام في مغنيه⁽³⁾.

ويذكر ابن هشام أكثر من مرة من طرف الشارح لتوضيح بعض القضايا النحوية.

الواردة في الشرح، والتي كان لهذا اللغوي رأي فيها يقول مثلا في شرح البيت التالي:

لَيْسَ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ عَزْمِهِ لَا وَلَا مَا فَاتِ يَوْمًا بِالْكَسَلِ

(1) - قسم التحقيق، ص 208

(2) - التحقيق، ص 128

3 - التحقيق، ص 257

وبالتحديد في معرفة وضعية اللفظ "يوما" لغويا ونحويا يقول:

"ثم قال: لا ولا ما فاته يوما أي وقتا من الأوقات إذ اليوم يطلق على المقدار من الزمن كما في اللغة وذكره ابن هشام في شرح بانت سعاد عند قوله: (فقلبي اليوم منبول) بسبب الكسل عن طلبه"⁽¹⁾.

ويذكره مرة أخرى بقوله: "ويجوز أن يكون ليس مجرد النفي فتكون بمنزلة حرف النفي والتقدير على الأول ليس الشأن، والقصة خلو المرء من ضد وهو ذهب ضعيف أورده ابن هشام وغيره"⁽²⁾.

ومن منهج الشيخ أن طريقة الاستطراد لازمتها في كل مراحل الشرح وفي كل ميادينها وهي طريقة قديمة - كما علم - في التأليف وهي نتيجة لكثرة المحفوظ ووفرة الإطلاع لتستدعي الفكرة أختها في غير تعمل أو تكلف. لذا نجد لا يكتفي بأمهات المصادر للتحليل النحوي بل يلتجئ إلى آراء المختصين من أهل اللغة كالكسائي والفراء واليزيدي والسيوطي يقول في ذلك في شرح البيت التالي:

أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا هَلْكَ الْكُلِّ فَلَمْ تَغْنِ الْقُلُوبُ

"قال الفراء: يقال هذا سيد قومه"...، والمشيد بالتشديد المطول، ويقال الكسائي: المشيد بفتح الميم والتخفيف للواحد من قوله تعالى: "(وقصر مشيد)..."⁽³⁾.

(1) - التحقيق، ص 211.

(2) - التحقيق، ص 249.

(3) - التحقيق ص 181.

المبحث الرابع: عنايته بقضايا البلاغة

استعان الشيخ ياسين في شرح أبيات منظومة ابن الوردي وتبيان صورها الجمالية وتقريب معانيها للقارئ بالبلاغة. هذا العلم المختص في استنباط وجوه الأداء اللغوي وطرقه، وأساليب التعبير الفني ومعايره، وقوة العبارة ومواطنها؛ فالبلاغة.. " تأدية المعنى الجليل، واضحا، بعبارة صحيحة، فصيحة لها في النفس أثر خلاب... فهي قبل كل شيء ليست سوى فن من الفنون التي تعتمد على صفاء الاستعداد الفطري، ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب"⁽¹⁾.

ف عناصر البلاغة، إذن، لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقفه وموضوعاته. "وقد كانت البلاغة في نشأتها وتطورها نقدا، والنقد بلاغة في اعتماده على معالم الحسن وجهات الإصابة التي تمثلت في أذهان النقاد بإحساسهم الفني وذوقهم الأدبي"⁽²⁾.

والشارح في عرضه وتعرضه لهذه القضايا - نعي القضايا البلاغية طبعاً - بدأ مستوعبا لهذا الفن، مطلعاً على خباياه وأسراره ودقائقه؛ فقد رصد الاستعارات والمجازات والتشابه، ووضع يده على جل الصور البديعية والبيانية، معرفاً بكل لون تعريفاً واضحاً كافياً. إن البيت الواحد من القصيدة يشتمل أحيانا كثيرة على أكثر من جانب بلاغي وبياني وبيديعي، وأخذ الشيخ ياسين مهمة وضع اليد على هذه الجوانب المتداخلة الدقيقة، مقدماً إياها بشكل بسيط، يقول مثلاً في شرح هذا البيت:

اعْتَزَلَ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْعَزَلِ وَقَلِ الْفَصْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ

"نهاه عن صحبة أهل الهزل ومجالستهم، ففي النهي مبالغة، لأن نهيه عن مجالستهم يفيد أن تعاطي ذلك من باب أولى بالكلام، فيه كفاية ومبالغة، والكناية مجاز، والمجاز أبلغ من الحقيقة". ويستطرد قائلاً:

"وقد اشتمل بيت القصيد على براعة المطلع وحسن الإبتداء؛ لأنه سهل اللفظ، حسن السبك،

(1) - الأسس النفسية لأساليب البلاغة، مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ص 251.

(2) - الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن الهمداني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 185.

واضح المعنى، خال من الحشو، متناسب الشطرين.

واشتمل أيضا على براعة الاستهلال... وفي البيت من أنواع البديع: التلميح، وفيه الجناس المضارع في الغزل والهزل... وفيه الطباق بين قوله: اعتزل وقل الفصل... ويجوز أن يكون فيه السلب والإيجاب^(٤).

إن الشيخ - على ذلك - كان بلاغيا، متمكنا، يملك أدوات البلاغي من (تعليل وشرح وربط) وساعده ذلك على توظيف البيان القرآني كصور إبداعية معجزة لتقريب الصورة الشعرية من جهة والمصطلح البلاغي من جهة أخرى؛ حيث إن "البلاغي عندما يعرض لتوجيه مذهب من مذاهب الأدباء أو الشعراء أو النقاد أو تفسير بلاغي، ينبغي أن يحوز أداة واضحة من الثقافة والأسلوب والترتيب والمنطق، وأن يعرف طرق الحجاج والإستدلال حتى يؤخذ عنه، ويقبل دليله ويحترم رأيه"^(٥) والشيخ ياسين كان ذلك البلاغي... فهذا هو ذا يقول في ذلك:

"وفيه الجناس المضارع في الغزل والهزل... والألف واللام لا يخرجان الجناس عن حقيقته كما صرح به أهل البديع في قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)"^(٦)(٧). ويتناثر هذا النوع هنا وهناك في ثنايا الشرح، فنجد مثلا في موضع آخر وعند ما يشرح البيت التالي:

وَدَعِ الدِّكْرَى لَأَيَّامِ الصِّبَا فَلِأَيَّامِ الصِّبَا نَجْمٌ أَفَلَّ

نجده يستعين، مرة أخرى، بالآية القرآنية كدليل على حجته في عرض القضية البلاغية. يقول: "وفي البيت من أنواع البديع: التزديد، وهو أن يعلق الناظم أو الناثر لفظة في بيت واحد أو سجعه ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر. ومنه قوله تعالى:

(٤) - راجع قسم التحقيق ص 127

(٥) - البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان، ص 50.

(٦) - سورة الروم، الآية 55.

(٧) - راجع قسم التحقيق ص 127

(لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)⁽¹⁾. ومنه المساواة.

قال الشافعي: مساواة اللفظ للمعنى هو الأمر المتوسط بين الإيجاز والإسهاب كقوله تعالى :
" وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ⁽²⁾ ... " ⁽³⁾.

وفي هذا البيت :

إِنْ تَبَدَّى تَنَكَّسِفُ شَمْسُ الضُّحَى أَوْ تَثْنِي فَهُوَ يُزْرِي بِالْأَسْلِ.

يقول الشارح : " ... وفي البيت هو أنواع البديع : المبالغة والإغراق والغلو وهو في الشطر الأول ... ويجوز أن يكون في البيت أيضا الإحصاء وهو أن يسوس الكلام على وجه يدل على بناء ما بعده كما في قوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)⁽⁴⁾ فإذا وقف القارئ على قوله: (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ)⁽⁴⁾ علم السامع أن ما بعده (لَبِيتُ الْعَنكَبُوتِ)⁽⁴⁾، ومثله في البيت، فإن القارئ إذا قرأ "أو تثني" علم السامع أن ما بعده فهو يزري بالأسل"⁽⁵⁾.

ويتناول الشيخ ياسين آراء البلاغيين باهتمام بالغ، ويعرض لآرائهم في شرحه بكل أمانة فيجهر بأسمائهم تارة ويضمرها تارة أخرى، مكثفيا بالإشارة فقط كقوله مثلا: (قال علماء البديع، في البيت من أنواع البديع...). وعند كلامه عن الاستعارة التي ضمها البيت التالي:

وَدَعَ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصِّبَا فَلأَيَّامِ الصِّبَا نَجْمَ أَفْلٍ

يقول موضحا: "في بيت القصيد فلأيام الصبا وفيه الاستعارة، وهي كما قال الفخر الرازي هي: "جعلك الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه"⁽⁶⁾.

وعند تحديد المساواة كلون بلاغي يورد تعريف قدامة بن جعفر؛ حيث يذكر ذلك قائلا: "وعرفها قدامة بأن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عنه ولا ينقص"⁽⁴⁾.

(1) سورة الحشر، الآية 20.

(2) سورة الإسراء، الآية 33.

(3) راجع قسم التحقيق، ص 134.

(4) سورة العنكبوت، الآية 41.

(5) راجع قسم التحقيق، ص 147.

(6) راجع قسم التحقيق، ص 133.

7 التحقيق ص 134.

وفي البيت الموالي:

إن أهنأ عيشة قضيتها ذهبت لذاتها والإثم حل

يقول الشارح: "وفي البيت من أنواع البديع الجمع والتفريق فالجمع في الشطر الأول والتفريق في الثاني وفيه الطباق بين ذهبت وحل.... ومنه السهولة وهي كما قال التيفاشي: أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة تتميز عن سواها... وهي مما يدل على رقة الحاشية وسلامة الطبع وحسن الروية"⁽¹⁾

ويكتفي الشيخ ياسين عند تعرضه للنواحي البلاغية في شرح أبيات المنظومة بالإتيان بالتعريف للمصطلح البلاغي الموظف في البيت كوسيلة لتقريب الصورة البيانية للقارئ وتوصيل الفكرة المراد توصيلها خاصة والشاعر في موقف الناصح. كما ورد في مصادره البلاغية الأصلية، ونستطيع بالمقارنة أن نكتشف مدى مطابقة التعريف الوارد في الشرح بالموجود في الأصول. وهو مثلا عند حديثه عن التزديد⁽²⁾ مثلا أو الإيغال⁽³⁾ أو التمكين⁽⁴⁾، يعتمد على كتاب العمدة لابن رشيق، وخزانة الأدب لابن حجة الجسوي، والتلخيص في علوم البلاغة للقزويني، ويستند على التبيان للطبري⁽⁵⁾ أيضا عند تطرقه للاستعارة، وكتاب الصناعتين للعسكري⁽⁶⁾.

ونجده في فترات كثيرة يأتي باللون البلاغي معرفاً به تعريفاً واضحاً مسنداً كل ذلك إلى أهل البديع. يقول في توضيح معنى البيت التالي:

لَا تَخْضُ فِي سَبِّ سَادَاتٍ مَضَوْا إِنَّهُمْ لَيَسْتَوُوا بِأَهْلِ النَّزْلِ

قال الشيخ ياسين: "وفي البيت من أنواع البديع حسن التعليل وهو كما قال أهل

(1) راجع فنسم التحفيظ ص 135

(2) راجع قسم التحقيق، ص 135

(3) راجع قسم التحقيق، ص 139

(4) راجع قسم التحقيق، ص 139

(5) راجع قسم التحقيق، ص 233

(6) راجع قسم التحقيق، ص 161

البديع: هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل وقوعه أو بعد ذكره....⁽¹⁾.

وتطرق أيضا إلى البديعيات وأخذ منها شواهد، كبديعية صفي الدين الحلبي⁽²⁾ وبديعية الرازي⁽³⁾. كما أنه يحدد مواطن الوجوه البلاغية في البيت ذاكرة الكلمات بالتحديد، فهو يقول مثلا: "وفي البيت من أنواع البديع الطباق بين عليم وجهول وبين شجاع وجبان وبين قوله: لم ينل فيها وبين قوله: نال غايات المنى وفي مثر ومكثر الجناس اللاحق، وفيه أيضا تجنيس التطابق في عليم وعلل... وفيها مجاز في لفظ مات..."⁽⁴⁾.

وكل هذا وارد في البيت الذي يقول فيه ابن الوردي:

كَمْ شُجَاعٌ لَمْ يَنْلِ مِنْهَا الْمُنَى وَجَبَانَ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

فالشيخ ياسين تعرض لكم هائل من علوم البلاغة معانيها وبيانها وبديعها، فقد تكلم عن التشبيه والاستعارة والطباق والجناس والترديد والمجاز والحقيقة وحسن التعليل والابتداء والإيغال والمبالغة والتمكين ومراعاة النظر والاشتقاق والتذييل والتغاير والمساواة والجمع والتفريق والتكميل والاعراق والغلو والإرصاد والمتضاد والانسجام والسلب والإيجاب.

وتلك قدرة بالغة بلغ بها القصد المراد من الشرح، خاصة من هذا الجانب المهم في الأدب والتأليف؛ لأن قيمة الكلمة وأثرها والاهتمام بها من السبل المعروفة الموصلة إلى الأصول الفنية للفن القولي، والحرص على إشاعته والتمرس به ليترتب الذوق العالي لدى القارئ والسامع والمتكلم⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ راجع قسم التحقيق، ص 244.

⁽²⁾ بديعية صفي الدين الحلبي: قصيدة في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم على غرار بردة البوصيري المشهورة مطلعها:

إِنْ جَنَّتْ سَلْمًا فَسَلِّ عَنْ خَيْرَةِ الْحَكَمِ وَأَقْرَبِ السَّلَامِ عَلَى غَرْبِ بَدِي مَلَمِ

وقد امتدت إلى مائة وخمسة وأربعين بيتا من بحر البسيط، وضمن كل بيت فيها محسنا من محسنات البديع، وسمّاها "الكافية البديعية في المدائح النبوية". راجع البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص 360. و ص 361 من قسم التحقيق.

⁽³⁾ راجع قسم التحقيق، ص

⁽⁴⁾ راجع قسم التحقيق، ص 226.

⁽⁵⁾ دراسات في البلاغة، محمد بركات أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ص 33.

والفن البياني بذلك، والمتمثل هنا في هذه المنظومة، قد تحدث عن نفسية صاحبه أي الشاعر ابن الوردي حديثا فيه من الجانب النفسي والوجداني والاجتماعي والإنساني الشيء الكثير، والشارح في مسيرته عبر هذه الأفكار والأبيات الشعرية قد أعطانا رؤى جميلة لكل تلك الجوانب، مستعينا بالبلاغة.

وقد اشترط أبو هلال العسكري لتمام آلة البلاغة "التوسع في معرفة العربية ووجوه الاستعمال لها، والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها ومتخيرها وردينها ... والبليغ على ضوء ذلك: هو من طبق المفصل فأغناك عن المفسر... ولذلك جعلوا من أسس البلاغة في الكلام ألا تتقطع أجزاءه وأن تتصل فصواه حتى لا يذهب رونقه..."⁽⁵⁾.

وحياة البلاغة ترتبط بالأدب: شعره ونثره، وهي تبحث في أساليب العمل الأدبي، وتنظر إليه نظرة خاصة، ودورها لا يقتصر على حصر الصور الجمالية في البيت الشعري مثلا أو المقطوعة النثرية فحسب، بل عليها التعمق في هذه الصور والتفاعل معها. وبذلك نعرف إلى أي مدى يحسن بدارس البلاغة والمشتغل بها أن ينمو مع تدرج الزمان والمكان: فكرا وعاطفة ومزاجا، وأن يسلك مسالك المعرفة ويلم بأطرافها حتى تستقيم نظراته البلاغية"⁽⁶⁾.

والشيخ ياسين في شرحه للمنظومة وتعرضه للجانب البلاغي فيها تشيع بنظرة البلاغي القديم الذي كان يعتقد اعتقادا راسخا في "أن البلاغة إنما سُميت بلاغة لإبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع"⁽⁷⁾.

كما اهتم الشارح بقيمة اللفظ في البيت الواحد من النصيحة، فشرحه لغويا وحدد موقعه من الجملة نحويا وبين جانبه الجمالي بلاغيا، مؤكدا على فكرة الاهتمام باللفظ كظاهرة اهتم بها اللغوي، البلاغي منذ القديم، معالجا في كل ظاهرة وربط إيقاع اللفظة من حيث مادة حروفها وبين دلالتها المعنوية.

ونجد أن الإحساس بالدلالة الإيحائية للجرس اللفظي مربوط بشخص حية ما دامت الألفاظ تجري من السمع مجرى الصور من البصر"⁽⁸⁾، يقول ابن الأثير: "فالألفاظ الجزلة تتخيل

⁽⁵⁾ الصناعتين؛ للعسكري، تحقيق علي محمد الجاوي وأبو الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي، القاهرة، ط2، ص28، 20.

⁽⁶⁾ البلاغة: عرض وتوجيه وتفسير محمد بركات حمدي أبو علي، ص31.

⁽⁷⁾ المرجع السابق، ص33.

⁽⁸⁾ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص55.

في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج... وعلى هذا الأساس شبهوا ألفاظ أبي تمام بالفرسان المقاتلين وألفاظ البحري بالغيث الحسان"⁽⁴⁾.

يقول الشيخ ياسين في شرح البيت التالي على ذلك المنوال:

إِنَّ لِلنَّقْصِ وَالِاسْتِقْصَالِ فِي لَفْظَةِ الْقَاضِي لَوْعْظًا وَمَثَلٌ

"قوله: إن للنقص هي أن الناسخة للمبتدأ والخبر... والنقص: الخسران في الحظ وغيره... وقد أشار إليها الشيخ في قوله: إن للنقص والاستتقال في لفظة القاضي حكمة بديعة، غريبة لم يطلع عليها النحاة وقت تكلمهم على إعراب الكلمة... وهو اتفاق وقع للشيخ أنه عثر عليه بفكره ونظره، ذكره لولده لينفر طبعه عن القضاء ويخوفه منه إذ هو مهلكة، وفي البيت من أنواع البديع: الاتفاق وهو عزيز الوقوع جدا كما قال علماء البديع..."⁽²⁾

كما كان للبلاغة قيمة نفسية واجتماعية وحضارية وهي تحمل في طياتها رسالة اجتماعية إنسانية. لأنها ليست بأي شكل من الأشكال مجرد مصطلحات لا روح فيها، لكنها أداة رائعة فيها من الفن والعلم ما يجعلها ترتبط بالإثارة النفسية وتنبه النفس إلى ما فيه صلاحها، وابن الوردي في نصيحته استخدم هذه الصور لتبليغ نصائحه لولده والقارئ، والشيخ ياسين ساعد في توضيحها والإبانة عنها عن علم ودراية؛ فدعوة ابن الوردي ولده للتقوى مثلا يصورها من خلال تشكيلات بلاغية من قسم البديع؛ كالترديد والإكتفاء والتقدير، يقول:

وَاتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهُ مَا جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلْ

و نلاحظه يتلون في تشكيله البلاغي أيضا في قوله:

لَا تَقُلْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ

⁽⁴⁾ المثل السائر لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طيانة، دار النهضة مصر، القاهرة، ج1، ص252.
⁽²⁾ التحقيق 263

في ازدياد العلم أرغام العدا وجمال العلم إصلاح العمل

بين العلم والعمل وبين السير والوصول إلى الهدف مستعينا بالسلاسة وتمكين القافية والجناس المقلوب والتزديد وكلها أشكال يعرضها الشارح بترتيب موفق، فالتشكيل البلاغي إذا من معانيه أن يقرب إلى الفهم قضايا وحاجات معينة لا يمكن بلوغها بغير هذا السبيل.

وتخدم البلاغة المجتمع خدمة جليلة "والبلاغة وعلم الاجتماع بينهما بلوغ معنوي"^(٤).

وما دام الأديب كأننا اجتماعيا لا يستطيع أن ينفرد ولا أن يستقل بحياته الادبية ولا يستقيم له الأمر إلا إذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس فكان صدى حياتهم وكانوا صدى لإنتاجه، كانت صورته المؤثرة ولونه البلاغي ظاهرة اجتماعية لا مكن أن تكون إلا في الجماعة التي تسمح الأثر أو تقرؤه فتأثر به^(٥)، والنصيحة بما قدمته من نصائح تخدم الفرد والمجتمع خدمة جليلة لأنها تسعى في إرساء قيم أخلاقية مهمة.

القادر للعلوم الإسلامية

(٤) البلاغة عرض وتفسير، ص 158.

(٥) المرجع السابق، ص 158.

البحث الخامس: شواهد من القرآن الكريم

كان القرآن الكريم المصدر الأول للشيخ ياسين في هذا الشرح، شأنه في ذلك شأن كل العلماء المسلمين، فهو أساس ما عرف المسلمون من المذاهب التشريعية، والعلمية، والفلسفية وهو المرجع الأساسي في الشواهد اللغوية والنحوية والبلاغية، "ومن يراجع أحوال العرب والمسلمين في حياتهم العلمية والأدبية يراهم يدورون حول القرآن في أكثر الشؤون، فعلوم الفقه والتوحيد والصرف والنحو والمعاني والبيان والبدیع، يراد بها جميعاً فهم ما يشتمل عليه هذا القرآن من أغراض علمية وأدبية"⁽¹⁾.

وكان الاستشهاد ببيانه وأسلوبه ومنهجه وبلاغته من القضايا التي برزت في معظم ما ألف من كتب، خاصة في مجال اللغة والبلاغة والتفسير والفقه. وأصبح هذا السبيل منهجاً مرتضى لأغلب الباحثين والشرح.

فآيات القرآن الكريم شواهد لغوية ونحوية وبلاغية مؤكدة النسبة. من أجل ذلك نجد الشيخ ياسين يحتج للقاعدة البلاغية بما ورد في القرآن الكريم يوضح في شرحه للبيت التالي:

إِعْتَزَلْ ذِكْرِي الْأَغَانِي وَالْعَزْلُ وَقَلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
بقوله:

"فيه الجناس المضارع في العزل والهزل، لأن العين والهاء من حروف الخلق فالمخرج واحد والألف واللام لا يخرجان الجناس عن حقيقته كما صرح به أهل البديع في قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَنقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)"⁽²⁾.

وكان من منهج الشارح أيضاً أنه إذا تعرض لمعنى من معاني البيت وعرض ألفاظه بالشرح اللغوي، إستعان بالمعاني التي وردت في القرآن كشواهد لما يقول من جهة ولتوضيح دلالة اللفظة من جهة أخرى. يقول في شرح البيت:

وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
فَلِأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفْلٌ

(1) خصائص الأدب العربي: أنور الجندي، ص 140.

(2) سورة البراءة: الآية: 55

(3) التحقيق: ص 127

"الذكرى مفعول دع وهو اسم مصدر كالذكر، وكلاهما يطلق على القول، وهما بمعنى نقول: ذكرته ذكرى غير مجرأة. قال بعض العلماء: وللذكرى معان وردت في القرآن فقوله تعالى: (وَذَكَّرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ)⁽¹⁾ اسم للتذكير (وَذَكَّرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)⁽²⁾ أي عبرة رأتى لهم الذكرى)⁽³⁾ أي من أين لهم التوبة (ذِكْرَى الدَّارِ)⁽⁴⁾ أي يذكروا الدار الآخرة ويزهدون في الدنيا (فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ)⁽⁵⁾ وقوله: لأيام الصبا: اللام للتوقيت كالتي جاءت في قوله تعالى (لَا يَجْلِيهَا لَوْقَتِهَا إِلَّا هُوَ)⁽⁶⁾ ، وقوله تعالى: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ)⁽⁷⁾.

والشيخ ياسين في شرحه لأبيات المنظومة يستشهد بآيات من القرآن الكريم على معاني الأبيات المشروحة حيث يلتقي المعنيان، يقول في شرح البيت التالي:

حَارَتِ الْأَفْكَارُ فِي قُدْرَةٍ مِّنْ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا عَزَّ وَجَلَّ

"فقد حارت الأفكار والعقول والألباب في خلق السموات والأرض وما فيهما في عوالم البر والبحر، وإذا تأمل العاقل الكامل العقل في ذلك تحير عقله ودهش له قال الله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)⁽⁸⁾ ، وعندما يتعلق الأمر بالنحو فالشيخ يستعين أيضا بالقرآن الكريم وآياته لتوضيح ما يريد قوله، نجده مثلا في تقريب معنى (إنما) كأداة حصر الواردة في بيت ابن الوردي:

لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ الْبَطْلُ

(1) سورة الأعراف، الآية: 1.

(2) سورة ص، الآية: 43، سورة الزمر، الآية: 61، سورة غافر، الآية: 54.

(3) سورة الدخان، الآية: 12.

(4) سورة ص، الآية: 45.

(5) سورة محمد، الآية: 19.

(6) سورة الأعراف، الآية: 187.

(7) سورة الإسراء، الآية: 78.

(8) سورة آل عمران، الآية: 190/191.

يقول: "إنما أداة حصر وهي هنا لقصر الصفة على الموصوف تكون لتقوية الحكم الذي في حيزها اتفاقاً... إن الحصر وإما حقيقي نحو: إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَإِنَّمَا إِلَهُ اللَّهِ إِلَهٌُ وَاحِدٌ⁽¹⁾ لأن صفاته تعالى لا تنحصر في ذلك وإنما قصد به الرد على منكري التوحيد"⁽²⁾.

ويلتجئ الشارح في التعريف بهوية بعض أسماء الأعلام إلى آيات القرآن الكريم وإلى المفسرين الذين قاموا بتفسير القرآن الكريم. يقول في ذلك: "حكى القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ)⁽³⁾ فقيل إنه اسم ذلك الملك بعينه... وكل عات فرعون". ويحدثنا الشيخ عن آية أخرى كشاهد على ما يقدمه من تفسير للفظه وردت في بيت من أبيات المنظومة يقول: "الخوض مأخوذ من خاض الماء يخوضه دخله والمراد النهي عن الدخول في الحديث الباطل.. قال الله تعالى حكاية عن أهل النار (وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَائِضِينَ)⁽⁴⁾ قال المفسر أي في الباطل وقال تعالى: (وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا)⁽⁵⁾ أي: كنخوضهم"⁽⁶⁾ والبيت هو

لا تخض في سب سادات حصوا
إنهم ليسوا بأهل للزلل

ويتعرض الشيخ لمسألة خاصة تتعلق بالفقه يتناولها مستشهداً بآيات الكلمات الحكيم وهو يسهب في التحدث عنها أثناء شرحه للبيت القائل:

عَيْشَةُ الرَّاعِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
عَيْشَةُ الْجَاهِلِ هَذَا أَقْسَلُ

يقول: "قال بعض العلماء أبواب الرزق ثلاثة ولا تزيد على ذلك، الأول: التقوى، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)⁽⁷⁾ ، الثاني: التوكل على الله تعالى وهو في قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)⁽⁸⁾ أي كافية، فيكفيه الرزق وغيره، والثالث: السعي وهو في قوله تعالى: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ)⁽⁹⁾".⁽¹⁰⁾

ويكفي أن يتوجه المستمع إلى فهرس الآيات ليرى كثرتها وشيوعها واعتماد الشارح عليها، وما أوردناه قليل من كثير أردنا أن نتبين به طريقة الشيخ في هذا الشأن.

(1) النساء، الآية: 170

(2) التحقيق: ص 48

(3) سورة البقرة، الآية: 48.

(4) سورة الدثر، الآية: 45.

(5) التوبة، الآية: 69.

(6) التحقيق: ص 2.

(7) سورة الطلاق، الآية: 2.

(8) سورة الطلاق، الآية: 3.

(9) سورة الملك، الآية: 15.

(10) التحقيق: ص 22.

المبحث السادس: شواهد من الحديث النبوي الشريف

ومن منهج الشارح أنه في شرحه للمنظومة يستشهد على معاني الأبيات المشروحة وعلى ما يعرضه من إشارات وتحاليل وإضافات بالحديث النبوي الشريف هذا المصدر المهم عند المؤلفين التقليديين من أمثال الشيخ، فالحديث النبوي الشريف يضيء على الشرح مسحة من الأصالة والصدق وتوظيفه بشكل جيد يعطي الصورة المثلى لشخصيته الشارح وحسن ثقافته وإبداعه في التأليف.

وقد اعتنى العلماء منذ القديم ببلاغة الحديث، بل راع الصحابة منهم بيانه حتى كانوا يناشدونه بينهم، وحاول علماء اللغة والبدیع أن يجدوا المثال أو الشاهد للنوع البديعي أو القاعدة اللغوية وكثيرا ما كانوا يجدونه⁽¹⁾.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يرسل الحديث فطرة وإلهاما، وكلامه نزيه عن التكلف يرسله في القليل من الحروف والكثير من المعاني ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهبا... ولا أبين على فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

ونلتقي بالشيخ ياسين وهو يسهب في التحدث عن الخلق والأخلاق وأهميتها للإنسان مستشهدا بالحديث النبوي الشريف يقول في ذلك: "فالإنسان يأنسه وإنسانيته بعلو الرتب وبشيمته الظاهرة وبحسن خلقه ينال أعظم القرب: قال صلى الله عليه وسلم: (بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)⁽³⁾، وهي ما أوصاه به ربه عز وجل"⁽⁴⁾.

وفي شرح البيت الذي يقول فيه ابن الوردي:

اعْتَرَلْ ذِكْرِي الْأَغَانِي وَالْغَزَلْ وَقَلِ الْفَصْلَ وَجَانِبَ مِنْ هَزَلْ

يتمسك الشارح برأي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في قضية الاهتمام بالكلام ونوعيته ومصداقيته يقول: "اجعل كلامك كله حقا ولا تمزجه بباطل لأن الإنسان مطالب بكل

(1) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، دار اقرأ، بيروت، ص 60.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرفاعي، دار المعارف، القاهرة، ص 166.

(3) موطأ الإمام مالك، باب ما جاء في حسن الخلق، ص 651.

(4) التحقيق، ص 118.

أقواله وأفعاله، وإنما نص على ذلك لأن الإنسان قد لا يعتمد الكلام ولا يلتفت فيكون سببا لوقوعه في جهنم كما قال عليه الصلاة والسلام: (وَهَلْ يُكَبِّ النَّاسُ فِي جَهَنَّمَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدَ السِّنْتِهِمْ) (1) ... (2).

ويعمضي في تبيان فضل مصاحبة الكرام وضرورة اختيار الصحبة: لأنها تؤثر على أخلاق الإنسان وطبعه يقول: "ومجانبة الأشرار مطلوبة بكل اعتبار كما أن مصاحبة الأخيار مطلوبة بكل اعتبار، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم: (يُحْشَرُ الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) (3) ... (4)

ويُفَرِّعُ الشيخ ياسين في تأويل كسوف الشمس إلى الحديث النبوي الشريف ليؤكد حقيقة هذه الآية الربانية، بعد أن استعرض الآراء العلمية، وهذا جانب إيجابي، مبدع في منهج الشيخ، يقول: "وكانوا في الجاهلية أيضا يقولون أن كسوف الشمس وخسوف القمر لا يكونان أو أحدهما إلا لحياة عظيم أو موته فرد عليهم اعتقادهم ذلك الشارع بقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ) (5) ... (6)

نلاحظ أن الشارح في شرحه يهتم كثيرا بالجانب الشرعي فيها، ويبدو أن هذا الإهتمام نابع من أصول ثقافته المتشعبة بالعلوم الشرعية تشبعا كبيرا، وهو في البيت الواحد لا يكتفي بشاهد من القرآن الكريم، بل يدعمه بالحديث النبوي الشريف، وأحيانا كثيرة أخرى بآراء المفسرين. نجد في البيت التالي:

وَاهْجُرِ الْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى لَيْسَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ

يقول في شأن الخمرة ما يلي: "والخمرة تذكُرُ وتؤنثُ، وهي المتخذة من ماء العنب خاصة، وسميت خمرا لتخمُرَها عقل شاربها أي: تغطيه، لأن التخمير: التغطية.. قال صلى الله

(1) - أخرجه الترمذي في السنن كتاب الإيمان، ج 4، ص 125. وابن ماجه في السنن كتاب الفتن كف اللسان عن الفتنة، ج 2، ص 1312.

(2) - التحقيق، ص 123.

(3) - سنن الترمذي كتاب الزهد، ج 2، ص 280 وسنن أبو داود كتاب الأدب، ج 4، ص 259.

(4) - التحقيق: ص 124. صحيح مسلم، كتاب الكسوف، ج 2، ص 618. صحيح البخاري، كتاب الكسوف، ج 2، ص 87.

(5) - التحقيق: ص 145.

عليه وسلم: (كُلُّ مَسْكِرٍ هَمْرٌ وَكُلُّ هَمْرٍ حَرَامٌ)^(١).

ويضيف: "وذم الخمرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ما لا يخفى وفي الحديث:

(الْحَمْرُ أُمَّ الْحَبَائِثِ فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا)^(٢)..^(٣)

وهذا الاحتفال بالحديث الشريف كان دليلاً للشيخ فيما يعرض له من مسائل بلاغية

أيضاً وبجته عن الشاهد في الحديث ليهتدي باستعمالاته الفصيحة، البليغة، يبدو واضحاً يقول

في ذلك: "وفي البيت من أنواع البديع المذهب الكلامي وهو الإتيان بحجة قاطعة عقلية لا صحة

دعوى نفسه وإبطال دعوى خصمه... ومنه في السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم: (لَوْ

تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً)^(٤) وتام الدليل أن يقال: لكنكم ضحكتم كثيراً

وبكيتم قليلاً فلم تعلموا ما أعلم وتام الدليل في البيت واضح^(٥)

كما يعتمد على الحديث الشريف في توضيح بعض دلالات الألفاظ يقول في معنى لفظة

(اتق) الواردة في بيت ابن الوردي:

وَاتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا جَاوَزَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلْ

"اتق الله هو أمر بالتقوى وهي في اللغة: جعل النفس في وقاية مما يخاف.

فقوله صلى الله عليه وسلم، (اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَلْبِهَائِمِ)^(٦) أي خافوا الله فيها... وقوله: (اتقوا

البول) أي: تجنبوه و (اتَّقُوا الظُّلْمَ)^(٧) كذلك مثله، كل ذلك داخل في المعنى الشرعي^(٨).

ولو حاولنا أن نتبع آثار الشواهد من الحديث في هذا الشرح لوجدناها بكثرة

ملحوظة لو قد مثلنا بهذه الأمثلة من باب العلم بالأمر.

فالأحاديث النبوية الشريفة تناثرت من أول الشرح إلى آخره، وقد ساعدت في إثراء

الشرح وتقديمه بهذا الشكل، وكانت من الروافد التي جعلت الشيخ شارحاً، حاذقاً، وأظهرت

تمكنه من العلوم الشرعية، ومعرفته بأصول التأليف.

(١) سنن الترمذي باب شارب الخمر، ج 2، ص 169.

(٢) سنن ابن ماجه ج 2 كتاب الأطعمة، ص 242 ومسند الدار قطني كتاب الأشربة، ج 4، ص 247.

(٣) التحقيق: ص 154
(٤) صحيح مسلم، ج 2 كتاب الكسوف، ص 618. وصحيح البخاري، ج 8، كتاب الرقاق، ص 183.

(٥) التحقيق، ص 156

(٦) سنن أبو داود، ج 2، كتاب الجهان، ص 22.

(٧) صحيح مسلم ج 4 كتاب البر والصلة والآداب، ص 1996

المبحث السابع: شواهد من الشعر

ويستشهد الشيخ في شرحه للمنظومة على معاني الابيات المشروحة بأبيات أخرى تلتقي معها في المعنى واهتمامه بالأشعار والشعراء واضح جدا، وعرضه لها موفق وجميل، ويلتجئ الشارح غالبا إلى ذلك لتدعيم رأي أو تقرير أمر أو توضيح معنى.

ومناهله من هذا الفن الأصيل متنوعة، وحفظه للأشعار جيدا، والشعر على ذلك ذو قيمة لدى الشارح وهو جزء من الثقافة الإسلامية التي لا يستغني عنها باحث أو شارح أو دارس، "فالشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها وديوان أخبارها ومستودع أيامها"⁽¹⁾ ومنزلته بلغت أعلى منازلها حين ربطه القرآن الكريم ربطا متينا بالعقيدة، وحدد نهجه وأهدافه ومهمته في الحياة، وفصل بوضوح بين شعر الفاسقين الغاوين وبين شعر المؤمنين. وكان هذا الاستثناء استثناء مباركا كريما للشعراء المؤمنين الذاكرين لله المنتصرين له (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"⁽²⁾).

وربط الحديث النبوي الشريف أيضا الشعر بالحكمة وجمعه بها، وهي صورة نبوية كريمة لتقدير الأدب والشعر والبيان، وهي كذلك تبين الطريق الذي يسلكه الشعر ليعلو شأنه. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن من البيان سحرا، وإن من الشعر حكما)⁽³⁾.

وجاء الشرح زاخرا بمجموعة متنوعة من الأشعار، ويعمد الشيخ ياسين إلى ذكر قائلها أحيانا وتركه مجهولا في معظم الأوقات، ولم يقتصر في ذلك على فترة زمنية بعينها، لكنه تخلل كل العصور الأدبية المختلفة تقريبا، فقد استشهد بشعر المتنبي وهو يتحدث عن الأخلاق وضرورتها لكمال الإنسان يقول : "والإنسان مأمور بالتخلق بالأوصاف الحسان والتحلي بما يكمل به الإنسان ...

⁽¹⁾ - عيون الأخبار : ابن قتيبة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ج2 ص185

⁽²⁾ - الشعراء، الآية 227 / 224

⁽³⁾ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان/90، سنن الترمذي، كتاب الأدب، ما جاء في الشعر/19

قال المتنبي :

ولم أرَ في عُيوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ⁽¹⁾ " (2)

ويستشهد بشعره مرة أخرى، وفي موضع آخر يقول الشارح في توضيح معنى التقدير كلون بديعي: "التقدير: كما قال علماء البديع في تعريفه: هو عبارة أن يأتي الشاعر بيت من الشعر وقافية متعلقة بمحذوف ويتعمى بذكره، ليفهم به المعنى فلا يذكره لدلالة ما في لفظ البيت عليه، ويكتفي بما هو فيه معلوم في الذهن، كما يقتضي تمام المعنى كقول بعضهم ... ومثله قول المتنبي :

أتى الزَّمانَ بنوه في شَبِيئِهِ فسَرَّهُم وأتَيْناهُ عَلَى هَرَمِ⁽³⁾

... أي فساءنا ... " (4)

ويأتي بيت امرؤ القيس شاهداً على ما أورده الشيخ من تحليل في علم العروض يقول: "وأصل الجزء هنا: فاعلاتن فنحذف منه (تن) فصار أي: (فاعلا) نقل إلى (فاعلن) لأن تلك (فاعل) صيغته مهجورة، وكذلك إذا حذف من الضرب فيصير مثلها. والضرب عندهم آخر جزء من البيت وشاهد البيت المذكور في كتب العروض :

قَالَتِ الحُنَّساءُ لَمَّا جِئْتُهَا شابَّ بَعْدِي رَأْسُ هَذَا واشْتَهَبَ⁽⁵⁾ " (6)

والشيخ الشارح لا يذكر قائل البيت في هذا المقام.

وعند تحدّثه عن الشباب وزمنه وتأسف الناس على مروره يختار ما قاله الإمام الشافعي في هذا الموضوع، يقول الشارح "وقد تأسف على زمن الشبيبة أقوام كثيرون من الأفاضل ... وقد اخترت من ذلك ما قاله الإمام محمد بن إدريس الشافعي، حيث قال :

خَبَّتْ نارُ نَفْسِي باسْتِعْمالِ مَفارِقِي وأظَلَمَ لَيْلي إِذْ أَضَاءَ شهابُها

¹ - ديوان المتنبي : شرح أبي البقاء العكبري، دار الفكر ج 4 ص 145

² - التحقيق ص 116 .

³ - ديوان المتنبي ج 4 ص 163

⁴ - التحقيق ص 159 .

⁵ - ديوان امرئ القيس تحقيق : حنا الفاخوري، دار الجليل، بيروت ص 100

⁶ - التحقيق ص 119 .

وِعِزَّةُ عُمَرِ الْمَرْءِ حِينَ شَبَابِهِ وَقَدْ فَنِيَتْ نَفْسٌ تَوَلَّى شَبَابَهَا⁽¹⁾» (2)

ويستشهد بيت لأبي نواس في الخمرة وهو يتحدث عن التزديد كلون من ألوان البديع، يقول الشيخ: "... واستشهد على هذا النوع من النظم بقول أبي نواس في الخمرة:

صَفْرَاءُ لَا تَنْزُلُ الْأَحْزَانَ سَاحَتِهَا لَوْ مَسَّهَا حَجْرٌ مَسْتَه سَرَاءُ⁽³⁾
وهو في بيت القصيدة: فلأيام الصبا...» (4)

ويعود مرة أخرى للعصر الجاهلي مع بيت لم يذكر صاحبه معتمدا عليه كشاهد من شواهد البلاغة، فالشيخ لا يتردد في توضيح آرائه وتدعيمها بما يحفظه من شعر، يقول في ذلك: "... وفيه المساواة... وعرفها قدامة... وقال الشافعي: مساواة اللفظ للمعنى هو الأمر المتوسط بين الإيجاز والإسهاب... ومن شواهد في النظم:

وَمَهَّمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعَلِّمُ⁽⁵⁾...» (6)

ويتشعب الحديث ويطول ليصل بالشارح إلى البوصيري وبردته، يقول: "... وخالف نفسه وأبطل حدسه، وعلم أن القوة لله جميعا، وهذا هو النصح الصحيح، الخالص، الصريح، وبه صرح في بردة المديح فقال:

وخالف النفس والشيطان واعصيهما ولا تطع منهما خصما ولا حكما
وإن هما محضاك النصح فاتهم فأنت تعرف كيد الخصم والحكم⁽⁷⁾...» (8)

فاستشاده بالشعر كثير، وكان يذكر البيت كاملا، وأحيانا كان يكتفي بذكر الشطر الذي يضم الشاهد فحسب، كما فعل في شرح البيت التالي:

(1) - ديوان الشافعي؛ جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي؛ دار الجليل، بيروت، ص 20.

(2) - التحقيق ص 131.

(3) - ديوان أبي نواس، دار بيروت للطباعة والنشر ص 7.

(4) - قسم التحقيق ص 133.

(5) - زهير بن أبي سلمى دار بيروت للطباعة والنشر ص 74.

(6) - قسم التحقيق ص 138.

(7) - ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني ص 192.

(8) - قسم التحقيق ص 161.

كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ فَلَّ مِنْ عَرْشٍ وَأَفْتَى مِنْ دَوْلٍ
"قوله : فكم فل من عرش. كم للتكثير هنا كما هي في قول الشاعر :
" كم خالة لك يا جرير وعمة (1)

أي : كم عمات وخالات كثيرات لك كن في خدمتي ... " (2)

ويعضى الشيخ مسهباً في شرحه للامية مستعينا بذاكرته القوية في حفظ الشعر، وتأتي شواهد الشعرية قارئة في أماكنها، تخدم أفكاره وقضايا المعروضة خدمة جلية.

ولا يتردد الشيخ في الاستعانة بالشعر في توضيح معاني بعض الكلمات الغامضة في

منظومة ابن الوردي، يقول في شرح هذا البيت :

أَيْنَ تَمْرُودٌ وَكَنْعَانٌ وَمَنْ مَلِكُ الْمَلِكِ وَوَلَّى وَعَزَلٌ

"يقال : " ملكت الشيء، أملكه ملكاً، فأنا مالك، والمالك بالفتح وسكون اللام، هو

القوة والسلطان وإذا ملك الملك فهو ملك، يقال : ملكه المال والمالك فهو مملك.

قال الفرزدق في حال هشام بن عبد الملك :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُكًا أَبُو أُمَّه حَيَّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ (3) ... " (4)

وعند تعرضه لقضايا اللغة والنحو يأتي بالشاهد من المنظومات المختصة في هذا الشأن.

يقول في معنى "أي" في البيت التالي :

أَيُّ بُنِي اسْمَعْ وَصَايَا جَمَعَتْ حِكْمًا خَصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ

"قوله "أي" بفتح الهمزة وسكون الياء، حرف نداء وهي للنداء القريب، و"بني" منادى مضاف

لياء المتكلم، والمنادى المضاف لياء المتكلم فيه لغات خمس ذكرها صاحب الألفية في قوله :

..... كعبد عبدي عبد عبدا عبدياً (5) ... (6)

ونلاحظ هنا اكتفاءه بعجز البيت محل الشاهد، وذلك منهجه الغالب عليه في هذا

1 - ديوان الفرزدق دار بيروت للطباعة والنشر ج1 ص358

2 - قسم التحقيق ص 223 .

3 - ديوان الفرزدق ج.1 ص.7

4 - التحقيق ص 173

5 - متن الألفية للإمام مالك، منشورات دار الكتب العلمية، الجزائر ص72

6 - التحقيق ص 188 .

الشرح. ويدرج أكثر من شعر في قضية واحدة، وهذا ما فعله عند تطرقه لمعنى الشعر وهذا دليل على ثراء الشيخ في هذا المجال. يقول من شرحه:

"الشعر ديوان العرب وحافظ آدابهم ومعدن أخبارهم، ولهذا قيل:

الشَّعْرُ يُحْفَظُ مَا أَوْدَى الزَّمَانُ بِهِ
والشَّعْرُ أَفْخَرُ مَا يُنْبِي عَنِ الْكَرَمِ
لَوْلَا مَقَالُ زَهَيْرٍ فِي قَصَائِدِهِ
مَا كُنْتَ تَعْرِفُ جُودًا كَانَ فِي هَرَمٍ⁽¹⁾
وقال الأعشى:

الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَلِمَهُ
وَالشَّعْرُ لَا يَسْتَطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ
زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ
وقال بعضهم:

الشَّعْرَاءُ فَاعْلَمَنَّ أَرْبَعَةٌ
فَشَاعِرٌ لَا يُرْتَجَى لِلْمَنْفَعَةِ
وَشَاعِرٌ يَنْشُدُ وَسَطَ الْجَمْعَةِ
وَشَاعِرٌ آخِرٌ لَا يَجْرَى مَعَهُ⁽²⁾

ويأتي البيت الشعري كشاهد عندما يلتقي في معناه بشعر ابن الوردى؛ فالإنسان بفضائله وآدابه، لا بأبائه وأجداده:

لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا
إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدَّ حَصَلَ
يقول الشارح: "... قال الشاعر:

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكْتَسَبَ أَدَبًا
يُعْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَذَا
لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي⁽³⁾

ومعنى البيت: لا تفتخر بالأباء والعشيرة وافتخر بما حصلت من العلوم والآداب والفضائل⁽⁴⁾.

ويستعمل أحيانا كلمة "قيل" لبعض ما أورده من شعر، يقول مثلا في شرح البيت التالي:

قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ
أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَوْ أَقَلُّ

"... لكن هذه موافقة في الأسماء والصفات لا حقائقها، وجمع فيه ما تفرق في العالم العلوي

والسفلي، قيل:

أَتَرَعَمَ أَنْتَكَ جَرْمٌ صَغِيرٌ
وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ⁽⁵⁾ ...⁽⁶⁾

(1) القتال: ابن فارس، راجع المزهري للسيوطي ج 2 ص 470

(2) راجع التحقيق. ص: 207

(3) - الفائل: أبو ربيعة الإصبهاني، راجع بغية الوعاة للسيوطي ص 39

(4) - التحقيق: ص 231

(5) - لا يمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(6) - التحقيق: 237

ونجد في ثنايا الشرح الموشح كشاهد اعتمده الشارح في توضيح معانيه ومحاولة تقريبها للقارئ. يقول في شرح البيت التالي:

زَادَ إِنْ قَسَنَاهُ بِالْبَدْرِ سَنًا وَعَدَلْنَاَهُ بِغُصْنٍ فَأَعْتَدَلُ

"والمعنى : وإن قسناه أي : قده بغصن زاد عليه وفاته في الاعتدال وهذا مدح.. قال بعض الفضلاء في موشحة له :

شبهوا المحبوب بالقمر وبغصن ناعم نضر

وبروض يانع الزهر"⁽¹⁾

إن شواهد من الشعر كثيرة متنوعة؛ تنوع الشعراء أنفسهم، وتنوع العصور الأدبية والأغراض الشعرية والفنية ، وليس ما أوردناه من أمثلة غير قليل من كثير، تناثر عبر صفحات الشرح... أضفى عليه جمالا ورونقا وزاده بهاء وقوة.

وصف المخطوطتين

جامعة الأمير عبد الوهاب للعلوم الإسلامية

وصف المخطوطتين :

لقد كان سندي في إخراج هذا البحث ما يلي :

مخطوطة من المكتبة العائلية اعتمدها كأصل، ورمزت لها بالرمز (ق)، وهي مكتوبة على ورق جيد سميك. تشتمل على تسع وخمسين ورقة؛ والورقة صفحتان، والمجموع : مائة وثمانية عشرة صفحة. تتكون كل صفحة من واحد وعشرين سطرا، من الخط المغربي، الواضح، المقروء، الجميل .

طول الورقة : عشرون سنتيمترا؛ وعرضها خمسة عشر سم. وطول السطر منها: عشرة سنتيمترات: أي أن الهامش بمقدار ثلاثة ونصف سم؛ من جهة اليمين، وبمقدار سنتيمترين من جهة اليسار.

وأما الهامش الأعلى فيتراوح بين واحد سنتيمتر ونصف سنتيمتر واثان سم.

والهامش الأسفل أربع سنتيمترات. متوسط عدد الكلمات في السطر الواحد: عشر كلمات. استعمل المداد الأسود للكتابة العادية، فيما استعمل الأحمر لكتابة أبيات المنظومة وإبراز بعض الأمور: كالتنقيط؛ الكلمات المشروحة؛ فائدة؛ تنبيه.

كتب الأشعارَ كتابة موصولة، أي على شكل نثر. أرقامها هندية تارة مثل (عام ١٠٧١)

ومكتوبة بالحروف تارة أخرى مثل : (خامس ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبع مائة ..)

إسم الناسخ : محمد بن عمر

تاريخ النسخ : الأحد خامس ربيع الأول من شهر عام 1071.

تقع المخطوطة "شرح الشيخ ياسين على منظومة ابن الوردى" ضمن مجموعة؛ تتكون من عدد من المخطوطات، وهي شروح أيضا، وهي:

أولا : الأربعون حديثا النبوية: للعلامة الشيخ عبد العظيم المنذري، شرح هذه الأحاديث الأربعون: أبو عبد الله السلمي.

ثانيا : شرح الشيخ ياسين على منظومة ابن الوردى.

ثالثا: إتخاف مفتي العباد بذكر الغزو والجهاد. وهي مجلدة تجليدا جيدا، نظيفا.

وتعد المخطوطة الموسومة "شرح الشيخ ياسين على لامية ابن الوردى" واحدة من

المخطوطات الجيدة النافعة النادرة؛ لاشتمالها على مقاصد تربوية شريفة، وحكم ووصايا نافعة

جليلة ، ومعارف مختلفة؛ في شتى مجالات المعارف والآداب : من لغة، وبلاغة ، وأدب، وفقه ،
وتاريخ وفلسفة.

وقد استهل الشارح المنظومة بقوله:

"الحمد لله الذي شرح صدور أهل العلوم، ومنحهم شعور الإدراكات والفهوم وحلاً
من شاء منهم بجواهر المنشور والمنظوم وجلّ لهم من ظواهر المنطوق وسائر المفهوم. والصلاة
والسلام على من أوتي جوامع الفصاحة ومجامع النصائح الجامعة النصاحة وعلى آله وأصحابه
المتخلقين بأخلاقه والمتأدين بأدابه ...

وبعد، فلما كانت لامية السراج ابن الوردي في غاية الانسجام والتهذيب واردة في
النصح على الأسلوب الحكمي، العجيب، خالية من الحشو، ما أمكن دالة على ناظمها ممن
اقتعد سهوة الفصاحة وتمكن، كادت أن تكون لبلاغة الصدر الأول وارثة وللأمي العربي
والعجم ثالثة ... قد أولع بهاجمٌ من الفضلاء ... وقد اشتملت على مواعظ جمّة، ووصايا
مهمة ونصائح تبعث سامعها على الاشتغال بما أهمّه ..."

وجاء في خاتمة المخطوطة ما يلي :

"وقد تفنن الشيخ ابن الوردي - رضي الله عنه - في هذه القصيدة وأبدى فيها من الحكم
والوصايا ما سمعت ورأيت وجمع أنواع البديع فيها. وقد أحسن ختامها غاية الإحسان كما هو
مطلوب من الشاعر والمنشي حسن الابتداء والإختام ..."

فليست هذه العجالة إلا مبنية على الاختصار، نفعنا الله بناظمها وبعلمومه وبركاته
وأمدنا من مدده وأدخلنا الجنة معه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
كثيراً.

قال شارحها : ووافق الفراغ من هذه العجالة يوم الأحد خامس ربيع الأول من شهر
عام 1071 على يد العبد الفقير إلى مولاه، الغني محمد بن عمر غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
ولكافة المسلمين أجمعين."

من ناحية الكتابة التي كتب بها المخطوط فيمكن ملاحظة ما يلي :

1 - الهمزة المتطرفة محذوفة مثل : "النبلا" بدل "النبلاء"، "اهوا" بدل "الهواء"، "الفضلا" بدل
"الفضلاء".

- 2 - الهمزة المتوسطة تكتب ياء مثل: "الرسائل" بدل "الرسائل"، "المسايل" بدل "المسائل".
- 3 - الألف الطويلة تحل محل الألف المقصورة مثل: "اعتنا"، بدل "اعتنى"، "أثنا" بدل "أثنى"، "شكوا" بدل "شكوى".
- 4 - القاف تنقط نقطة واحدة من فوق مثل: "فوله" بدل "قوله"، "يلفى" بدل "يلقى"، "ترفعه" بدل "ترقعه"، "تقوم" بدل "تقوم".
- 5 - الفاء تنقط نقطة واحدة من تحت مثل: "فيه"، بدل "فيه"، "أجل"، بدل "أفل"، "الألف" بدل "الألف".

النسخة الثانية:

أما النسخة الثانية ورمزت لها بالرمز (ظ) فهي نسخة من مكتبة الظاهرية⁽⁴⁾ (دمشق) تحت رقم 4356، وهي نسخة مصورة على الورق. وقد جعلت هذه المخطوطة الثانية في الترتيب ومتأخرة عن سابقتها في الاعتماد. رغم وجود النسخ وتاريخ النسخ، لأنها أكثر إسقاطا فيما يتصل ببعض السطور، وتاريخ نسخها جاء متأخرا.

تشتمل النسخة الثانية من المخطوطة على ست وخمسين ورقة، والورقة صفحتان والمجموع: مائة واثنان عشرة صفحة. تتكون كل صفحة من واحد وعشرين سطرا من الخط العادي، المتعجل. الصعب القراءة، لوجود عقادٍ في كثير من حروفه.

طول الورقة عشرون سم وعرضها خمسة عشر سم. وطول السطر منها عشرة سم: أي أن الهامش بمقدار خمسة سم من جهة اليمين وأربعة سم ونصف السنتيمتر من جهة اليسار.

وأما الهامش الأعلى فيتراوح بين ثلاثة سنتيمترات ونصف سم، والهامش الأسفل ثلاثة سنتيمترات ونصف سم أيضا، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد عشر كلمات.

كتب النسخ الأشعار مشطورة كل شطر على حدة، أي كتبها مع مراعاة نظام الكتابة (شعرا) أرقامها مكتوبة بالحروف مثل: (... سنة تسع وأربعين وسبعمائة) (سنة ستون ومائة وألف من الهجرة).

⁴ - نقلت مخطوطات مكتبة الظاهرية جميعا إلى مكتبة الأسد الوطنية - قسم المخطوطات - .

إسم الناسخ : علي بن مصطفى رجبية

تاريخ النسخ : ضحوية : أي :ضحى نهار السبت المبارك لثمانية أيام مضين من شهر صفر المبارك لسنة ستين ومائة وألف من الهجرة.

المستهل : "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي شرح صدور أهل العلوم ومنحهم شعور الإدراكات والفهوم وحلى من شاء منهم بجواهر المنثور والمنظوم وجلى لهم من ظواهر المنطوق وسرائر المفهوم والصلاة والسلام على من أوتي جوامع كلم الفصاحة ..."

الخاتمة : "ووافق الفراغ من رسم هذه النسخة المباركة ضحوية نهار السبت المبارك لثمانية أيام مضين من شهر صفر المبارك لسنة ستين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام برسم مالكةا لنفسه أفقر العباد وأحوجهم إلى الله يوم على بن مصطفى رجبية عفى الله عنهما وعن سائر المحبين والإخوان والمسلمين".

نلاحظ على النسخة بعض الهوامش القليلة . كما نلاحظ آثار "الأرضة" التي يبدو أنها سطت عليها فنهكتها. وتبدو في شكل بقع شاهبة في المخطوطة ، متناثرة هنا وهناك. ولعل هذا مما أصاب كثيرا من تراثنا العريق، في مختلف مناحي الفنون والمعارف والآداب . وإن أفضل خدمة تقدم لهذا التراث العظيم هي إنقاذه بإخراجه ونشره.

منهج التحقيق:

لما كانت الغاية من تحقيق النصوص إنما هي إخراجها صحيحة سليمة ، فقد بذلتُ جهدي في هذا السبيل، مراعية ما تستوجبه إعادة النص إلى وضع جيد، بحذر وأمانة ، وسلكتُ في ذلك الخطوات التالية:

1 - تم تحقيق هذا النص بالرجوع إلى نسختين اثنتين قابلتُ بينهما مقابلة دقيقة قدر الجهد. ونسخت النص معتمدة على النسخة الأصل التي رمزت لها بحرف "ق" وهي نسخة من المكتبة الخاصة (العائلية). مع مراجعتها ومقابلتها مع النسخة الثانية التي رمزت لها بحرف "ظ" (الظاهرية).

2 - احترمتُ النص ، فلم أتدخل فيه إلا بالقدر اليسير الذي لا يمس جوهره، ككتابه وفق القواعد الإملائية المعروفة ، أو تصحيح بيت من الشعر ، أو زيادة كلمة مما يقتضيه السياق العام.

3 - صححتُ الألفاظ التي وردت خطأ في الشرح، والتي نالها تصحيف، وأشرتُ إلى ذلك في الهامش .

4 - ضبطتُ الشرح وقمت بوضع علامات الترقيم له، مجتهدة في تخريجه وضبطه على أحسن الوجوه الممكنة.

5 - خرجتُ شواهد الشرح من آيات كريمة ، وأحاديث شريفة ، وأشعار وأقوال، متبعة في ذلك مايلي:

أ - رددت الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف الشريف ، وذكرت رقمها ، واسم السورة التي وردت فيها في الهامش، وحصرتها بين قوسين في المتن. وأتممت - في الهامش أيضا- ماورد مختصرا أو منقوصا في إشارات الشارح في المتن.

ب - - قُبعت ما جاء من أحاديث في كتب الحديث كصحيح البخاري، ومسلم ، وسنن الترمذي وابن ماجه وأبي داود.

ج - ضبطت شواهد الشعر، ونسبتُ معظم غير المنسوب إلى قائله ، ما أمكنني ذلك .

- 6- رجعتُ إلى المعاجم: كلسان العرب، والقاموس المحيط، والصحاح، ومعجم البلدان، وذلك من أجل شرح الكلمات الصعبة وتوثيق ما أورده الشارح من شروح للمفردات والتعريف ببعض الأماكن.
- 7- عنيتُ بالرجوع إلى كتب اللغة والأدب: كالمزهر، وفقه اللغة، ومغني اللبيب، وبغية الوعاة، والعمدة، وخزانة الأدب، ومروج الذهب كما رجعت إلى كتب البلاغة: كالفتاح، والتبيان، التلخيص، والصناعتين..
- 8- ترجمتُ للأعلام الذين وردت أسماءهم في الشرح ترجمة وافية قدر المستطاع؛ لأهمية ذلك في تقديري في مثل هذه البحوث.
- 9- ضبطتُ النص بالشكل؛ خاصة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار، ومنها الأشعار الواردة في نص المنظومة.
- 10- وردت في النص شواهد شعرية، على شكل أشطار أبيات، وأجزاء أبيات، فقامتُ بإتمامها في الهامش وضبطها، ما أمكنني ذلك.
- 11- رجعت إلى معظم المصادر التي أشار إليها الشارح، وحددت مكان النقل بالجزء والصفحة ما أمكن لي ذلك.
- 12- شرحت المفردات اللغوية شرحا وافيا.
- 13- ألحقت بالرسالة فهرس فنية عامة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار، والأعلام، والأماكن، تيسيرا للرجوع إلى البحث والانتفاع به. وقمت بترتيب هذه الفهارس ترتيبا هجائيا.
- 14- عرفت بصاحب اللامية "ابن الوردي" تعريفا شاملا، في حياته وأدبه مع التركيز على اتجاهه الشعري الذي تميز به وهو اتجاه النصح والزهد.
- 15- عرفت أيضا بالشيخ ياسين العليمي الحمصي وهو الشارح للمنظومة تعريفا وافيا، رغم قلة المراجع التي تتحدث عنه وعن أدبه وتراثه.
- 16- درست المنظومة "اللامية" دراسة مضمونية وشكلية كإسهام في تسليط الأضواء عليها، فضلا عما جاء في الشرح الذي هو متن مدونة البحث.

جامعة الأمير

القسم الثاني
(التحقيق)

العلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

هذا كتاب شرح منظومة ابن الوردي لمولانا الشيخ العالم العلامة البحر الفهامة مولانا الشيخ ياسين نفعنا الله به في الدنيا والآخرة آمين يا رب العالمين.

الحمد لله الذي شرح صدور أهل العلوم ومنحهم شعور الإدراكات والفهوم، وحلاً⁽¹⁾ من شاء منهم بجواهر المنثور والمنظوم، وجل لهم من ظواهر المنطوق وسائر⁽²⁾ المفهوم.

والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم⁽³⁾ الفصاحة ومجامع النصائح الجامعة النصاحة⁽⁴⁾ وعلى آله وأصحابه المتخلفين بأخلاقه والمتأدين بآدابه..

وبعد فلما كانت لامية السراج ابن الوردي في غاية الانسجام والتهذيب، واردة في النصح على الأسلوب الحكمي العجيب، خالية من الحشو ما أمكن، دالة على أن ناظمها ممن اقتعد سهوة الفصاحة وتمكن، كادت أن تكون لبلاغة الصدر الأول وارثة، ولا ميثي العرب⁽⁵⁾ والعجم⁽⁶⁾ الثالثة، قد أولع بها جمٌّ من الفضلاء واعتنى بها قومٌ من النبلاء⁽⁷⁾، وقد اشتملت

(1) - وردت في أصل المخطوطة "حلاً" والصواب "حلى".

حلا: "الحلو نقيض المر يقال: حلا الشيء يحلو حلاوة... واحلئت الشيء جعلته حلو..."

حلى: حلى فلان بعني بالكسر وفي عني وبصدري وفي صدري يحلى حلاوة إذا اعجبك وحليت المرأة حليها، حليا وحلوتها إذا جعلت لها حليا.. انظر الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط(3)، مادة: حلا، ج6، ص2317.

(2) - في (ظ) "سرالر".

(3) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) وأثبتته من (ظ).

(4) - النّصاحة: "نصح الشيء: خلص، وكل شيء خلص، فقد نصح والنصح: نقيض العش مشتق منه، نصحه وله نصحا ونصيحة ونصاحة ونصحا أي: أحلصت وصدقت، والاسم النصيحة.. انظر لسان العرب لابن منظور، حققه: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هشام محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر، مادة: نصح، ج6، ص4438.

(5) - لامية العرب: قصيدة طويلة للشاعر الجاهلي الشنفرى (ثابت بن أوس) وهي تقع في ثمانية وستين بيتا ومطلعها من (الطويل):

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل

انظر بلوغ الأرب في شرح لامية العرب تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، دار الحديث، مصر، ص32.

(6) - لامية العجم: قصيدة للطبراني (مؤيد الدين إسماعيل بن الحسين بن علي) ومطلعها

أصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل

انظر شرح العلامة جليل أليك الصفدي على لامية العجم ج1، ص9.

(7) - النبلاء: بالهمز أفصح.

على مواعظ جمّة، ووصايا مهمة، ونصائح تبعث سامعها⁽¹⁾ على الاشتغال بما أهمه، عملها الشيخ رحمه الله تعالى لولده، أمّدا الله ببركاته ومرده، لما بلغه أنه عن أخذ العلوم مستبسل لا باسل، وأنه متناقل عن ذلك متكاسل.

وقد صدّرتُ الشرح بذكر شيء من ترجمة الناظم رحمه الله، فأقول: ناظم هذه القصيدة التي تصلح أن تكون للآذان أقرطا⁽²⁾ ولنحور الحسان عقودا وأسباطا⁽³⁾.

هو سيّدنا ومولانا الشيخ عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي الامام العلامة، الأديب المؤرخ زين الدين بن حفص⁽⁴⁾ الحلبي الشهير بابن الوردي، فقيه حلب ومؤرخها وأديبها، تفقه على الشيخ شرف الدين البارزي⁽⁵⁾ له مصنفات جليلة: نظما ونثرا، من ذلك: البهجة⁽⁶⁾، "نظم الحاوي الصغير" في خمسة آلاف بيت، ومقدمة في النحو اختصر فيها الملحمة وسماها: "النفحة" وشرحها، وله تاريخ حسن مفيد وأرجوزة في تعبير المنامات، وديوان شعر لطيف، ومقامات متفرقة. وفاق في الحكم بحلب في شبيته عن الشيخ شمس الدين بن النقيب⁽⁷⁾، ثم عزل نفسه وحلف لا يلي القضاء لنام رآه، وسيأتي ملخصا في شرح قوله:

(1) - في (ظ) "صاحبها"

(2) - أقرطا: "القرط": الذي يعلق في شحمة الأذن، والجمع قرطّة وقرطّ أيضا، مثل ربح ورماح، والقرط أيضا: شعلة السراج ما احتق من طرف الفتيلة. انظر الصحاح للجوهري مادة: قرط، ج3، ص1151.

(3) - أسباطا: "السيط": واحد الأسباط، وهم ولد الولد، والأسباط من بني اسرائيل كالقبائل من العرب وقوله تعالى: (وقطعناهم اثني عشرة أسباطا أمما) فإنما أنت لأنه أراد اثني عشرة فرقة، ثم اخبر أن الفرق أسباطا...". المصدر نفسه، مادة: سبط، ج3، ص1129.

(4) - كما ورد سراج الدين موضع زين الدين، راجع الدراسة. ص33

(5) - البارزي: "قاضي القضاة شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن منصور بن أحمد البارزي، الشافعي علم الأئمة وعلامة الأمة.. انفق كهولته في تحقيق العلوم والإرشاد، وقضى شيخوخته في تصنيف الكتب الجياد.. اجتمع له من الكتب ما لم يجتمع لأهل عصره.. كف بصره آخر عمره. من تصانيفه: كتاب البستان في تفسير القرآن، كتاب الوفاء في أحاديث المصطفى، كتاب شرح نظم الحاوي، الدراية لأحكام الرعاية وغير ذلك.. توفي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وسبعماية". انظر تنمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي، تحقيق: أحمد رفعت البدرأوي، دار المعرفة، لبنان، ج2، ص453. ط(1)

(6) - مابين المعرفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

(7) - شمس الدين بن النقيب: "محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن شمس الدين بن النقيب مفسر، محدث، قاض، من فقهاء الشافعية من أهل دمشق.. ولي قضاء حمص فطرابلس الشام فحلب، تولى التدريس بالشامية.. من كتبه: مقدمة في التفسير توفي بدمشق سنة خمسة وأربعين وسبعماية (745). انظر تنمة المختصر لابن السوردي ج2 ص484 ومعجم المفسرين لعادل نويهض. مؤسسة نويهض للتأليف بيروت ج2 ص503. ط(1)

وكان ملازما الاشتغال والاشغال والتصنيف، شاع ذكره واشتهر بالفضل اسمه. ذكر له الصلاح الصفدي (1) في تاريخه ترجمة طويلة، وقال فيه أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه: "تفنن في علومه وأجاد في منشوره ومنظومه، وشعره أحسن من عيون الغيد (2) وأبهى من الوجنات ذات التوريد" (3)، وقال السبكي (4) في الطبقات الكبرى: "وشعره أحلى من السكر المكرر وأعلى قيمة من الجواهر".

وعد بعض المؤرخين من مصنفاته: "شرح ألفية ابن معطي (5)"، وشرح ألفية ابن مالك (6)"، و"الرسائل المهذبة في المسائل الملقبة" و"منطق الطير": نظما ونثرا. توفي

(1) - الصلاح الصفدي: "الإمام البارع والأديب المفتي أبو الصفا صلاح الدين خليل بن الأمير عز الدين إيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي، كتلة من النشاط في مجال العلم والأدب.. له مصنفات كثيرة في التاريخ والأدب والبيدع.. وتاريخه المسمى: (الرواي بالوفيات) في غاية الحسن، وله تاريخ آخر أصغر من هذا أسماه: (أعوان النصر في أعيان العصر) في عدة مجلدات..".
انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي تحقيق: د/ إبراهيم علي طرخان، مطبعة دار الكتب، مصر، ج 11، ص 19.

(2) - الغيد: "النعومة، يُقال: امرأة غيداء وغادة أيضا الناعمة اللينة البينة الغيدة والشجرة الغضة..". انظر الصحاح للجوهري مادة: غيد، ج 2، ص 517.

(3) - كلام للصلاح الصفدي.

(4) - السبكي: "على بن عبد الكافي.. بن سليم السبكي تقي الدين أبو الحسن، الفقيه الشافعي المفسر الأصولي، النحوي.. برع في الفنون وتخرج به خلق في أنواع العلوم، وناظر، وأقر له الفضلاء، وولي قضاء الشام فباشره بعفة ونزاهة.. كان محققا مدققا بارعا في العلوم.. صنف نحو مائة وخمسين كتابا مطولا ومختصرا منها: (المنهاج في الفقه) و (الاقتصاص بين الحضر والاختصاص) و (كشف القناع في إهادة لولا الاقتناع) توفي ليلة الخميس سابع عشرين رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعماية بمكة".
انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط (2)، دار الفكر، ج 1، ص 342.

(5) - ابن معطي: "أبو الحسن يحيى بن معطي بن عبد النور الرواي الحنفي النحوي اللعوي، سكن دمشق طويلا وله الألفية والفصول وغيرهما.. نسبته إلى زواوة قبيلة بظاهر بجاية من أعمال الهريقية توفي سنة ثمان وعشرين وستماتة".

انظر تمة المختصر في اخبار البشر لابن الوردي، ج 2، ص 231، كشف الظنون لحاجي خليفة، تصحيح: محمد شرف الدين، وكالة المعارف، استنبول، ج 1، ص 155، ألفية ابن معطي "أرجوزة في النحو للشيخ زين الدين بن عبد المعطي النحوي، سماها بالدرة الألفية في علم العربية، عدتها ألف وواحد وعشرون بيتا، نظمها في إقامته بدمشق، وله عليها شروح كثيرة مطلعها:

يَقُولُ رَاجِي رَبِّهِ الْعَفُورُ
يَخْشَى بِنَ مَعْطِي بِنَ عَبْدِ النُّورِ

انظر كشف الظنون لحاجي خليفة: ج 1، ص 155. والمعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر راميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 63.

(6) - ابن مالك: "العلامة جمال الدين ابن عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجبالي المعروف بابن مالك، له مقدمة مشهورة في ديار العرب

بجلب⁽¹⁾ شهيدا في أواخر سنة تسع وأربعين وسبع مائة مقدمة بين يدي المرام⁽²⁾.

واعلم وفقك الله. أن مبنى هذه القصيدة المباركة ألحت على اتباع الأوامر واجتناب النواهي، والحظ على الأخذ بمكارم الأخلاق والأوصاف الحسان التي يرضى بها الخلاق، إذ النهي عن المنكر والأمر بالمعروف من الواجبات على الأمة ولاسيما علماءها فإنهم أولى بذلك من غيرهم، والنوع البشري قابل للنصيحة في الجملة وإن كانت خشنى.

كما أشار إلى ذلك صاحب المقام الأسنى⁽³⁾، فلذلك بدأ الشيخ الناظم رحمه الله النصيحة وبذها وأوسع منها لتأخذ منها النفوس القابلة نهلها⁽⁴⁾ وكعلها⁽⁵⁾، ولتبرأ ذمته من الأمانة التي احتملها.

والإنسان مأمور بالتخلق بالأوصاف الحسان والتخلي بما يكمل به الإنسان بعد التخلي

كالحاجية في غيرها جمع فيها مقاصد العربية وسماها الخلاصة وإنما اشتهر بالألفية، المالكي حين كان بالمغرب، الشافعي حين انتقل إلى المشرق، له مصنفات كثيرة منها، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد والكافية الشافية في الصرف والنحو والضرب في معرفة لسان العرب وغيرها كثير... انظر شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن المختون، دار الهجرة للنشر، مصر، ط(1)، ص19. ألفية ابن مالك: "ألفية في النحو للشيخ العلامة جمال الدين ابن عبد الله محمد بن عبد الله الطائي المعروف بابن مالك النحوي، وهي ألف بيت - في الرجز، قلدها ألفية ابن معطي، وسماها "الخلاصة في علم النحو" مطلعها:

قال محمد هو ابن مالك
أحمد ربي الله خير مالك

وعلمها شروح كثيرة منها: "شرح ولده بدر الدين وشرح الشيخ شمس الدين المرادي وشرح ابن عقيل".

انظر كشف الظنون لحاجي خليفة، ج1، ص151، والمعجم المفصل، ص63.

(1) - حَلَبٌ: "بالتحريك مدينة عظيمة واسعة، كثيرة الخيرات، طيبة الهواء، صحبحة الأديم والماء قال الزجاجي: سميت حلب لأن إبراهيم عليه السلام كان يجلب فيها غنمه في الجمعات ويتصدق به فيقول الفقراء: حلب، حلب فسميت به... إن الله تعالى خصها بالبركة وفضلها على جميع البلاد فمن ذلك: في أراضيها القطن والسمس والبخار والكروم والدرة.. وأما قلعتها فيضرب بها المثل في الحسن والحصانة..". انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص332-334. ط(1)

(2) - راجع ترجمته في قسم الدراسة. ص31

(3) - الأسنى: "سنا، السناء: المقصود به الرسول صلى الله عليه وسلم، ضوء البرق ورجل سنايا: شريف: وأسنى البرق دخل مسناه البيت أو وقع على الأرض والأسنى صفة للشرف والرفعة..". انظر لسان العرب لابن منظور، ج3، ص2129.

(4) - نهلها: "نهل، المنهل: المورد: وهو عين ماء ترده الإبل والمراعي، والنهال: العطشان والريان أيضا.. والنهال: الشرب الأول".

انظر الصحاح للجوهري مادة: نهل، ج5، ص1837.

(5) - كعلها: "الكعل من الرجال القصير الأسود، والكعل أيضا الرجيع من كَلَّ شيء حين يضعه" والكعل: ما يتعلق بخصى الكباش من الودح". انظر لسان العرب لابن منظور مادة: كعل، ج5، ص3891.

عن الرذائل والنقصان. قال الله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (1) قال المفسر: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) أي طهرها وكمّلها (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) أي خبثها وردّها (2)، قال بعض الحكماء: "قبيح بذى العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون إنساناً (3)، وقد أمكنه أن يكون ملكاً (4)".

قال المتنبي (5):

وَلَمْ أَرِ فِي عَيْبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (6)

وقال الأشعث بن قيس (7) لقومه: "إنما أنا رجل منكم لست أفضل عليكم، ولكن ابسط

(1) - وقام الآية: قال الله تعالى: "ونفس وما سواها فالههنا فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" سورة الشمس الآيات 10/9.

(2) - (الفلح) فاز (من زكّاهَا) أي من زكى الله نفسه بالطاعة (وقد خاب من دَسَّاهَا) أي خسرت نفس دَسَّاهَا الله عز وجل بالعصية.. (قد أفلح من زكّاهَا) هذا هو جواب القسم أي لقد فاز وأفلح من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها من دنس المعاصي والآثام (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) أي قد خسروا وخاب من حقر نفسه بالكفر والمعاصي وأوردها موارد الهلكة..".

أنظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، ج20، ص77. وفضوة التفسير محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط(4)، ج3، ص91.

(3) - وردت في أصل المخطوطة كلمة (إنساناً) مكررة، حذفنا واحدة منها.

(4) - لم أقف على قائلها.

(5) - المتنبي: "أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي، الكوفي من أهل الكوفة، قدم الشام في صباه.. اشتغل بفضول الأدب ومهر فيها وكان من الكثيرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشها.. وأما شعره فهو في النهاية، واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه.. وقيل أنه أول من تبا بالشعر التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ثم فارقه، دخل مصر ومدح كاهن الاخشيدى وأنورجورين الاخشيد. توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة".

انظر وفيات الاعيان لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس: دار صادر، بيروت، ط (1) ج1، ص102، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص29.

(6) - بيت من رثائه الميمية التي قالها حينما أصيب بالحمى، مطلعها:

مَلُومُكُمْ مَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقَّعَ لِغَالِيهِ لُتُوقَ الْكَلَامِ

انظر ديوان المتنبي تحقيق أبي البقاء العكبري. دار الفكر، ج4، ص145.

(7) - الأشعث بن قيس: "اسمه معد يكره بن قيس، وسمي أشعث لشعث رأسه وهو من كندة، وكانت مراد قتل أباه، فخرج لاثراً لأبيه فأسر.. ووفد

على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلاً من كندة.. فأسلم، ويكنى أبا محمد.. شهد اليرموك.. روى له البخاري ومسلم تسعة أحاديث..". انظر الاعلام للزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، ط (5) ج1، ص332. وشذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ج1، ص49.

لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأحفظ حريمكم، وأقضي حقوقكم، وأعود مريضكم، واتبع جنازتك، فمن فعل هذا فهو خير مني ومن قصر عنه فأنا خير منه، قيل له: فما هذا؟ قال: أحضكم على مكارم الأخلاق".

فائدة:

قال بعض الحكماء: "الخلُق بضم الخاء واللام، وسكون اللام أيضا هو الشجيرة (1)، ما طبع عليه الانسان، والطبع (2) أن يتكلف ضد ما في طباعه". وقال بعضهم: "الخلُق عادة للنفس يفعلها الإنسان بلا روية (3) وهو نوعان: إساءة وإحسان جبل عليهما الإنسان، فإذا ارتسم في الخلقة أيهما كان أعجز عن نقله جهد القدرة والامكان، جميل محمود وقبيح مذموم".

والأخلاق المحمودة وإن كانت في بعض الناس غريزة فإن الباقي يمكن أن يصيروا إليها بالرياضة (4) والألفة (5)، ويريضوا إليها بالتدريب والاعتياد والكلفة فإنهم وإن لم يكونوا على الخير مطبوعين فقد صاروا متطبعين، والفرق بين الطبع والتطبع: إن الطبع جاذب منفعل، والتطبع مجذوب مفتعل يتفق جماتناجهما مع التكلف ويقترن تأثيرهما مع الاسترسال. وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة والأخلاق الجميلة، ونفسه مع ذلك تتشوق إلى المنقبة (6)

(1) - في (ظ) "السجيرة"

(2) - في (ظ) "التطبع"

(3) - روية: "الرؤية: التفكير في الأمر.. والرؤية أيضا البقية من الدين ونحوه..". انظر الصحاح للجوهري. مادة: روى. ج 6، ص 2364.

(4) - الرياضة: "رُضِتْ المهر أرضه رياضا ورياضة فهو مروض، وناقاة مروضنة، وكذلك روضته ترويضاً، شدّد للمبالغة"

انظر الصحاح للجوهري مادة: روض، ج 3، ص 1081. وترتيب القاموس للظاهر الزاوي، دار المعرفة، ج 2، ص 412.

(5) - الألفة: "ألِفْتُ الشيء، وألِفْتُ فلانا إذا أنسنتُ به، وألِفْتُ بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وهي الألفة".

انظر لسان العرب لابن منظور، مادة الف، ج 1، ص 108.

(6) - المنقبة: "نقب الجدار من باب نصر، واسم تلك: النقب، نقب أيضا. والمنقبة، بوزن المتربة ضد الملقبة" انظر الصحاح للجوهري، مادة:

نقب ج 1، ص 227.

وتأنف من المثيلة (1).

لكن سلطان طبعه يأبى عليه، واستعصأه عن تكليف ما نسب إليه، يختار العطل فيها على التخلي، ويستبرء الحسنة على فواتها بالتسلي، فلا ينفعه التأديب ولا يرد على التأنيب. وسبب ذلك ما أفاده المتكلمون من الطبع المطبوع: ملكة للنفس التي هي محل لاستيطانه إياها وكثرة اعانته لها والأدب على المحل غريب.

فالإنسان يأنسه وانسانيته بعلو الرتب وبشيمته الظاهرة وبحسن خلقه (2) ينال أعظم القرب. قال صلى الله عليه وسلم: (بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) (3) وهي ما أوصاه به ربه عز وجل. من قوله صلى الله عليه وسلم: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (4) فلما امتثل أمر ربه أثنى (5) على فعله بقوله تنويها بفضله الجسيم (6) (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (7).

ولعل الناظم رحمه الله تعالى بسمل (8) أو حمد أو جمع بينهما لفظاً أو خطأ، ولم تصل إلينا نسخته.

قال رحمه الله تعالى ونفع به:

إِعْتَزِلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْغَزَلِ
وَقُلِ الْفَصْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلِ

(1) - المثلية: تلب: تلبه: صَرَخَ بِالْعَيْبِ فِيهِ وَتَنَقَّصَهُ، وَبَابُهُ: صَرَبَ، وَالْمَثَلِبُ: الْغَيْبُ، الْوَاحِدَةُ: مَثَلِبَةٌ بفتح اللام" المصدر نفسه، مادة: تلب، ج1، ص94.

(2) - "وبحسن خلقه" ساقطة في (ظ).

(3) - وقام الحديث: قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" وفي لفظ آخر "بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ" انظر موطأ الإمام مالك، رواية يحيى بن يحيى الليثي إعداد: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق، ص650.

(4) - سورة الأعراف، الآية 7.

(5) - وردت في أصل المخطوطة (أنا) بالألف الممدودة.

(6) - ما بين العقوفتين ساقط في (ق) أنه من (ظ).

(7) - وقام الآية: قال الله تعالى: "وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَبِّحْ وَبِصِرُونَ" سورة القلم. الآية: 4.

(8) - قال: بسم الله الرحمن الرحيم. وهي تحت لذلك.

أقول هذه القصيدة من الضرب الثالث من بحر الرمل، وأصل هذا البحر: (فَاعِلَاتُنُّ فَاعِلَاتُنُّ) ست مرات. إلا أن العرب لم تستعمله إلا محذوف العروض وهو في اصطلاح أهل العروض: الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت، والحذف (1) عندهم ذهب سبب خفيف من آخر الجزء.

وأصل الجزء هنا: فَاعِلَاتُنُّ فحذف منه (تن) فصار أي: (فاعلا) نقل إلى (فَاعِلُنُّ) لأن تلك (فاعل) (2) صيغته مهجورة، وكذلك إذا حذف من الضرب فيصير مثلها.

والضرب عندهم آخر جزء من البيت (3)، وشاهد البيت المذكور في كتب العروض والعروض المذكور:

قَالَتِ الْخَنَسَاءُ لَمَّا جِئْتَهَا شَابَ بَعْدِي رَأْسُ هَذَا وَاشْتَهَبَ (4)

وتقطيعه (فَاعِلَاتُنُّ، فَاعِلَاتُنُّ، فَاعِلٌ - فَاعِلَاتُنُّ، فَاعِلَاتُنُّ، فَاعِلُنُّ) وبيت القصيد كذلك إلا أن الخَبْنُ (5) وهو حذف ثاني الجزء ساكنا، دخل في بعض الأجزاء وهو جائز في زحاف هذا البحر.

(1) - "يدخل بحر الرمل من العلل الحذف، والمحذوف ما ذهب من آخر الجزء سبب خفيف"

انظر العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الألباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج5، ص461.

(2) - "فاعل" ساقطة في (ظ).

(3) - انظر مفتاح العلوم للسكاكي. شرح الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، ص528.

(4) - البيت لامرؤ القيس من قصيدة مظلها:

لَمِنَ السِّدَارِ تَفَقَّتْ مَدَّ حَقَبَبِ فَعَجَّوْنَ الْفَرْدِ أَقْبُوتَ فَالْحَرْبِ

ورد في أصل المخطوطة محرفا.

انظر ديوان امرؤ القيس: تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجليل، بيروت، ص100.

(5) - الخَبْنُ: "خبْنُ الشَّعْرِ يَخْبِنُهُ خَبْنًا: حَذَفَ ثَانِيَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْكُنَ لَهُ شَيْءٌ، إِذَا كَانَ مِمَّا يَجُوزُ فِيهِ الزَّحَافُ.. وَكُلُّهُ مِنَ الْخَبْنِ الَّذِي هُوَ التَّقْلِيصُ.. وَمِنْ جَوَازِيَتِ بَحْرِ الرَّمْلِ الْخَبْنُ: وَهُوَ حَذْفُ الثَّانِيِ السَّاكِنِ فِيصِيرُ: فَاعِلَاتُنُّ، فَاعِلَاتُنُّ، وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ، وَيَدْخُلُ كُلُّ الْأَجْزَاءِ."

انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: خبن، ج2 ص1098. ومفتاح العلوم للسكاكي، ص545.

وتقطع هذا البيت:

إِعْتَزَلَ ذِكْرَكَ الْأَغَانِي وَالْعَزَلَ وَقَلَ الْفَصْلَ وَجَانِبٌ مَنْ هَزَلَ

فاعلاتن، فاعلاتن، فاعلن فاعلاتن، فاعلاتن، فاعلن

سالم، سالم، محذوف محبون، محبون، محذوف⁽¹⁾

فَاعِلَاتُنْ، فَاعِلَاتُنْ، فَاعِلُنْ - فَاعِلَاتُنْ، فَاعِلَاتُنْ، فَاعِلُنْ، وإنما ذَكَرْتُ هذا وإن لم يكن محله اقتداء بمن شرح القصائد قبلي، وهذا القدر اليسير كاف في هذا المحل إذ ليس في الإطالة فيه، بل ولا في ذكره هنا كبير جد، كما قال العلامة ابن حجر⁽²⁾ في "شرح الهمزية": "لأن من يعرف فن العروض وتوابعه لا يحتاج إليه إلا مجرد التذكير، ومن لا يعرفه يستوي عنده ذكر ذلك وحذفه: اليسير منه والكثير". قوله "اعتزل" فعل أمر من مضارع عزله. قال في القاموس⁽³⁾: "يقال عَزَلَهُ، وَيَعْزِلُهُ وَعَزَلَهُ فَاعْتَزَلَ، وَالْعَزْلُ، وتَعَزَلَ: نحاه جانباً ففتحى، والمعنى تنح أي انعزل⁽⁴⁾". فذكر الذكر بالكسر: الحفظ للشيء كالتذكار، والشيء يجري على اللسان يقال: ذَكَرَهُ، واذكُرْهُ، واستذكُرْهُ، وأذكُرْهُ أياه. وقد يكون بعد نسيان وغفلة عن المذكور وقد لا يكون.

والأغاني: جمع أغنية بضم الهمزة وتشديد التحتية كَأَثافي⁽⁵⁾: جمع أئفية وهي في الأصل

(1) - ما بين المعرفتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ)

(2) - ابن حجر: "شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه، وحافظ الديار المصرية، بل حافظ الدنيا مطلقاً، قاضي القضاة: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني المصري الشافعي.. اهتم بالأدب والشعر ثم طلب الحديث.. صنف التصانيف التي عم النفع بها: كشرح البخاري وتعليق التعليق، وتهذيب التهذيب، ولسان الميزان وأشياء أخرى تزيد عن المائة. توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة" انظر طبقات الحفاظ للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ص54، وشذرات الذهب، ج7، ص27.

(3) - القاموس المحيط للفيروز أبادي: "ألف هذا الكتاب في الحقة بين عامي: 796 و 80، وأهداه إلى الأشرف، وكان هدفه في معجمه: الجمع والاستقصاء، وهو للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي من أئمة اللغة والأدب. توفي سنة 816. انظر مقدمة القاموس، دار الجيل، بيروت.

(4) - انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: عزل، ص15، وأساس البلاغة للزمخشري، دار الهدى، الجزائر، مادة: عزل، ص444.

(5) - لم أقف على كلمة "أثافي" في معاجم اللغة بهذا المعنى، وإنما وجدته بمعنى آخر: "الأئفية: ما يوضع عليه القدر، الجمع فيه أئافي، وقد تخفف الياء في الجمع، وهي الحجارة التي تنصب ويُجعل القدر عليها. انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: نفا، الجزء 1، ص490.

اسم لنوع خاص من الغناء، وقد يستعمل في مطلع الغناء كما هنا، فإن النهي عن الغناء بجميع أنواعه والغناء بكسر الغين والمد وقد يقصر، ضرورة صوت طيب موزون مفهوم المعنى، محرك للقلب. والغزل ذكر ما في المحبوب من الأوصاف الجميلة الحسية والمعنوية: كحُمْرَةِ الخد ورشاقة القدم، والجلالة (1) والخبر وقد يراد به التَّشْيِيبُ (2) ويطلق عليه. والتشبيب: يجمع أنواعا أربعة عند المحققين من أهل الأدب: أحدهما ما تقدم ذكره، والثاني ذكر ما في الحب من الصفات كالدُّبُولِ والنُّحُولِ والحُزْنَ والشغف والثالث ذكر ما يتعلق بهما من هجر ووصل وشكوى (3) واعتذار ووفاء واختلاف (4)، والرابع ذكر ما يتعلق بغيرهما، سببهما كالوشاة (5) والرقباء (6). وإنما اختار الغزل دون غيره من الثلاثة المذكورات لأنه في المحبوب خاصة ونهاه عن ذكره ذلك، وبالغ في النهي بعدم تعاطي ذلك من باب أولى، وكأنه يقول له: لا تأت المذكورات ولا تذكرها على لسانك لما يترتب على ذلك من العود (7) والوقوع فيما نهى عنه. ويلزم بذلك تقضى التوبة والاسترسال (8) وتضييع العمر في المعاصي، ووهن التوبة

(1) - "الجلالة" ساقطة في (ظ).

(2) - التشبيب: "الشباب: الفناء والحدأة، شَبَّ، يَشِبُّ، شَبًّا وشَبًّا وشَبِيبة.. وتشبيب الشعر: ترقيق أوله بذكر النساء، وهو من تشبيب النار وتأريثها. وشَبَّ بالمرأة: قال فيها الغزل والنسب، والتشبيب أيضا وصف محاسن المرأة والبوح بحبها، ويسمى النسب وهو غرض من أغراض الشعر عند القدماء." انظر لسان العرب لابن منظور، مادة شَبَّ، ج 4، ص 2181، وقاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، د.أميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، ص 22. ط (1)

(3) - وردت في أصل المخطوطة (شكوا).

(4) - من "هجر ووصل وشكوى واعتذار ووفاء واختلاف" ساقطة في (ظ).

(5) - الوشاة: "وشى به وشيا ووشاية: تم به، ووشى به إلى السلطان وشاية أي: سعى فهو واشٍ وجمعه وشاة، قال: وأصله استخراج الحديث باللفظ والسؤال.. واشٍ لأنه يشي كلامه بالزور ويخرجه". انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: وشى، ج 6 ص 4847، وأساس البلاغة للزمخشري، مادة: وشى، ص 731.

(6) - الرقباء: "رَقِبَ في أسماء الله تعالى: الرقيب: وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فعيل بمعنى فاعل.. ورَقِبَةٌ يَرُقِبُهُ رَقِبة ورَقِبَانَا بالكسر فهما ورَقِبُونَا وترقبه: انتظره وورصده..". انظر لسان العرب لابن منظور مادة: رقب، ج 3، ص 1699. انظر أساس البلاغة للزمخشري، مادة: رقب، ص 256.

(7) - العود: "عاد إليه: يعُودُ، عودة وعودا، رجع وفي المثل: العودُ أحمد.. وقد عاد له بعدما كان أعرض عنه. وتقول: رجع عوده على بدنه، تريد أنه لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه..". انظر لسان العرب، مادة عود، ج 4، ص 3157.

(8) - الاسترسال: "الاسترسال إلى الإنسان كالاستئناس والطمأنينة واليقظة به فيما يحدثه. وأصله السكون والنبات، واسترسال إليه أي انبسط واستأنس واسترسل في قراءته..". انظر الصحاح للجوهري، مادة رسل، ج 4، ص 1708، ولسان العرب لابن منظور، مادة رسل، ج 3، ص 1644.

وضعها، وربما تأسف على ما فاته منها، واشتهى العود، ولا يخفى عليك ما في ذلك من المبالغة وانه من باب من حام حول الحما يوشك أن يقع فيه.

قال العلماء: "الغِنَاءُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ وَالشَّعْرُ قُرْآنُهُ"⁽¹⁾ والمراد به: الشعر المذموم الموقع في الغفلة، والبطالة والمعصية، والضلالة، لا الشعر الممدوح الموصل إلى العرفان أو إلى طرق الرضوان، إذ الشعر منه: ممدوح ومذموم والشعراء كذلك، يشهد بذلك قوله تعالى: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) إلى قوله: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)⁽²⁾.

قال المفسر: "الشعراء منهنما قسمان: قسم ذمه الله، وقسم مدحه"⁽³⁾ وسيأتي لذلك مزيد بيان عند قول الناظم: "وَأَنْظِمِ الشُّعْرَ" إلخ.

قال المطرزي⁽⁴⁾ في المعنى:

وَإِنِّي لِأَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى
حَلِيفَ عَوَانَ أَوْ أَلِيفَ أَغَانِي

قوله: "وَقِلِ الْفَصْلَ" أي قل الكلام الفصل وهو بالصاد المهملة، ويوجد في بعض النسخ بالصاد المعجمة وهو غلط وتحريف.

(1) - وهو حديث ورد بلفظ "الجرس مزامير الشيطان" وفي رواية "مزمار" وفي رواية من "مزامر" كما في المناوي، رواه مسلم وأحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر كشف الحفاء ومزيل الالباس لاسماعيل العجلوني، دار إحياء التراث الإسلامي، ط(2)، ج1، ص331.

(2) - تمام الآية: قال الله تعالى: "يَلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا.." سورة الشعراء، الآيات: 224 إلى 227.

(3) - "لا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولى النهي، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر وقيل به أو سمعه.. كشعر حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير... وهناك الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم، فهو المتكلم بالباطل.. وروى اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام". انظر الجامع لاحكام القرآن - للقرطبي، ج13، ص148. وصفوة التفسير محمد علي الصابوني، ج2، ص396.

(4) - المطرزي: "أبو الفتح ناصر بن المكارم عبد السيد بن علي المطرزي: الفقيه الحنفي النحوي، الأديب الخوارزمي. كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الأدب كان في الفقه فاضلا وله عدة تصانيف نافعة منها: شرح المقامات للحريري وله كتاب الغرب.. دخل بغداد وكان معتزلي الاعتقاد.. والمطرزي.. هذه التسمية إلى من يطرز الثياب". انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج5، ص6.

قال في النهاية في صفة كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَلَامُهُ فَصْلٌ لَا نَزْرٌ (1) وَلَا هَذْرٌ (2) " أي كلامه بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل والمعنى: اجعل كلامك كله حقا ولا تمزحه بباطل لأن الإنسان مطالب بكل أقواله وأفعاله، وإنما نص على ذلك لأن الإنسان قد لا يعتني بالكلام (3) ولا يلتفت فيكون سببا لوقوعه في جهنم كما قال عليه الصلاة والسلام: (وَهَلْ يُكَبِّ النَّاسُ فِي جَهَنَّمَ عَلَى مَنْ أَخْرَجَهُمْ إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ) (4).

وقد نبه الله على ذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى: (وَلِيَخْشَى الَّذِينَ إِلَى قَوْلِهِ: فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (5).

فإن التقوى شاملة لكل ذلك، وإنما عطف القول وهو خاص على التقوى (6) وهي عامة شاملة للتببيه على أن الإنسان قد لا يعتني بما يقوله اللسان كما في الحديث: (إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ لَا يَلْقَى بِهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا) (7)، أي سبعين سنة. قوله: "وَجَانِبٌ مَنْ هَزَلَ". اهزل: ضد الجدد، قال في القاموس (8): "هزل كضرب، وفرح،

(1) - نزر: "نَزَرَ: مال نزر: قليل، ونَزَرَ مِنَ الشَّيْءِ تَقَلَّلَ مِنْهُ وَعَطَاءٌ مَنزُورٌ: نَزْرٌ". انظر أساس البلاغة للزمخشري، مادة: نزر، ص 663.

(2) - هذر: "هَذَرَ البَعِيرُ هَذِيرًا أَي رَدَّدَ صَوْتَهُ فِي حُنَجْرَتِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: هَذَرْتُ فَاظْنَيْتِ، وَكَذَلِكَ هَذَرَ تَهْدِيرًا. وَفِي الْمَثَلِ: كَالْمُهَذَّرِ فِي الْغَنَةِ يَضْرِبُ مِثْلًا لِلرَّجُلِ يَصِيحُ وَيَجَلِبُ". انظر لسان العرب لابن منظور مادة: هذر، ج 6، ص 4633.

(3) - ما بين المعقوتين ساقط في (ق) أنه من (ظ).

(4) - الحديث أخرجه الزمذي في صحيح سننه كتاب الإيمان، باب كف اللسان، ج 4، ص 125.

... وأخرجه ابن ماجه في صحيح سننه كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، ج 2، ص 1312.

وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج 5، ص 66.

(5) - تمام الآية: قال الله تعالى: "وَلِيَخْشَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا" سورة النساء، الآية: 9.

(6) - ما بين المعقوتين مصحف في (ق) صوبته من (ظ).

(7) - الحديث: رواه النسائي: قال صحيح على شرط مسلم ولفظه . ورواه مالك والبخاري ولفظه: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي بها بالاً، يرفعه الله بها درجاته في الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي بها بالاً يهوي بها في جهنم"، وأخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الرقاق. باب حفظ اللسان، ج 7، ص 184، وأخرجه الزمذي في سننه، كتاب الإيمان، ج 2، ص 268، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب حفظ اللسان، ج 18، ص 117.

(8) - القاموس المحيظ للفيروز أبادي: سبق التعريف به، راجع ص 12.

وهازل، ورجل هزل ككتف كثير الهزل (1) ."

نهاه عن صحبة أهل الهزل ومجالستهم (2)، ففي النهي مبالغة، لأن نهيه عن مجالستهم تفيد تعاطي ذلك من باب أولى بالكلام، فيه كناية ومبالغة والكناية (3): مجاز، والمجاز أبلغ من الحقيقة.

ونهاه عن ذلك لأنه يؤدي إلى الغفلة وهي طريق للمعاصي وفوات الخير والانقطاع عن الله، وعن العلم. والاشتغال بما ذكر فيه انحطاط الرتبة أيضا، لأن النفس من جلاسها كل نسبة: فمن عاشر أهل السوء اكتسب كما أن من عاشر أهل الخير اكتسب منهم.

قال بعض الفضلاء: "وقد تكتسب الأخلاق من معاشرة الرفاق، فإن صلاحها من معاشرة الكرام وفسادها من معاشرة اللئام، ورب طبع كريم أفسدته معاشرة لئيم، وطبع لئيم أصلحته مصاحبة كريم" (4).

ومجانبة الأشرار مطلوبة بكل اعتبار كما أن مصاحبة الأخيار مطلوبة بكل اعتبار وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم (يُحَشِّرُ الْمَرْءَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) (5).

وقال علي (6) رضي الله عنه لولده الحسن: (الصَّدِيقُ رُقْعَةٌ فِي ثَوْبِكَ فَانظُرْ مِمَّ تُرَقِّعُهُ) (7)، وقال

(1) - المصدر نفسه، مادة: هزل، ج 4، ص 70.

(2) - وردت في أصل المخطوطة كلمة "مجالستهم" مكررة، حذفت واحدة منها.

(3) - الكناية: "هو ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه.. وسمي كناية لما فيه من إخفاء وجه التصريح، والسبب في أن المجاز أبلغ من الحقيقة هو أن مبنى المجاز على الانتقال من المألوف إلى المألوف". انظر مفتاح العلوم للسكاكي ص 402 - 412.

(4) - ورد بهذا المعنى: انظر: أدب الدنيا والدين لابي الحسن البصري الماء وردى، المكتبة العلمية، الأزهر الشريف، مصر، ص 72.

(5) - الحديث: أخرجه الترمذي في السنن كتاب الزهد، ج 2، ص 280، وأخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب، ج 4، ص 259، وأخرجه الإمام النووي في منهل الواردين شرح رياض الصالحين، ج 1، ص 274.

(6) - علي بن أبي طالب رضي الله عنه "هو أمير المؤمنين أبو الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج البتول ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، علي بن أبي طالب، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورابع الخلفاء الراشدين.. هو أول من آمن من الصبيان.. كان شجاعا لا يشق له غبار.. كانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر وكان رحمه الله أفصح الناس بعد رسول الله وأكثرهم علما وزهدا.. وقد طعن غدرا في السابع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة.

انظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبو نعيم الإصهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 74، وصور من سير الصحابة لعبد الحميد السعياي، قدم له: الشيخ عائض بن عبد الله القرني، وصفة الصفوة لابن الجوزي، ج 1، ص 129.

(7) - نسب هذا القول للأوزاعي: قال: "الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب إن لم تكن مظه شانتة".

انظر المستطرف من كل فن مستظرف لشهاب الدين الألبشهي، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، وورد في كتاب (2) ط

بعض الحكماء في وصيته لولده: "يا بني احذر مقارنة ذوي الطباع الرذلة (1) لئلا تسرق طباعك من طباعهم وأنت لا تشعر (2)". وقال الشاعر:

واصْحَبِ الْأَخْيَارَ وارغب فيهم رُبُّ مَنْ صَاحَبْتَهُ مثل الجرب (3)

فإذا كان الخليل كريم الأخلاق، شريف الأعراف، حسن السيرة، طاهر السريرة بمحاسن (4) الشيم يقتدي، وبنجم رشده في طريق المكارم يهتدي، وإذا كان سيئ الأعمال، خبيث الأقوال، كان المغتبط به كذلك.

فواجب على العاقل اللبيب والفقن الأريب (5) مصاحبة الأخيار، ومجانبة الأشرار، وواجب عليه أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهديب خلاته، ويكتسي حلل الكمال والجمال بدمائه شمائله، وحميد طرائقه، ولكن في الهوام، ويسهر الليالي إلى أن يرتقي شرافات المجد والمعالي. فقد قيل: "من شَمَّرَ عن ساق الجد والاجتهاد، حصل على المراد". وقيل: "من شَمَّرَ عن ساق الجد، وجد مفتاح الجد". ومن كلام الثعالبي (6):

= الأدب والإنشاء في الصداقة والصدق لأبي حيان التوحيدي: المطبعة الشرقية بمصر ص30.

قال بعض السلف: "الصاحب كالرقعة في التوب فإن كان مشاكلاً لم ينب عنه الطرف وإن كان غير مشاكلاً كان الفضح"

(1) - الرذلة: "الرذلة والرذيل والأرذل: الدون من الناس وقيل: الدون في منظره وحالاته، وقيل هو الدون الحسيس، وقيل هو الرديء، كل شيء".
انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: رذل، ج3، ص1632.

(2) - انظر أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري الماء وردى المكتبة العلامة، الأزهر الشريف، مصر، ص72.

(3) - لم أفق على قائله وهو ضمن أبيات هي:

ودع النَّاسَ فَلَاحْتَمَمَهُمْ وَإِذَا سَأَلْتُمْ فَاسْتَمُوا
إِنَّمَا مِنْ شَيْءٍ وَعَبْدٌ كَالَّذِي يَشْتَرِي الصَّفِيرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ
وَاصْطَدَقِ النَّاسَ إِذَا حَدَّثَهُمْ وَدَعِ النَّاسَ فَمَنْ شَاءَ كَذِبٌ

انظر المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي موسى الملباني، المطبعة الجزائرية الإسلامية، ص234.

(4) - وردت في أصل المخطوطة "في محاسن".

(5) - الأريب: "الأريب: الإزب والإزبة والأزبة والأزب: الذكاء والبصر بالأمور، وهو من العقل أريب، أربة فهو أريب من قوم أرباء، أي ذو دهي وبصر". انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: أرب، ج1، ص55.

(6) - الثعالبي: "أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري قال ابن هشام صاحب الذخيرة في حقه: "جامع أشات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه وإمام المصنفين، سار ذكره سير المثل، انتشرت دواوينه في المشارق والمغرب" وله من التوليف: "تيممة الدهر في محاسن أهل العصر" وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها، وله أيضا كتاب "فقه اللغة وسحر البلاغة" مؤنس الوحيد" توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة رحمه الله تعالى". انظر سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي، ضبطه: أحمد عبير المطبعة العربية، دمشق، ط(1)، ص3، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج2، ص350.

"لا يحصل برد (1) العيش إلا بكبد (2) النصب".

وقال عمرو بن العاص (3) رضي الله عنه: "المرء حيث يجعل نفسه: إن رفعها ارتفعت وإن وضعها اتضعت".

وقد اشتمل بيت القصيد على "براعة المطلع" و "حسن الابتداء" (4)، لأنه سهل اللفظ، حسن السبك واضح المعنى، خال من الحشو، متناسب الشطرين، بحيث لم يكن الشطر الأول أجنيا من الثاني، ولا بعيدا عنه ولا متوقف البيت على ما بعده. واشتمل أيضا على براعة الاستهلال (5): وهي أن يكون المطلع دالا على ما بنيت عليه القصيدة ونحوها من غرض الشاعر والكاتب الناثر.

والقصيدة مبنية على النصائح، والوصايا، والتنشيط لأخذ العلم وربما لا يمكن تحصيله مع الاشتغال بهذه المنهيات (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) (6). ولذلك ظهرت براعة الاستهلال.

(1) - برد: "وَبَرَدْنَا اللَّيْلَ يَبْرَدُنَا بَرْدًا، وَبَرَدَ عَلَيْنَا، أَصَابَنَا بَرْدُهُ، وَلَيْلَةٌ بَارِدَةٌ الْعَيْشِ وَبَرْدَةٌ: هَيْبَتُهُ، وَعَيْشٌ بَارِدٌ: هَيْبَةٌ طَيِّبٌ، أَي طَابَ بِهَا عَيْشُهَا". انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: برد، ج1، ص249.

(2) - كد: "الكد: الشدة في العمل وطلب الكسب". انظر الصحاح للجوهري، مادة: كد، ج2، ص530.

(3) - عمرو بن العاص: "عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي أبو عبد الله فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام أسلم في هدنة الحديبية، ولأه النبي صلى الله عليه وسلم امرة جيش (ذات السلاسل) الفتح قنشرين، وصالح أهل حلب وفسح وانطاكية.. وولاه عمر رضي الله عنه فلسطين ثم مصر، توفي بالقاهرة سنة ثلاث وأربعين وله تسعون سنة"

انظر مروج الذهب للمسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ج3، ص32، والطبقات الكبرى لابن سعد دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب للملايين، ج4، ص191.

(4) - براعة المطلع وحسن الابتداء. "اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها.. وقد سمي ابن المعتز براعة الاستهلال: حسن الابتداء.."

انظر خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي شرح عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط(1)، ج1، ص19.

(5) - براعة الاستهلال: أنظر خزانة الأدب لابن حجة الحموي، ج1، ص30.

(6) - تمام الآية: قال الله تعالى: "مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَطْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَالِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ" سورة الأحزاب، الآية: 4.

وفي البيت من أنواع البديع زائد على ما تقدم التلميح⁽¹⁾ بتقديم اللام على الميم، وهو الإشارة إلى آية أو حديث أو بيت شعر أو قصة ويجوز أن يكون هنا الإشارة إلى الآية الشريفة وهي قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ)⁽²⁾. وأن تكون الإشارة فيه لحديث الشمائل⁽³⁾ الذي ذكرناه آنفا. وفيه الجناس المضارع⁽⁴⁾ في "العزل" و "الهزل" لأن العين والهاء من حروف الخلق⁽⁵⁾ فالمخرج واحد والألف واللام لا يخرجان الجناس عن حقيقته كما صرح به أهل البديع في قوله تعالى: (يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)⁽⁶⁾.

وفيه "الطباق"⁽⁷⁾ بين قوله: "إِعْتَزَلَ ذِكْرٌ" و "قَلَّ الْفَصْلُ" فالأول نهي القول من⁽⁸⁾ والثاني أمر به وإن كان كل واحد منهما مخصوصا، ويجوز أن يكون فيه "السلب والإيجاب"⁽⁹⁾ كما قالوا في البديع.

قال رحمه الله:

وَدَعِ الذُّكْرَى لِلْيَامِ الصَّبَا
فَلْيَأْيَامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَقْل

(1) - التلميح: "في الاصطلاح أن يشير ناظم هذا النوع في بيت أو قربة سجع إلى قصة معلومة أو نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره وإلى مثل سائر يجريه في كلامه على جهة التمثيل وأحسنه وأبلغه ما حصل به زيادة في المعنى المقصود وسماه قوم التلميح". انظر خزائن الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ج 1، ص 43.

(2) - تمام الآية: قال الله تعالى: "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ" سورة الطارق، الآية: 13.

(3) - راجع ص 121 من قسم التحقيق.

(4) - الجناس المضارع: "المراد بالمضارع هنا المشابه في المخرج.. ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمي مضارعا".

انظر التلخيص للقرظيني، مفرح: عبد الرحمن الدرقوتني، المكتبة التجارية، ص 34 ط 1.

(5) - قال ابن منظور: "الحروف الخلقية: العين والهاء والحاء والخاء والعين.. فالعين أقصاها في الخلق وأدخلها".

انظر لسان العرب لابن منظور، ج 1، باب ألقاب الحروف وطياتها، ص 17.

(6) - تمام الآية: قال الله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ يَوَفُّكَونَ" سورة الروم، الآية 59.

(7) - الطباق: "لغة الجمع بين الشئين، واصطلاحا: الجمع بين معنيين متقابلين سواء كان ذلك التقابل التضاد أو الإيجاب أو السلب أو العدم والملكية.. وسواء أكان ذلك حقيقيا أو مجازيا".

انظر العمدة لابن رشيق، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ط (5)، دار الجيل، بيروت، ج 2، ص 6.

(8) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) ألبته (منظر).

(9) - انظر التلخيص في علوم البلاغة للقرظيني، ص 348.

"دع" بدل امر بمعنى أترك، وهو من ودع يدع، واصله يودع بكسر الدال، ثم فتحت طلبا للخفة في الاستعمال وعد يعد ووقعت الواو بين الفتحة والكسرة فحذفت، ألا أن ودع مهجور الاستعمال قال في المزهري (1) :

"دع (2) بفتح بصيغة الماضي لأنه لا يستعمل ودع إلا فيها وفعل أمر وفعلا مضارعا" انتهى.

وقال بعضهم: دع فعل أمر ميت ماضيه فلا يستعمل، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (دَعُوا الْحَبْشَةَ مَا وَدَعَوْكُمْ وَأَتْرَكُوا التَّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ) (3) فأجيب عنه بأن الأصل ما "ودعوكم" فحذفت الألف منه للمشاركة والمزاوجة ليحصل الاتفاق مع "تركوكم" فلا يرد على القائل بإماتة، إذ هو مما نحن فيه و "الذكرى" مفعول "دع" وهو اسم مصدر وكالذكر وكلاهما يطلق على القول وهما بمعنى نقول: ذكرته ذكرى (4) غير مُجْرَاة (2).

قال بعض العلماء: " وللذكرى معان وردت في القرآن، فقوله تعالى: (وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ) (5) اسم للتذكير (وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (6) أي عبرة

(1) - المزهري: "من خير الكتب التي ألفها جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي... وقد جعله في خمسين نوعا: ثمانية في اللغة من حيث الإسناد، وثلاثة عشر من حيث الألفاظ، وثلاثة عشر من حيث المعنى وخمسة من حيث لطائفها وملحها، وواحد راجع إلى حفظ اللغة وثمانية راجعة إلى حال اللغة ورؤايتها، ونوع لمعرفة الشعر والشعراء والأخيرة لمعرفة أغلاط العرب".

انظر المزهري في علوم اللغة للسيوطي، شرح وتعليق: محمد جواد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، مقدمة ج1 ط (2).

(2) - انظر المزهري للسيوطي، ج2، ص45، 46.

(3) - الحديث: أخرجه النسائي في سننه كتاب الجهاد، باب غزو الترك والحبشة، ج6، ص44، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب في النهي عن تهيج الترك والحبشة، ج4، ص112.

(4) - وردت في أصل المخطوطة (محراب)

ذكرى: "الدَّكْرُ: الحفظ للشيء، تَدَكَّرَهُ والدَّكَّرُ أيضا: الشيء يجري على اللسان والاسم: الدَّكْرَى بمعنى الذكر، ويكون بمعنى التذكير.. ونقول ذكرته ذكرى غير مُجْرَاة" انظر اللسان لابن منظور، مادة: ذكر، ج3، ص1507.

(5) - تمام الآية: قال الله تعالى: "الْمِصَّ كِتَابَ أَنْزَلِ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صُدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ" سورة الأعراف، الآية: 1.

(6) - تمام الآية: قال الله تعالى: "وَوَهَبْنَا لَهُ وَأَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ" سورة ص، الآية: 43، ووردت في سورة =

(أَنْتَى لَهُمُ الذِّكْرَى) (1) أي من أين لهم التوبة (ذِكْرَى الدَّارِ) (2)
 أي يذكروا الدار الآخرة ويزهدون في الدنيا (فَأَنْتَى لَهُمُ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) (3) أي
 فكيف إذا جاءتهم الساعة بذكراهم (4)

وقوله "لأيام الصبا" اللام للتوقيت كالتي في قوله تعالى: (لَا يُجْلِيهَا لَوْ قَتَهَا إِلَّا هُوَ) (5).
 وقوله تعالى: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ) (6) والمعنى: دع الذكرى تكون في أيام الصبا
 مأخوذ من الصبوة: وهي الميل مع هوى النفس المذموم، يقال: صَبَا يَصْبُو، صبوة إذا مال مع
 هوى نفسه، ولا يصبو الغلام حتى يبلغ الحنث (7).

قال صلى الله عليه وسلم: (عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍ لَا صَبْوَةَ لَهُ) (8) والمعنى: دع ما
 سلب منك في أيام الصبَا ودع ذكره أيضا، وأتركه كما تركك أيام الصبا، وذهبت فيذكرها
 يشتد عليك اللوم وحيث ذهبت بالذكر ولا تليق بك، ويجوز أن يكون جاراه مجارات الخصم
 وإقامة الحجة عليه.

فكأنه قال له: أنت لا تنكر ذهاب أيام الصبَا عنك فاترك الذكرى للأيام، وأنت تقول
 باستحالة عودها، ولا تنكر ذهاب أيام الصبَا فكأنه سجع له عليك بذلك (9)، وأتى بالفاء بعده
 لذلك يقال: "فلأيام الصبا نجم افل".

== الزمر، الآية 61، ووردت في سورة غافر، الآية 53.

(1) - تمام الآية: قال الله تعالى: " أَنْتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ " سورة الدخان، الآية: 12

(2) - تمام الآية: قال الله تعالى: "إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ" سورة ص، الآية: 45.

(3) - تمام الآية: قال الله تعالى: "فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتَى هُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ" سورة محمد، الآية 19

(4) - ما بين المعرفتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(5) - تمام الآية: قال الله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً.. " سورة الأعراف، الآية 187.

(6) - تمام الآية: "أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا" سورة الإسراء، الآية: 78.

(7) - انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: صبا، ج 4، ص 2397.

(8) - الحديث: أخرجه أحمد في مسنده ج 4 ص 151

(9) - في (ظ) "سجل عليه بذلك" وهو الصواب.

والنجم إذا أفل لا يخفى أفوله على ذي بصر إلا أنه تأنق في العبارة وأحسن في الاستعارة⁽¹⁾ فقال: "فلأيام الصبا نجم أفل" وإنما أعاده بلفظه استلذاذاً بذكره، واستعظاماً لقدره كقول القائل:

سُعَادُ الَّتِي أَضْنَاكَ حُبُّ سُعَادَا (2)

إلا أنه لم يُخله من حسن بديعي كما سيأتي التبيه عليه في ذكر البديع آخر البيت وأتى بلطف العبارة، وظريف الإشارة لأنها نصيحة. والنصيحة يتطلب⁽³⁾ في إلقائها رجاء قبولها لأن النصيحة من حيث هي حسنة⁽⁴⁾ كما نبه على ذلك في السنة الشريفة المطهرة: وربما استفيد من ذكر إعادة أيام الصبا التخمير والتأسف عليها، تنبيه.

اعلم أن كل إنسان يتأسف على أيام الصبَا، وهو زمن الشبيبة على قدر مقامه وفوات مرامه، وما يتعلق⁽⁵⁾ به من إضاعة أيامه وإن كانت خالية من علم وعبادة وإفادة واستفادة، إلا أن من وفقه الله تعالى بطلب الزيادة، وربما تأسف على الماضي من الأيام مطلقاً وإن لم تكن خالية من خير.

قال الإمام الشافعي⁽⁶⁾ رضي الله عنه:

وَأَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لَيَالِيَا تَمُرُّ بِلَا عِلْمٍ وَتُحَسَبُ مِنْ عُمْرِي (7)

(1) - الاستعارة: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بآثارك للمشبه ما يخص المشبه به.. والاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع.. وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت منزلها". انظر العمدة لابن رشيق، ج1، ص180، والتلخيص في علوم البلاغة للقرظيني، ص329.

(2) عجز البيت: "وَإِعْرَاضُهَا عَنْكَ اسْتَمَرَّ وَزَادَ" بيت لعمر بن الإطابة، وهي أمه، وأبوه: عامر بن زيد

- أنظر: كتاب من اسمه عمرو من الشعراء لأبي عبد الله الجراح، تحقيق عبد العزيز المناع، مكتبة الخانجي القاهرة، ص67

وشرح الحدود النحوية: جمال الدين الفاكهي، تحقيق: محمد الطيب الإبراهيم، دار النفائس، بيروت، ص179

(3) - في (ظ) "يتلطف" وهو الصواب.

(4) - في (ظ) "خشني" والصواب من (ق).

(5) - في (ظ) "يليق" والصواب من (ق)

(6) - الشافعي: "محمد بن ادريس بن العباس بن شافع، الإمام، عالم عصره، ناصر الحديث، فقيه الملة.. كان من أشعر الناس، وآدب الناس،

وأعرفهم بالقراءات، كان مولده يوم مات أبو حنيفة، ومات الشافعي رحمه الله، في رجب سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة"

انظر تهذيب سير أعلام النبلاء، شمس الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(2)، ج1، ص353، ومعجم الأدباء

لباقوت الحموي، ج5، ص190، وطبقات الحفاظ للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ص152.

(7) - لم أقف عليه في ديواني الشافعي.

وقد تأسف على زمن الشبيبة أقوام كثيرون من الأفاضل، ورجال افضلون من الأمثال، وقد أكثر الشعراء في ذلك، وقد اخترت من ذلك ما قاله الإمام محمد بن إدريس الشافعي حيث قال:

واظلم ليلى إذ أضاء شهابها
على الرغم مني حين طار غرابها
ومأواك من كل الديار خرابها
طلّاع شيب ليس تغني خضابها
وقد فنيت نفس تولى⁽³⁾ شبابها
تنغص من أيامه مستطابها⁽⁴⁾

خبت ناراً نفسي باشتعال مفارقي
أيا بومة قد عشتت فوق هامتي
رأيت خراب⁽²⁾ العمر مني فررتني
أنعم عيشاً بعد ما حل عارضي
وعزة عمر المرء حين شبابه
إذا اصفر لون المرء وابيض شعره

وتأتي الأبيات في الزهد، والقصيدة من غرر شعره.

وقوله "نجم افل" كوكب ليلي سواء كان من الخنس أو من غيرها وافل: بمعنى: غاب

وذهب قال في القاموس: "افل كضرب، وعلم، افولا: غاب⁽⁵⁾" انتهى.

قلت ويطلق النجم ويراد به الوقت المضروب والوظيفة من كل شيء، والأصل قاله صاحب القاموس في اللغة، فائدة قال بعضهم: زمن⁽⁶⁾ الشبيبة من كونه غلاماً، وقيل: من كونه يافعا، توسعا إلى الثلاثين وقيل: إلى ثلاث وثلاثين، وقال بعضهم: ثلاثون شبيبة، وثلاثون كهولة، وثلاثون شيخوخة، وثلاثون همية فيقال: شيخ هم وهو العمر الطبيعي عند الحكماء، وقيل الكهولة من الثلاثين إلى الخمسين. قاله في النهاية. فائدة أخرى في ضبط [صفات]⁽⁷⁾

1 - (نار) ساقطة في أصل المخطوطة

(2) - ورد في أصل المخطوطة: (غراب)

3 - ورد في المخطوطة: (تولي)

4 - انظر ديوان الإمام الشافعي: جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي، دار الجليل، بيروت، ص20، ديوان الشافعي وحكمه: جمع وإعداد: محمود بيجو، دار المعرفة، دمشق، ط(1)، ص13.

(5) - انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة افل، ج3، ص339.

(6) - "زمن" ساقطة في (ظ)

(7) - ما بين المعرفتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

الإنسان من حين الحمل به إلى آخر عمره.

قال بعض أهل اللغة (1): "إذا كان في بطن أمه يسمى جنينا، إذا انفصل يسمى رضيعا وصيبا، وإذا فطم سمي فطيما، ثم يكون غلاما لسبع، ثم يافعا لعشر، ثم خرورا لخمسة عشر، ثم قَمَ بالقاف والميم مضمومتين لخمس وعشرين، ثم عنطنطا بالنون والطاء المهملة المكررة إلى الثلاثين، ثم صُمَّلا بالهاء المهملة والميم مضمومتين لحد الأربعين، ثم كهلا إلى الخمسين، ثم شيخا إلى الثمانين، ثم هَمَّأ (2) للممات" (3).

وقد نظم هذه الفوائد العلامة الدماميني (4)، ولا بأس بإيرادها لنفاستها ونفاضة ناظمها.
قال: لصفات الآدمي وضبطها.

لتلقط دارا تقتتيه بديعا	جنينا إذا ما كان في بطن أمه
ومن بعد يدعى بالصبي رضيعا	فإن فطموه فالغلام لسبعة
كذا يافعا لعشر فله مطيعا	إلى خمس عشر بالخزور سمة
لتحسن فيما تنجيه ضيعا	قمه إلى خمس وعشرين حجة
فذاك دعاة الفاضلون جميعا	ومن بعد يدعى بالقنطنط
ثلاثين فاحفظ لا تعد مضيعا	هل لحد الأربعين وبعده
بكهل إلى الخمسين فادع سميعا	وشيخا إلى حد الثمانين فادعه
بها ثم هما للممات سريعا	

وفي هذه الأبيات من أنواع البديع التزديد: "وهو أن يعلق الناظم أو الناثر لفظة في بيت

(1) - التعالي: راجع ترجمته، ص 125

(2) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(3) - انظر فقه اللغة وأسرار العربية للتعالي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 59.

(4) - الدماميني: "العلامة اللغوي النحوي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عمر بن جعفر القرشي المعروف ببدر الدين الدماميني، المولود بالأسكندرية،.. مؤلف الحواشي الهندية وشرح معنى اللبيب لابن هشام.. توفي في كابرجا بالهند سنة 827 هـ انظر بغية الوعاة للسيوطي،

واحد أو سبعة، ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر." (1) ومنه قوله تعالى: (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) (2).

واستشهد على هذا النوع من النظم بقول أبي نواس (3) في الخمرة:

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانَ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتَهُ سَرَاءُ (4)

وهو في بيت القصيدة "فلأيام الصبا" وفيه الاستعارة (5) وهي كما قال الفخر الرازي (6) "هي جعلك الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه" وقال صاحب الاستعارات: "هي الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة عن إرادته".

وهي "نجم افل" فإنه شبه أيام الصبا بنجم غاب. فلفظ "نجم" استعارة تصريحية (7)

(1) - انظر كتاب العمدة: حيث ذكر ابن رشيق هذا المعنى للزديد، ج2، ص2.

(2) - سورة الحشر، الآية: 20.

(3) - أبو نواس: "هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صاح الحكمي بالولاء أبو نواس: شاعر العراق في عصره ولد في الأهواز من بلاد خوزستان، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق ومنها إلى مصر فمدح أميرها وعاد إلى بغداد فأقام فيها إلى أن توفي فيها سنة ثلاث وستون وسبعماية" نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره حمرياته، له ديوان شعر وديوان آخر سمي: "الفكاهة والانتناس في مجون أبي نواس" انظر الإعلام للزركلي، ج2، ص240.

(4) - ورد البيت في أصل المحفوظة محرفاً:

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَخْوَانَ سَاحَتَهَا إِذَا مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتَهُ سَوَاءُ

البيت من قصيدة يخاطب فيها الشاعر إبراهيم النظام رئيس إحدى فرق المعتزلة، وكان قد لامه على شرب الخمر، مطلعها:

دَعْ عَنَّا لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِعْرَاءُ وَدَاوِنِي بِأَلَّتِي كُنَّا تَهِي السَّاءُ

انظر ديوان أبي نواس، دار بيروت للطباعة والنشر، ص7.

(5) - راجع ص130 من قسم التحقيق.

(6) - فخر الدين الرازي: "العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المفسر المتكلم، صاحب التصانيف المشهورة.. كان فريد عصره ومتكلم زمانه، رزق الحضرة في تصانيفه فانتشرت في الأقاليم منها: مفتاح الغيب، وكتاب المحصول ونهاية المعقول، والمعالم في الأصول، والفقه، والملل والنحل، وشرح سقط الزند للمعري وغيرها..." انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج5، ص21.

(7) - الاستعارة التصريحية: إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية ومعناها أي: يصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به".

انظر التبيان لطبي، دار البلاغة للطباعة والنشر بيروت، ط(1) ص151، وجواهر البلاغة لأحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص16.

و"أفل" تجريد، وفيه المساواة⁽¹⁾، وعرفها قدامة⁽²⁾: بأن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص.

قال [التيفاشي]⁽³⁾: "مساواة اللفظ للمعنى هو الأمر المتوسط بين الإيجاز والإسهاب" كقوله تعالى: (وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا)⁽⁴⁾، ومن شواهد في النظم:

وَأِنْ خَاَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ⁽⁵⁾

قال رحمه الله تعالى ورضي عنه:

إِنْ أَهْنَا عَيْشِيَّةٌ قَضَيْتَهَا
ذَهَبَتْ لِدَاتِهَا وَإِثْمُ حُلِّ

"إِنْ" للتأكيد: لأن المخاطب منكر⁽⁶⁾ ومنزل منزلة المنكر و"أهنا عيشة" اسم منصوب بفتحة مقدرة مضاف إلى "عيشة" والعيشة الحياة، قال في القاموس: "العيش: الحياة يقال: عَاشَ،

(1) - المساواة: "مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال: هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذا من البلاغة التي وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال: كأن ألفاظه قلوب بعبانه ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك" انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد النعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ج1، ص281، وخزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ج2، ص491.

(2) - قدامة: "هو قدامة بن جعفر بن قدامة كان نصراني وأسلم على يد المسمى بالله وكان أحد البلغاء، الفصحاء، والفلاسفة الفضلاء ومن يشار إليه في علم المنطق.. له من الكتب كتاب الخراج ثمان منازل وأضاف إليه تاسعة، كتاب نقد الشعر، كتاب صرف المهم، كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر. انظر الفهرست لابن النديم، ص177.

(3) - ما بين المعقوفين في (ق) الشافعي والصواب من (ظ) لأن التيفاشي عالم بلاغة. راجع ص136

(4) - تمام الآية: قال الله تعالى: "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا". سورة الإسراء، الآية: 33.

(5) - البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى يمدح فيها هرم بن سنان والحارث بن عوف، ويحذر القبيلتين (عبس وذبيان) من الحرب مطلعها:

أَمِنْ أُمِّ أَوْسَى دِمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ
بِحومانسة الدراج فالمستقيم

انظر ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة والنشر، ص74، وجمهرة اشعار العرب لأبي زيد القرشي، دار بيروت للطباعة والنشر، ص110.

(6) - وردت في أصل المحظوظة "منكرا" بالنصب وهو تحريف.

يَعِيشُ، عَيْشًا وَمَعَاشًا، وَمَعِيشًا، وَمَعِيشَةً وَعَيْشَةً (1) "ولعل المراد "بأهنا عيشة" ما مضى له زمن الشبية، و"قضيتها" بالخطاب من التقضي شيئًا فشيئًا والمعنى: أذهبتها وأفيتها في هذه المنهيات والنزهات، أو في غير اشتغالك بالعلم والعمل به والأول أولى بدليل ما سيأتي من التخصيص على الإثم.

وحذف المتعلق ليعم ويكون صالحًا لما قدرته ولغيره، والخبر "ذهبت لذاتها" جمع لذة يقال: "لذذته بالكسر، اللذة بالفتح، لذاذة فهو لذيد أي مشتهى" قاله في النهاية.. قال بعضهم: "اللذة ضد الألم" من ذهب لذتها بأجمعها ولم يبق لك منها إلا الإثم الذي حل بك، وهذا الذهب وهو أحسن زمن شبابك (2) وأعذبه وألذه، فابك على ذهابه وضياعه في خسارة وغفلة عن الله، واشتغال بغيره، وانظر هل لك قدرة على إعادة ذلك الزمان واسترجاع تلك اللذة والزمن لا يمكن تعويض ما فات منه مطلقًا سواء كان زمن الشبية أو غيرها.

ويجوز أن تكون الألف واللام (3) في "الإثم" بدلا من مضاف إليه على طريقة الكوفيين والتقدير: وأثمها حل بك، والمعنى كذلك.

قال بعضهم:

تَفَنَّا اللَّذَاذَةَ مِمَّنْ نَالَ شَهْوَتَهُ مِّنَ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبَقَى عَوَاقِبُ سَوْءٍ فِي مَغْبَتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِّنْ بَعْدِهَا النَّارُ (4)

وفي البيت من أنواع البديع: الجمع والتفريق (5): فالجمع في الشطر الأول، والتفريق في

الثاني وفيه الطباق (6) بين "ذهبت" و "حل" أو شبه الطباق على رأي.

(1) - القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: عيش، ج2، ص291.

(2) - في (ط) حياتك

(3) - انظر الانصاف في مسائل الخلاف للأنباري، دار الفكر، ج2، ص722.

(4) - لم أقف على القائل

(5) - الجمع والتفريق: "هو أن يجمع الشاعر بين شيئين في حكم واحد يفرق بينهما في ذلك الحكم كقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ

فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) فكأنه يقول الشمس والقمر كوكبان: فهذا نهارى وهذا ليلي، فتجمع بينهما إذ هما كوكبان

لم فرق بأن هذا مضيء نهارا وهذا يضيء ليلا..". انظر التبيان في البيان للطبي 127

(6) - الطباق: راجع ص127 من قسم التحقيق.

ومنه السهولة⁽¹⁾: وهي كما قال اليفاشي⁽²⁾: "أن يأتي الشاعر بالفاظ سهلة تتميز عن سواها عن من له أوفى⁽³⁾ ذوق في الأدب، وهي مم يدل على رقة الحاشية وسلامة الطبع وحسن الروية".

وقال غيره: "هي خلو اللفظ من التكليف والتعقيد والتعسف في السبك".

قلت وعندني أن غالب أبيات القصيدة من هذا النوع، وفي البيت: التزادف⁽⁴⁾ وتختص بالهجاء دون غيرها، والتزادف: عبارة عن الاتيان بالفاظ غير سجمية كما حكى عن ابن العلاء⁽⁵⁾ أنه سئل عن أحسن الهجاء فقال: "الذي إذا انشدته العذراء لا يقبح عليها⁽⁶⁾" والبيت من هذا قوله: "والإثم حل".

قال رحمه الله:

وَأَتْرَكَ الْغَادَةَ لَا تَحْفَلُ بِهَا تَمَسُّ فِي عِزٍّ وَتُرْفَعُ وَتُجَلُّ

الترك معلوم و "الغادة" بالغين المعجمة: المرأة الناعمة، يقال: امرأة غادة وغيد، أبنية الغيد⁽⁷⁾، مفعول "أترك" ويجوز أن يكون المفعول في الأصل المضاف المحذوف، والأصل: أترك

(1) - السهولة: انظر التبيان للطبي، ص316.

(2) - اليفاشي: أحمد بن يوسف بن أحمد أبي بكر بن حمدون شرف الدين اليفاشي: عالم بالحجارة الكريمة من أهل تيفاش (من قرى قفصة بالهريقية) ولديها وتعلم بمصر.. وولي القضاء في بلده، ثم عاد إلى القاهرة وتوفي بها... من كتبه: أزهار الأفكار في جواهر الأحجار. انظر الاعلام للزركلبي، ج1، ص259.

(3) - في (ظ) "أدنى".

(4) - انظر الصناعيين للعسكري، ص275. في (ظ) "النزاهة".

(5) - ابن العلاء: "أبو عمر بن العلاء بن عمارة بن عبد الله بن الحصين بن الحارث.. كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعريية والشعر.. وكان أبو عمرو رأسا في حياة الحسن البصري، مقدما في عصره.. أخباره كثيرة.. توفي سنة أربع وخمسين" أنظر تاريخ الإسلام ووليات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(2)، ج1، ص18، ووليات الأعيان لابن خلكان، ج3، ص136.

(6) - انظر العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني، مطبعة أمين هندية، مصر، ط(1) ج2، ص138.

(7) - أبنية الغيد: يقصد بها أوزانها التي بمعناها، وهي مما ورد في استعمالات العرب.

محبة الغادة أو قربها أو وصلها أو ميلك لها أو اجتماعك بها أو محادثتها وما أشبه ذلك، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ليعم النهي فيكون فيه ابلغية.

والألف واللام في الغادة للجنس لا للعهد أي: اترك كل غادة والمراد ترك النساء جملة غادة كانت أو غير غادة لأن مقاربة النساء ومحادثتهن والجلوس معهن يثير الشهوة ويوجب الغفلة (لأنهن حبايل الشيطان)⁽¹⁾ كما في الحديث الشريف.

ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا آيَسَ الشَّيْطَانُ مِنْ بَنِي آدَمَ قَطُّ إِلَّا جَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِ النَّسَاءِ)⁽²⁾.

قوله: "لا تحفل بها" لا تبال بها يقال: حفل بكذا⁽³⁾ إذا باليت به والمعنى: لا تبال بها ولا تهتم بأمرها وهي جملة من لا الناهية والفعل المضارع المجزوم بها، مؤكدة لما قبله في المعنى وقوله: "تمس في غز" مجزوم في جواب الأمر وهو قوله: "اترك".

والمساء في اللغة من الزوال إلى آخر نصف النهار⁽⁴⁾ يقال: أمسا الرجل إذا دخل في المساء وهذا لا يحتاج إلى منصوب بل يكتب بمرفوعه، و"العز" ضد "الذل"، والمساء لا يتقيد بذلك بل كل الأوقات كذلك إلا أن في التعبير "بتمسي" إشارة لطيفة لذوي الأذواق الظريفة وهو أنه من أطاع الله وكف عن المحارم ابتغاء وجهه مزاول نهاره لا يمسي إلا وقد رفعه الله وأجله.

وقوله: "ترفع" معطوف على "تمسي" أي ترفع ارتفاعا عند الله وعند الناس، وقوله: "تجل" معطوف على "تمسي" أي تعظم وتبجل، أي تصير عظيما جليلا، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي كُرَّةٍ يَخْرُجُ لِلنَّاسِ عَمَلَهُ)⁽⁵⁾.

(1) - الحديث: رواه في مسند الفردوس عن عقبة بن عامر بلفظ: (النساء حبايل الشيطان)، انظر الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، دار

المعرفة، بيروت، ج2، ص326. وكشف الخفاء ومزيل الألباس للمجلوني، ج1، ص269.

(2) - لم أقف عليه بهذا اللفظ، وعثرت عليه بلفظ (مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضْرَعُ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ) صحيح مسلم

ط ٥٧٤

(3) - ورد في أصل المخطوطة كلمة "كذا" مكررة، حذف واحدة منها.

(4) - في (ظ) "الليل الأول"

(5) - الحديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلَا كُرَّةٌ يَخْرُجُ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَأَنَّ مَا كَانَ". وأخرجه أحمد في مسنده، ج3، ص28، والبيهقي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الزهد،

وقال الشاعر:

ومَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تَعَلَّمَ⁽¹⁾

وقال بعضهم أيضا⁽²⁾:

إِذَا كُنْتُ عِنِّي يَا مَنَى النَّفْسِ رَاضِيَا أَرَأَى كَلَّ مَا فِي الْكُونِ لِي يَتَبَسَّمُ
وَإِنْ كُنْتُ عِنِّي يَا مَنَى النَّفْسِ نَائِيَا تَتَكَرَّرِي فِي الدَّهْرِ مَا كُنْتُ أَعْلَمُ⁽³⁾

فائدة في ضبط صفات المرأة من حين نشوئها⁽⁴⁾ إلى آخر عمرها.

قال أبو منصور النعماني⁽⁵⁾ في فقه اللغة فصل ترتيب أسنان المرأة: "يقال هي طفلة ما

دامت صغيرة ثم وليدة إذا تحركت ثم كاعب إذا كعب ثديها أي استدار ومنه سميت الكعبة⁽⁶⁾ لاستدارتها، ثم ناهد إذا زاد، ثم معصر إذا ادركت، ثم عانس إذا ارتفعت عن حد الاعصار، ثم خَوْدٌ إذا توسطت الشباب، ثم مُسَلِّفٌ إذا جاوزت الأربعين، ثم نَصَفٌ إذا كانت بين الشباب والتعجيز، ثم شهلة كهلة إذا وجدت مسّ الكبر وفيها بقية وجلد⁽⁷⁾، ثم حَيَزُونَ إذا

ج 10، ص 225، والبداية والنهاية لابن كثير، ج 2، ص 125 وفيه اختلاف عن نص المخطوط.

(1) - البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى والتي مطلعها:

أَمَّنْ أُمَّ أَوْفَى دَمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانِ نَبِيَّةِ السُّدْرِاجِ فَمَا لَمْتُمْ

انظر ديوان زهير، دار بيروت للطباعة والنشر، ص 88، وجمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد القرشي، ط (1)، ج 1، ص 209، ونهاية الأرب من شرح معلقات العرب لأبي فراس النعماني الحلبي ط (1) ص 95.

(2) - "أيضا" ساقطة في (ط).

(3) - لم أقف على قائلها

(4) - وردت "نشوها" تحريف.

(5) - سبق الترجمة له راجع ص 251 من قسم التحقيق.

(6) - الكعبة: بيت الله الحرام.. وقد جاء في الأخبار أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها فهي سرّة الأرض ووسط الدنيا، أم القرى.. روي عن مجاهد أنه قال: "أسس إبراهيم زوايا البيت من أربعة أحجار، سميت كعبة لأنها مكعبة وقيل الترييع.. وكل بناء مربع كعبة، وكل بناء يرتفع كعبة".

انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ج 4، ص 526 - 530، ومروج الذهب للمسعودي، ج 2، ص 49.

(7) - ورد في أصل المخطوطة "ثم شهلة كهلة إذا وجدت من الكبر".

صارت⁽¹⁾ عالية السن ناقصة القوة، ثم قَلَعَم⁽²⁾ ولَطِيطٌ إذا انحنى قَدُّها وسقطت أسنانها⁽³⁾. انتهى، نقله بلفظه.

وفي البيت من أنواع البديع الإيغال⁽⁴⁾: وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها وهو في قوله: "ترفع وتجل" أيضا لم يكن بينها ترادف والأصل عدمه، ومنه الإختراع⁽⁵⁾: وهو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق إليه وهو في "تمسي" وفيه التمكين⁽⁶⁾: وهو استقرار قافية البيت في موضعها وعدم نفاها عن محلها. قال رحمه الله:

وَأَلَّةٌ عَنِ آلَةٍ لَهَا أُطْرَبَتْ وَعَنِ الْأَمْرِ دُرُوتٌ كَالْكَفَلِ

قوله: "واله⁽⁷⁾" هو فعل أمر مبني على حذف الألف المتقلبة عن الياء وهاءه مفتوحة وهو من هلى، يلهي تقول: هيت عن الشيء بالكسر، الهى بالفتح هيا إذا سلوت عنه. وتركت

(1) - ورد في أصل المخطوطة "رجعت". والتصويب من كتاب فقه اللغة للتحالبي .

(2) - ساقطة في أصل المخطوط. أُسْتَمَتْهُ مِنْ (نظ)

(3) - انظر فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور التحالبي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، فصل: ترتيب سن المرأة، ص 60.

(4) - وردت (يقال) في الأصل والصواب: الإيغال: "هذا نوع من إيغال السر، يقال أوغل في المسير إذا بلغ غاية قصده بسرعة: وهو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتي بقافيته فإذا أراد الإتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد معنى زائدا على معنى البيت.. انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني شرح وتعليق محمد عبد المنعم جفاحي الشركة العالمية للكتاب بيروت ج 1 ص 305 وخزانة الأدب لابن حجة الحموي، ج 2، ص 27.

(5) - الإختراع: "خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع اتیان الشاعر بالمعنى المتطرف والذي لم تجر العادة بمنزله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع... فصار الإختراع للمعنى والإبداع للفظ .. والإختراع هو الغاية في الاستحسان" انظر العمدة لابن رشيق، ج 1، ص 265

(6) - التمكين: "منهم من سماه بالتمكين ومنهم من سماه بالتحالف القافية: هو أن يمهد النثر لسجعه فقرة أو الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتي به القافية يمكنه في مكانها، غير ناهرة ولا قلقة.. بحيث أن منشد البيت إذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها وأكثر فواصل القرآن على هذه الصورة".

انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموي، ج 2، ص 446.

(7) - انظر الصحاح للجوهري، مادة: هلى، ج 6، ص 2488.

ذكره وإذا غفلت عنه واشتغلت بغيره، وليس هو من لى يلهو أو من هذا هوه بالشيء، أهو وتلهيت به إذا لعبت به وتشاغلت وغفلت به عن غيره، وألهاه عن كذا أي اشغله والأمر منه: أله بحذف الواو وهأوه مضمومة وقوله: "عن آلة هو" هو مفرد مضاف فيعم آلات اللهو جميعا كالجنتك⁽¹⁾ والعود والدريج والمزامير وغير ذلك من كل حرام سماعه أو مكروه.

وقوله: "اطربت" أي من شأنها ذلك وهو جملة من فعل ماضي وفاعل وهو ضمير راجع لآلة اللهو والتاء علامة التانيث، والجملة يجوز أن تكون صفة ولا يتعين، والتقدير آله هو بالجر لأنها لا نعت لها، ويجوز فيه النصب على الحالية من آلة هو ان تعرفت بالإضافة أو بلغت حد الإعلام بالعلبة والتقدير: آله هو مطربة، أي: حالة كونها مطربة والطرِب قال بعضهم⁽²⁾: "خفة لفرح وانبساط يعتري الإنسان عند وجود ما يلائم طبعه".

وقال في الصحاح⁽³⁾: "الطرب خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور قد طرب قال الجعدي⁽⁴⁾:

وأراني طربا في أثرهم طرب الواليه وكالمختبل

وأطربه غيره وتطربه⁽⁵⁾ انتهى.

والسماع⁽⁶⁾ من حيث هو قد صنف فيه العلماء وميزوا محذوره ومكروهه ومباحه،

(1) - ورد في أصل المخطوطة "جند" والصواب: الجنتك: "وهو آلة محدثة طيبة النعمة، للذبة السماع، يقارب العود في حسنه وشكله، مباين لشكل العود ورأسه ممال إلى أسفل" انظر صبح الأعشى للقلقشندي، ج2، ص151. في (ظ)

(2) - يقصد بهم الصوفية: راجع التعريفات للعلامة علي الجرجاني، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ص20.

(3) - الصحاح: "إذا كان الخليل أول من ألف معجما في العربية ومهد السبل لمن بعده، فإن الشيخ أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب تاج اللغة وصحاح العربية المعروف بالصحاح يليه في الشهرة، وبعد الجوهري - دون منازع - أول من وجه تأليف المعجم العربي هذه الوجهة السهلة الحسنة، فالصحاح كان آية في التأليف المعجمي. ترتبه على حروف المعجم واعتبار آخر حرف في الكلمة بدلا من الأول وجعله الباب للحرف الأخير والفصل للأول" انظر مقدمة الصحاح للجوهري، ص124 - 118.

(4) - الجعدي: "الناطقة الجعدي أبو ليلي حسان بن عبد الله الجعدي العامري أحد القدماء المعتمدين والشعراء المحضرين، ووصاف الخيل المشهورين، كان شاعرا مطبوعا في الجاهلية والإسلام وهو أول من سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يعين إلى غيرها. ما أتت: اصهبهان... انظر جواهر الأدب في أدبيات ولغة العرب للسيد أحمد الهاشمي، ج2، ص494.

(5) - انظر الصحاح للجوهري، مادة: طرب، ج1، ص171.

(6) - انظر رسالة في السماع والرقص للشيخ محمد الميحي الحنبلي تعليق محمد حسن حلاق دار بن حزم ص35/32 والشريعة الإسلامية والفتن. أحمد القضاة. دار الجيل ص188

والكلام فيه طويل لا تحتمله هذه العجالة. وأما سماع أهل الله والسادة الصوفية (1) المخلصون من شرك النفس ونفاياها فلا يرد عليهم ما يرد على غيرهم من أهل الغفلة من الشهوة البشرية والميل النفساني والخطر الشيطاني وإنما هو منشط لهم مقوِّ لهم على السلوك إلى الله تعالى. وربما قطعوا به المسافات البعيدة في السلوك (2) التي لا يقطعونها في زمن طويل قالوا: "وربما عرض للسالك عقبة في سلوكه فلا يقطعها (3) إلا بالسماع".

قال بعض السادة: "يعجبني الطرب كما اعجب القوم الكرام قبلي". وقال قائلهم: "هاتوا لنا آلات تفتح لنا حالات". وقال سيدي الشيخ زين العابدين البكري المدني (4) رضي الله عنه وعن أصوله:

[هَاتُوا مَوَالِي وَهَاتُوا مَنْشِدَ أَقْوَالٍ فَكُلُّ سَاعَةٍ طَرَبٌ تَفْتَحُ لَنَا أَحْوَالَ] (5)

- (1) - التصوف: "طريقة أصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه من لذة.. والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده.. اختص المقلوبون على العبادة باسم الصوفية والتصوفة من أعلام التصوفة: الجنيد البغدادي والحلاج والقشيري وأبو حامد الغزالي وغيرهم.."
- انظر مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ص 863 وإسلام بلا مذاهب للدكتور الشكعة، ص 495، و معالم الفلسفة الإسلامية لمحمد جواد مغنية، مكتبة الهلال، بيروت، ط (3)، ص 164.
- (2) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).
- (3) - في (ظ) " يقطعها " والصواب من (ق).
- (4) - زين العابدين البكري: "أحمد بن زين العابدين بن محمد بن علي البكري الصديقي المصري، الشافعي.. له حسن الوصف في تفسير سورة الصَّف ودِيوان شعر: روض المشتاق وبهجة العشاق على أسلوب لوعة الشاكي ودمعة الباكي.. كانت وفاته سنة 1087 هجرية."
- انظر هدية العارفين لإسماعيل البغدادي مطبعة وكالة المعارف استنبول ج 1، ص 152، ودائرة المعارف لبطرس البستاني، ج 10، ص 559.
- (5) - ما بين المعقوفين مصحف في (ق) صوبته من (ظ).

حكاية مما نحن فيه: لما حضر الحجاج الثقفي⁽¹⁾ سعيد ابن جبير⁽²⁾ وكان قد أرسل إليه وهو الجليل القدر التابعي قال له الحجاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، فقال الحجاج: بل شقي ابن كسير، فقال له: أبي⁽³⁾ أعرف باسمي واسم أبي منك، ثم قال له: لأي شيء لم تضحك ولا تزال واجعا⁽⁴⁾، فقال له: ما رأيت ما يعجبني فاضحك له، فقال له: سمعت العود أو شيئا من آلات اللهو لا تشرح صدرك وضحكت، ثم أمر باحضار العود، فحضر ثم ضرب عليه بين يديه بحضرة سعيد المذكور فبكى سعيد بكاء شديدا، فلما تمت النوبة وبطل الضرب قال له الحجاج: قد خالفت الناس يا سعيد، الناس يضحكون ويضطربون وأنت تبكي وتضجر فقال له: يا حجاج سمعت العود يقول لك: ستندم، ستندم، ثم قتله وكان آخر قتيل قتله بدعوته الصالحة فإنه دعا الله قبيل قتله أن لا يسقطه على أحد بعده وأن يموت الحجاج حتف أنفه لا يقتل لئلا يحتمل عنه قاتله ما اجترم. وكان كذلك فإنه بعد قليل مات حتف أنفه كما سأل الله تعالى والقصة معلومة في محلها⁽⁵⁾.

قوله: "وعن الأورد مرتج الكفل" معطوف على قوله: "وأله عن آلة هو أطربت" بإعادة الجار والنكته في الإعادة، الإشارة إلى استقلال كل منهما بالنهي إذ لم لو يعد لربما توهم رجوع النهي إلى مجموعهما لا جميعهما، أو يتوهم عدم الاستقلالية وعدم الاعتناء بشأنه و"الأورد" الذي لا نبات بعارضيه⁽⁶⁾ و"مرتج الكفل" نعت له وهو كناية العجز أو ردفه أو الملحمة وجمعه

(1) - الحجاج الثقفي: "الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد: قائد، داهية سفاك، خطيب، ولد في الطائف (بالحجاز) وانتقل إلى الشام، فلحق بنائب عبد الملك بن مروان في عديد شرطته... قمع الثورة، وثبت له الإمارة عشرين سنة بين مدينة واسط بين الكوفة والبصرة، كان سفاكا، سفاحا باتفاق معظم المؤرخين.. مات بواسط سنة خمس وتسعين رهو ابن أربع وخمسين ٢٠٠، انظر الإعلام للزركلي، ج 2، ص 175، ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 3، ص 132.

(2) - سعيد بن جبير: "هو الفقيه البكاء والعالم الدعاء، السعيد الشهيد والسديد الحميد أبو عبد الله الجبيري بن سعيد، كان يبكي بالليل حتى عمش.. كان يحتم القرآن في كل ليلتين.. وكان يخرج كل سنة مرتين مرة للحج ومرة للعمرة، انظر الإعلام للزركلي، ج 3، ص 93 وصفة الصفوة للإمام ابن الجوزي، دار الجليل، لبنان، ط (1)، ج 2، ص 44، ووفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان، تحقيق: د. حسان عباس، دار صادر، بيروت، ط (1)، ج 2، ص 371.

(3) - في (ظ) "أمي" وهو الصواب.

(4) - في (ب) "واجما".

(5) - راجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الاصبهاني ج 2، ص 294، ومروج الذهب للمسعودي، ج 3، ص 173.

(6) - عارضيه: "عارضتنا الإنسان صفحا حدييه وقولهم فلان خفيف العارضين يراد به خفة شعر عارضيه"

انظر الصحاح للجوهري، مادة: عرض، ج 3، ص 1036.

اكفال وقال في تحفة العروس (1): "الردف والكفل والعجز والعجزة والملكمة واحد، يقال امرأة عجز إذا كانت عظيمة العجزة" و"الكفل" مقعد الشيطان من المرأة و"الأمرد" تم وصفه بأوصاف آخر وليس مراده التزغيب فيه بل مراده التنفير والتبعيد عنه والمعنى: وإن بهذه الأوصاف الحسان عندك وبهذه المشابه كلها اتركه ولا تشتغل به فإن ذلك مما يرضي الشيطان ويغضب الرحمان.

واعلم أنه سيؤول أمر من هو لكل هذه الأوصاف إلى حال شنيع ونعت فظيع، وسيأتي التصريح به في قوله: "وافتكّر في امر منتهى الذي" (2) الآتي وفي البيت من أنواع البديع: الجناس المزيد المصحف (3) في "أله" و"آلة هو" والاشتقاق (4) في "أله" و"هو" وفيه التكميل (5) وهو أن يأتي الشاعر والناثر بمعنى تام من مدح أو ذم أو وصف أو غير ذلك من الأغراض الشعرية وفنونها ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط، غير كامل فيأتي بمعنى آخر فيزيده تكميلاً، فلو اقتصر المصنف على قوله: "وأله عن آلة هو" لكان كاملاً لكنه زاده كمالاً بقوله: "اطربت" وفي قوله: "مرتج الكفل" كذلك، ثم ذكر من أوصاف "الأمرد" المنهى عنه قوله رحمه الله تعالى ونفع به:

إِنْ تَبَدَّى تَنْكَسِفُ شَمْسُ الضَّحَى أَوْ تَشْنَى فَهُوَ يُزْرِي بِالْأَسَلِ

(1) - تحفة العروس ونزهة النفوس لأبي عبد الله محمد بن أحمد البجلي الأديب وهو مجلد على خمسة وعشرين باباً من كتب علم الباه.

انظر كشف الظنون لحاجي خليفة، ج1، ص370.

(2) - تركه الناسخ بياضاً في المخطوط.

(3) - الجناس المصحف: "التصحيف هو زيادة نقاط وحذف نقاط من الكلمة أثناء الكناية مثل: تسقين وتشقين... ومنهم من يسميه جناس الخط وإذا تماثل ركناه خطأ واختلفا لفظاً".

انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموي، ج1، ص86، وزهر الربيع في المعاني والبيان والبديع للشيخ أحمد الحملاوي، مطبعة الاعتماد، مصر، ط(3)، ص135.

(4) - الاشتقاق: "وهو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى في غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره... انظر خزانة الأدب، ج2، ص286.

(5) - التكميل: "أن تأتي في شيء من الفنون بكلام فتراه ناقصاً لكونه مدخولاً بعبق من جهة دلالة مفهومة فتكمله بجملة ترفع عنه النقص".

كتاب المصباح في علم المعاني والبيان والبديع تصنيف بدر الدين بن مالك الاندلسي الطائي، المطبعة الخيرية 1302هـ ص97.

قوله: "إن تبد" هي إن الشرطية وفعل الشرط والضمير فيه راجع للأمرد فيما قبله والجملة في محل الجزم أي إن⁽¹⁾ لاح وظهر هذا المذكور وقال في النهاية: "وكل شيء أظهرته فقد أبديته وبديته وبيادي الناس بأمره يظهره لهم ومن يبدي لنا صفحته أي يظهر فعله الذي كان يخفيه تنكسف منه شمس الضحا".

الشمس هي الكوكب النهاري الذي⁽²⁾ نسخ ظهوره وجود الليل، وهو النيّر الأعظم وفيه من المنافع ما قاله العلماء: "من إنضاج الثمرة وإصلاح المعادن وغير ذلك" والأفصح في اللغة أن الأول لها والثاني له قاله في النهاية.

والكسوف⁽³⁾ عند علماء الهيئة⁽⁴⁾. "عبارة عن احتجاب الشمس نورها لتوسط القمر بينهما وبين أبصارنا، لأن جرم القمر كمد⁽⁵⁾ ومظلم فيحجب ما وراءه من الأبصار لأن فلكه دون فلك الشمس فإذا اجتمع معهما في درجة واحدة وكان مسامته أحد العقدتين: الرأس⁽⁶⁾ والذنب⁽⁷⁾، أو كان قريبا من أحدهما⁽⁸⁾ فإنه تجوز تحت الشمس فيحول بيننا وبين أبصارنا، وقال علماء الهيئة: "إن كسوف الشمس لا حقيقة له لعدم تغيرها في نفسها لاستفادة ضوئها [من جرمها]⁽⁹⁾".

(1) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

(2) - "الذي" ساقطة في (ظ).

(3) - الكسوف: "هو احتجاب ضوء الشمس عن الأرض بسبب اعتراض القمر لمسار الأشعة الشمسية وذلك عندما يقع القمر بين الشمس والأرض..".

انظر المدخل إلى علم الجغرافيا للدكتور: طه الفرا، محمد محمود بيديس دار المريخ، الرياض ط (2)

(4) - علماء الهيئة: يقصد بهم علماء الفلك.

(5) - كمد: "الكَمْدُ والكُمْدَةُ: تغير اللون وذهاب صفاته وبقاء أثره وكَمْد لونه: إذا تغير". أنظر اللسان، مادة: كمد، ج5، ص3928، والصحاح، مادة كمد، ج2، ص531.

(6) - الرأس: "هي النقطة التي تكون فيها الشمس قريبة من الأرض" انظر رسائل اخوان الصفا وخلافه الوفاء، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ج1، ص123، والمدخل إلى علم الجغرافيا، ص50.

(7) - الذنب: "هي النقطة التي تكون فيها الأرض بعيدة عن الشمس" انظر رسائل اخوان الصفا، ج4، ص144، والمدخل إلى علم الجغرافيا، ص50.

(8) - وردت في أصل المخطوطة "إحدهما"، والصواب من (ظ).

(9) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

وأما خسوف (1) القمر فحقيقته بذهاب ضوئه؛ لأن ضوءه من ضوء الشمس وخسوفه بحيلولة ظل الأرض بين الشمس وبينه، فلا يبقى فيه ضوء البتة .

وقد نقض على علماء أهل الهيئة أقوالهم علماء الإسلام: فِيمَن نقض عليهم ابن العربي (2) الخدث فقال لهم: أي علماء أهل الهيئة: يزعمون أن الشمس أضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير إذا قابله وكيف يظلم القليل الكثير لاسيما وهو من جنسه وكيف تحجب (3) الأرض نور الشمس وهي في زاوية منها؛ لأنهم يزعمون أن الشمس أكبر من الأرض تسعين ضعفا .

وكانوا في الجاهلية أيضا يقولون: إنَّ كسوف الشمس وخسوف القمر لا يكونان أو أحدهما إلا لحياة عظيم أو موته. فرد عليهم اعتقادهم ذلك الشارح بقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ) (4) ، وفي رواية أخرى زيادة على ما ذكر "وهي أن الله إذا تجلَّى لشئٍ من خلقه خَشَعَ لَهُ". وهذه نكتة أخرى زائدة على ما ذكر من التحريف، وأضاف الشمس (5) إلى الضحى لقوتها وإضاءتها في وقته.

(1) - الخسوف: "حينما تقع الأرض بين الشمس والقمر ويقع ظلها على القمر تسبب الخسوف".

انظر رسائل إخوان الصفا (102)، والمدخل إلى علم الجغرافيا، ص 67.

(2) - ابن العربي: "محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله، الشيخ محي الدين أبو بكر الطائفي الحاقمي، الأندلسي المعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوف وغيره. ومن تصانيفه: الفتوحات المكية، اشارات القرآن، مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم والمواعظ الحسنة.. توفى في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة 638".

انظر فوات الوفيات والليل عليها محمد بن شاکر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج 3، ص 435.

(3) - "تحجب" ساقطة في (ظ).

(4) - الحديث: رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى وَكَبِّرُوا وَتَضَعُوا" وفي بعض الروايات "فإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى" وفي أخرى أيضا عن المغيرة بن شعبة: "فإِذَا وَآيَتُهَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا".

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف، ج 2، ص 618، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، ج 2، ص 87.

(5) - في (ظ) القمر والصواب من (ق).

قال في النهاية : " الضحوة ارتفاع أول النهار والضحى بالضم، والقصر فوقه والضحى بالفتح والمد إذا علت⁽¹⁾ والمراد علت الشمس إلى ربع النهار السماء فما بعده".

قوله: " أو تنثني فهو يزري بالأمل" هي جملة معطوفة على فعل الشرط والجزاء والمعطوف على الشرط شرط، والفاء في قوله: "فهو يزري" في محل الجزم جواب الشرط.

قال في القاموس: "زرى عليه زريا: عابه، فهو ثلاثي، ثم قال بعد هذا بقليل: كأزرى لكنه قليل، فالرباعي قليل في الاستعمال. والثلاثي كثير فعلى الكثير ياء يزري مفتوحة وعلى القليل مضمومة⁽²⁾" انتهى ملخصا منه.

و"التثني⁽³⁾ هو الميل والاعتزال وهو التأود أيضا والازر الإحتقار والانتقاص والتعقب و"الأسل" الرماح ويطلق الأسل ويراد به الشجر الطويل وليس مرادا هنا.

قال في الكفاية: " الحنفظ في اللغة: الأسل⁽⁴⁾: الرماح وقيل: الأسل: مادق من الحديد وحدد، فيقع ذلك على الألسنة والسيوف ونحوها، وأكثر ما يستعمل الأسل في الرماح خاصة، لدقة أطرافها، ورقة حداندها، ومنه أسلت اللسان وهي طرفه حيث استدق ورق" انتهى ما أردته. والمعنى وإن كان هذا "الأمرد" بحيث إذا ظهر للشمس كسفت وذهبت نورها فهو أزهى منها، وإذا تأود أزرى قدّه بالرماح فلهو عنه ولا تلتفت إليه، وإن كان بهذه المثابة إن أمره يؤول إلى أمر فطيع وحال شنيع كما سيصرح به قريبا. وفي البيت من أنواع البديع: المبالغة⁽⁵⁾

(1) - ما بين المعقوفين تصحيف في (ق) والصواب من (ظ).

(2) - أنظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة زرى، ج4، ص434.

(3) - أنظر لسان العرب، ج1، مادة: تنثني، ص515، والصحاح للجوهري، ج6، ص2293.

(4) - أنظر لسان العرب لابن منظور، مادة: أسل، ج1، ص80.

(5) - المبالغة: "إن يُدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا ومستعبدا، لئلا يظن انه غير متناه فيه، فالمبالغة تقوم على ما يستبعد

في العقل ووقوعه صحيح"

أنظر التلخيص في علوم البلاغة للقرظيني، ص370، والعمدة لابن رشيق، ج2، ص43.

والإغراق⁽¹⁾ والغلو⁽²⁾ وهو في الشطر الأول، وأما الثاني فلا غلو فيه، لأنه لا يستحيل عقلا، إلا أنه يجوز أن يكون في البيت أيضا الارصاد⁽³⁾: وهو أن يوسوس⁽⁴⁾ الكلام على وجه يدل على بناء ما بعده كما في قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا)⁽⁵⁾ فإذا وقف القارئ على قوله: (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ) علم السامع أن ما بعده (لَبِئَتْ الْعَنْكَبُوتِ) ومثله في البيت، فإن القارئ إذا قرأ "أو تثنى" علم السامع أن ما بعده "فهو يزري بالأسل".

قال رحمه الله:

زَادَ إِنْ قَسَّنَاهُ بِالْبَدْرِ سَنَا أَوْعَدَلْنَاَهُ بِفُضْنٍ فَاعْتَدَلْ

أقول: وهذا البيت على طريقة ما قبله وهو قريب منه في المعنى، والمراد منه تكثير التنفير عن "الأمرد" المذكور آنفا. فكأنه يقول: وإن كان بهذه المثابات كلها ومشملا على⁽⁶⁾ هذه الأوصاف الحسان عندك وعند من هو مثلك فاتركه وألهُ عنه بطاعة الله بدليل قوله الآتي أيضا⁽⁷⁾: "واتق الله" إلخ.

"زاد" هو فعل ماضٍ والضمير فيه راجع إلى "الأمرد" المنفر عنه وهو⁽⁸⁾ وضميره جملة فعلية ماضوية دليل جواب الشرط الذي بعده، وهي الجواب على طريقة الكوفيين، والزيادة

(1) - الإغراق: "إذا كان المدعي ممكنا عقلا لإعادة لإغراق، فالإغراق يبني على أمر ممكن الوقوع لكنه ممتنع وقوعه في العادة"

انظر التلخيص في علوم البلاغة للقرظيني ص372، والعمدة لابن رشيق، ج2، ص49.

(2) - الغلو: "تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها كقوله تعالى: بَلَمَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ"

انظر العمدة لابن رشيق، ج2، ص49، والصناعتين للعسكري، تحقيق: علي الجاوي، ص357.

(3) - الارصاد: "يسميه بعضهم التسهم وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل عليه إذا عُرف الروي"، انظر التلخيص

للقرظيني، ص356.

(4) - في (ظ) "يوسس" والصواب من (ق)

(5) - وتام الآية: قال الله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِئَتْ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ". سورة العنكبوت، الآية: 41.

(6) - "على" ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

(7) - "أيضا" ساقطة في (ظ).

(8) - الواو زيادة يقتضيه المعنى.

معلومة بديهية وضدها النقص.

"إن قسناه" هي أداة⁽¹⁾ الشرط والقياس قال في القاموس: "قاسه بغيره وَعَلَيْهِ يقيسهُ قَيْسًا وقياسًا قَدْرَهُ عَلَى مِثَالِهِ فَانْقَاسٌ"⁽²⁾ و"البدر" القمر الممتلي نورا، ولا يكون بدرا إلا في رابعة عشر الشهر، قيل: وخامسة عشر، وقوله: "سنا" هو منصوب على التمييز بفتحة مقدره على الألف المحذوفة، و"السنا" مقصور النور والإضاءة، وعطف على جملة الشرط.

و"عدلناة" بغضن والمعطوف على الشرط شرط والجواب "فاعتدل" والفاء فيه رابطة للجواب.

قال في الصحاح: "عَادَلَّ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ وَعَدَلْتُ فَلَانًا بفلان إذا سَوَّيْتُ بَيْنَهُمَا"⁽³⁾ انتهى.

وعلى هذا فإن كان الضمير فيه الغصن فهو بمعنى استقام وليس مرادا إذ ليس فيه أكبر أمرا⁽⁴⁾ وكان الأولى في التعبير أن يقال: "فانعدل" بنون قبل العين، وتكون الصلة محذوفة والتقدير "فانعدل": أي إعوَجَّ كما قال في القاموس⁽⁵⁾ والمعنى: وإن قسناه أي قداه بَغْضٍ زَادَ عليه وفاقه في الاعتدال وهذا مدحٌ. والتعبير بمثل هذا سلكه كثير من المولدين⁽⁶⁾ فإن شعرهم كما قال صاحب⁽⁷⁾ يتيمة الدهر⁽⁸⁾: "أبدعُ من أشعارِ المحدثين"⁽⁹⁾ والصناعات الشعرية موجودة في

(1) - في (ظ) "إرادة" والصواب من (ق).

(2) - أنظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: قاس، ج2، ص252.

(3) - أنظر الصحاح للجوهري، مادة: عدل، ج5، ص1769.

(4) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبت من (ظ).

(5) - انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: عدل، ج4، ص13.

(6) - المولّدون "طبقة المولدين أو المحدثين هم الذين نشئوا زمن فساد العربية وامتزاج العرب بالمعجم وذلك من عصر الدولة العباسية إلى يومنا

هذا. انظر جواهر الأدب في أدبيات لغة العرب للسيد أحمد الهاشمي، دار الفكر، ص329.

(7) - صاحب يتيمة الدهر: أبو منصور الثعالبي، في (ظ) در صاحب، ص سا قطة.

(8) - يتيمة الدهر: "كتاب جمع الكثير من غرر شعراء القرن الرابع وصدور القرن الخامس: ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقضاتهم - ذوي الجند و ذوي الجون - في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسوطة عليها يومذاك.. وقد وضع على أربعة أقسام، يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول" أنظر يتيمة الدهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المقدمة، ص15.

(9) - المحدثون: "كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد احسن هذا المولّد.. يعني بذلك شعر جرير والفرزدق فجعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضمين.. وأما ابن قتيبة فقد جعل كل قديم حديثا في عصره...". أنظر العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيقي، ج1، ص57.

كلامهم أكثر من كلام غيرهم، وكذلك سلكه المحدثون وأبدعوا فيه. من ذلك قول بعضهم:

فَأَسْمُوكَ بِالْبَدْرِ يَا مَنْ لَا أَسْمِيَهُ وَأَيْنَ لِلْبَدْرِ مَعْنَى أَنْتَ حَاوِيَهُ
وَالْغُصْنَ قَدَّكَ لَا وَاللَّهِ مَا صَدَقُوا بَلْ أَنْتَ أَعْدَلُ مِنْهُ فِي تَثْيِيهِ (٨)

وقول ابن سناء الملك (٩) ملك الغرب من جملة قصيدة مطلعها:

إِذَا أَقْبَلْتُ تَحْتَالُ بَيْنَ الدَّوَائِبِ فَلَا تَسْأَلُوا كَمَ مِنْ نَفُوسِ ذَوَائِبِ
نَسَبْتُ إِلَيْهَا الْبَدْرَ وَالْغُصْنَ فَازْدَرْتُ وَقَالَتْ وَقَدْ أَبَدْتُ تَلَهْفُ غَاضِبِ
إِذَا كُنْتُ قَدْ نَاسَبْتُ بِي قَمَرَ الدُّجَا فَمَا لَكَ لَا يُغْنِيكَ عَنِّي مُنَاسِبِي
وَتَزْعُمُ أَنَّ الْغُصْنَ قَدِّي فَإِنْ يَكُنْ صَاحِبًا فَعَانِقْ كُلَّ غُصْنٍ وَلَا عِبِ

وقال بعض الفضلاء في موشحة له:

شَبَّهُوا الْحَبُوبَ بِالْقَمَرِ وَبِغُصْنٍ نَاعِمٍ نَضْرُ

وَيَرَوْضِي يَابِعَ الزَّهْرِ (١٠).

وهو عندي فوق ما وصفوا و أحسن ما قيل في هذا الباب، وهو مما أجمع عليه ذور

الألباب قول بعضهم:

قَاسَ الْوَرَى وَجْهَ الْحَيِّبِ بِالْقَمَرِ بِجَامِعِ بَيْنَهُمَا وَهُوَ الْخَفَرُ
قَلَّتْ الْقِيَاسُ بَاطِلٌ يَفْرَقُهُ وَبَعْدَ ذَا عِنْدِي فِي الْوَجْهِ نَظْرُ (١١)

(١) - لم أقف على قائله .

(٢) - ابن سناء الملك: "ابن القاضي الرشيد جعفر بن سناء الملك محمد بن هبة الله محمد السعدي، المصري المعروف بابن سناء الملك أحد أدباء

العصر وشعرائه المجيدين، ذاع صيته وسار ذكره.. صنف كتاب روح الحيوان لخص فيه كتاب الحيوان للجاحظ وله ديوان موشحات سماه

الطرز، وديوان شعر، وديوان رسائل.. مات سنة ثمان وستمائة بالقاهرة.."

أنظر الأعلام للزركلي، ج 9، ص 57، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، ط (1)، ج 5، ص 581، وشذرات الذهب، ج 5، ص 35.

(3) - لم أقف على القائل .

(4) - هذا الشعر ينسب للإمام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الصائغ الحنفي.. كان أديبا

لطيفا، طريفا، بارعا في النظم.. أنظر النجوم الزاهرة لجمال الدين الاتابكي، تحقيق د. إبراهيم علي طرخان، ج 11، ص 138. ط (1) .

وفي البيت من أنواع البديع: الطباق بين الزيادة والنقص المعنوي، وذلك في الشطر الأول بل وفي الثاني؛ لأن المطابقة والطاق ويسمى أيضا المتضاد⁽¹⁾. وهي الجمع بين اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين حقيقة أو حكما وهي غير طريقة الرازي⁽²⁾ ومن تابعه، وهي إيا⁽³⁾ الشطر الأول تحقيقا وفي الثاني تقديرا. وفيه الانسجام⁽⁴⁾ والمساواة⁽⁵⁾ وتمكين القافية⁽⁶⁾، لأن⁽⁷⁾ السامع إذا علم أن القصيدة لامية وسكت الناظم بالبيت عند قوله: "وعدلناه بغصن" كمله بقوله: "فاعتدل"

قال رحمه الله تعالى:

وَأَفْتَكِرُ فِي مُنْتَهَى أَمْرِ الَّذِي أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلِيلًا

قوله: "وافتكّر⁽⁸⁾" أي: تأمل إذ الفكر لغة التأمل، والفكر بالكسر اسم مصدر منه،

(1) - المتضاد: "عندما يقول الشاعر أو الكاتب كلاما يجتمع فيه ألفاظ متضادة فإن الفرس يطلقون على ذلك اسم المتضاد، أما الكتاب الخليل بن أحمد فإنه يسمي الأصل بالمطابق، وأما جمهور البديعيين فقد بنوا فهمهم للطباق على دلالة المطابقة بمعنى الاختلاف، قال ابن رشيق: المطابقة في الكلام أن يتألف في معناه ما يضاده في فحواه.. انظر العمدة لابن رشيق، ج1، ص244.

(2) - سبق الترجمة له راجع ص 183.

(3) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ)

(4) - الانسجام: "أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في الخدار ويكاد لسهولة تركيبه وعدوية ألفاظه أن يسيل رقة.. وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع فإنهم قرروا أن يكون بعيدا عن التصنيع، خاليا من الأنواع البديعية إلا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد.. انظر خزنة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ج1، ص417.

(5) - المساواة: "مما قرَّعته قدامة من التلاف اللفظ مع المعنى وشرَّحه بأن قال: "هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى؛ بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه" وهذا من البلاغة التي وصف لها بعض الوصَّافِ بعضَ البلغاء فقال: "كأن ألفاظه قوالب لمعانيه" ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك... انظر: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي، تصحيح أحمد سعد علي مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر (1939) ص68. وخزنة الأدب لابن حجة، ج2، ص491، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، تعليق وشرح: محمد الخفاجي الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ج1، ص281.

(6) - تمكين القافية: "منهم من سماه بالتمكين، ومنهم من سماه بالتلاف القافية، وهو أن يهجد الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتي به القافية ممكنة في مكانها.. غير نادرة ولا قلقة.. بحيث أن منشد البيت إذا سكت دون قافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها، وأكثر لواصل القرآن على هذه الصورة..". انظر: خزنة الأدب، ج2، ص446.

(7) - في (ظ) "فإن".

(8) - الفكر: التأمل، والاسم الفكر والفكرة والمصدر الفَكْرُ بالفتح، قال يعقوب: يقال ليس لي في هذا الأمر فِكْرٌ، أي: ليس لي فيه ع

وبالفتح المصدر وكذلك الفكرة والفكر حركة النفس في المعقولات الصرفة⁽¹⁾. وقيل: "جولان الفكر في الأمور المعلومة لك، أو هو جولان الفكرة في الصورة التي تأخذها من الحس المشترك والمعاني التي تأخذها من الوهم بالتركيب والتفريق". وقوله: "في منتهى⁽²⁾ أمر الذي أنت تهواه". منتهى الشيء، ونهايته وغايته، آخره و"منتهى أمر" هذا المنفّر عنه: الموت وعدم الإحساس والحركة والانتقال إلى حالة لا تقبلها النفوس ولا تألفها ولا تشته فيها.

فإذا كانت محاسن هذا المحبوب تؤول⁽³⁾ للفناء والزوال والتغير، فأى فائدة تبقى لك ومحوبك يزول ويضمحل ويصبح في حالة شنيعة وصفات فظيعة، وكم فاتك من الخيرات باشتغالك بمن يؤول أمره إلى هذا. دنيوية وأخروية.

وكأنه يقول له: عليك بلذة لا تفنى ولا تتغير، وحسان لا تبلى محاسنهن بطول الزمن ولا تتغير، ينبغي لك أن لا تتبع اللذة الباقية باللذة الفانية.

وقوله: "تجد" بالجزم في جواب الأمر أول البيت على تقدير أن تفكر في كذا وكذا تجد أمرا في غايته جلا أي: حقيرا وعظيما في البشاعة والفظاعة. فإن "جلا"⁽⁴⁾ كما قال في الصحاح: "يطلق على الشيء وضده".

وفي نسخة: وافتكر في منتهى حسن الذي أنت "تهواه" والمعنى واحد إلا أن الأمر أعم من الحسن والحسن أخص منه. ويحتمل أن الناظم أراد الحالة التي بعد الموت أيضا: من تغير الجثة وننتها أو ما أشبه ذلك، وإذا افتكرت في ذلك وجدته زاجرا رادعا لك عن النطق به والميل إليه.

=حاجة. قال: والفتح فيه الفصح من الكسر". انظر: الصحاح للجوهري، مادة: فكر، ج2، ص783، والفكر عمل إلهي حدوده الإنسان.. وحقيقة التفكير مرتبط بوجود آلة عضوية هي الدماغ فهو عملية مادية روحية.. "انظر النصوص في مصطلحات التصوف ل محمد غازي، دار قتيبة، لبنان، ص256.

(1) - في (ق) "الصرفة" والصواب من (ظ).

(2) - منتهى: "نهای الماء إذا وقف في الغدير وسكن.. والإنهاء: الإبلاغ، وأنهيت إليه الخير فانتهى وتناهى أي بلغ والنهية: الغاية يقال بلغ نهائه". انظر: الصحاح، مادة نهى، ج6، ص2518، واللسان مادة نهى ج6، ص4565.

(3) - وردت في أصل المخطوطة "تؤل" بسقوط إحدى الواوين، والصواب ما ذكرناه.

(4) - جلا: "الجلال بالضم: العظيم والجلالة: الناقة العظيمة والجلل: الأمر العظيم، والجلل أيضا: الهين، وهو من الأضداد، قال امرؤ القيس لما قتل أبوه: (ألا كل شيء سواه جلا) أي هين يسير". انظر: الصحاح للجوهري، مادة: جلا، ج4، ص1659، ومختار الصحاح ل محمد الرازي، مادة: جلا، ص107.

وفي البيت من أنواع البديع: الطباق بين "حسن" و"جلل" على التفسير الأول، ويأتي الطباق أيضا على الوجه الثاني بإمعان التأمل.
قال رحمه الله ونفع به:

وَاهْجُرِ الْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى لَيْسَ لَا يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلُ

قوله: "واهجر الخمرة" هو فعل أمر بالترك معطوف على المنهي الأول الصحيح، أو معطوف على ما قبله وهو المذهب المرجوح. و"الهجر": الترك، و"الخمرة" تُذَكَّرُ وتُؤنَّثُ وهي المتخذة من ماء العنب خاصة، وسميت خمرا لتخمرها عقل شاربها أي: تغطيه؛ لأن التخمير: التغطية في اللغة، وهل هي حقيقة فيما ذكر، مجاز في غيره من الأشربة خلاف، قال صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ) (2).

قال الشارح: ولهذا الحديث قال الخطابي (3): "يتأول الحديث على وجهين، أحدهما: إن الخمر اسم لكل ما يوجد فيه الاسكار من الأشربة كلها". ومن ذهب إلى هذا قال: "إن للشريعة أن تحدث الأسماء بعد أن لم تكن كما أن لها أن تضع الأحكام بعد أن لم تكن".

والوجه الآخر: أن يكون معناه أنه كالخمر في الحرمة ووجوب الحد على شاربه، وإن لم يكن عين الخمر وإنما ألحق بالخمر حكما إذا كان في معناها، وهو كما جعلوا النباش (4) في حكم

(1) - في (ظ) "كيف".

(2) - تمام الحديث: "كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَاتَ وَلَمْ يَتَّعِبْ مِنْهَا وَهُوَ مُدْمِنٌ لَهَا، لَمْ يَنْتَرِهَا فِي الْآجِرَةِ" أخرجه مسلم في صحيحه، ج3، كتاب الأشربة، ص1587، وأخرجه الترمذي في صحيح سننه، ج2، كتاب الأشربة، باب شارب الخمر، ص169.

(3) - الخطابي: "هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي من ولد زيد بن الخطاب أبو سليمان البستي نسبة إلى مدينة "بست" من بلاد "كابل". كان محدثا، فقيها، أدبيا، شاعرا لغويا، أخذ اللغة والأدب من علماء العراق.. من تأليفه: أعلام السنن في شرح صحيح البخاري، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود وكتاب العزلة وشأن الدعاء توفي ببلدة بست عام 388 وقيل عام 86 والأول أصح.. انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج4، ص142.

(4) - النباش: يقصد به: نباش القبور.

السارق والمتلوط في حكم الزاني، وإن كان كل واحد منهما مختصا في اللغة باسم غير السرقة وغير الزنا⁽¹⁾.

وعلى كل حال، فالمراد ترك كل مسكر من جميع الأشربة، بل وغيرها.

وقوله: "إن كنت فتى" من الفتوة وهو كما تقدم الكرم والسخاء. قيل لبعضهم ما الفتوة؟ فقال: أن لا تميز بين أن يأكل عندك ولي أو كافر، قيل استضاف مجوسي⁽²⁾ إبراهيم الخليل⁽³⁾ عليه وعلى النبي الصلاة والسلام فقال له: بشرط أن تسلم فمر الجوسي لحال سيئله، فأوحى الله إلى إبراهيم من خمسين سنة: أطعمه على كفره فلو ناولته لقمة من غير أن تطالبه بتغيير دينه، فمضى إبراهيم الخليل في أثره حتى أدركه واعتذر له فسأله عن السبب فذكر ذلك له، فأسلم الجوسي. وقد سماه تعالى "فتى"⁽⁴⁾ لذلك، ولأنه كسر الأصنام.

قالوا: ومن خالف نفسه وهوها كان فتى.

قال بعض السادة من الصوفية:

أشربُ عَلَى طِيبِ السَّمَاعِ سُلَافَةً مِثْلَ الشُّعَاعِ
وَعَلَى نُدَامَاكَ الْكِرَامِ أَعِدْ حَدِيثَ الْأَطْبَاعِ
أَهْلَ الْفِتْوَةِ وَالْمُرُورَةِ وَالخُرُوجِ عَنِ الطَّبَاعِ⁽⁵⁾

(1) - في (ق) "الزاني" والصواب من (ظ).

(2) - مجوسي: "تمجس: صار من الجوس وهم قوم يعبدون الشمس والقمر والنار، كانوا بين الآشوريين وقدامى الفرس، والمفرد مجوسياً".

انظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لحمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط(2)، ص 196.

(3) - إبراهيم الخليل: يعرف بخليل الله وبأبي الأنبياء لأن من ذريته أنبياء كثيرين، دعا إلى الخفية التي تدعو إلى التوحيد، ولد بأرض بابل من آلاف السنين وهو من سلالة سام بن نوح.. نشأ إبراهيم سليم العقيدة وقد آتاه الله رشده، فمقت الأوثان وحارب عبادتها، حفظه الله من النار التي ألقى فيها، واضطر إلى الفرار من قومه، هاجر هو وزوجه سارة إلى أرض الشام ثم مصر وفلسطين.. زار إبراهيم الخليل مكة مرتين، في المرة الثانية أمره الله ببناء البيت وساعده ابنه إسماعيل.. انظر: تحفة المجالس ونزهة المجالس للسيوطي، تصحيح محمد النعماني الحلبي، مطبعة السعادة، مصر، ط(1) ص 23، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية لحمد إسماعيل إبراهيم، ص 21.

(4) - فتى: وقنو: صار فتى أي شاباً، وأفتى في المسألة: أبان الحكم فيها، واستفتى: طلب الرأي والفتوى، والفتى: الشاب الحَدَثُ بين المراهقة والرجولة، والفتى: الخادم كما في قوله تعالى: (قال لفتاه آتسا غداءنا)... انظر: تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ج 1، ص 233، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية لحمد إسماعيل إبراهيم، ص 104.

(5) - لم أوقف على القائل.

فعطف المروءة والخروج عن الطباع على الفتوة من باب العطف التفسيري أو المرادف. وفي الكلام مقدر تقديره في مضيعة للعقل وشاربها مجنون أو مثله في أحواله، وهو ساع في ضياع عقله، ثم وبخه بقوله: "كيف يسمى في جنون من عقل". فكيف للاستفهام الانكاري. والمعنى لا عجب ممن يسمى في جنون بنفسه ويتسبب لها في ذلك.

وكيف: محلها النصب على الحالية، وفاعل "يسعى" من وهو موصول، وجملة "عقل" صلته. ودم الخمرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة مالا يخفى. وفي الحديث: (الْحَمْرُ أُمَّ الْخَبَائِثِ فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تَقْبَلْ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا) (١).

قال الجلال السيوطي (٢): "حكمة ذلك أنها تبقى في عروق شاربها أربعين يوما (٣)". قاله ابن القيم (٤).

(١) - تمام الحديث: اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ فَمَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهَا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاسْتَحَقَّ الْعَذَابَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ رواه الحاكم عن ابن العباس وقال صحيح الإسناد، وروى ابن حبان والبيهقي عن عثمان مرفوعاً: "اجتنبوا أم الخبائث فإنه كان رجل ممن كان قبلكم.. إلخ" فذكر القصة، وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شرب الخمر وسكر، لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً..". أخرجه ابن ماجة في صحيح سننه، ج 2، كتاب الأطعمة، ص 242، وأخرجه الدار قطني في سننه، ج 4، كتاب الأضرية، ص 247.

(٢) - جلال الدين السيوطي: "هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن ناصر الدين بن الشياح همام الدين الخضير السيوطي.. حفظ العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك أجزى بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستمائة.. رزق التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبدع.. ظل طول حياته مشغولاً بالعلم.. انافت مؤلفاته عمل حماسة مؤلف.. توفي سنة 911 هـ..". أنظر الأعلام للزركلي، ج 4، ص 71، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، ج 1، ص 14 - 10، وحسن المحاضرة، ج 1، ص 155، وشذرات الذهب ج 8، ص 51..

(٣) - راجع الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، دار المعرفة، بيروت، ج 2، ص 326.

(٤) - ابن القيم الجوزية: "العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر، النحوي، الأصولي، المتكلم، المشهور بابن القيم الجوزية.. لازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه.. كتب بخط يده مالا يوصف كثرة.. وضم تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم المختلفة منها: زاد المعاد، كتاب إغاثة اللفهان، كتاب الروح وكتاب الصراط المستقيم والتحفة الملكية والفتاوى وغير ذلك.. توفي ثالث عشر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ودفن بمقبرة الباب الصغير بعد أن صلى عليه بمواضع عديدة..". انظر زاد المعاد في هدى خير العباد للإمام ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 1، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 6، ص 169.

وفي العقل خلاف (1) بين (2) العلماء هل هو جوهر (3) أو عرض (4)، وهل هو في القلب أو الرأس. وبين اثني عشر قولاً، وبَسَطَ الكلام على هذه الأقوال لا تحتمله هذه التعليقة إذ مبناه على الاختصار.

وتعريفه على القول بجوهريته جوهر لطيف تدرك به الغايات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدات، وعلى القول بالعرضية ملكة في النفس بها يستعد للعلوم والادراكات، وتيل في تعريفه غير ذلك.

وفي البيت من أنواع البديع: المذهب الكلامي (5): وهو الإتيان بحجة قاطعة، عقلية على صحة دعوى (6) نفسه وإبطال دعوى (7) خصمه.

وفي القرآن والسنة منه كثير، خلافاً لمن منعه في القرآن وردوا عليه بقوله تعالى، وهو أعظم شاهد لثبوته: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) (9)، وتام الدليل أن يقال: لكنهما لم يفسدا فليس فيهما إله غير الله تعالى (10).

(1) - انظر: رسائل إخوان الصفا، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ج3، ص243، دراسات في التصوف والأخلاق، د أحمد عبد الرحيم السايح، عائشة يوسف المناعي، دار الثقافة، الدوحة، ص201، وعقيدة الإسلام، محمد المكي بن عزوز المطبعة الفنية، تونس، ص8.

(2) - "بين" ساقطة في (ظ).

(3) - الجوهر: "هو القالم بذاته ولا يقتصر وجوده إلى موضوع كالإنسان والشجر..".

(4) - العرض: "هو القالم يحتاج إلى موضوع كالسواد والحركة فإنهما لا يتصوران إلا في موضوع يقوم له".

أنظر معالم الفلسفة الإسلامية لمحمد جواد مغنية، دار مكتبة الهلال، ص3058.

(5) - المذهب الكلامي: "نوع كبير نسبت تسميته إلى الجاحظ وهو في الاصطلاح: أن يأتي البليغ على صحة دعواه، وإبطال دعوى غيره بحجة

قاطعة عقلية تصبح نسبتها إلى علم الكلام إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة".

انظر خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة، ج1، ص364، والعمدة لابن رشيقي، ص304.

(6) - ورد في أصل المخطوطة "دعوا" بالألف الممدودة.

(7) - ورد في أصل المخطوطة "دعوا" بالألف الممدودة.

(8) - تمام الآية: قال الله تعالى: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ" سورة الأنبياء، الآية: 22.

(9) - انظر كتاب سيويه: ... لأبي بشر بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(3)، ج2، ص310،

وشرح المفصل في صيغة الأعراب لقاسم الخوارزمي، تحقيق: عبد الرحمن العنيمين، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج1، ص455.

(10) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

ومنه في السنة الشريفة قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)⁽¹⁾، وتَمَام الدليل أن يقال: لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم وتَمَام الدليل في البيت واضح، وهو لأنك سعيت في زوال عقلك فأنت لا تعقل ولا تفرق بين الصواب والخطأ.

وفيه الطباق أيضا بين "الجنون" و"العقل" وفي الشطر الأول منه طباق أيضا وهو في قوله: "وأهجر الخمرة إن كنت فتى" يظهر بالتأمل وهو على رأي جماعة، خلافا للرازي وغيره. قال رحمه الله:

وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلُ

قوله: "واتق الله"⁽²⁾ هو أمر بالتقوى، وهي في اللغة: جعل النفس في وقاية مما يخاف. وشرعا: حفظ النفس من⁽³⁾ الآثام ومما يجر إليها. وهي في عرف الصوفية قدس الله سرهم⁽⁴⁾: التبري مما سوى الله بالمعنى المعروف المقدر عندهم.

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ)⁽⁵⁾ أي: خافوا الله فيها يعني: لا تجيعوها ولا تعطشوها ولا تتعبوها بأن تحملوا عليها فوق طاقتها.

(1) - تمام الحديث: رواه ابن جنان عن أبي هريرة بلفظ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخرجتم إلى الصعدات تدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم" فهبط جريرل عليه السلام فقال: إن ربك يقول لك: لم تقسط عبادي؟ فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم. أول الحديث متفق عليه من حديث أنس ورواه بزيادة..

أخرجه البخاري في صحيحه، ج 8، كتاب الرقاق، ص 183، وأخرجه مسلم في صحيحه، ج 2 كتاب الكسوف، ص 618، وأخرجه ابن ماجة في سننه، ج 2، كتاب الزهد، باب الخوف والبكاء، ص 1402.

(2) - أنظر لسان العرب لابن منظور، والقاموس الفقهي (لمة واصطلاحا) لسعدي أبو حبيب، دار الفكر، بيروت، ص 386.

(3) - في (ظ) "عن" والصواب من (ق)

(4) - في (ب) "أرواحهم".

(5) - تمام الحديث: رواه أبو داود عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: مرّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعير وقد لصق ظهره بطنه فقال: "اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة" ورواه أيضا ابن خزيمة إلا أنه قال: "قد لحق ظهره". أخرجه أبو داود في سننه، ج 2، كتاب الجهاد، ص 22.

وقوله : (اتقوا البول) ⁽¹⁾ أي اجتنبوه. (واتقوا الظلم) ⁽²⁾ كذلك مثله، كل ذلك داخل في المعنى الشرعي.

قال بعض العلماء: "التقوى مراتب ثلاث: ⁽³⁾ الأولى: اتقاء الشرك، الثانية اتقاء المعاصي، الثالثة اتقاء ما سوى الله".

وفي الحديث الشريف: (عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا جَمَاعٌ كُلٌّ خَيْرٌ) ⁽⁴⁾. وقال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) ⁽⁵⁾.

قال الدميري ⁽⁶⁾: "العلم قائد التقوى وتقوى الله قائد إلى الجنة". فالتقوى اسم جامع لجامع الخيرات، وقوله: "فتقوى الله" أعاده ⁽⁷⁾ باللفظ المتقدم دون الضمير لتأكيد الأمر عند مخاطبة واستلذاذ بذكره واعتناء بشأنه. وقوله: "ما جاورت قلب امرئ" المجاورة: الملازمة مع

(1) - الحديث: انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي ج1، كتاب الطهارة، باب الاستبراء من البول والاحتراز منه لما فيه من العذاب، ص209، وانظر: الزغيب والزهيب للمنزدي، ج1 كتاب الطهارة، باب الزهيب في عدم قضاء الدين والاستبراء من البول، ص142.

(2) - تمام الحديث: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا داود (يعني ابن قيس) عن عبيد الله ابن مقسم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم".
أخرجه مسلم في صحيحه، ج4، كتاب البر والصلة والآداب، ص1996، ومنهل الواردين، شرح رياض الصالحين للإمام النووي، ص384.

(3) - "ثلاث" ساقطة في (ظ).

(4) - الحديث: عن أبي هريرة أن جلا قال: يا رسول الله: إني أريد أن أسافر فأوصيني. قال: "عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف".
أخرجه الترمذي في صحيح سننه، ج3، كتاب الدعوات، ص156. ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي، ج4 كتاب الوصايا، باب وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وردت بلفظ "عليك بتقوى الله لأنها جماع كل خير".

(5) - تمام الآية: قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)، سورة النحل: الآية 128.

(6) - الدميري: "هزام بن عبد الله بن عبد العزيز أبو البقاء تاج الدين السلمي الدميري القاهري، فقيه.. مصري نسبته إلى دميم قرب قرية دمياط، الفتي ودرس وناب في القضاء بمصر. كان محمود السيرة لين الجانب، كثير البر، انتفع به الطلبة ولاسيما بعد صرفه عن القضاء.. له كتب منها: الشامل والمناسك، وشرح مختصر الخليل، وشرح ألفية ابن مالك وغير ذلك وكانت وفاته في ثالث جمادى الأولى سنة 808هـ" انظر الأعلام للزركلي، ج2، ص76، وشذرات الذهب، ج7، ص79. والضوء اللامع، ج10، ص59.

(7) - في (ق) "عادة" تحريف صوبناه من (ظ).

القرب. و"القلب"⁽¹⁾: الفؤاد أو اخص منه كما قال في القاموس. وليس المراد القلب الصنوبري⁽²⁾، وإنما المراد القلب الذي قال الله في حقه: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ⁽³⁾ بِهَا) (4) والمراد الإنسان من أبناء آدم.

وقوله: "الإوصل" أي: إلى الخيرات، أو إلى الجنة، أو إلى رضا الله⁽⁵⁾، أو إلى معرفة الله، أو إلى الله، كل ذلك محتمل وإنما حذف المتعلق ليفيد العموم فهو أمدح وأنفع.

ففي البيت من أنواع البديع: التزديد⁽⁶⁾، وتقدم تعريفه عند قوله: "فلأيام الصبا" وفيه الاكتفاء⁽⁷⁾ في قوله: "الإوصل" كما تقدم، التقدير⁽⁸⁾: كما قال علماء البديع في تعريفه: "هو عبارة عن أن يأتي الشاعر بيت من الشعر وقافية متعلقة بمحذوف ويتعamy بذكره ليفهم به المعنى فلا يذكره للدلالة ما في لفظ البيت عليه، ويكتفي بما هو فيه معلوم في الذهن مما يقتضي تمام المعنى كقول بعضهم:

لا أنتهي⁽⁹⁾ لا ارعوي ما دمت في قيد الحياة ولا إذا⁽¹⁰⁾

(1) - انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: قلب، ج1، ص124، وورد في الصحاح للجوهري في معنى القلب ما يلي: "القلب: الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل قال الفراء في قوله تعالى: (إِنَّ ذَلِكَ لِلْكَرِيِّ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) أي: عقل..". انظر الصحاح مادة: قلب، ج1، ص204.

(2) - يقصد به "القلب" العضو الموجود في الجسم.

(3) - في (ظ) "لا يعقلون" تصحيف في الآية الكريمة والصواب من (ق).

(4) - تمام الآية: قال الله تعالى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَسْمَانٌ لَا يُسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَالُونَ" سورة الأعراف، الآية 179.

(5) - وردت في أصل المخطوطة (رضن) بالألف المقصورة.

(6) - راجع ص423 فيما تقدم من قسم التحقيق.

(7) - الاكتفاء: "هو أن يأتي الشاعر بيت من الشعر وقافته متعلقة بمحذوف فلم يقتصر إلى ذكر المحذوف للدلالة باقي لفظ البيت عليه، ويكتفي بما هو معلوم في اللحن فيما يقتضي تمام المعنى وهو نوع ظريف ينقسم إلى قسمين: قسم يكون لجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها". انظر خزانة الأدب، ج1، ص182.

(8) - انظر العمدة لابن رشيق ج1 ص182.

(9) - وردت في أصل المخطوطة كلمة (لا انتهى) مكررة. حذف واحدة منها.

(10) - ينسب البيت لابن مطروح، انظر بغية الوعاة للسيوطي، ج1، ص282.

ومثله قول المتنبي (1):

أَتَى الزَّمَانَ بَنَوَهُ فِي شَيْبَتِهِ (3) فَسَرَّهْمُ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى هَرَمٍ (4)

أي فساءنا.

قال رحمه الله تعالى:

لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطْلًا إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ الْبَطْلُ

قوله: "ليس" هي الناسخة للمبتدأ والخبر، وهي لنفي الحال إن لم يكن قيد لأحد الأزمنة. "من": اسمها وهو موصول و"يقطع" و"الصلة" و"طرقا": مفعوله وخبره: "بطلا".

وقاطع الطريق في اصطلاح الشرع هو مسلم مكلف له شوكة (4)، لا مختلس يتعرض لأخذ قافلة ويعتمد الهرب. و"البطل" الشجاع. قال في الصحاح: "البطل: الشجاع والمرأة بطلة، يقال بطل الرجل بالضم، يبطل بطولة وبطالة أي صار شجاعا (5)" انتهى.

وهو مأخوذ من الأبطال، لأن الشجاع يبطل كما أبداه قرينه من أنواع الحروب وضروبها وقوله: "إنما من يتق الله البطل".

(1) - سبق الترجمة له، راجع ص¹⁸⁶ من قسم التحقيق.

(3) - ورد في أصل المخطوطة: "شيخة" بدل: "شيبته".

(4) - البيت من قصيدة طويلة يذكر فيها مسيره من مصر ويرثي فاتكا، مطلعها:

ختسام نحن لساري النجم في الظلم وما سرّاه على خوف ولا قدم

انظر ديوان أبو الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ج4، ص163، و الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني، ص175.

(4) - شوكة: "الشوكة: شدة البأس والحدّ في السلاح.. والشوك من النبات معروف، واحده: شوكة، وشوكة المقاتل: شدة بأسه، وفلان ذو شوكة أي: ذو نكاية في العدو". انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: شوك، ج4، ص2362.

(5) - انظر الصحاح للجوهري، مادة: بطل، ج4، ص1635.

"إنما⁽¹⁾": أداة حصر، وهي هنا لقصر الصفة على الموصوف تكون لتقوية الحكم الذي في حيزها اتفاقاً، ومن ثم وجب أن يكون معلوماً للخاطب ومنزلاً منزلة. وتكون أيضاً لإفادة الحصر وضعاً⁽²⁾ كما أشرنا إليه على الأصح فهما عند جمهور الأصوليين⁽³⁾ خلافاً لجمهور النحاة⁽⁴⁾.

والحصر اثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداها، وورودها لغير الحصر نادر على الحصر إما حقيقي نحو: إنما الحكم الله، وإما إضافي نحو: (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ)⁽⁵⁾ لأن صفاته تعالى لا تنحصر في ذلك وإنما قصد به الرد على منكري التوحيد.

ومعنى التقوى⁽⁶⁾ قريبا لغة واصطلاحاً. والمعنى ليس الشجاع قاطع الطريق، إنما الشجاع الحقيقي المتمسك بجبل التقوى، ولاشك أن من اتقى الله تعالى⁽⁷⁾ خالف نفسه وهواها، وشيطانه وأغواها: هو الشجاع الذي أعطاه الله قوة من قوته وعزيمة من عزمته، ووقفه للطاعة وجعل له عليها استطاعة، وخالف نفسه، وابطل حدسه⁽⁸⁾، وعلم أن القوة لله

(1) - إنما: انظر معنى اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: د. مازن المبارك و د. محمد علي حمد الله، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ص 59.

(2) - في (ظ) "وصفا" وهو الصواب.

(3) - الأصوليون: "هم أهل الأصول الذين يرجعون إلى الأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية إلى الأصول، وهي: كتاب الله والسنة.. وأصول الفقه هو العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى الفقه والنظر في الأدلة الشرعية من حيث توحد منها الأحكام والتكاليف". انظر مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 1، ص 812، والتعريفات للعلامة علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. عبد المنعم الحفني، دار الرشد، القاهرة، ص 38.

(4) - جمهور النحاة: "جمهور كل شيء معظمه، وجمهور الناس كذلك جلهم، ويطلق النحاة هذا اللفظ ويقصدون به معظم النحاة، وهم في استخدامه استعمالاً متعددة: فقد يطلقونه ويريدون به معظم النحاة من مختلف المذاهب، وقد يريدون به جمهور النحاة في المذهب الواحد.. انظر معجم المصطلحات النحوية والصرفية للدكتور: محمد نجيب المري، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ط (2) ص 54.

(5) - وقام الآية: قال الله تعالى: "إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ". سورة النساء، الآية: 170.

(6) - التقوى: "اسم من الاتقاء عن أهل الحقيقة: الاحتراز بطاعة الله عند عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، والتقي: صاحب التقوى، التقية: الخشية والخوف.. انظر التعريفات لعلي الجرجاني ص 72 والقاموس الفقهي لسعدي أبو حبيب، دار الفكر، سوريا، ص 386.

(7) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(8) - وردت في أصل المخطوطة لفظة: "حدس" مكررة. حذف واحدة منها.

جميعاً. وهذا هو النصح الصحيح الخالص الصريح. وبه صرح في بردة المديح⁽¹⁾ فقال:

وَخَالَفَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَأَعَصِمَهُمَا وَإِنْ هَمَّ مَخْصَاكَ النَّصْحُ فَاتِهِم
وَلَا تَطْعَ مِنْهُمَا خَضَمًا وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكْمِ⁽²⁾

وفي البيت من أنواع البديع: السلب والإيجاب⁽³⁾. قال العسكري⁽⁴⁾: "وهو أن يبني الكلام على نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى، والأمر به من جهة والنهي من جهة أخرى وما أشبه ذلك"⁽⁵⁾. وهو في البيت ظاهر.

قال رحمه الله تعالى⁽⁶⁾:

صَدَقَ الشَّرْعَ وَلَا تَرَكَّنْ إِلَى رَجُلٍ يَرُصُّدُ فِي اللَّيْلِ رُحْلُ

قوله: "صدق الشرع" أي: ولا تكذب بشيء منه، وهو ما جاء به الشارع صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى⁽⁷⁾.

قال في القاموس: "الصدق ضد الكذب، والتصديق ضد التكذيب"⁽⁸⁾.

(1) - بردة المديح: "قصيدة للبصري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

(2) - انظر ديوان البصري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط(1)، ص192، وشرح البردة، شرح وتحقيق: فتحي عثمان، ط(1)، ص10.

(3) - السلب والإيجاب: انظر شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي، ص112، وخزانة الأدب، ج2، ص268.

(4) - العسكري: "هو الحسن بن عبد الله بن سهل بديع بن مهران العسكري أبو هلال عالم بالأدب، شاعر، ولد في عسكر مكرم (من كوز الأهواز بين البصرة وفارس).. ألف زهاء عشرين كتاباً ورسالة منها: التلخيص وجمهرة الأمثال وشرح الحماسة والصناعتين، توفي سنة 395 هـ.

انظر معجم الأدياء لهاقوت الحموي، ج8، ص258، الفروق في اللغة للعسكري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق بيروت، ص56.

(5) - انظر الصناعتين للعسكري: تحقيق: د. مفيد قمبيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص42.

(6) - "رحمه الله تعالى" ساقطة في (ط).

(7) - "تعالى" ساقطة في (ط).

(8) - انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: صدق، ج3، ص261.

و"الشرع" والشريعة والشرعة ما شرعه الله لعباده من أحكام، ومعنى التصديق شرعا: الإيمان بكل ما جاء به الشارع بأن لا تنفي واجبا ولا تحلل محرما، فإن من فعل ذلك فيما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كفر ومروق⁽¹⁾ من الدين.

وقوله: "ولا تركز" أي: لا تمل ولا تصدق وإذا الميل: التصديق أو إمارة عليه يقال: مال إلى قوله إذا صدقه ولم ينكر عليه.

"إلى رجل يرصد في الليل زحل". "الرجل" هو الذكر من بني آدم، وهو من بلغ الحنث وإن لم يتصف بأوصاف الرجولية ويقال⁽²⁾ الرجل، ويراد به ما قابل الأنثى فيشمل البالغ وغيره.

"يرصد" أي: يرقب، يقال: رصد كذا إذا رقبه، ومنه سمي السبع راصدا ورصيда لأنه يرقب⁽³⁾ [الفريسة]⁽⁴⁾.

قوله: "في الليل" هو في اللغة من مغيب الشمس إلى طلوع الفجر، وفي الشرع كذلك إلى طلوع الفجر الصادق وهو قيد لبيان الواقع، لأن رصد النجوم لا يكون إلا ليلا.

قوله: "زحل" قال في القاموس: "زحل كزهر ممنوع من الصرف: كوكب من الخنثى"⁽⁵⁾ انتهى.

وقد تكلم الحكماء عليه وعلى بقية النجوم السيارة كلاما طويلا لا حاجة لنا بتطلبه⁽⁶⁾.

(1) - مرق: "المرق معروف والمرقة أخص منه والمرق أيضا: آفة تصيب الزرع.. ومرق السهم من الرمية مروقا أي: خرج من الجانب الآخر ومنه الخوارج مارقة". انظر الصحاح للجوهري، مادة: مرق، ج4، ص1554.

(2) - في (ظ) "يطلق".

(3) - الراصد بالشيء: الرقيب له، رصده بالخير وغيره يرصده رصدا ورصدا: يرقبه" انظر لسان العرب، مادة: رصد، ج3، ص1653.

(4) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) و(الته) من (ظ).

(5) - انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة زحل ج4، ص176.

وورد في الصحاح للجوهري: "زحل: نجم من الخنثى لا يتصرف مثل عمر" مادة: زحل، ج4، ص1714.

وهو ثاني الكواكب حجما بعد المشتري ويتميز بوجود حلقات من حوله تدور كما يدور وهو كوكب خفيف الوزن، تقل كثافته عن كثافة الماء.

انظر المدخل في علم الجغرافيا د. طه عثمان الفراء، د. محمد محمود يس، دار المريخ، الرياض، ط(2)، ص84.

(6) - في (ظ) "ينقله".

وتصديق المنجمين منهبي عنه في مواضع من كتب الحديث، وأدخلهم بعض العلماء في الكهان وجعلهم قسما منهم كما نقله العلامة: شمس الدين العلقمي⁽¹⁾ محشي الجامع الصغير⁽²⁾ عند قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)⁽³⁾ وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تَقْبَلْ صَلَاتَهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)⁽⁴⁾.

قال النووي⁽⁵⁾: قال القاضي عياض⁽⁶⁾: "كانت الكهانة⁽⁷⁾ في العرب ثلاثة اضرب:

أحدهما: أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترق من السمع من السماء وهذا

(1) - شمس الدين العلقمي: "محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي شمس الدين، فقيه، شافعي، مفسر، محدث من أهل مصر، تعلمد لجلال الدين السيوطي وأخذ عن البدر الغربي، ودرّس بالجامع الأزهر من آثاره: قيس النيرين حاشية على تفسير الجلالين.. توفي سنة 969 للهجرة". انظر شذرات الذهب، ج8، ص33، وهدية العارفين، ج2، ص242.

(2) - الجامع الصغير: في أحاديث البشير النذير لجلال الدين السيوطي.

(3) - تمام الحديث: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

أخرجه ابن ماجه في سننه ج1، كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الخالص، ص209، وأخرجه ابن داود في سننه، ج2. كتاب الطب، وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى، ج5، كتاب الطب، باب: فمن أتى كاهنا، والرغيب والزهير للمناذري، ج4، باب الزهيب من السحر وإتيان الكهان، ص33.

(4) - الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه، ج4، كتاب السلام، ص1751، وانظر شرح السنة للبهوي، ج6، كتاب الطب والرقي باب الكهانة، ص277.

(5) - النووي: "يحيى شرف بن فرى بن حسن الخوراني محي الدين النووي، أبو زكريا الفقيه الشافعي، الخافظ للحديث، شيخ الإسلام. ولد ببنوى من فرى حوران بسورية.. تعلم فيها القرآن ثم قدم دمشق.. ودرس الفقه وأصوله والحديث وعلومه واللغة والنحو.. ولي مشيخة دار الحديث.. صنف الكتب المحققة في الفقه الشافعي.. من كتبه: تهذيب الأسماء واللغات، ولغات القبيبه، وحلية الأبرار ورياض الصالحين... ..

انظر بغية الوعاة للسيوطي، ج2، ص88، وشذرات الذهب، ج5، ص318، والنجوم الزاهرة، ج7، ص224.

(6) - القاضي عياض: "عياض بن موسى بن عياض بن عمر البهصصي السبتي الغرناطي المالكي عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته.. كان من أعلم الناس بكلام الكلام وانسابهم وأيامهم.. ولي قضاء شبة، ثم قضاء غرناطة.. من تصانيفه: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام ملهب الإمام مالك.. جمع المقرئ سيرته وأخباره في كتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض.. توفي يوم الجمعة بمراكش في جمادى الآخرة، سنة أربع وأربعين وحمسمائة". انظر الأعلام للزركلي، ج5، ص99، وتهذيب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق: جمال الدين سيروان، نور الدين قررة علي، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ج1، ص8.

(7) - الكهانة: انظر مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص172. وكشف النور عن حاجي خليفة، ج2، ص1525.

القسم بطل من حين مبعثه صلى الله عليه وسلم.

والثاني: أن يخبره بما يطرأ ويكون في اقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده. ونفت المعتزلة (1) وبعض المتكلمين (2) هاذين الضربين وأحالوه ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجوده لكنهم يكذبون، وقد يصدقون والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام.

الثالث: المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه قوة ما، لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا للعرافة (3) وصاحبها عرّاف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها وقد يعتضد (4) بعض الجن ببعض في ذلك بالزجر والطرق: وهو الضرب بالعصا (5) الذي تفعله النساء. وقيل هو الخط بالرمل والنجوم وأسباب معتادة، وهذه الأضراب كلها كهانة. وقد كذبهم الشرع العزيز (6) وأنهى عن تصديقهم وإتيانهم.

وقال الخطابي (7): "العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوها". انتهى كلام الحاشية.

وإذا (8) قيد الناظم بزحل لأجل القافية، وليس في بقية أسماء النجوم ما يناسب القافية إلا هو،

(1) - المعتزلة ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية.. وهم أصحاب واصل بن عطاء، *العتزل*، *طحا*، *اعتزل* مجلس الحسن البصري.. هذه الفرقة انتهجت وسائل عقائدية معينة اعتمدت فيها على العقل والجدل وتأثرت إلى حد كبير بالفلسفة اليونانية.. انظر الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ج1، ص43. وإسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة، ص394.

(2) - المتكلمون: سبق التعريف بهم، راجع ص من قسم التحقيق.

(3) - انظر مروج الذهب للمسعودي، ج2، ص174.

(4) - يعتضد: "المعاوضة: المعاونة، واعتضدت بفلان أي: استعنت به واعتضدت الشيء: جعلته في عضدي". انظر الصحاح للجوهري، مادة: عضد، ج2، ص509.

(5) - في (ط) "الخصى"

(6) - "العزيز" ساقطة في (ط).

(7) - الخطابي: سبق الترجمة له، راجع ص152 من قسم التحقيق.

(8) - في (ط) "أما" وهو الصواب.

والمراد التكلم على النجوم مطلقا فيدخل في ذلك الشعر اليمانية⁽¹⁾ والعقدتان وهما المسميان عندهم: بالرأس والذنب، ويعبرون عنهم بالجوزهر والنوبرهر. وفي البيت من أنواع البديع: الطباق بين التصديق والتكذيب ومن المقابلة كما تقدم، لأن البيت في قوة قوله: "صدق الشرع ولا تكذبه، وكذب المنجم ولا تصدقه، وهو على رأي.

قال رحمه الله:

حَارَتِ الْأَفْكَارُ فِي قُدْرَةِ مَنْ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا عَزَّ وَجَلَّ

قوله: "حارت الأفكار" أي ترددت ولم تجزم فيه بشيء لا نفيًا ولا إثباتًا. و"الأفكار" جمع فكر⁽²⁾ وتقدم تفسيره قريبًا.

وقوله: "في قدرة من قد هدانا" هو الله تعالى، والقدرة: صفة من صفات الذات العلية وتسمى صفات المعاني. والقدرة⁽³⁾ صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن واعدامه على وفق الإرادة والحيرة.

وقعت في متعلقة القدرة نفسها⁽⁴⁾ والمراد الموجودات⁽⁵⁾، لأن النفس لا تتوجه إلا للموجود الممكن، وأما الممكن الذي ما ظهر من كتم الغيب والعدم ولا تطمع فيه النفس غالبًا، فقد حارت الفكر والعقول والألباب في خلق السموات والأرض وما فيهما، وفي عوالم البر والبحر.

وإذا تأمل العاقل الكامل العقل في ذلك تحير عقله، ودهش لبه.

(1) - ما بين المعرفين ساقط في (ق) أنه من (ط).

(2) - فكر: راجع ص 150 من قسم التحقيق.

(3) - القدرة: "هي الصفة التي يتمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة وهي صفة تؤثر على قوة الإرادة.. وهي من دلالات قدرة الله تعالى ومشيتته".

انظر فهرس رسالة التوحيد للإمام محمد عبده، ص 40. والتوحيد لأحمد العدوي، مطبعة مصطفى الباني وأولاده بمصر، ط (2) ص 15.

(4) - "نفسها" ساقطة في (ط).

(5) - وردت في أصل المخطوطة "الموجودات".

قال الله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)⁽¹⁾ أي مخلوقاتها وما فيهما. فلما لم يصلوا إلى المعرفة ولا الحكم التي خلقت الموجودات لها رجعوا⁽²⁾ إلى الله بالأدب قائلين: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ)⁽³⁾ تنزهت على أن تفعل شيئاً عبثاً⁽⁴⁾ (فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

المعلومة: قال سيدي عمر بن الفارض⁽⁵⁾ نفع الله به: "فلا عيث والخلق لم يخلقوا سدى إن لم تكن أفعالهم بالسديدة".

قوله: "هدانا" أي: أبان لنا سبيل الهداية والرشاد، أو أوصلنا إلى سبيل الرشاد، إذ الهداية مفسرة بالابابة أو الايصال أي: السبيل التي أوصلنا إليها، ونحن فيها الآن وبين ما نحن عليه من دين الإسلام.

ومن أجل ذلك أضافها بقوله: "سبلنا" أي معاشر المسلمين، وقوله: "عز" أي: الله عن أن يناله أحد أي: يدرك حقيقته أو كنهه أو كنه صفة من صفاته و"حل" عطف على "عز" أي أن يلحقه شيء من النقائص أو سمات المخلوقين تعالى الله عن ذلك.

قال رحمه الله:

كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
فَلَّ مِنْ عَرْشِي وَأَفْنَى مِنْ دَوْلِ

(1) - الآية: قال الله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) سورة آل عمران، الآية: 190.

(2) - في (طه) "رجعوا" ساقطة.

(3) - تمام الآية: قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) سورة آل عمران، الآية: 191.

(4) - في (طه) "تنزهت على أن تفعل شيئاً عبثاً" ساقطة.

(5) - عمر بن الفارض: عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة أبو حفص وأبو القاسم شرف الدين ابن

الفارض.. أشعر التصوفين يلقب بسلطان العاشقين.. كان جميلاً، نبيلاً، حسن الهيئة والملبس، حسن الصحبة والعشرة... له ديوان شعر.. شرحه الكثيرون منهم: حسن البورني وعبد الغني النابلسي.. تولى سنة 632 هـ.

انظر الأعلام للزركلي، ج 5، ص 56 - 55، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج 1، ص 190.

قوله: "كتب" فعل ماضي وفاعله راجع إلى الله في البيت قبله، ويحتمل الكتابة المعلومة أي: كتب بقلم القدرة في اللوح المحفوظ فلا يغير ولا يبديل، وهي بمعنى فرض وحكم وقدر. قال في الصحاح: "والكتابة (1): الفرض والحكم والقدر. قال الجعدي (2):
يا ابنة عمّي كِتَابَ اللَّهِ اخْرَجْنِي عَنْكُمْ وَهَلْ آمَنَعَ اللَّهُ مَا فَعَلَ" انتهى.

والمعاني كلها جائزة هنا. و"الموت" مفعوله وهو ضد الحياة، وقد مات ويموت ويمات أيضا فهو ميت وميت بالتشديد والتخفيف، وأصل ميت: موت حذفت الكسرة عن الواو لثقلها بالتقاء ساكنان: الواو والياء، فقلبت الواو من جنس ما قبلها وادغمت الياء في الياء فصار ميت ثم خفف فيقال ميت (3).

قال الشاعر وقد جمعها في بيت:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيْتُ الْأَحْيَاءِ (4)

قوله: "على الخلق" هو في الأصل مصدر ثم استعمل بمعنى اسم المفعول أي: المخلوق

(1) - الكتابة: انظر الصحاح للجوهري، مادة: كتب، ج1، ص205.

(2) - ورد في أصل المخطوطة: "الجعدي" والصواب: الجعدي: الشاعر الجاهلي، راجع ترجمته، ص111، قسم التحقيق.

(3) - ميت: انظر لسان العرب لابن منظور، باب موت، ج6، ص429. والصحاح للجوهري، باب: موت، ج1، ص267.

(4) - البيت ينسب لصالح بن عبد القدوس بن عبد الله، كان حكيمًا، أديبًا، فاضلاً، كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة.. اشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها:

والدهر فيه تصرم وتقلب

صرمت حالك بعد وصلك زيب

ومن شعره أيضا:

إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيْتُ الْأَحْيَاءِ
كَاسِيفًا بِاللَّهِ قَلِيلُ الرَّجَاءِ

يَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيْتٍ
إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَمِيشُ كَيْهَا

انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج3، ص420.

يقال: خلقت الأديم إذا قدرته قبل القطع ومنه قول زهير (1):

ولأنتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضَ الْقَوْمِ يَخْلُقُ لَمْ لَا يَفْرِي (2)

وقال الحجاج (3): "إني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أخلق إلا فرئت (4)" يمدح نفسه، فإنه ما قال إلا فعل ولا وعد إلا وفي.

قوله: "فكم فل من عرش" كم للتكثير هنا كما هي الحال في قول الشاعر (5):

كم خالة لك يا جرير وعمة (6)

(1) - زهير بن أبي سلمى: "زهير بن ربيعة الملقب بأبي سلمى من قبيلة مزينة من مضر، أسرته أسرة شاعرة، وهو من شعراء الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية.. ذكره الأصمعي قال: كفاك من الشعراء أربعة: زهير إذا طرب والناهقة إذا رهب والأعشى إذا غضب وعنزة إذا تلب.."

انظر أشعار الشعراء الستة الجاهليين إختيار العلامة الأعلام الششمري، ج1، ص211. وأدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لبطرس البستاني، دار الجليل، بيروت، ص128.

(2) - بيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى يمدح فيها هرما مطلعها:

لَمِنَ الدِّيبَارِ بِقِنَاةِ الْحَجْرِ
أَقْرَبِينَ مَلْدَ حَجَجٍ وَمَكْدَ دَهْرٍ

انظر ديوان زهير بن أبي سلمى دار بيروت للطباعة والنشر، ص28، وشواهد المغنى للسويطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج1، ص750.

(3) - الحجاج بن يوسف: راجع ترجمته قسم التحقيق، ص114.

(4) - ورد في أصل المخطوطة: "ما خلقت الا فرية، ولا وعدت إلا وفيت". محرفة والصواب ما أوردهناه.

من خطبة الحجاج بن يوسف أول ما ولي العراق، وقد بدأها بقوله:

أَنَا ابْنُ جَسَلٍ وَطَلَّاعُ الثَّيَابِ
مَتَسَّى أَضْحَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونَنِي

انظر مروج الذهب للمسعودي، ج3، ص135.

(5) - الشاعر هو الفرزدق.

(6) - ورد في أصل المخطوطة: "كم عمة لك يا جرير وخالة". وعجزه "لدعاء قد حلت علي عشاري". البيت للفرزدق من قصيدة طويلة يهجو فيها جريرا مطلعها:

يا ابن المراغة إنما جيت أربيتني
بمستيقن لدى الفعال قصار

انظر ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة والنشر، ج1، ص358، والشواهد المغنى للسويطي، ج1، ص511.

أي كم عمات وخالات كثيرات لك كن في خدمتي.

"وفل من عرش" أي: كن عروشا كثيرة كانت لمن قبلنا فاعتبر.

يقال: فلّه فانفل أي: فانكسر. وفي المثل يقال: "من قال ذل ومن أسرفل" أي عظم أمره، بل ولا أعظم من الله عظيم.

و"العرش (1)" قال في الصحاح: "العرش سرير الملك وعرش البيت سقفه، وقولهم: ثل عرشه بالمثلثة أي وهي أمره وذهب عزه. قال الشاعر (2):

تَدَارَكْتَمَا (3) عَبَسَا وَقَدْ ثَلَّ عَرْشُهَا (4)

والعرش والعريش: ما يستصل به إلا أن "ثل" بالمثلثة لازم فلا يتأتى في البيت.

تأمل قوله: "وأفنى من دول" فنى المال: هلك ولم يبق فيه شيء فهو لازم بالهمزة ومفعوله هنا لفظ "دول" إلا أنه ادخل عليها "من" الزائدة، وتكون مع "كم" كثيرا. و"الدول" بكسر الدال وبضمها جمع الدولة بالفتح وبالضم أيضا: الجماعة من الناس يتداولون الأسرة بينهم والسلطان أي: يتناوبونه مرة هؤلأ ومرة هؤلأ.

وقيل: فرق بين المكسور والمضموم في "دول" و"دول" فإن كان من "الدولة" بالفتح فالجمع "دول" بالكسر، وإن كان من "الدولة" بالضم فالجمع "دول" بالضم وقال بعضهم: "الدول والدولة لغتان بمعنى".

(1) - العرش: انظر الصحاح للجوهري، مادة: عرش، ج3، ص1010.

(2) - الشاعر: زهير بن أبي سلمى، راجع ترجمته قسم التحقيق، ص168

(3) - ورد في أصل المخطوطة "تداركها".

(4) - عجز البيت: "وَدَيَّانِ إِذْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ". البيت بذلك لزهير بن أبي سلمى. انظر ديوان زهير بن أبي سلمى، ص79.

(5) - في (ظ) "يقي" والصواب في (ظ)

وقال محمد بن سلام الجمحي⁽¹⁾: "سألت يونس عن قول الله تعالى: (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ)⁽²⁾ فقال: قال ابو عمرو بن العلاء⁽³⁾: الدُّوْلَةُ بالضم في المال، والدولة بالفتح في الحرب" قال: وقال عيسى بن عمر: "كلتاهما في المال والحرب سواء".

قال يونس⁽⁴⁾: "أما أنا فوالله ما أدري بينهما أي من الفرق⁽⁵⁾" انتهى ملخصاً من الصحاح.

ومعنى البيت ظاهر، وفيه من أنواع البديع المسلواة⁽⁶⁾ وتقدم تفسيرها، ثم أنه لما نبه أن محبوبه، هذا لا بد أن يغتاله الموت فكأنه يقول له: ليس هذا خاصاً بمحبوبك ولا بك، بل هو عام في كل من له حياة.

فأخبره بأمر عام ثم أخذ في تفصيله وتمثيله ببعض من سلف، وتقدم في الأقوام الطفلة والأشداء العتات⁽⁷⁾.

فقال رحمه الله تعالى⁽⁸⁾:

(1) - محمد بن سلام الجمحي: "معجمه في سلام الجمحي"، كان من أعيان أهل الأدب، ألف كتاب: طبقات الشعراء، وله غريب القرآن كان له علم بالشعر والأخبار... توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين... انظر معجم الأدباء لياقوت الحميري ج 5 ص 346.

(2) - سورة الحشر، الآية: 7.

(3) - أبو عمرو بن العلاء: كان في عصر عبد الله بن أبي إسحاق أبو عمرو بن العلاء المازني... كان أبو عمرو سيّد النلس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب. انظر المزهري، ص 399.

(4) - يونس بن حبيب الضبي... كان مقدماً.. وكان النحو أغلب عليه، قال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة، أملاً كل يوم ألواحي من حفظه"

انظر المزهري للسيوطي، ج 2، ص 399

(5) - الصحاح. مادة: دول. ج 4 ص 1700.

(6) - المسلواة: راجع ص 134 من قسم التحقيق.

(7) - العتات: "قلت: العاتي: الجاوز للحد في الاستكبار، والعاتي الجبار أيضاً، وقيل: العاتي: هو المبالغ في ركوب المعاصي، المتمرد الذي لا يقع منه الوعظ والتنبه موقعا." انظر الصحاح للرازي دار الكتاب الحديث، الكويت، مادة: عتا، ص 284، والصحاح للجوهري، مادة: عتا، ج 1، ص 258.

(8) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

"أين" أصله ظرف مكان ثم ضمن معنى حرف الاستفهام، مبني على الفتح طلبا للخفة" وهو خير مقدم؛ لأن أسماء الاستفهام لها الصدارة. و"نمرود" مبتدأ مؤخر: وهو ممنوع من الصرف⁽³⁾ للعلمية والعجمة، وسمي بذلك لكثرة نمروده، و"نمرود"، هذا هو: نمرود بن كنعان بن كوش بن سام، وقيل: ابن كوس بن كنعان. والصحيح الأول ابن سيدنا نوح⁽⁴⁾ عليه الصلاة والسلام وهو الذي ألقى سيدنا إبراهيم الخليل⁽⁵⁾ في النار وله معه القصة المعلومة⁽⁶⁾. كان ذميم الخلقة، وكان لعتوه، وتمرده⁽⁷⁾ ملك المشارق والمغرب، وأمه سلخا كانت راعية إبل، ولها مع أبيه قصة طويلة لا تحملها هذه العجالة.

ولما أخذها وقتل زوجها واقعها فحملت بنمرود، ثم رأى مناما ففسره له المفسرون بأنه سيولد له ولد يكون زوال⁽⁸⁾ ملكه علي يديه، وأنه يقتله، فسأل عن الحمل موجود فقالوا له:

(1) - نمرود: "ذكر جماعة من أهل التبصر والبحث أن ملوك بابل هم أول ملوك العالم الذين مهدوا الأرض بالعمارة.. وكان أولهم نمرود الجبار.. كان ملكه نحو من ستين سنة.. وهو الذي احتضر أنهارا بالعراق. آخذة من الفرات..". انظر تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والكتب العلمية، بيروت، ج1، ص174، ومروج الذهب للمسعودي، ج1، ص215.

(2) - كنعان: "أبو نمرود من أولاد حام بن نوح.. وكان من الجلبيرة العتله الذين يعبدون الأصنام" انظر تاريخ الطبري، ج1، ص176.

(3) - "من الصرف" ساقطة في (ظ)

(4) - نوح عليه الصلاة والسلام: "هو ابن لامك بن متوشلح ابن اخنوخ من ذرية شيث بن آدم أبي البشر، وهو أول الرسل بعد آدم كما جاء في حديث الشفاعة عند أبي هريرة في صحيح مسلم: "يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض". وتتلخص قصته حسب نصوص القرآن في أنه أرسل إلى قوم كانوا يعبدون الأصنام.. فلما حذرهم وأنذرهم عاقبه كفرهم، كذبوه ولما يشن منهم، دعا ربهم أن يهلكهم، فأمره الله أن يصنع سفينة تحمله هو ومن آمن معه ولما حان وقت اهلاكهم فاضت الأرض بمائها الجوفي وهطلت السماء وعم الفيضان.. وخرج نوح ومن معه من السفينة وبارك الله منهم فاكثروا وملأوا الأرض، ولبت نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما". انظر تاريخ الطبري، ج1، ص179، والألفاظ والأعلام القرآنية ل محمد إسماعيل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ص249 - 248. والمنظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص261.

(5) - إبراهيم الخليل: سبق الترجمة له، راجع ص153

(6) - القصة واردة: في تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص147 - 146، وقصص القرآن ل محمد أحمد جليل المولى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ص43.

(7) - في (ق) "نمروده" والصواب من (ظ).

(8) - ورد في أصل المخطوطة: "زول" والصواب من (ظ).

ولم تكن حامل من زوجاته إلا سلخا هذه. فحرص⁽¹⁾ على قتله: فرفسها على بطنها ليموت فحرصت⁽²⁾ على نجاته منه، وما زال كذلك إلى أن وضعته، فدفعته لراع إبل، فلما أخذه ووضعته بين الإبل، نفرت وتشتت، فأخبر الراعي زوجته بذلك فقالت له: هذا لشؤم المولود على أمه، ففعل، فرمته في البحر وقالت: غرق فأخذه عنزة⁽³⁾ إلى أن طلعت به إلى جزيرة في البحر، وعطففت عليه ترضعه إلى أن كبر وجاء إلى بلد أبيه وقتله، وجلس على سرير ملكه، وعتا عتوا كبيرا.

وأبوه كنعان قيل أيضا عاتيه، طلغيد، طلف البلاد فرأى محلاذا أشجار وأنهار فاستحسنه ونزل به واحضر النجمين فقل: انظروا هل يناسبنا هذا المحل فنستوطنه فنظروا وقلوا له: هذا المحل يكون وطن الملك الملوك، ومن يكون الملوك تحت يده فقل: وهل غيري ذلك؟ فاستوطنه، ثم أخذه منه ولده نمروود⁽⁴⁾.

وقوله: "ملك الملك" من: اسم موصول، معطوف على "نمروود" والتقدير: وأين من ملك الملوك.

يقال: "ملكك الشيء املكه ملكا، فأنا ملكك، والملك بالفتح وسكون اللام: هو القوة والسلطان، وإذا ملك الملك فهو ملك، يقال: ملكه المال والملك فهو مملك، قال الفرزدق⁽⁵⁾ في خال هشام

(1) - ورد في أصل المخطوطة: فاحرص".

(2) - ورد في أصل المخطوطة: فاحرصت".

(3) - في (ظ) وردت "عمرة"

(4) - انظر تاريخ الطبري ج 1 ص 172

(5) - الفرزدق: هشام بن غالب بن صعصعة بن دارم. كنيته أبو فراس، ولقبه: الفرزدق، لقب به لغلاظة في وجهه. ولد بالبصرة، وقيل أنه نظم الشعر صغيرا.. والفرزدق ثالث الثلاثة الشعراء المقدمين في صدر الإسلام، شعره جنزل، فخيم، ولكنه صلب الألفاظ خشنها، قال فيه أبو عبيدة: "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب" توفي سنة اثني عشرة وقيل أربع عشرة انظر ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة، ج 1، ص 57، وشرح شواهد المفنى للسيوطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج 1، ص 14، وهدية العارفين للبيدادي، ج 2، ص 553.

وما مثله في الناس إلا مُملَكًا أبو أمه حيُّ أبوه يُقَارِبُهُ (2)

يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم ذلك الملك (3).

قوله: "وولّى وعزل" هو عطف على (4) "ملك الملك" يقال: أولاه الأمر: أي فرض له فيه، والمراد بمن ملك الملك من القوم الأول، غير ما ذكر من "نمرود" و"كنعان" وغيرهما ممن مضى قبلهما ومن كان بعدهما. وكأنه يقول: هل أغنت عنهم قوتهم وطغيانهم شيئاً. كل (5) أبادهم الموت، وأفناهم الموت (6) الذي كتبه الله عليهم وما حصلوا على طائل. فتفكرو انظر عاقبة أمرك، واعمل صالحاً تجده غداً، إفاعتبر بالماضين (7) وقصّر عما أنت فيه مما نهيت عنه أول القصيدة.

وفي البيت من أنواع البديع: الاشتقاق (8) في "ملك الملك" والجناس المحرف (9) فهما أيضاً: ومراعاة النظير (10) وما بعدهما.

- (1) - هشام بن عبد الملك: "بويح هشام بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه أخوه يزيد بن عبد الملك وكان هشام: أحول، خشناً، فضا، غليظاً، يجمع الأموال، ويممر الأرض ويستجيد الخيل ولم ير زمان أصعب من زمانه" انظر مروج الذهب للمسعودي، ج3، ص217.
- (2) - هو بيت يمدح فيه هشام بن إسماعيل المخزومي.
- انظر ديوان الفرزدق، والتلخيص للقرظيني، ص29، ومعاهد التنصيص للعباسي عالم الكتب، بيروت، ج1، ص43.
- (3) - انظر الصحاح للرازي، مادة: ملك، ص425.
- (4) - "على" ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).
- (5) - "كل"، لا تعرف، ووردت في أصل المخطوطة: "دراكل"، تصحيف.
- (6) - وردت في أصل المخطوطة: "الفوت"
- (7) - ما بين المعرفتين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).
- (8) - الاشتقاق: "أن يشق التكلم من الاسم العلم معنى في غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره". انظر خزنة الأديب، ج2، ص407.
- (9) - الجناس المحرف: "إن اختلفا في هيات الحروف فقد سمي محرفاً كقولهم: جبة البرد، جنة البرد" انظر التلخيص في علوم البلاغة، للقرظيني، ص388.
- (10) - مراعاة النظير: "مراعاة النظير ويسمى التناسب والتوفيق وهو جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد نحو: (والشمس والقمر بحسبان)."

قال رحمه الله:

أَيْنَ عَادَ أَيَّنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ رَفَعَ الْأَهْرَامَ (1) مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ

قوله: "أين عاد (2)" هي أين الاستفهامية، كما تقدم ولها الصدارة، فقدمت على المتبدأ وهو "عاد" والمراد به عاد بن كوص بن إرم ابن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان له ثلاثة عشر ولدا ذكورا. أولهم: شداد (3) بن عاد (4) وهو الذي بنى إرم ذات العماد (5) وشراد بن عاد، وهما توأمان. وعمود والحلى وهما توأمان، وعدي وغالب ولقمان ولقيم وسعيد وجندب وتبع وتفزع من هؤلاء الثلاثة عشر قبائل كثيرة حتى بلغوا بضعة عشر قبيلة، وفي كل قبيلة سبعمائة ألف نفر وفي كل قبيلة (6) جبار من الجبابرة، وأعطاهم الله مع ذلك القوة وشدة البأس ثم أبادهم الله كلهم بالموت.

وقوله: "أين فرعون (7)" على حذف العاطف، والتقدير: وأين فرعون وهما:

= انظر التلخيص في علوم البلاغة للغزويني، ص 354.

- (1) - الأهرام: "إنها قبور الملوك، وكان الملك منهم إذا مات وضع في حوض حجارة.. ويسمى بمصر والشام الجرد وأطبق عليه ثم يبنى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الأساس.. ولكل هرم من هذه الأهرام باب يدخل منه.."
انظر مروج الذهب للمسعودي، ج 1، ص 350.
- (2) - عاد أول من ملك الأرض بعد أن هلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح.. وكان رجلا جبارا، عظيم الحلفة، وهو علم بن عوص بن إرم بن سام بن نوح.. كان يعبد القمر وكانت بلاده متصلة باليمن وهي بلاد الاحقاف وبلاد عمان إلى حضر موت.. وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد وأنه تزوج ألف امرأة..
انظر المنتظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي، ج 1، ص 252، ومروج الذهب للمسعودي، ج 2، ص 41.
- (3) - وردت في أصل المخطوطة: "شديد".
- (4) - شداد بن عاد: "كان ملكه تسعمائة سنة، ويقال أنه احتوى على سائر ممالك العالم وهو الذي بنى مدينة إرم ذات العماد.. ولشداد بن عاد مسير في الأرض وطواف في البلاد وبأس عظيم في ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب.."
انظر مروج الذهب للمسعودي، ج 2، ص 41.
- (5) - إرم ذات العماد: "هي إرم عاد يضاف ولا يضاف.. اعني في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ جَعَلْنَا إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) إرم صاحب ذات العماد: مدينة وقيل: وصف، وقيل: إرم مدينة.. فمنهم من قال: هي أرض كانت واندرست فهي لا تعرف، ومنهم من قال هي الإسكندرية وأكثرهم يقولون: هي دمشق وروى آخرون أن إرم ذات العماد باليمن بين حضرموت وصنعاء. من بناء شداد بن عاد.. ومكث في بنائها خمسمائة عام.."
انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، ج 1، ص 187، ومروج الذهب للمسعودي، ج 1، ص 195.
- (6) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).
- (7) - فرعون: "فرعون لقب ملك مصر في التاريخ القديم وأصله باللغة المصرية القديمة (برعو) ومعناه البيت العظيم وفرعون لقب =

مبتدأ وخبر كما تقدم، وحذف العاطف جائز في النظم قيل والنثر. وفرعون هذا هو فرعون موسى بن عمران (1) عليه السلام واسمه الوليد مصعب (2) قيل: العلماء (3) وكلنت خصاله بعكس خصال النمرود (4). كان كريما في قومه، عادلا في حكمه لا يحتجب عن رعيته. قالوا: ولهذا ذكره الله في القرآن كثيرا باسمه، فإن الله تعالى يحب الكريم، غير أنه قد سبق له في علم الله سوء الخاتمة، ولم ينفعه الإيمان كما رأى الموت بالعيان، فإنه قال: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (5).

فقيل له (6) الآن وقد أغلق الباب وأسدل الحجاب وفرق القضاء بين السالك والهللك قيل أنه عاش أربعمئة سنة. وقيل: غير ذلك. وحكى القرطبي (7) في تفسيره عند قوله تعالى: (وَإِذْ

= كل عات متجبر، وقد ورد الحديث في القرآن الكريم مرارا كثيرة عن فرعون موسى الذي تمادى في طغيانه وأنزل الخسف والهوان بطائفة من رعاياه وهم بنو إسرائيل.. والرأي السائد الآن أن رمسيس الثاني هو فرعون مصر الذي ولد في زمنه موسى وتربى في بيته، وأنه هو الذي اضطهد بني إسرائيل وإن ابنه منفتح هو فرعون مصر وقت خروج موسى وقومه هربا منه وهو الذي غرق في اليم.. انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص49، وتاريخ الطبري، ج1، ص232.

(1) - موسى بن عمران عليه السلام: "من رسل الله الكرام أولي العزم، ولد من نسل سبط يعقوب عليه السلام، وكانت ولادته بمصر، وتربى في قصر فرعون حتى شب وكبر.. اضطر إلى ترك وطنه مصر فرارا من وجه فرعون لما اشتدت إساءته لبني إسرائيل، وذهب إلى أرض مدين.. بعد أن أم موسى الأجل المتعاقد عليه في خدمة الشيخ: عاد إلى وطنه مصر، وفي أثناء سيره إليها ضل الطريق في طور سيناء.. وهناك في تلك البقعة المباركة كان بدء نبوته وفتحة رسالته". انظر الألفاظ والأعلام القرآنية ل محمد إسماعيل إبراهيم، ص215، والمنظم في تاريخ الأمم لابن الجوزي، ج1، ص106 مروج الذهب للمسعودي، ج1، ص48.

(2) - الوليد بن مصعب: "هو فرعون موسى وقد تنوزع فيه: فمن الناس من رأى أنه من العماليق ومنهم من رأى أنه لحم من بلاد الشام، ومنهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن بصر، وكان يعرف بظلمه.. هلك فرعون غرقا حين خرج في طلب بني إسرائيل حين أخرجهم موسى بن عمران، وجعل الله لهم طريقا في البحر يسا". انظر تاريخ الطبري، ج1، ص231، ومروج الذهب للمسعودي، ج1، ص358.

(3) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

(4) - النمرود: سبق الترجمة له، راجع ص171

(5) - وقلم الآية: "وَجَلَّوْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَلْبَسْنَاهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكُهُ الْعُرْقُ قُلَّ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ" سورة يونس، الآية: 90.

(6) - "له" ساقطة في (ظ)

(7) - القرطبي: "أحمد بن عمر بن إبراهيم أبو العباس الانصاري القرطبي. فقيه مالكي من رجال الحديث، كلف مدرسا بلاسكندرية وتولي بها، ومولده بقرطبة.. من كتبه المفهم في شرح صحيح مسلم ومختصر الصحاح". انظر الأعلام للزركلي، ج1، ص189.

تَجِنَّاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ (1).

ف قيل: أنه اسم ذلك الملك بعينه وقيل: اسم كل ملك من ملوك العماليق مثل: كسرى (2) للفرس وقيصر (3) للروم والنجاشي (4) للحبشة، وأن اسم فرعون موسى قالوا في قول أهل الكتاب.

قال وهب (5): "اسمه الوليد بن مصعب بن الديان ويكنى أبا مرة، وهو من بني عمليق بن لاو بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام".

قال السهيلي (6): "وكل من ولي القبط فهو فرعون، وكان فارسياً من أهل اصطخر (7)".

(1) - وقام الآية: "قال الله تعالى: وَإِذْ تَجِنَّاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدْبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَإِذْ لَقِمَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" سورة البقرة، الآية: 48.

(2) - كسرى الفرس: "كسرى أنوشروان بن قباذ.. كان رجلاً شديداً، إفتح انطاكية. بنى رومية بناحية المدائن على صورة انطاكية.. الفتح مدينة هرقل والاسكندرية... كان ملكه سبعا وأربعين سنة وسبعة أشهر.."

انظر تهذيب سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الانزوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ص53، والمعارف للدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ص370.

(3) - قيصر الروم: "تنازع الناس في الروم.. وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوخلس وهو جاليوس الأصغر ثم ملك بعده اغسطس قيصر، والروم كلمة تطلق على الشعب الروماني وملكته من أول نشأتها إلى آخر أيامها، فتدخل في ذلك إيطاليا والمملكة البرنطية، وكانت العرب تسمي (قيصر) لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم.."

انظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للبيدادي، شرح: محمد بهجة الأثري، المطبعة الرحمانية، مصر، ط(2)، ج2، ص184، ومروج الذهب للمسعودي، ج1، ص308، دار المعرفة، بيروت، ج9، ص49.

(4) - النجاشي: "بافتتح اسم ملك الحبشة، وقل نجشت الإبل إذا جمعتها بعد تفرق، ومر فلان ينجش أي يسرع".

انظر الصحاح للجوهري مادة: نجش، ج3، ص1021.

(5) - وهب بن منبه: "أبو عبد الله اليماني الاخباري، صاحب القصص، كان من خيار التابعين، ثقة، صدوق، قال ابن قتيبة: (كان) وهب بن منبه يقول: قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتاباً.. له كتاب الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وغير ذلك.. توفي سنة عشر ومائة". انظر التهذيب للذهبي، ج1، ص166، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، ج7، ص232.

(6) - السهيلي: "عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، حافظ علم باللغة والسور، ضريب، ولد في مالقة وعمي وعمره سبعة عشر سنة، ونيح فاتصل خبره بصاحب مراکش، فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) وهو صاحب الأبيات التي مطلعها:

أنت المعد لكل ما يتوق

يا من يرى ما في الضمير ويسمع

من كتبه: الروض الانف والتعريف، والاعلام في ما ابهم في القرآن من الأسماء والايضاح والتبيين لما ابهم من تفسير الكتاب المين.. انظر الاعلام للزركلي، ج4، ص86.

(7) - أهل اصطخر: "الإصطخري: هذه النسبة إلى اصطخر وهو من كور فارس والقلة التي بها معروفة، وكان للأكاسرة بها آثار وأموال في ٤٤

قال المسعودي (1): "لا يعرف لفرعون (2) تفسير بالعربية".

قال الجوهري (3): "فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر، وكل عات فرعون والعتات: الفراعنة، وقد تفرعن وهو ذو فرعنة: أي دهاء ومكر" (4) انتهى قوله (5).

قوله: "ومن رفع الأهرام (6) المشهورة التي هي من عجائب الدنيا، لم يبق على وجه الأرض مثلها في إحكامها وإتقانها وارتفاعها وبنيلها، وارتفاع كل هرم منها في الهواء (7) مائة ذراع بالهاشمي وهي خمس مائة ذراع بنراعتنا هذا، وظل (8) كل واحد من جهاتها مائة ذراع.

يقولون: أن داخل الهرم الغربي (9) ثلاثون نخوتاً من الحجارة الصوان، المملوءة

= أيام ملكهم، ولها ذكر في الفتوح، والمشهود بالانتساب إليها: أبو سعيد عبد الكريم بن ثابت الاصطخري.."

انظر الأنساب للسماعني، دار الجنان، بيروت، ط(1)، ج1، ص176، وآثار البلاد للقزويني، دار بيروت للطباعة والنشر، ص148.

(1) - المسعودي: "علي بن الحسين بن علي المسعودي المؤرخ، أبو الحسن، ولد لعبد الله بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم.. ذكره محمد بن اسحاق النديم فقال: هو من أهل المغرب - ويؤكد - أنه بغدادى الأصل، انتقل إلى ديار مصر فأقام بها.. له من الكتب: مروج الذهب ومعادن الجواهر، كتاب الرسائل، الاستذكار وكتاب ذخائر العلوم.. توفي بمصر سنة 346 هـ.."

انظر معجم الأنبياء لياقوت الحموي، ج5، ص146.

(2) - ورد في أصل المخطوطة: (فرون) تحريف.

(3) - الجوهري: "إسماعيل بن حماد "الجوهري" أبو نصر. أول من حلول الطيران ومدت في سبيله، لغوي من الأئمة.. أشهر كتبه الصحاح وله كتاب في العروض ومقدمة في النحو.. أصله من فاراب ودخل العراق صغيراً.. سافر إلى الحجاز لطفاف البادية وعاد إلى خراسان ثم أقام في نيسابور.. قال ياقوت: (كان الجوهري من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة).. وهو إمام علم اللغة والأدب.."

انظر الأعلام للزركلي، ج1، ص310. والصحاح للجوهري، المقدمة، ص108.

(4) - راجع الصحاح للجوهري، مادة: فرعن، ج6، ص2177.

(5) - "وحكى القرطبي" إلى قوله "ذو فرعنة: أي دهاء ومكر" ساقطة في (ظ).

(6) - الأهرام: "في زمان شداد بن عاد بنيت الأهرام، فيما ذكر عند بعض المحدثين، ولم نجد عند أحد من أهل العلم من أهل مصر معرفة في الأهرام، ولا خير أثبت إلا أن الذي يظن أنها بنيت قبل الطوفان فلذلك خفي خبرها.. ومن عجائب مصر الهرمان إذ ليس على وجه الأرض بناء باليد حجر على حجر أطول منهما، وإذا رأسهما ظننت انهما جبلان موضعان.. قال: وزعم قوم أن الأهرام الموجودة بمصر قبور الملوك العظام آثروا أن يتميزوا بها عن سائر الملوك بعد ماتهم.."

انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، ج5، ص462، والخطط للمقريزي، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ج1، ص112.

(7) - ورد في أصل المخطوطة: "الهوى" والصواب: الهواء. وفي (ظ) "الهوى" والصواب من (ق)

(8) - وردت في أصل المخطوطة: "ضل".

(9) - الهرم الغربي: "من فيه هو جيب"، راجع معجم البلدان ج5، ص469.

من الجواهر النفيسة والأموال الجمّة، والتماثيل الغريبة، والآلات الفاخرة التي لا تمرد (1)، والرخام (2) الذي يطوى ولا ينكسر، وأصناف العقاقير المركبة والمفردة، والمياه المديدة.

وفي الهرم الشرقي (3) : من أصناف الشهاب (4) الفلكية المركبة والمفردة، والمياه المديدة وغير ذلك.

وفي الهرم الثالث: أخبار الكهنة وتوابيت صوان أسود مع كل كافر، ومضجعه كذا، وحكى الجلال السيوطي (5) في رسالته التي وضعها في الأهرام كلاما كثيرا واشعرا (6) قالها البلغاء المتقدمون منها: ذكر عن بعضهم (7) أنه قال: "كل شيء يخاف الدهر إلا الهرمين فإن الدهر يخافهما (8)".

وقال في مدح مصر وذكر محاسنها: "كالعروس المجلوة (9) والهرمان نهدها" وذكر أنهما بنيا قبل الطوفان بثلاثمائة سنة خوفا من الطوفان.

فإن الحكماء: "وجدوا في كتبهم [القديمة] (10) أن الماء يعم الأرض جميعا فالتخوذوا حصنا

(1) - تمرد: "المرد": ثم الأراك الغض منه ورملة رمداء لا نبت فيها، وغصن أمرد لا ورق عليه، وفرس أمرد: لا شعر على تتيه وغلّام أمرد، وقريد البناء: قلمسه والمارد: العاتي..

انظر الصحاح للجوهري، مادة: مرد، ج2، ص538. في (ظ) "تصدأ".

(2) - في (ظ) "الزجاج".

(3) - الهرم الشرقي: "لما مات سوريد دفن في الهرم الشرقي.. ودفن كروس في الهرم الذي أسفله.. وله الأهرام أبواب في آزاح تحت الأرض.. فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية.. انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج5، ص469.

(4) - في (ظ) "القباب" وهو الصواب.

(5) - الجلال السيوطي: سبق الترجمة له، راجع ص151 من قسم التحقيق.

(6) - وردت أشعر والصواب أشعرا لأنها مفعول به.

(7) - هو القاضي الفاضل.

(8) - راجع: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي، مطبعة الموسوعات، مصر، ص38.

(9) - المجلوة: "جلا: علا، والعروس يجلوها جلاءً وجلوةً، واجتلاها لمعنى أي نظر إليها مجلوةً".

انظر ترتيب القاموس المحيط للطاهر الزاوي، مادة: جلا، ج1، ص523، ومختار الصحاح لبرازي، مادة: جلا، ص84.

(10) - ما بين المعرفتين ساقطة في (ق) أثبت من (ظ).

من ذلك (1) .

وذكر الجلال: "إن الماء دخل لهم فيها وماتوا بها" وبسط القول فيها لما لا تسعه هذه العجالة.

قيل: بأنها سنان بن مهلهل وقيل: سوريد (2) من العمالقة وهو الصحيح، كما نقله الجلال السيوطي. والنظم فيها كثير، فمن ذلك ما قيل (3):

انظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْمَعْ مِنْهُمَا
لَوْ يَنْطِقَانِ (4) يَخْبِرَانَا بِالَّذِي
مَا يَرَوِيَانِ عَنِ الزَّمَانِ الْغَابِرِ
صَنَعَ الزَّمَانَ بِأَوَّلِ وَبِآخِرِ (5)

وقوله "من يسمع يخل" هذه الجملة ألحقت بالأمثال، وعدت منها، وقد نطق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان كما ورد ذلك في كتب الحديث.

و"يخل" مضارع مجزوم من خال يخال في جواب من الشرطية، وهي من أخوات ظن ومعناها: من سمع خيرا حصل عنده شبهة فيها (6) سمع، أو من يسمع أخبار الماضين حصل عنده ظن بما سمع. وأنه استعمل الظن بمعنى اليقين كما في آيات كثيرة وأحاديث شهيرة، أو أنه أراد التمثيل بأن السماع (7) يحصل الظن، فلما بالك بظن بلغ حد التواتر (8) .

(1) - راجع: حسن المحاضرة للسيوطي، ص36، وصبح الاعشى في صناعة الانشاء للقلقشندي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج3، ص325.

(2) - ورد في أصل المخطوطة: "سويد"، والصواب: سوريد بن سلهوق بن سرنم، راجع حسن المحاضرة، ص36.

(3) - في (ظ) "بعضهم"

(4) - ورد في أصل المخطوطة: "ينظمان". في (ظ) "ينطقان" وهو الصواب.

(5) - ينسب هذا الشعر لأمية بن عبد العزيز الاندلسي، جاء ذلك في نهضة الأرب، ج1، ص377، والخطط للمقريري، ج1، ص131.

(6) - وردت ف أصل المخطوطة (ما في ما سمع) تحريف، والصواب ما أورده.

(7) - في (ظ) "السامع"

(8) - التواتر: "التابع، وهو لغة القرآن الكريم. وما تواتر من السنة وكلام العرب. ذكر ابن الأنباري أن أكثر العلماء ذهبوا إلى أن شرط التواتر أن يبلغ عدد النقلة إلى حد لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب". انظر الزهر للسيوطي، المكتبة العصرية، صيدا، ج1، ص114.

فهو من باب أولى، ولا شك ولا خفاء أن أخبار الماضين بلغت حد التواتر⁽¹⁾ وصارت
عندنا من العلوم الضرورية⁽²⁾.

تأمل. والشيخ رحمه الله كان من العلماء البلغاء فلا يحمل كلامه إلا على الوجه الأتم.
قال رحمه الله تعالى ونفع به:

أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا هَلَكَ الْكُلُّ فَلَمْ تُغْنِ الْقُلُوبُ

قوله: "أين من سادوا" وهي أين الاستفهامية التي تقدمت، و"من" اسم موصول بمعنى
الذي⁽³⁾ بدليل الصلة والمعنى: أين الذين سادوا، صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

قال في الصحاح: "ساد قومه: يسودهم، سيادة وسؤددا وسيدودة، فهو سيد وقوم سادة
تقديره: فعلة بالتحريك، لأن تقدير سيد: فيعمل، وجمع على فعلة كأنهم جمعوا سائد مثل قائد
وقائدة والذال في سؤدد زائدة للإلحاق ببناء فعلل مثل: حنذب ويرفع، وتقول العرب أيضا:
سوده قومه فهو أسود من فلان أي: أجل منه⁽⁴⁾"

قال الفراء⁽⁵⁾: "ويقال: هذا سيد قومه" انتهى.

المراد منه: قوله: وشادوا" أي طولوا البناء ورفعوه، تقول: شاده، يشيده إذا رفعه، والمشيد
بالتشديد المطول، وقال الكسائي⁽⁶⁾: "المشيد بفتح الميم والتخفيف للواحد من قوله

(1) - نفس المرجع السابق: ج 7، ص 111.

(2) - في (ظ) "فهو من باب أولى" إلى قوله "العلوم الضرورية" ساقطة.

(3) - في (ظ) "الذين" وهو الصواب.

(4) - راجع الصحاح للجوهري، مادة: ساد ج 2، ص 490.

(5) - الفراء: "أبو زكريا يحيى بن زياد، ولقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام، وهو مولى لبي أسد من أهل الكوفة، أخذ عن الكسائي، وكان
إماما ثقة.. كان الفراء في النحو نجرا وفي اللغة نسيج وحده، وفي الفقه إماما عارفا، وفي النجوم ماهرا وبالطبع خيرا.. صنف معاني
القرآن، آلة الكتابة، النوار المقصور والمدود، المذكر والمؤنث، المصادر في القرآن وله غير ذلك كثير.. مات بطريق مكة سنة سبع
ومائتين وله ثلاث وستون سنة".

انظر بغية الوعاة للسيوطي، ص 411، وتهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 1، ص 357، والفهرست لابن النديم، المطبعة الرحمانية، مصر،
ص 198.

(6) - الكسائي: "علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الإمام أبو الحسن الكسائي إمام الكوفيين في النحو واللغة وأحد القراء السبعة المشهورين،

تعالى: (وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) (1) والمشيد بالضم، والتشديد للجمع من قوله تعالى: "

الإشادة: رفع الصوت، وأشاد بذكره إذا رفع من قدره، والمفعول محذوف كما في الذي قبله والتقدير: وأين الذين شادوا القصور والحصون والقلاع وطولوها ورفعوها وحصنوها، هل أغناهم (2) ذلك شيئاً؟ ثم قالوا (3) وبنوا البناء في الأصل: وضع الشيء على الشيء وجه الثبوت.

والمعنى ظاهر، فيجوز أن يكون عطف تفسير على "شادوا" ويجوز أن يكون أصله التقلييم، وآخر لأجل الوزن.

والأصل: بنوا وشادوا أي: بنوا ورفعوا البناء وطولوه طلباً للتحصين، يجوز أن يكون المراد: "بشادوا" طولوا (4) الحيطان وخصصوا من المشيد بالكسر وهو ما يطلى به الحرائط مطلقاً من حصص وغيره كما قاله في الصحاح (5).

ويكون المعنى: بنوا القلاع والحصون والقصور وحصنوها طلباً للقوة والتحصين (6)، وذلك فعل من أراد بقاء بنائه مدة طويلة.

ثم لما لم يجبه ولده عن سؤاله، أجاب هو بقوله: "هلك الكل" أي من ذكر ومن لم يذكر. يقال: "هَلَكَ الشَّيْءُ، يَهْلِكُ هَلَاكًا وَهَلُوكًا (7) وَمَهْلِكًا بفتح اللام وكسرها وضمها، وَتَهْلِكَةُ، والاسم أهْلُك بالضم".

= من أهل الكوفة. قال ابن الأعرابي: (كان الكسائي أعلم الناس، ضابطاً، عالماً بالعربية، قارئاً، صدوقاً) صنف معاني القرآن، مختصراً في النحو، النوادر، مصادر الحروف وغير ذلك. مات بالري "انظر بغية الوعاة للسيوطي، ص 336، والفهرست لابن النديم، ص 99. في (ظ) "الكسير" تحريف والصواب من (ق).

(1) - تمام الآية: قال الله تعالى: "لَكِن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِّهِيَ خَلُوبَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ" سورة الحج، الآية: 43.

(2) - "ذلك" ساقطة في (ظ).

(3) - في (ظ) "قال" وهو الصواب.

(4) - في (ظ) "طولوا"

(5) - راجع الصحاح للجوهري، مادة: شاد، ج 2، ص 495.

(6) - "التحصين" ساقطة في (ظ).

(7) - هلك: راجع لسان العرب لابن منظور، مادة: هلك، ج 6، ص 4686.

قال اليزيدي (1): "التهلكة من نوادر المصادر وليس مما يجري على القياس، واهلكه غيره واستهلكه، وقد يجمع هالك على هلكى (2) وهلاك (3)".

قال الشاعر: وهو زياد بن منقذ (4):

ترى الأراميل والهلاك يتبعه يستق منه عليهم وأبلى رزم⁵

والهلاك أعم من أن يكون لموت أو قتل.

وقوله: "فلم تغن القليل" أي لم تنفعهم الحصون التي بنوها، ولا دفعت عنهم الهلك، و"القليل" يطلق على الحصون وتطلق أيضا على رؤوس الجبال، أي: لم تنفعهم رؤوس الجبال لما تحصنوا به.

"والقليل جمع قلة والقلة أعلى الجبل، وقلة كل شيء أعلاه، والقلة أيضا إناء للعرب كالجرة الكبيرة (6)" قاله في الصحاح.

وفي البيت من القلب (7) البديع: الجناس المصحف (8): في "سادوا" و"شادوا" ويجوز أن يكون فيه التذييل (9): وهو أن يؤتى بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على معناه، تجري مجرى

(1) - اليزيدي: إبراهيم بن يحيى بن المبارك أو إسحاق اليزيدي العدوي، أديب، شاعر من ندماء المأمون العباسي، له أخبار معه في مجالس أنسه، صنف كتبها منها: بناء الكعبة وأخبارها والنقط والشكل، مصادر القرآن، وما اتفق لفظه واختلف معناه..
انظر الاعلام للزركلي، ج 1، ص 79.

(2) - ورد في أصل المخطوطة: "هلكا" والصواب: هلكى.

(3) - راجع الصحاح للجوهري، مادة: هلك، ج 4، ص 1616.

(4) - زياد بن منقذ: بن عمرو الخنظلي من بني العدوية من قديم بلخ، من شعراء الدولة الأموية، كان معاصرا للفرزدق وجريز، اتصل بني مروان، وهاجاه جريز، توفي نحو سنة 718 م. انظر الاعلام للزركلي، ج 3، ص 55.

(5) - البيت ورد في أصل المخطوطة محرفا، صوبناه راجع اللسان، ج 6، ص 4686.

(6) - راجع الصحاح للجوهري، مادة: قل، ج 5، ص 1804.

(7) - في (ظ) "أنواع".

(8) - الجناس المصحف: التصحيف هو زيادة نقات أو حذف نقات من الكلمة أثناء الكتابة منهم من يسميه جناس الخط وهو ما تماثل ركناه خطأ واختلفا لفظا. انظر خزنة الأدب، ج 1، ص 86.

(9) - التليل: "أن يليل الناظم أو النائر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتريده توكيده وتجري مجرى

المثل لتوكيد الكلام المتقدم وتحقيقه كقوله تعالى: (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا
الْكَفُورُ) (١).

وهو في قوله: "هلك الكل" إلخ.

قال رحمه الله تعالى (٢):

أَيْنَ أَرْبَابُ الْحِجَا أَهْلُ النَّهْيِ أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ

قوله: "أين أرباب" مبتدأ وخبر كما تقدم، و"أرباب" جمع رب بمعنى صاحب، و"الحجا" مقصور العقل، والعقل كما قال في القاموس: "ملكة يدرك بها العلم مطلقا، أو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبيحها وكمالها ونقصانها، والعلم بخير الخير وشر الشر" (٣).

أو يطلق على الأمور لقوة يكون التمييز بين الشئين، والمعنى أين أصحاب [كلمة غير مفهومة]

كذا الذين سبقوا ثم وصفهم بقوله: "أهل النهي" وهو جمع نهيية وهو العقل أيضا أو خصاله وتقدم العقل والكلام على العقل (٤).

يريد ملكة (٥) تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية، وابتداء وجوده الولد ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عقد البلوغ.

ووصفهم بذلك تأكيدا لعقوبهم أي: ما أغنت عنهم عقولهم شيئا أو حصونهم من الموت أو قدروا بكامل عقولهم على دفعه، والمراد بهم الجهلة من الناس بدليل قوله بعده: "أين أهل العلم" إذ العطف بمقتضى المغايرة.

= المثل بزيادة التحقيق... . انظر الإيضاح في علوم البلاغة للقرظي، ج 1، ص 307، وخزانة الأدب، ص 242.

(١) - سورة سبأ، الآية 17.

(٢) "تعالى" ساقطة في (ط).

(٣) - انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: عقل، ج 4، ص 18.

(٤) - راجع ص 155 من قسم التحقيق.

(٥) - زيادة اقتضاها المعنى.

وأهل العلم هم العلماء من كل ملة، و"العلماء: جمع العالِم بكسر اللام، وهو من قام به العلم⁽¹⁾".

وقد اختلف في العلم، هل يعرف؟ أو لا يعرف؟ فتعريفه في اللغة: الشعور. يقال: "اشعرت بكذا أي: علمت به"⁽²⁾.

وفي الاصطلاح: "هو تصور الشيء على ما هو به في الواقع، هذا في العلم الحادِث، وأما علم الله القديم فهو صفة أزلية تنكشف بها المعلومات انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه"⁽³⁾ وسيأتي لهذا مزيد عند قول الشيخ:

أَطْلَبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فما إلخ.....

ثم قال عاطفاً على ما سبق: "والقوم الأول" وهو مرفوع لعطفه على المرفوع و"القوم" الطائفة من الناس، ولعل مراده الأقسام الأول، إلا أن النظم عصاه فلم يتمكن من ذلك، لأن المذكور لا يختص بقوم دون قوم، ولا بملة دون ملة، ولا بدولة دون دولة.

وكانه يقول له: يا ولدي لا تزال⁽⁴⁾ ذاكراً للموت، فذكره نافع لك وقد نهيت لذلك السنة حيث قال صلى الله عليه وسلم: (أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ، فَإِنَّهُ مَنْ ذَكَرَهُ⁽⁵⁾ فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثُرَ، وَلَا فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلِيَ)⁽⁶⁾.

(1) - انظر الصحاح للجوهري، مادة علم، ج5، ص1990.

(2) - راجع الصحاح، مادة: علم، ج5، ص1990.

(3) - انظر تاريخ ابن خلدون دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، ص782، والكليات لأبي البقاء الكفوي أعده للطبع د. عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، ص611. ط (2)

(4) - في (ظ) "تزل"

(5) - الهاء ساقطة في أصل المخطوطة.

(6) - الحديث: عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثرُوا ذكر هَادِمِ اللَّذَاتِ، يعني الموت، رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه ورواه الطبراني بإسناد حسن وابن حبان وزاد: "لأنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه" وفي رواية أخرى للطبراني عن ابن عمر زاد: "لأنه ما كان في كثير إلا قلله ولا قليل إلا جزأه". أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ج2، ص1422، والترمذي في سننه، كتاب الزهد باب ما جاء في ذكر الموت، ج3، ص378، والنسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب ذكر الموت، ج2، ص393، ومنهال الواردين، شرح رياض الصالحين للنووي، ص953

فثبت بذلك أن ذكره مقلل الآمال ومفرق الآمال، باعث على صالح الأعمال، مهئ
العبد الصالح للقاء ذي الجلال.

فاذكره يا أخي ولازم ذكره على⁽¹⁾ أن تكون ممن⁽²⁾ أفاق من غشوة⁽³⁾ الشكر، وقطع
وسواس الفكرة وتجنب بما يكره ما يكره.

قال رحمه الله ونفع به آمين⁽⁴⁾:

سَيُعِيدُ اللَّهُ كَلِمًا مِنْهُمْ وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ

"سيعيد الله كلاً منهم" السين للتفسير، أي: يعيدهم الخلق في يوم القيامة للحساب
والجزاء، فالأجساد والأرواح، لا الأرواح فقط، خلافاً للمعتزلة⁽⁵⁾، ومجازيهم بما صنعوا:
سواء في ذلك من ذكر ومن لم يذكر، وهذا مذهب أهل الحق، ومن قال بعدم الرجوع والعود
فهو كافر⁽⁶⁾.

والخلاف بين أهل الحق والطريقة المرضية إنما هو في العود الجسماني بالروح والجسم معا أو
بالروح⁽⁷⁾ فقط؟

اختلف العلماء في ذلك. والصحيح: تعود الأرواح والأجسام معا والهيئات التي ماتوا
عليها، بل وتعود الأيام والأوقات التي مضت بعينها لتشهد لهم أو عليهم⁽⁸⁾.

(1) - في (ظ) "عسى"

(2) - ورد في أصل المخطوطة "ممن" مكررة حذفت واحدا منها.

(3) - غشوة: "العشاء: العطاء وغشاه تغشية: اغطاه، غشي عليه: اغمى عليه فهو مغشي عليه وهي الغشية وكذلك غشية الموت..". انظر

مختار الصحاح للرازي، مادة: غشا، ص323، ولسان العرب لابن منظور، مادة، غشا، ج5، ص3261.

(4) - في (ظ) "ونفع به آمين" ساقطة

(5) - المعتزلة: سبق التعريف بها، راجع ص164 من قسم التحقيق.

(6) - "قال الملاحدة والدهرية: لاحشر للأرواح ولا للأجسام بعد الموت، لان من مات مات" .

انظر معالم الفلسفة الإسلامية (نظرات في التصوف والكرامات) لمحمد جواد مغنية، مكتبة الهلال، بيروت، ط(3)، ص164.

(7) - في (ظ) "الأرواح".

(8) - "المعاد يكون بالأرواح والأجساد، ونؤمن بأن الله تعالى يحيينا بعد الموت، ويعيدنا بأرواحنا وأجسادنا..".

انظر العقائد الإسلامية للشيخ عبد الحميد بن باديس، دار الكتاب الجزائري، ص81.

والقدرة صالحة لذلك، فلا يحيله العقل، وهذا البيت فيه تلويح⁽¹⁾ لولده أنه سيموت ويعيده الله ويجازيه على أفعاله.

نبهه بذلك لينزجر ويرجع عما هو عليه، وإن كان لا ينكره فهو منزل منزلة المنكر الجاهل لعدم خبرته على موجب العلم.

فإن لم [يجر]⁽²⁾ على مقتضى علمه، هو والجاهل سواء كما تقول للعالم التارك للصلاة: الصلاة واجبة، وقد مثل⁽³⁾ في تلخيص المفتاح⁽⁴⁾ لذلك بقوله:

جَاءَ شَفِيقٌ عَارِضًا رَمَحَهُ إِنْ بَنِي عَمِّكَ مِنْهُمْ رِمَاحُ

فإنه كان يعلم أن في بني عمه رماحا.

وفي البيت كلام يطول ليس هذا محله، إلا أن فعله فعل من يخالف ذلك ولا ينكره وقد صرح العلماء بعود من يأكله السباع والهوام ودواب البحر، ومن اختلط ترابه بالحص⁽⁵⁾ كذا واللبن، ومن احترق وصار ترابا وذرته الرياح، وكل ذلك جاء في السنة المطهرة وكتاب الله شاهد به أيضا.

قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)⁽⁶⁾.

(1) - التلويح: "الكتابة البعيدة التي كثرت فيها الوسائط بين اللازم والمزوم ككثير الرماد في بيت الخنساء.." انظر حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمهوري، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ص 169.

(2) - ما بين العقوفين مصحف في (ق) صوبناه من (ظ)

(3) - في (ظ) "صاحب"

(4) - تلخيص المفتاح: في المعاني والبيان للإمام جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق.. صنف هذا التلخيص متضمنا ما فيه من القواعد ورتب ترتيبا أقرب لنا وهو على مقدمة وثلاثة فنون: الفن الأول في علم المعاني والثاني في علم البيان والثالث في علم البديع.. وللتلخيص حواش كثيرة ومختصرات ومنظومات..

انظر التلخيص للقزويني المقدمة، ص 23، وكشف الظنون لحاجي خليفة، ج 1، ص 479.

(5) - الجص: "الجص: ما يبنى به، والجصاص الذي يتخذه، جصص داره تجصصا.." في (ظ) "الخرف"

انظر ترتيب القاموس المحيط للطاهر الزاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، والصحاح للجوهري، مادة: جصص، ج 3، ص 1032.

(6) - تمام الآية: قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" سورة الروم الآية: 26.

وهذا خطاب على قد ارتباط عقولنا بالعوائد وإلا فلا يعسر عليه شيء دون شيء من
الممكنات إذ قدرته صالحة لإيجاد كل ممكن، واعدامه على ما يشاء ويختار ولا يعجزه شيء
وقال الله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (١).

ووعده لا يخلف (٢) بل ووعيده كذلك على التحقيق، وكذلك الجزاء: نطق به الكتاب
والسنة فالكتاب كقوله تعالى: (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ) (٣) وقوله صلى الله عليه وسلم: (النَّاسُ مُجْرِمُونَ بِأَعْمَالِهِمْ إِنَّ خَيْرًا لِمَنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا
فَشَرٌّ) (٤).

وقد اكتفيت بهذه الآية وهذا الحديث طلبا للاختصار فمن أراد أكثر من ذلك فعليه
بالكتاب والسنة ففيهما ما يشفي الغليل ويرى العليل.

وفي البيت من أنواع البديع: المساواة (٥) وقد تقدمت، وسلاسة (٦) اللفظ وقد تقدمت
أيضا وفيه التعريض (٧) لابنه والتعريض به.

قال رحمه الله تعالى ونفع به آمين (٨):

أَيُّ بُنْيٍّ اسْمَعُ وَصَايَا جَمَعْتُ حِكْمًا خُصِّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ

قوله: "أي" بفتح الهمزة وسكون الياء، حرف نداء وهي للنداء القريب، و"بني" منادى مضاف

(١) - تمام الآية: قال الله تعالى: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ". سورة الأنبياء،
الآية: 104.

(٢) - في (ظ) "لا يتخلف" والصواب من (ق)

(٣) - سورة الزلزلة الآية: ٨/٩

(٤) - انظر كتاب الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، المعروف بالموضوعات الكبرى لعلي القاري، ص 352.

(٥) - راجع من 134 من قسم التحقيق.

(٦) - ورد في أصل المخطوطة "سلاة". في (ظ) "سلامة" وهو الصواب.

(٧) - التعريض: "إمالة الكلام إلى عرض أي جانب يدل على المقصود، يقال عرضت بفلان ولفلان: قلت قولاً وأنت تعنيه، فكانت أشرت به

إلى جانب وأنت تريد جانباً آخر...". انظر التلخيص في علوم البلاغة للقرظيني، ص 344.

(٨) - في (ظ) "تعالى ونفع به" ساقطة.

لياء المتكلم، والمنادى المضاف لياء المتكلم فيه لغات خمس ذكرها صاحب الألفية (1) في قوله:

كَعْبَدَ عَبْدِي عَبْدًا عَبْدِيَا (2)

ويجوز في "بني" (3) هذا ثلاث لغات منها: كسر الياء وفتحها وتسكينها، والبقية ممتعة لأجل الوزن (4).

وقوله: "اسمع" أي واعمل ليكون السماع منتفعا به. "وصايا جمعت" هي جمع وصية وهي الأمر بالخير والنهي عن الشر، وستأتي مفصلة في الأبيات بعد هذا، منها: ما هو فرض عين ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها ما هو من جملة الفضائل المحصلة للكمال، وستأتي مع التنبية [عليها] (5).

وقوله: "جمعت" أي اسردها عليك مجموعة، لأنني جمعتها لك، وستأتي إليك مفصلة فجملة "جمعت" نعت "لوصايا" وقوله: "حكما" يجوز أن يكون حالا من "وصايا" ويجوز أن يكون نعتا آخر لوصايا، والحكم جمع حكمة (6) وفيها تفاسير كثيرة، فقييل الحكمة: القول المحكوم (7) وقيل: كل كلام وافق الحق وخالف الباطل، وقيل: الحكمة: العلم، وقيل: علوم القرآن كعلم ناسخه (8) ومنسوخه، وعلم معانيه وغير ذلك من معانيها. لا معنى له هنا.

قال صلى الله عليه وسلم: (الحِكْمَةُ تَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا وَتَرْفَعُ المَمْلُوكَ حَتَّى تَجْلِسَهُ مَجَالِسِ المَمْلُوكِ) (9) وقال صلى الله عليه وسلم: (الحِكْمَةُ ضَالَةٌ الحَكِيمِ فَحَدِّ حِكْمَتِكَ مَتَى

(1) - صاحب الألفية: الشيخ العلامة جمال الدين الطائي الجبالي المعروف بابن مالك النحوي، راجع ترجمته، ص 115 من قسم التحقيق.

(2) - صدر البيت: وَأَجْمَلَ مُنَادَى صَحَّ أَنْ يُضَفَّ لِيَا. راجع متن الألفية للإمام مالك، منشورات دار الكتب العلمية، الجزائر، ص 72.

(3) - في (ظ) "هزه"

(4) - راجع كتاب معنى اللبيب لابن هشام، ج 1، ص 90. وقطر الندى لابن هشام شرح: طه محمد الزيني، محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ج 2، ص 40.

(5) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق)

(6) - انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: حكم، الصحاح للجوهري، مادة: حكم، ج 5، ص 1901.

(7) - في (ظ) "الحكم" وهو الصواب

(8) - وردت في أصل المخطوطة: "ناسخة" بالناء.

(9) - رواه أبو نعيم في الحلية وابن البر. انظر كشف الخفاء ومزيل الألباس للعجلوني، ج 1، ص 435.

وَجَدْتَهَا (1) . أي ولو كانت من غير أهلها.

قيل أن الحجاج (2) كان يتكلم الكلمة فيكتبها عنه العلماء وأولاد الصحابة ويقولون:
التقطوا الجواهر من المزبلة، ولا معيب في ذلك.

وقوله: "خصت بها خير الملل" جمع ملة (3) بالكسر وهي كما قال في الصحاح:
الشريعة والدين" فيه إشارة إلى أن المذكورات الآتية من طلب العلم ومنه: الفقه والنحو
وغيرهما (4) مما سيصرح به في النظم ويحض عليه: يطلبه مرة بالإجمال ومرة بالتفصيل. من
خواص ملة محمد صلى الله عليه وسلم كما هو مصرح في الخصائص.

ولاشك ولا خفاء في أن ملته أشرف الملل وأعظمها وأكرمها عند الله، وقد اختصت
هذه الأمة بأمور أخرى منها: أن الله أعطاها الأمان فلا يخسف (5) بها ولا يمسخها (6)، [وأنه (7)
والأمر سهل عليها الاحكام، لأنه جاء صلى الله عليه وسلم بالحنفية (8) السمحة (9) فلم
يكلفها ما فوق الطاقة، ولا كلفنا الله كما كلف الأمم السابقة (10): من أن التوبة كانت بالقتل،

(1) - وقام الحديث: "الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحقُّ بها". أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد، وسنن الترمذي كتاب العلم.

(2) - الحجاج: سبق الترجمة له، راجع ص 142 من قسم التحقيق.

(3) - راجع الصحاح للجوهري، مادة: ملل، ص 1820.

(4) - في (ظ) "غيرها"

(5) - الخسف: "خسف المكان ذهب في الأرض وبابه جلس، وخسف الله به الأرض: أي غاب به فيها".

انظر مختار الصحاح للرازي، مادة خسف. ص 129.

(6) - المسخ: "تحويل صورة إلى ما هو أقبح منها وبابه قطع يقال: مسخه الله قرداً".

انظر مختار الصحاح للرازي، مادة خسف، ص 419.

(7) - ما بين المعقوفين مصحف في (ق) صوبته من (ظ).

(8) - الحنيفية: نسبة إلى الحنيف وهو من كان على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والحنيف: المائل عن الباطل إلى الحق، وسمي إبراهيم عليه
السلام كذلك، لأنه مال عن عبادة الأوثان، وجاء في صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أحب الدين إلى الله الحنيفية
السمحة".

(9) - ورد في أصل المخطوطة "السمحاء" والصواب ما ذكرناه.

السمحة: "السمح والسماحة: الجود، وسمح به، أي جاء به، وسمح لي: اعطاني وامرأة سمحة ونسوة سماح..".

انظر الصحاح للجوهري مادة: سمح، ج 1، ص 376، وترتيب القاموس الخيط، للزاوي، مادة: سمح، ج 2، ص 608.

(10) - وردت في أصل المخطوطة: "السابقين".

ومن السارق إذا سرق يصبح مكتوبا على بابه: هذا فلان قد سرق كذا وكذا ويصبح في وجهه أثر تلك السرقة كريش الدجاج وغير ذلك. فأسقط عنا هذا الأمر جميعه وأكرمنا بكرامات كثيرة لكرامة نبينا عنده، يشهد بذلك قوله تعالى في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (1).

قال رحمه الله تعالى (2):

أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا أَبْعَدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ

قوله (3): "أطلب" فعل أمر من طلب التبع للشيء لإرادة تحصيله، يقال: طلبت الشيء طلبا، وكذلك طلبته على وزن أفعلته، والتطلب [التبع للشيء لإرادة تحصيله] (4) مرة بعد أخرى، ومنه سمي الطالب للشيء.

و"العلم" بالنصب مفعول، والمراد به هنا العلم الشرعي وهو الفقه والحديث والتفسير (وطلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة) (5) كما ورد في الحديث الشريف.

قال صلى الله عليه وسلم: (اطلبوا العلم ولو بالصين) (6) (فإن طلب العلم فريضة على

(1) - وقام الآية: قال الله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ". سورة آل عمران، الآية: 110.

(2) - "رحمة الله تعالى" ساقطة في (ظ).

(3) - "قوله" ساقطة في (ظ).

(4) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق).

(5) - والحديث أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب العلم، باب فضل العلماء، ج1، ص81.

رواه ابن عدي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه، قال قال البيهقي منه مشهور وأسانيدة ضعيفة، ليس في التسعة.

انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لحمد بن علي الشوكاني، كتاب الفضائل، باب فضائل العلم وما ورد فيه، ص272، والموضوعات لابن الجوزي كتاب العلم باب طلب العلم ولو بالصين، ج1، ص155.

(6) - رواه ابن عدي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه، قال البيهقي منه مشهد وأسانيدة ضعيفة، ليس في التسعة.

انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لحمد بن علي الشوكاني، كتاب الفضائل، باب فضائل العلم وما ورد فيه، ص272، والموضوعات لابن الجوزي كتاب العلم باب طلب العلم ولو بالصين، ج1، ص155.

كَلِّمْ مُسْلِمًا⁽¹⁾ (وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ)⁽²⁾ .

قلت: وفضيلته معلومة.

قال رسول الله عليه السلام: (الْعُلَمَاءُ خَلَفَاءُ الْأَنْبِيَاءِ)⁽³⁾ رواه السبازي⁽⁴⁾ ورجاله موثوقون، وقد اشتهر حديث: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ قَرْنٍ)⁽⁵⁾، أو كما قال: (خلفه عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)⁽⁶⁾ وقد أخرجه ابن عبد البر⁽⁷⁾ والخطيب البغدادي⁽⁸⁾.

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْحِكْمَةُ تَزِيدُ

(1) - أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب العلم، باب فضل العلماء، ج1، ص81، وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي، كتاب العلم، باب طلب العلم، ج1، ص120، والعلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي. كتاب العلم، باب فرض طلب العلم، ج1، ص75 - 64.

(2) - قام الحديث: عن زر بن حبیش قال: أتيت صفوان عَسَلَّ المرادي فقال: ما جاء بك ؟ قلت: انبط العلم، قال: فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة اجنحتها رِضًا لما يصنع" أخرجه ابن ماجه، كتاب العلم، ج1، ص44.

(3) - الحديث: "العلماء خلفاء الأنبياء" لا يوجد بهذا اللفظ وإنما يوجد بلفظ: "العلماء ورثة الأنبياء".

أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم والترمذي في سننه. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي كتاب العلم، باب فضل العلماء ومجالسهم، ج1، ص126.

(4) - السبازي: أبو عبد الله محمد نظيف، السبازي، كان من العلماء الراسخين، والفقهاء البارعين، والأئمة المعدودين، والعباد النسل، أقام بمصر في مذاكرة العلماء كابي إسحاق الشيباني وأبي إسحاق بن شعبان.. توفي بمصر سنة 355.. انظر شجرة النور الزكية ل محمد مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر، ص94.

(5) - انظر كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي، ج1، ص10.

(6) - انظر كتاب الضعفاء الكبير للعقيلي، ج1، ص10.

(7) - ابن عبد البر: "يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، القرطبي، أبو عمر شيخ علماء الأندلس، وكبير محدثيها في وقته.. أديب، مجتهد، قاض من فقهاء المالكية، ولد بقرطبة وتفقه على علمائها.. من تصانيفه الكثيرة: البيان في تأويلات القرآن.. توفي بالشام بظربلس في سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة.."

انظر التهذيب في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج2، ص124، ومعجم المفسرين لعادل نويس، ج2، ص746.

(8) - الخطيب البغدادي: "أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر المعروف بالخطيب، أحد الحفاظ المؤرخين مولده في غبرية. (بصيغة التصغير) منتصف الطريق بين الكوفة ومكة.. نشأ وتوفي ببغداد.. كان فصيح اللهجة، عارفا بالأدب، يقول الشعر ولوعا بالمطالعة والتأليف.. ذكر له الباقوت، 56 كتابا من مصنفاته، من فضلها: تاريخ بغداد، والكفاية في علم الرواية، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع...، في (ظ) "وقد اشتهر حديث" إلى قوله "الخطيب البغدادي" ساقطة. انظر الأعلام للزركلي، ج1، ص166.

الشَّريْف شَرَفًا وَتَرَفَعَ الْعَبْدَ الْمَمْلُوكَ حَتَّى تَجَلِّسَهُ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ (1) رواه ابن نعيم (2) في الحلية (3)
من حديث حسن.

وعن أبي الدرداء (4) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِدَادَ الْعُلَمَاءِ وَدَمَ الشُّهَدَاءِ) (5) رواه ابن عبد البر في فضل العلم.

وعن معاذ بن جبل (6) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلْمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ، وَمَذَاكِرَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ
وَتَعْلِيمُهُ لِيْنَ لَا يَعْلَمُهُ صِدْقَةٌ، وَيَذَلُّهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارٌ سُبُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،
وَهُوَ الْأَيْسَسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ وَالِدَلِيلُ عَلَى السَّرَاءِ
وَالضَّرَاءِ، وَالسَّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْإِخْلَاءِ، يَرْفَعُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةَ
وَأُمَّةً، تَقْصُ آثَارَهُمْ، وَيَقْتَدِي بِأَفْعَالِهِمْ، وَيُنْتَهِي إِلَى رَأْيِهِمْ، تَرْغِبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خَلْتِهِمْ،
وَبِأَجْنَحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ، يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كَسَلٌ رَطْبٌ وَيَابِسٌ وَحَيْثَانُ الْبَحْرِ وَهَوَامُهُ، وَسِبَاعُ الْبَرِّ (7)
وَأَنْعَامُهُ لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ وَمَصَابِيحَ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ يَبْلُغُ الْعَبْدُ بِالْعِلْمِ

(1) - الحديث: رواه أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر وعبد الغني الأزدي من حديث أنس.

انظر كتاب كشف الخفاء ومزيل الالباس للعجلوني، ج1، ص435.

(2) - ابن نعيم: "الفضل بن دكين مولى طلحة بن عبيد الله التميمي.. له من الكتب: كتاب المناسك وكتاب المسائل في الفقه.. توفي سنة تسع
عشرة ومائتين..". انظر المعارف لابن قتيبة الدينوري، ص292، والفهرست لابن النديم، ص317.

(3) - الحلية: "حلية الأولياء في الحديث للحافظ ابن نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني.. ثلاثين وأربعمائة مجلد ضخمة.. وهو كتاب حسن،
معتبر، يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين.. ومن بعدهم من الأئمة الأعلام..". انظر كشف الظنون لحاجي خليفة، ج1، ص679.

(4) - أبو الدرداء: "عومر بن عامر الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر وتوفي سنة الثنتين وثلاثين.

انظر التهذيب، ج1، ص67، وشجرة النور الزكية، ص84.

(5) - انظر كشف الخفاء ومزيل الالباس للعجلوني، ج2، ص543، وكنز العمال على المقيي الهندي، كتاب العلم، باب الترغيب فيه، ج10،
ص173، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة تأليف محمد الشوكاني تحقيق عبد الرحمن اليماني المكتب الإسلامي، ص260.

(6) - معاذ بن جبل: "بن عمرو بن أوس بن عاتق، بن الخزرج، شهد بدرا وهو ابن عشرين، وشهد قبلها العقبتين،
كنيته أبو عبيد الرحمن الأنصاري، انتقل إلى الشام، ومات في طاعون عمواس بالأردن في خلافة عمرو وهو ابن ثمان
وعشرين سنة". انظر تاريخ الصحابة للإمام بن حبان السبتي، ص229، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا
دار الكتب العلمية، ج3، ص437.

(7) - في (ظ) "البحر" والصواب من (ق).

- الحديث: أخرجه ابن عبد البر في كتاب العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشي وقال: حدثنا عبد الرحيم =

مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ وَالذَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي دَارِ الْآخِرَةِ وَهَذِهِ الدَّارُ.

وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ إِذْ هُوَ نَتِيجَتُهُ وَزُبْدَتُهُ وَفَائِدَتُهُ⁽¹⁾.

قال ابن عطاء الله⁽²⁾ رحمه الله ورحمنا به⁽³⁾: "جميع ما في القرآن من لفظ العلماء ومدحهم فالمراد العلماء العادلون" وفي مدح العلم والتزغيب فيه قال الشافعي⁽⁴⁾ رضي الله عنه:

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مَرَّ التَّعْلِيمِ سَاعَةً
وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقَتَ شَبَابِهِ
حَيَاةَ الْفَتَى وَاللَّهُ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى
تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ
فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا لَوْفَاتِهِ
إِذَا لَمْ يَكُونَا لَا اعْتِبَارَ لِذَاتِهِ⁽⁵⁾

قوله: "ولا تكسل" قال في الصحاح: "الكسل: الثاقل عن الأمر، وقد كسل بالكسر فهو كسلان، وكسالى، وإن شئت كسرت [اللام]⁽⁶⁾ كما قلنا في الصحاح، وامرأة مكسال: لا تكاد تبرح عن مجلسها وهو مدح لها⁽⁷⁾ " انتهى.

والمعنى: ولا تتناقل عن طلبه.

قوله: "فما أبعد الخير على أهل الكسل" لما كانت الجملة شبيهة بالشرطية جاءت الفاء

(1) - الحديث : أخرجه ابن عبد البر، كتاب العلم، قال حدثنا عبد الرحيم بن زيد عن أبيه عن الحسن عنه قال: "هو حديث حسن ولكن ليس له إسناده قوي، وقد روينا من طرق شتى موقوفا". انظر التزغيب والتزهيب للمنذري كتاب العلم، باب ما جاء في فضل العلم ج1، ص95.

(2) - ابن عطاء الله: "أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين المعروف بابن عطاء الله الاسكندري، المتصرف، الشاذلي، كان جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه على المذهب المالكي، كان من خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية وله نظم حسن في الوعظ.. مات في المدرسة المنصورية بالقاهرة، ودفن بالقرافة.. من كتبه: الحكم العظيمة وتاج العروس في الوصايا، والتنوير في إسقاط التدبير..". انظر شجرة النور الزكية لحمد مخلوف، ج1، ص204.

(3) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ)

(4) - سبق الترجمة له، راجع ص¹³⁰ من قسم التحقيق.

(5) - راجع ديوان الشافعي جمع وتعليق محمد عفيف الزغبي، دار الجليل، ص29.

(6) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ)

(7) - راجع الصحاح، مادة: كسل، ج2، ص651.

في حيزها تعجبية، و"أبعد" فعل التعجب و"الخير" مفعوله. "والخير ضد الشر" (1) قاله في الصحاح.

وقوله: "على أهل الكسل" متعلق بفعل التعجب، ولا شك ولا خفاء أن المشاغل على الخير. ومنه طلب العلم بعيد عن الخير والخير بعيد منه، كذلك ولا يحصل العلم إلا بالأخذ بالأسباب، وهو التخلي عن الراحة وادراع للجهد والاجتهاد، وسهر الليل، وترك الفضول من النوم والأكل (2)، وترك من يشغله وما يشغله عن ذلك أو بأمره بترك ذلك، ولا يعنيه على ذلك.

ومن عرف نفاسة ما طلب خاطر بأنفس ما عنده، والكسل مذموم في هذا الموضع جدا، فلا ينبغي لعامل أن يفوت على نفسه واجبا أو فضيلة.

قال رحمه الله:

وَاحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلٍ
وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ (3) يَحْقِرْ مَا بَدَلُ

قوله: "واحتفل" هو فعل أمر من احتفل، يقال: حفل واحتفل، تقول: حفلت بكذا أي: ما بليت به، كما يقال: لا تحفل (4) به: لا تبال.

والمعنى: إعتن بالفقه واهتم به وبشأنه أو هو من قوهم: رجل ذو حفلة، إذا كان مبالغا فيما أخذ فيه، ويقال أخذ للعلم حفلته إذا جد فيه واجتهد، ويكون المعنى إذا بالغ في أخذ الفقه واجتهد فيه.

و"الفقه (5)" في اللغة: الفهم، وفي اصطلاح الشرع: العلم بالأحكام الشرعية، العملية

(1) - راجع الصحاح، مادة: خير، ج2، ص651.

(2) - في (ظ) "من الأكل والنوم" تقديم وتأخير.

(3) - في (ظ) "المقصود" والصواب من (ق).

(4) - راجع الصحاح للجوهري، مادة: حفل، ج4، ص1670.

(5) - الفقه: الفهم.. فقه الرجل بالكسر، وفلان لا يفقه، ولا يفقه، وأفقهتك الشيء ثم خص به علم الشريعة.. والعالم به فقيه، وقد فقه

المكتسبة من أدلتها التفصيلية⁽¹⁾، و"اللام في الفقه" للتعليل ولأجل الفقه، أي: لتحصيله.

وقوله: "في الدين"⁽²⁾ " وهو وضع إلهي سابق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات، والمراد في تصحيح الدين، لأن الأحوال الدينية لا تصح إلا من باب الفقه والعمل به.

وقوله: "ولا تشتغل عنه بالمال وخول" فيه حث وتأکید بما طلبه منه: من اعتناؤه بالفقه والحث⁽³⁾ في طلبه. و"الاشتغال" التلهي عن الشيء بغيره، ولما كان الاشتغال بالمال والخول. و"المال" معلوم بديهي، و"الخول" الحشم، ويقع على العبد والأمة خصهما دون غيرهما بالذكر، ويمكن أن يكون قوله: "بمال وخول" كناية عن الاشتغال عنه مطلقا، وتمثيله ببعض الافراد. ومراده أعم من ذلك.

ثم أن الناظم نبه بلفظ⁽⁴⁾ منه: أن تحصيله لا يكون إلا بهجر النوم وتركه، ثم قال ترغيبا في الفقه: من يعرف مطلوبه أي قدر مطلوبه ونفاسته ومقامه، ومقام طالبه بين الناس يحقر ما بذله فيه.

"والحقير" الخسيس، فلا يرى ما بذله إلا خسيسا، ثم لما خاف عليه من التعللات النفسانية والقواطع الشيطانية اعقب ذلك بقوله:

لا تَقْلُ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلُ
فِي إِزْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَا وَجَمَالُ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ

قوله: "لا تقل" هي لا الناهية بسكون آخره و"أربابه" بمعنى أصحابه، والمراد العلماء،

= بالضم فقاها، وفقهه الله، وتفقه إذا تعاطى ذلك، وفاقهته إذا باحثه في العلم.. انظر الصحاح للجوهري، مادة: فقه، ج6، ص2243.

(1) - راجع القاموس الفقهي (لغة واصطلاحا) سعدي أبو جيب، دار الفكر، ص289.

(2) - الدِّين: ما يتدين به الإنسان وهو اسم لجميع ما يعبد به الله، نفس المرجع السابق، ص133.

(3) - في (ظ) "الحد".

(4) - في (ظ) وهو الصواب لأن الشاعر في مقام الناصح.
دَبْلُطَفْ

وفي الحديث الشريف: (لا ينزع العلم انتزاعا وإنما ينتزعه بموت العلماء) (1). ولا شك ولا خفاء أن العلماء يذهبون ويذهب العلم بذهابهم.

قوله: "كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ"، "السير" معروف و"الدرب" الطريق الموصلة، والمعنى كل من سار مجدا لم يلتفت في سيره عن الطريق يمينا ولا شمالا وصل لمطلوبه غالبا.

قال في الصحاح: "والدرب معروف وأصله المضيق في الجبال، ومنه قولهم: ادرب القوم إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم" (2) " انتهى.

ثم رغب في العلم وفي الأزدية منه بقوله: "في ازدياد العلم ارغام العدا". لأنه لا شيء أشرف من منصب العلم، وتقدم أن العلماء خلف الأنبياء، وقد نبه الله على فضلهم في آيات كثيرة منها: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) (3) (4) ومنها: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (5) وغير ذلك ولا شك ولا ارتياب أن الإنسان كلما زاد علمه كلما زادت رفعة وعلت درجته.

وأفاد أن جمال العلم لا يكون إلا بإصلاح العالم عله. ألا تنظر إلى من وفقه الله وزاد توفيقه أبان إليه أحسن طريقة كقوله (6) :

(1) - وتام الحديث: مع اختلاف يسير إن الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فاستلوا فانفوا بغير علم، فضلوا وأضلوا".

أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب: كيف يقبض الله العلم 2 ج1، ص60، ومسلم في صحيحه كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه، ج16، ص225.

(2) - انظر الصحاح للجوهري، مادة: درب، ج1، ص125.

(3) - في (ظ) "قائما بالقسط" ساقطة.

(4) - تمام الآية: قال الله تعالى: "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" سورة آل عمران، الآية: 18.

(5) - تمام الآية: قال الله تعالى: "أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْكُمُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" سورة الزمر، الآية: 9.

(6) - القائل: هو الشاعر البوصيري: "الشرف البوصيري صاحب البردة، محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي المولد، المغربي الأصل، ولد بناحية دلاص، برع في النظم، قال ابن سيد الناس: (من سير شعره علم مزيتته).. توفي سنة 691 هـ وله قبر مشهود بالاسكندرية يتصل به مسجد كبير تدرس فيه العلوم الدينية..". انظر حسن المحاضرة للسيوطي، ج1، ص570، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، ج5، ص432.

استغفر الله مِنْ قَوْلِ بِلَا عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبَتْ بِهِ نَسْلًا لَدِي عَقْمٍ (1)

وانظر إلى هذا التشبيه البديع (2) فإنه شبه العالم الذي لا يعمل بعقيم لا نسل له: وقد نسب لنفسه نسلا ادعاء.

والعلم بلا عمل لا منفعة فيه وإنما هو حجة على صاحبه، كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَزِدْنَا عِلْمًا) (3) فقد أشار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العمل وإلى الزيادة من العمل النافع.

وقد ذكر بعض العلماء أن من جملة أوصاف المعلم أن يكون عاملا بعلمه ولا يكذب قوله فعله، فإن الله تعالى قال: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) (4) وقال سيدنا علي رضي الله عنه (5): "قسم ظهري رجلان: رجل عالم مهتك وجاهل متنسك" وقال (6) إن العلماء أهل السوء هو الذين قصدهم.

من العلم التعم بالدنيا والتواصل (7) إلى المنزلة عند أهلها وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (من تعلم علما يتبغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا

(1) - انظر ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ص 192. وشرح البردة للبصيري، شرح وتحقيق: فحي عثمان، ص 102. ط (1)

(2) - التشبيه البديع: انظر شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي، وخزانة الأدب، ج 1، ص 384.

(3) - الحديث: عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْمًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ". أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الانطاع بالعلم والعمل به، ج 1 ص 92، والزملي في سننه، باب: الدعوات، ج 5، ص 236.

(4) - تمام الآية: قال الله تعالى: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" سورة البقرة، الآية 43.

(5) - سيدنا علي رضي الله عنه، راجع ترجمته، ص 141 من قسم التحقيق.

(6) - في (ط) "قالوا".

(7) - في (ط) "التوصل" وهو الصواب.

لِيَصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا (1) .

وفي حديث آخر أنه قال: (مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيَبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ رَجُوعَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ) (2) . وفي ذلك أحاديث كثيرة فلا نطيل بذلك.

وقوله: "في ازدياد العلم" خير مقدم للحصر والاهتمام، وقوله: "إرغام العدا" مبتدأ مؤخر، والمراد بالإرغام: وضع أنوفهم في الرغام وهو التراب. والإنسان إذا تعاضم رفع أنفه، وإذا وضع محل تكبر منه في الرغام كان أقوى (3) ذل يلحقه.

قوله: "وجمال العلم" مبتدأ وخبره قوله: "إصلاح العمل" والمعنى ظاهر في الأبيات المتقدمة من قوله: "أطلب العلم" إلى هنا. على التطويل بل وزيادة التوضيح. وفي البيت الأول: السلاسة وتقدمت وتمكين القافية وتقدمت أيضا.

وفي البيت الثاني: الجناس المقلوب (4) في لفظ: "العلم" و"العمل" وفيه الترديد (5) في لفظ (6): "العلم"

(1) - الحديث: رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم، ولفظه كاملا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا نَسْتَعِي بِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيَصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا".

أخرجه ابن ماجه في سننه باب: الانشاع بالعلم والعمل به، ج1، ص93، والمستدرک علی الصحیحین للحاكم النيسابوري كتاب العلم باب: لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ج1، ص86، ومنهل الواردين شرح رياض الصالحين، ج2، ص758. في (ظ) الحديث ساقط.

(2) - الحديث: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وغيره وأورده الحاكم شاهداً والبيهقي وقال الرمذي: حديث غريب ولفظه عنده: عن كعب بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ وَجُوعَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ".

أخرجه ابن ماجه في صحيح سننه، ج1، ص48، وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أبو بكر الهيثمي كتاب العلم، باب: فيمن طلب العلم لغير الله، ج1، ص184.

(3) - وردت في أصل المخطوطة "أقوا".

(4) - الجناس المقلوب: "سماء قوم جناس العكس وهو الذي يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ويخالف أحدهما الآخر في الترتيب". انظر التلخيص في علوم البلاغة للغزويني ص388، وحلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمنهوري، ص153، وخزانة الأدب، ج1، ص92.

(5) - راجع ص133 من قسم التحقيق.

(6) - في (ظ) "لفظة".

وقد تقدم معناه في قوله: "فلأيام الصبا"، وفيه أيضا تمكين القافية (1) وهي فيه أظهر من البيت الأول.

قال رحمه الله تعالى ونفع به آمين (2):

جَمَلُ الْمُنْطِقِ بِالنَّحْوِ فَمَنْ يُحْرَمَ الإِعْرَابَ فِي النُّطْقِ اخْتَبَلُ

قوله: "جمل" هو فعل أمر من الجملة، يقال: جملة تجميلا وجمالة أي زينة، فيكون المراد: زين منطقتك والمراد بلفظ "المنطق" المعنى اللغوي وهو النطق أي: زين نطقك بالنحو (3) وهو آلة قانونية تعصم مراعاتها اللسان عن الخطأ في الكلام.

فالمراد بالنحو المعنى الاصطلاحي لا (4) اللغوي عكس ما تقدم في لفظ المنطق، وإنما أراد به التورية (5) كما سيجيء آخر البيت عند التنبية على أنواع البديع.

والمعنى: اجعل نطقك جاريا على أسلوب النحو الاصطلاحي كما يشهد به شطر البيت الثاني وهو قوله: "فمن يحرم الاعراب في النطق اختبل" فمن اسم شرط جازم و"يحرم" فعل الشرط مجزوم بالسكون وحرك بالكسر (6) لالتقاء الساكنين والحرمان: المنع يقال: احرمه من كذا فتارة يتعدى للمفعول الثاني بنفسه وتارة بحرف الجر، والإعراب له جملة معان في اللغة لا يتأتى منها هنا إلا معنى واحد وهو قوهم: أعرب فلان إذا تكلم بالعربية [ولا يتكلم بالعربية

(1) - راجع ^ق من قسم التحقيق.

(2) - في (ظ) "رحمه الله تعالى ونفع به آمين" ساقطة

(3) - النحو: "نشأ علم النحو في البصرة والكوفة اللتين صارتا من أهم مراكز الثقافة في القرن الأول الهجري، وكان أبو الأسود الدؤلي أول من اشتغل بالنحو وقد قيل أنه تلقى أصول هذا العلم عن علي بن أبي طالب...".

انظر التهذيب الوسيط في النحو لابن يعيش الصنعاني، تحقيق: د. فخر قدارة. دار الجليل بيروت، ص 18، والفهرست لابن النديم، ص 60. والخصائص لابن جني. تحقيق علي النجار. دار الكتاب العربي بيروت. لبنان ج 1 ص 34.

(4) - "لا" ساقطة في (ظ).

(5) - التورية: "وتسمى الإيهام أيضا وهو: أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد". انظر التلخيص للقرظيني، ص 359.

(6) - في (ظ) "بالكبير" والصواب ^ص (ق).

إلا⁽¹⁾ إذا أتقن علم النحو لأن اللغة العربية التي كان ينطق بها بالسليقة فسدت قديماً على زمن الصحابة.

وما صنف علم النحو إلا لما حصل الخلل في النطق. وسببه أن بعض الأعراب كان يقرأ على رجل في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)⁽²⁾ فلقنها للأعرابي بالجر، فقام⁽³⁾ الأعرابي على قدميه فقال: أو تبرأ الله من نبيه بعد أن أعطاه ما أعطاه، فوصلت إلى عمر بن الخطاب⁽⁴⁾ رضي الله⁽⁵⁾ عنه فأرسلها إلى علي وشكا إليه، فقال علي بن أبي طالب⁽⁶⁾ رضي الله عنه: هذا من دخول لغة الأعاجم في لغة العرب. فأرسل خلف أبي الأسود الدؤلي⁽⁷⁾ وقال له يا أبا الأسود، الفاعل مرفوع وما سواه فرع عليه، والمفعول منصوب وما سواه فرع عليه، والمضاف إليه مجرور وما سواه فرع عليه إلخ، هذا يسمى علم النحو لذلك.

والذي قررناه يشهد له شطر البيت الثاني كما سبقت الإشارة إليه، ويدل عليه قوله: "فمن يحرم الإعراب في النطق اختبل". "فمن" جازمة للفعل بعدها وهو فعل الشرط مبني لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل الضمير المستتر فيه "والإعراب" مفعوله الثاني.

(1) - ما بين المعرفتين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

(2) - تمام الآية: قال الله تعالى: "وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ". سورة التوبة، الآية: 3.

(3) - في (ظ) "فقال" والصواب من (ق).

(4) - عمر بن الخطاب: بن تميم القرشي العدوي أبو حفص ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمير المؤمنين.. صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين وشهد الوقائع.. ببيع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة 13 هـ بعهد منه.. في أيامه تم فتح الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجزيرة.. هو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري كانوا يؤرخون بالوقائع.. لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبه) غيلة بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح.. عاش بعد الطعنة ثلاث ليال.. انظر الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري، دار الكتب العلمية بيروت، ط (1) ج 3، ص 104، والأعلام للزركلي، ج 5، ص 45.

(5) - في (ظ) "رضي الله عنه" ساقطة.

(6) - راجع ترجمته ص 124 من قسم التحقيق.

(7) - أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكتاني، واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان... رسم له علي بن أبي طالب شيئا من أصول النحو فكتب فيه أبو الأسود الدؤلي وأخذه عنه جماعة وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير... وهو في أكثر الأقوال أول من نقط المصحف، له شعر جيد.. مات بالبصرة بالطاعون سنة تسع وستون. انظر الأعلام للزركلي، ج 3، ص 340، والتهذيب للذهبي، ج 1، ص 132.

قوله: "في النطق" متعلق: باختيل" ويحتمل أن يكون في محل نصب على الحال من فاعل "اختيل" وهو وفاعله جواب الشرط في محل الجزم.

قال في الصحاح: "يقال خبله وخبله واختبله واختبله: أفسد عقله أو عضوه" (1) والمعنى هنا أفسد نطقه لأن من لم يعرف النحو لا يعرف الصواب من الخطأ، ولا يحسن النطق بالعربية، فقد فسد نطقه وإذا أحسنها لا يفسد نطقه ولا يدخل عليه الخلل في ذلك.

وعلم النحو ممدوح لأنه يتوصل به إلى فهم معاني الكتاب والسنة، ولا تفهم دقائقها إلا به، بل به يتوصل إلى كل العلوم.

وقد نظمه (2) العلماء نثرا ونظما (3) فمن ذلك ما قاله بعضهم:

النَّحْوُ خَيْرَ عُلُومٍ يُلْتَمَسُ	لِأَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يُقْتَبَسُ
إِذَا الْفَتَى مَنِخَ الْإِعْرَابِ كَانَ لَهُ	مَهَابَةٌ عِنْدَ قَوْمٍ حَوْلَهُ جَلَسُ
لَا يَنْطِقُونَ حَذَارَ أَنْ يَلْحَقَهُمْ	كَأَنَّمَا هُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ حَرَسُ
لَا يَسْتَوِي مَعْرَبٌ مِنَّا وَمَعْجَمٌ	هَلْ تَسْتَوِي الْبَغْلَةُ الْعَرَجَاءُ (4) وَالْفَرَسُ (5)

وفي البيت: من أنواع البديع: التورية (6) وهي كما قال علماء البديع: مأخوذة من روية الخبر إذا سترته وأظهرت غيره، كان المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر. وهي في الاصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز (7) أحدهما: قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه حقيقية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري بالمعنى

(1) - راجع الصحاح للجوهري، مادة: خبل، ج4، ص1682.

(2) - وردت في أصل المخطوطة - نضمه - والصواب: "نظمه". في (ظ) "مدحه"

(3) - وردت - نضما - والصواب: "نظما".

(4) - في (ظ) "الحمقاء" والصواب من (ق).

(5) - في هذا المعنى انظر عيون الأخبار لابن قتيبة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط(1)، ج2، ص157.

(6) - راجع ص199 من قسم التحقيق.

(7) - وردت - مكررة - في متن المخطوطة، حذفنا واحدة منها .

القريب، فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ولأجل هذا يسمونه أيضا إيهاما⁽¹⁾، وفيها كلام طويل، وفي أقسامها من أرادته فعلية بمحله في شرح⁽²⁾ البديعيات .

والتورية في البيت في لفظ "المنطق" فإذا تأملته وجدته كما قلنا وفي البيت أيضا مراعاة النظر، وهو في "المنطق" و"النحو" و"الإعراب".

قال رحمه الله تعالى⁽³⁾:

وَأَنْظِمِ الشُّعْرَ وَلَا زِمَ مَذْهَبِي فَا طَرَّاحُ الرَّفْدِ فِي الدُّنْيَا أَقْلُ
فَهُوَ غُنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا أَحْسَنَ الشُّعْرَ إِذَا لَمْ يُتَذَلَّ

قوله "وانظم الشعر" إذا أتى وجادت به قريحته وانظم⁽⁴⁾ في الأصل: نظم⁽⁵⁾ العقد وجعل كل شيء منه في مرتبته، والشعر أخص من النظم، فكل شعر نظم وليس كل نظم شعر. والشعر⁽⁶⁾ قول موزون مقفى، مقصود ما وافق الأوزان الشعرية، من كتاب أو سنة فإنه غير شعر لأنه لم يقصد به ذلك وقد نفى الله الشعرية عن القرآن وعن نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ)⁽⁷⁾ .

إذ منصب النبوة أعلى وأعلى. وهذا لا يتنافى كون الشعر في نفسه وصفا حسنا يمدح

(1) - راجع ص 199 من قسم التحقيق.

(2) - في (ظ) "شروح".

(3) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(4) - وردت في أصل المخطوطة - النظم -

(5) - النظم: "الكلام الموزون المقفى.. ومعظم النقاد يجعل النظم دون مرتبة الشعر في الجودة من حيث المضمون والخيال والعاطفة.. والنظم ركب بطريقة لا يقصد بها إلا مخالفة على الوزن والإيقاع كاتظام حبات العقد في السلك دون أن يكون فيه روح أو حياة فهو وإن كان جميل الشكل كاللؤلؤ فإنه بارد مثله.. فما نظمه الفقهاء والنحاة والشعر التعليمي كل ذلك نظم لا شعر.. انظر الصناعتين للعسكري، ص 161.

(6) - الشعر: "كلام موزون، مقفى، بالن عن النثر، قال ابن قتيبة: (الشعر معدن علم العرب وسفر حكمتها وديوان أخبارها ومستودع أيامها، وهو كلام مؤلف من أجزاء متساوية على تناسب بينها، في عدة حروفها المعركة والساكنة.. انظر عبار الشعر لابن طباطبا، تحقيق عبد العزيز المانع مكتبة الخليلي، القاهرة، ص 5. وعيون الأخبار لابن قتيبة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج 2، ص 185.

(7) - تمام الآية: قال الله تعالى: "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ". سورة يس، الآية 68.

به، وفي كونه عنواناً على الفضل به، فهو شيء معلوم إلا في حقه صلى الله عليه وسلم فقد يكون الشيء في حقه وصف خسية⁽¹⁾ وفي غيره وصف رفعة وكمال كما في الأمية فهي في حقه صلى الله عليه وسلم وصف كمال وفي غيره وصف خسية، كل ذلك بالاعتبار المشار إليه سابقاً.

والشعر فضيلة معتنى به جاهلية وإسلاماً، روى [الشعر]⁽²⁾ عن أبي بكر⁽³⁾ رضي الله عنه، وكذلك عن عمر بن الخطاب⁽⁴⁾ وعن عثمان⁽⁵⁾ وعن علي⁽⁶⁾ وهم أكبر الصحابة، ومن الصحابة أيضاً: حسان بن ثابت⁽⁷⁾ كان يمدح صلى الله عليه وسلم ويهجو المشركين، وكان يدعو له صلى الله عليه وسلم ويقول له: (أَيْدِكَ اللهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ يَا حَسَّانَ)⁽⁸⁾.

والنبي صلى الله عليه وسلم سمع الشعر وأجاز عليه كما هو معلوم في قصة⁽⁹⁾ كعب بن زهير⁽¹⁰⁾ وغيره، وكان العلماء قديماً يسمعون الشعر ويفسرونه، والمراد: أشعار العرب.

(1) - في (ظ) "خسة".

(2) - ما بين المعقولتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).
 أبو بكر الصديق: ... عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب القرظي، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم.
 (3) - من الرجال: ... حبار، البريديين والمهتنيين عن دفع الزكاة... افتتحت في أيامه ببرد الشام... مدة خلافته ثلاثة أشهر ونصف شهر... توفي في المدينة... انظر: الرياض النضرة ج 1 ص 174 وصفة الصفوة لابن الجوزي، دار الجليل، بيروت 1405هـ.
 (4) - ترجمت له سابقاً، راجع ص 260 من قسم التحقيق.

(5) - عثمان بن عفان: "بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.. ولي الخلافة سنة ثلاث وعشرين.. من المهاجرين الأولين.. زوجته النبي صلى الله عليه وسلم رقية ابنته فماتت عنده فزوجه ابنته أم كلثوم.. هو أول من اتخذ صاحب شرطة عبد الله بن قنفذ، قتل يوم الجمعة صبيحة عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين..". انظر: الرياض النضرة للمحب الطبري، ج 3، ص 5، وصفة الصفوة، ج 1، ص 123.

(6) - راجع ص 184 من قسم التحقيق.

(7) - حسان بن ثابت "بن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو الوليد الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد المخضرمين الذين أدرکوا الجاهلية والإسلام، وكان من سكان المدينة.. عمي قبيل وفاته.. توفي في المدينة..". انظر: الأعلام للزركلي، ج 2، ص 188.

(8) - الحديث: أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، ج 2، ص 599.

(9) - راجع شرح ديوان كعب بن زهير للإمام أبي سعيد السكري، ص 5 نشر دار القومية للطباعة والنشر ص 5.

(10) - كعب بن زهير: "كعب بن زهير بن أبي سلمى، أحد فحول المخضرمين ومادح النبي الكريم.. أقبل على الرسول صلى الله عليه وسلم وأنشد قصيدته المشهورة: لبانت (سعاد فقلبي اليوم متبول)، فخلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم بردته، فبقيت في أهل بيته.. كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعلو الكعب في الشعر انظر شرح ديوان كعب بن زهير للإمام أبي سعيد السكري، ص 6 وجواهر الأدب لأحمد الهاشمي، ج 2، ص 486.

قال في المزهرة (1): "أخرج الخطيب البغدادي (2) عن ابن عبد الحكم (3) قال: كان أصحاب الأدب يأتون الشافعي (4) فيقرؤون عليه فيفسره وكان يحفظ (5) آلاف بيت من شعر هذيل (6) باعرابها وعربيتها ومعانيها (7)". وقال الباجي (8) سمعت جعفر بن محمد الخوارزمي (9) يحدث عن أبي عثمان المازني (10)، عن الأصمعي (11) قال قرأت شعر الشنفرى (12) على الشافعي

(1) - المزهرة: سبق التعريف به، راجع ص 128 من قسم التحقيق.

(2) - الخطيب البغدادي: راجع ص 191 من قسم التحقيق.

(3) - ابن عبد الحكم: "عبد الله بن عبد الحكم بن أيمن بن ليث بن رافع أبو محمد المصري، الفقيه الحافظ، صاحب الإمام مالك.. ولد بالإسكندرية، وتوفي بالقاهرة، وقره إلى جانب قبر الشافعي. كان رجلاً، صالحاً، ثقة.. من كتبه: سير عمر بن عبد العزيز والمناسك والأهوال والمختصر الكبير والأوسط والصغير.. مات مظلوماً سنة سبع وثلاثين ومائتين، كهلاً..". انظر الأعلام للزركلي، ج 4، ص 229، والتهذيب للذهبي، ج 1، ص 424، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج 2، ص 239.

(4) - الشافعي: راجع ص 135 من قسم التحقيق.

(5) - بعد كلمة يحفظ يوجد بياض في المخطوطة.

(6) - هذيل: "من قبائل الحجاز المهمة، تنقسم إلى قسمين: شمالي وجنوبي.. وهذيل هذه قبيلة عظيمة من العدنانية، لازالت في ديارها الأصلية، ولهجتها أقرب اللهجات إلى الفصحى.. وقيل أن في هذيل مائة وثلاثون شاعراً، وتنقسم هذيل اليوم إلى فرعين كبيرين هما: هذيل اليمن وهذيل الشام". انظر جامع أنساب قبائل العرب لسلطان السرجاني، دار الثقافة، قطر، الدوحة، ص 154.

(7) - انظر المزهرة للسيوطي، ج 2 ص 296.

(8) - الباجي: "إبراهيم الباجي ثم التونسي، إمام متميز في الفرائض، شارك في غيرها مع تقشف وتقليل، وولاه عثمان العدالة لباشرها، ولم تطل مدته، بل مات قريب التسعين أفاد فيه ابن حاتم وهو ممن قرأ عليه..".

انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج 1، ص 186.

(9) - جعفر الخوارزمي: "محمد بن إبراهيم، شَيْخ الحنفيّة ومدرسهم بالموصل، أصله من الري، له كتب في الفقه". انظر الفرائض، توفى بالموصل سنة 1218 م.. انظر الأعلام، ج 5 ص 296.

(10) - أبو عثمان المازني: "إمام عصره في النحر والأدب، أحد الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم.. له من

التصانيف: كتاب ما تلحن فيه العامة، وكتاب الألف واللام، وكتاب العروض والقوافي، وانظر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1

ص 254

(11) - الأصمعي: "أبو سعيد عبد الملك الباهلي من أبناء عدنان، كان عالماً، عارفاً بأشعار العرب وآثارها، كثير التطوف في البوادي لاقتباس علومها.. له من التصانيف: كتاب خلق الإنسان وكتاب الأجناس وكتاب الأنساء وكتاب الخيل وكتاب الأمثال والنوادر وغير ذلك.. قال بن معن: ولم يكن ممن يكذب، وكان من أعلم الناس في فنه.. وكان من أهل السنة.. عمّر نيفاً وتسعين سنة..". انظر بغية الوعاة للسيوطي، ص 313، والمعارف للدينوري، دار الكتب العلمية، ص 302.

(12) - الشنفرى: "بن الأواس بن الحجر من الأزدي، شاعر من أهل اليمن، وللشنفرى أشعار في الفخر والحماسة أشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب مطلعها:

أقيموا بني أمسي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل

بِكَلْبًا⁽¹⁾، وقال ابن أبي الدنيا⁽²⁾ حَدَّثَنَا: عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، قال: قلت لعَمِّي: عَلِيٌّ مِنْ قَرَأَتْ شَعْرَ هَذِيلٍ؟ قال: عَلِيٌّ رَجُلٌ مِنْ آلِ الْمُطَّلَبِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ إِدْرِيسٍ⁽³⁾.

وأما قول الشافعي:

وَلَوْلَا الشُّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يَزْرِي⁽⁴⁾

الجواب عنه: إنما يزري بالعلماء، أي⁽⁵⁾: اتخذوه ديدنا، واشتغلوا به عن بقية العلوم، إذ منصب العلم أشرف من منصب الشعر. فلا شك في ذلك، فمن أجل ذلك قيد بالعلماء. تنبيه: الشعر على قسمين: حرام مذموم وحلال ممدوح. فما حمل على صاحبه أو سامعه على اتباع الجاهلية، والعمل بعملها من قتل وسلب وزنى وشرب خمر، فهذا الحرام المذموم.

وما كان فيه تنزيه الله عن الشرك والنقائص ومدح نبيه [محمد]⁽⁶⁾ صلى الله عليه وسلم، ومدح أولياء الله. فهو الممدوح وهذا لا يحمل على الخيرات وفعل المبررات، ويشهد لذلك جميعه قوله تعالى: (وَالشُّعْرَاءُ)⁽⁷⁾ إلى آخر الآية لأن قوله: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)⁽⁸⁾ قال

(1) - مكة: "بيت الله الحرام.. ويقال مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت، قال الشرفي بن القطامي: يقال: سميت مكة لآزدحام الناس فيها، ويقال أيضا سميت مكة لأنها عبدت الناس فيها فباتونها من جميع الأطراف.. وسماها الله تعالى: أم القرى والبلد الأمين والبيت العتيق والبيت الحرام.. أما صفتها فهي مدينة في واد الجبال، مشرفة من جميع النواحي محيطة حول الكعبة، حارة في الصيف، إلا أن ليلها طيب، بها نثر زمزم وهو أطيب مياهها..".

أنظر آثار البلاد والعباد للقرظيني، دار بيروت للطباعة والنشر، ص112، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ج2، ص217-211، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية محمد إسماعيل إبراهيم، ص78.

(2) - ابن أبي الدنيا: "عبيد الله بن محمد بن عبيد ويكنى أبا بكر، كان قرظيا من ولاء، كان يؤدب المكفي بالله، كان ورعا، زاهدا، عالما بالأخبار والروايات.. له من الكتب: كتاب مكائد الشيطان، وكتاب الحلم، وكتاب الأصوات، وكتاب مدرة المنتهى وغير ذلك... أنظر الفهرست لابن النديم، ص262.

(3) - يقصد به الشافعي (الفقيه).

(4) - صدر البيت: (لكنك اليوم أشعر من لبيد) راجع ديوان الشافعي وحكمه، جمع وإعداد محمود بيجو، دار المعرفة، دمشق، ص6.

(5) - في (ظ) "إذا"

(6) - ما بين المعرفتين ساقط من (ق).

(7) - تمام الآية: قال الله تعالى: "وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ". سورة الشعراء، الآية: 223.

(8) - تمام الآية: قال الله تعالى: رُدُّوْا الْعَمَلُوهَا إِلَى الْوَالِدِ وَأَلْيَتِهَا وَإِذَا كُنْتُمْ لِلنَّاسِ كَانِئِينَ مِنْهُمْ فَمِنْ دُونِهِمْ لَمَنْ أَسْفَهْتُمْ وَأَلْوَابِلُهُمْ كَالْأَحْمَادِ وَإِنْ تَسَاءَلْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ يُبَدِّلُوهُ بِسُنُنٍ وَأُخْرَى وَأَنْ لِيُفِطْرَنَّ لَوْ يَرَى إِثْمَكَ يَأْتِيكِ عَذَابٌ مُلْتَمِسٌ وَإِذَا لَمْ يَأْتِكُمْ مَالٌ فَخُذُوا مِمَّا آتَاكُم بِغَيْرِ حِسَابٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ وَإِذَا لَمْ يَأْتِكُمْ مَالٌ فَخُذُوا مِمَّا آتَاكُم بِغَيْرِ حِسَابٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ وَإِذَا لَمْ يَأْتِكُمْ مَالٌ فَخُذُوا مِمَّا آتَاكُم بِغَيْرِ حِسَابٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ

205 سورة الشعراء، الآية 226.

المفسرون أي من الشعراء، فلزم من ذلك أنهم قسمان صالح وطالح فالصالح كحسان بن ثابت⁽¹⁾ وكعب بن زهير⁽²⁾ والبصيري⁽³⁾ ومن شابههم، وغير الصالح⁽⁴⁾ كغير المذكورين من الشعراء مما حمل على ما ذكره آفنا، لاسيما المنهي عن شعرهم. الصلحاء الشعر في حقهم فضيلة.

والنبي صلى الله عليه وسلم مدح الشعر في قوله: (إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةٌ وَإِنَّ مِنَ السِّحْرِ لِبَيَانًا)⁽⁵⁾ قلت: والشعر طبقات صرح بذلك المتقدمون كالصفدي⁽⁶⁾ في تذكرته وغيره.

قال المطرزي⁽⁷⁾ في شرح المقامات الحريرية: "كان يقال اختص الله العرب بأربع: العمائم تيجانها [الخيم]⁽⁸⁾ حيطانها والسيوف بسجانها والشعر ديوانها" وإنما قيل⁽⁹⁾: الشعر ديوان العرب⁽¹⁰⁾. لأنهم كانوا يرجعون إليه عند اختلافهم في الأنساب والحروب؛ لأنه مستودع

(1) - سبق الترجمة له راجع ص 203 من قسم التحقيق.

(2) - راجع ص 203 من قسم التحقيق.

(3) - وردت في أصل المخطوطة: (البيطري)، راجع ترجمته ص 196.

(4) - في (ظ) "الطالح".

(5) - تمام الحديث: رواه أبو داود ولفظه: عن ابن العباس رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما" وفيه أيضا: عن عبد الله بن عمر قال: قدم رجلا من المشرق (هما الزريقان وعمرو بن الأهتم) فخطبا، فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله: "إن من البيان لسحرا".

أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز، ج 7، ص 107، وأبو داود في سننه كتاب الأدب، ج 2، ص 597، وشرح السنة للبغوي كتاب الاستذنان، باب الشعر والرجز، ج 4، ص 411.

(6) - الصفدي: "علي بن إسماعيل الصفدي، الإمام نور الدين النحوي قال في الدرر: (أحكم العربية وشارك في الفقه والحديث.. وأكثر الإشتغال وأخذ عن النجم الفخاري وكان حفظه ذكيا إلى الغاية، فكان يدخل في العلوم، ويحب أن يعرف كل شيء. دخل اليمن.. مات سنة نيف وثلثين وسبعماية..".
أنظر بغية الوعاة، ص 330.

(7) - المطرزي: "ناصر بن عبد السيد علي أبو الفتوح المطرزي، الأديب، الخوارزمي من أعيان مشايخ خوارزم في علم الأدب.. صنف كتبا حسانا، وكان شديد التعصب داعية إلى الاعتزال.. صنف شرحا للمقامات الحريرية، وكتاب العرب، مقدمة في النحو والاقناع، ومختصر إصلاح المنطق.. لما مات رُئي بثلاثمائة قصيدة بالعربي وبالعجمي..". أنظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 5، ص 6.

(8) - ما بين المعقوفتين ساقط في (ق).

(9) - القائل: ابن الفارس، راجع المزهري للسيوطي، ج 2، ص 470.

(10) - راجع المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، ج 2، ص 470.

علومهم وحافظ آدابهم ومعدن أخبارهم ولهذا قيل:

الشِّعْرُ يَحْفَظُ مَا أَوْدَى الزَّمَانُ بِهِ
لَوْلَا مَقَالُ زُهَيْرٍ فِي قَصَائِدِهِ
وَالشِّعْرُ الْفَخْرُ مَا يَنْبِي عَنِ الْكَرَمِ
مَا كُنْتَ تَعْرِفُ جُودَ أَكَانَ فِي هَزْمٍ⁽¹⁾

وقال الأعشى⁽²⁾:

الشِّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَلَّمَهُ
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي يَعْلَمُهُ
وَالشِّعْرُ لَا يَسْتَطِيعُهُ مَنْ يَظْلَمُهُ
زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ⁽³⁾

وقال بعضهم:

الشُّعْرَاءُ فَاعْلَمَنَّ أَرْبَعَةٌ
وَشَاعِرٍ يَنْشُدُ وَسَطَ الْجَمْعَةِ
فَشَاعِرٍ لَا يَرْتَجِي لِنَفْعِهِ
وَشَاعِرٍ آخِرٍ لَا يَجْرِي مَعَهُ

وَشَاعِرٍ آخِرٍ يُقَالُ فِي خَمْرِ دَعَاهُ⁽⁴⁾

وقال ابن رشيقي⁽⁵⁾: "وإنما سمي الشاعر شاعرا لأنه يشعر لما شعر له غيره"⁽⁶⁾.

(1) - راجع المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، ج2، ص470.

(2) - الأعشى: "ميمون بن قيس بن جندل بن ربيعة، لقب بالأعشى لضعف بصره، ومن أجل ذلك كني بأبي بصير قلحا.. كان مستهزا، يدمن على شرب الخمر، وينصرف إلى المقامرة. للأعشى ديوان كبير ينطوي على شتى أغراض الشعر العربي.. ويمتاز شعره بطول قصائده.. أنظر دراسة في الشعر الجاهلي، لذكرها صهام، ديوان المطبوعات الجامعية، ص377.

(3) - نسب هذا الشعر أيضا للحطينة راجع العمدة لابن رشيقي القرواني، ج1، ص74، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ج2، ص18، والمزهري للسيوطي، ج2، ص490، والمرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله طه، دار الفكر، بيروت، ج3، ص69.

(4) - راجع المزهري للسيوطي، ج2، ص490.

(5) - ابن رشيقي: "عبد الله بن رشيقي المغربي، ناسخ من أهل دمشق قال فيه ابن كثير: (كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية، وكان ابصر بخط الشيخ منه إذا غرب بشيء منه على الشيخ استخراج عبد الله هذا).. أنظر الأعلام للزركلي، ج4، ص86.

(6) - أنظر العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيقي، ص74.

قال صاحب يتيمة الدهر وهو الإمام الثعالبي (1): "لما كان الشعر عمدة الأدب، وعلم العرب الذي اختصت به عن سائر الأمم وبلسانهم جاء الكتاب المنزل على أفضل بني مرسل كانت أشعار (2) الإسلاميين أرق من أشعار (3) الجاهليين (4) وأشعار المحدثين ألطف (5) من أشعار المتقدمين وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين و (6) كانت أشعار العصرين أجمع لنوادير (7) المحاسن وأنظم (8) للطوائف البدائع من أشعار سائر المذكورين، لانتهائها إلى ابعدها غايات الحسن، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز، ومن حد الشعر إلى حد السحر (9) * (10) فكان الزمان آذخر لنا من نتائج خواطرهم وثمرات قرائحهم وأبكار أفكارهم (11)، ما نخوض به سحرهم العميق. وما يكون لنا رفيقا إذا سلطنا ذلك الطريق (12)".

قوله: "ولازم مذهبي في اطراح الرد" أي مذهبي الكائن في اطراح الرد، كان (13) مذهبي في الشعر ذلك، وهو أن [لا] (14) ينظمه لأجل عطاء ورفادة و"الرد (15) " العطية

(1) - الإمام الثعالبي: راجع ترجمته ص 125 من قسم التحقيق.

(2) - ورد في أصل المخطوطة: (شعر) بدل (أشعار).

(3) - ورد في أصل المخطوطة: (شعر) بدل (أشعار).

(4) - "كانت أشعار" إلى قوله "الجاهليين" ساقطة في (ظ).

(5) - ورد في أصل المخطوطة: (انطف) بدل (الطف).

(6) - جاء في الأصل (ثم) مكان (الواو).

(7) - وردت (شوارد) في أصل المخطوطة بدل (نوادير).

(8) - وردت (انظم) في أصل المخطوطة.

(9) - عبارة (إلى حد السحر) ساقطة. أشتها من كتاب: يتيمة الدهر.

(10) - يوجد بياض في المخطوطة بعد كلمة (السحر).

(11) - وردت (أفكار) في المخطوطة. أصل

(12) - انظر يتيمة الدهر للثعالبي، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ج1، ص 17 - 16.

(13) - في (ظ) "لأن" وهو الصواب.

(14) - "لا" ساقطة في (ق).

(15) - الرد: الرد بالكسر: العطاء والصلة، والرد بالفتح: المصدر، رده، يرفده رفدا: اعطاه.. والاسم منها الرد.

انظر لسان العرب لابن منظور مادة: رد: ج3، ص 1687.

فلا يكون عنوانا على الفضل عند الشيخ الناظم إلا إذا كان كذلك، أي خاليا من البلوغ⁽¹⁾ والتصريح بالعطية، وقد صرح بمذهبه للاحتراز على أن يظن به ذلك، أو أن يأمر بمثل ذلك. أو أنه يأمر بمثل ذلك، ثم قال: "فالدنيا أقل من أن تذكر، أو يمدح الإنسان غيره لأجلها فيحتمل أنه أراد الدنيا بعمومها وإذا كانت بعمومها أقل، فهذا القدر اليسير منها أقل من الأقل بالأولى، ويحتمل أنه أراد الدنيا بخصوصها وهو ما يطلبه من الرشد والجائزة على نعمه، والعطية في مقابلته.

تأمل: وهذا ظاهر للقرائن اللفظية بدليل ما سيأتي من قوله: "ذهب الجود" إلخ. فقوله: "فهو عنوان على الفضل" أي دليل على الفضل، إذ العنوان بالنون واللام لغة فيه أول الشيء أو الدليل عليه، وتقدم معنى ذلك فيما سبق.

وقوله: "ما أحسن الشعر إذا لم يبتذل" جملة تعجبية.

و"الإبتذال" الامتهان وهو عند الناظم كما صرح به ذلة، كذل الطلب والارفاد والمشهور أن ابتذال الشعر إنما هو بالألفاظ الرذلة القبيحة التي لا تليق بالأكابر أو بما يتطير منه كما ذكر فيفطن مما يخلصه من ذلك، ومثاله في الكتاب العزيز قوله تعالى: (أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ)⁽²⁾ فاحتزس سبحانه بقوله: (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) عن امكان أن يدخل يده فيخرجها وفيها برص أو بهق⁽³⁾ وغير ذلك.

(1) - في (ظ) "التلقيح".

(2) - تمام الآية: قال الله تعالى: "أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمِمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" سورة القصص، الآية: 32.

(3) - بهق: "بياض دون البرص قال رؤية:

كَانَهَا فِي الْجِيَمِ تَوَلَّىعَ الْبَهَقِ

لِيهِ خَطُوطٌ مِثْنِ سَوَادٍ وَبَلَقِ

انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: بهق، ج1، ص374.

ومثاله في الشعر قول طرفة بن العبد⁽¹⁾ وكما ذكر ذلك الشيخ شمس الدين النواجي⁽²⁾ [في رسالته]⁽³⁾ التي عملها في صناعة النظم وذكر عيوبه، قال فيها: إن يختار الناظم الكلام الرجز دون الرذل فإنه به يتذل الشعر.

وفي البيتين من أنواع البديع: الاحتراس⁽⁴⁾ من قوله: "ولازم مذهبي في اطراد الرقد".
قال رحمه الله تعالى⁽⁵⁾:

لَيْسَ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ عَزْمِهِ لَأَوْلَا مَا فَاتَ بِالْكَسَلِ

قوله: "ليس ما يحوي الفتى من عزمه" ليس: هذه هي الناسخة للمبتدأ والخبر، وهي لنفي الحال على الصحيح ما لم تقم قرينة تخالف ذلك و"ما" اسم موصول: اسمها وصلتها و"يحوي الفتى" والعائد محذوف تقديره: ليس الذي يحويه الفتى كائنا من عزمه، مكسبا⁽⁶⁾ عن عزمه،

(1) - ورد في المخطوطة طرفة بن العبد، تحريف صوبناه.

طرفة بن العبد: "شاعر فحل من أعلام الشعر الجاهلي.. نظم الشعر وهو صغير، وكان ليمه أثره الواضح فيه.. فنشب متوقد الدهن، حار العاطفة، سريع التأثر.. جعله ابن سلام الجمحي في الطبقة الرابعة من طبقات شعراء الجاهلية وقال عنه: (هو أشعر الناس) قتل وهو ابن السادسة والعشرين.. وهو صاحب المعلقة: (خولة اطلال)..".

انظر ديوان طرفة بن العبد، دار بيروت للطباعة والنشر، المقدمة ص10، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلام الشنمزي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج2، ص18 - 5. "فيفظن بما يخلصه" إلى قوله: "طرفة بن العبد" ساقطة في (ظ)

(2) - شمس الدين النواجي: "محمد بن حسن بن علي بن عثمان شمس الدين، أديب، شاعر، ولد بالقاهرة ورحل إلى الحجاز، من آثاره: روضة المجالسة في بديع المجالسة، ديوان شعر، الطراز الموشى، توفي سنة 1386 هـ"

أنظر: حسن المحاضرة ج1 ص330 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ج3 ص226

(3) - ما بين معقوفتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(4) - الاحتراس: "أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك.. مثال ذلك في الشعر قوله طرفة:

فَسَقَى دِيَسَارَكَ غَيْرِ مَفْسِدِهَا صَوَّبَ الْغَمَامَ وَدَيْمِيَّةَ تَهْمِي

فقوله: (غير مفسدها) احتراس من مقابله وهو محو معالمها.. "انظر خزنة الأدب لابن حجة الحموي، ج2، ص486.

(5) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(6) - في (ظ) "متسببا".

والمراد "بالفتى" هنا الواحد من أولاد آدم⁽¹⁾ عليه السلام⁽²⁾، والمرأة كذلك في الحكم والعزم، والعزمة والعزيمة، كل ذلك يطلق على الإرادة والميل مطلقا، ويطلق على الميل مع الشدة والصعوبة في الطلب، والمراد هنا: الثاني، ومنه قول الفقهاء: العزيمة⁽³⁾ : انتقال الأمر من سهولة إلى صعوبة، فكلما جمعه الإنسان من أمور الرزق والدنيا ليس مكتسبا⁽⁴⁾ عن عزمه، وإنما ذلك بقضاء الله وقدره.

وهذا واجب اعتقاده على كل مسلم، لأن اجتهاد العبد لا يؤثر مع قدرة الله شيئا، والمؤثر في الأشياء كلها القدرة القديمة لا العادة ولا الخاصية، وهذا مذكور في العقائد، معلوم مشهور، فلا نطيل بذكره.

ثم قال: "لا ولا ما فاته يوما" أي وقتا من الأوقات إذ اليوم يطلق على المقدار من الزمن كما في اللغة وذكره ابن هشام⁽⁵⁾ في [أول]⁽⁶⁾ شرح "بانت سعاد" عند قوله: "فقلبي اليوم متبول"⁽⁷⁾ "بسبب الكسل عن طلبه أو التهاون فيه.

فلا ينسب للعبد شيء من حالتي الطلب والتزك، وإنما ينسب ذلك لله تعالى⁽⁸⁾، فإذا

(1) - آدم عليه السلام: "آدم أبو البشر، وهو أول رجل خلقه الله من صلصا من حيا مسنون أي "طين أسود نقي" ثم جعل ذريته تمر في خلقها أطوار من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آخر ما جاء من وصف ذلك بالقرآن.. وبعد أن تكون جسم آدم عليه السلام من الصلصال نفخ فيه رب العزة من روحه مودعا إياه سرا من أسرارها يحيا به، ثم علمه الأسماء كلها..
انظر تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص62، ومروج الذهب للمسعودي، ج1، ص37.

(2) - "عليه السلام" ساقطة في (ظ).

(3) - لغويا: العزيمة من العزم: الجدد: عزم الأمر، يعزم عزمًا ومعزما وعزيمة وعزيمة.. أراد فعله، وقال الليث: العزم ما عقد عليك قلبك من أمراك فاعله. "انظر لسان العرب، مادة: عزم ج4، ص2932.

(4) - في (ظ) "متسببا".

(5) - ابن هشام: "عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله أبو محمد جمال الدين ابن هشام، أحد أئمة العربية، مولده ووفاته بمصر قال ابن خلدون: (مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام، انحى من مسيويه) من تصانيفه، مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، عمدة الطالب، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، نزهة الطرف في علم الصرف موقد الأذهان في الألفاظ النحوية.. "انظر الأعلام للزركلي، ج4، ص148.

(6) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(7) - عجز البيت: (متمم أثرها لم يجز مكبول) بيت من قصيدة لكعب بن زهير: يمدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم انظر شرح ديوان كعب بن زهير للأبي سعيد السكري، ص6.

(8) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

حصل شيء فهو بفضله، وإن كان بسبب من الأسباب، إذ الخلق متعلقون بالأسباب في كل شيء، فاسترح وتحقق أن ما كان لك سيأتيك وينالك، وما ليس لك لا تتعب قلبك بالتعلق به، ولا بد لك بالأخذ في الأسباب، وهذا باب عظيم في التوكل وحسن اليقين وإذا اعتقد المؤمن أن ما حصله بقوته وعزمته وحيلته فهو إما اشراكا جليا أو اشراكا خفيا.

قال بعض الفضلاء رحمه الله (1):

إِنَّ الْمَقَاسِمَ أَرْزَاقَ مَقَدَّرَةَ بَيْنَ الْعِبَادِ فَمَرْزُوقٌ وَمَخْتَبِرٌ
فَمَا رَزَقْتَ فَإِنَّ اللَّهَ جَالِبُهُ دُونَ السَّمَاءِ فَمَقْدُورٌ بِهِ الْقَدْرُ (2)

وقال طرفة بن العبد (3):

لَوْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ عَبْدٌ إِلَى جَبَلٍ دُونَ السَّمَاءِ لَا يَفِرُّ رِزْقَهُ مِنْهُ (4)

وقال ابن بسّام (5):

فَنَعْتُ بِالْقُوْتِ مِنْ زَمَانِي وَمَخَافَةَ الْقَائِلِينَ يَوْمًا
وَلَا أَجُوبُ الْفَلَا لِرِزْقِ الْقُوْتِ فِي رَاحِيَةِ وَعِزِّ
مَا السَّرِزْقُ بِجِيلَةٍ وَكَدِّ كَمَا عَاقِلٌ لَا يَنَالُ قُوْتَا
وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَانِ فَضْلُ فُلَانٍ عَلَيَّ فُلَانٍ
حَسْبِي مِنَ الرِّزْقِ مَا كَفَانِي خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشَةِ بِأَمْتِهَانِ
كَأَلَّا وَلَا السَّبْقُ بِأَلْتَوَانِي وَجَاهِلٌ فِي غِنَى الْأَمَانِ

(1) - في (ط) "قال بعضهم".

(2) - لم أقف على لائله

(3) - وردت طرفة بن العبد، راجع ترجمته ص 10 من قسم التحقيق.

(4) - لم أعثر على هذا البيت في ديوانه.

(5) - ابن بسّام: "ولد أبو الحسن علي بن بسّام بمدينة شنونين فهو إذا أندلسي، برتغالي من أهل ولاية الغرب الأندلسية.. ولقد كان العصر

الذي عاش فيه عصر ازدهرت فيه العلوم والآداب بهرته هذه النهضة فكتب مؤلفه: اللخيرة في محاسن أهل الجزيرة بمدينة قرطبة.."

انظر تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ل محمد عدنان، ص 299، والفهرست لابن النديم، ص 214.

وقد أرشد ولده هذا البيت والذي قبله إلى أصل كبير من التوكل وحسن الاعتقاد في الله والتسليم لأعاليه، وإن فعله فعل حكيم لا يضع شيئاً إلا في محله.

وفي البيت من أنواع البديع: الطباق (1): "بين العزم" و "الكسل" وبين "ما حصل" و "فات". قال (2):

فاقطع الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلُ

قوله: "فاقطع الدنيا" أي اقطع حبها وعلقتها (3) من قلبك، فإنها مذمومة على لسان الله وعلى لسان نبيه، وعلى لسان أوليائه. وهي من جملة القواطع للعبد عند ربه، ومن جملة ما يستعين به الشيطان على الاغواء. وذمها مستفيض كثير في الكتاب والسنة، أوحى الله إلى عيسى (4) عليه السلام: "إذ اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا ملأته من حبي وتوليته بحفظي". قال السري السفطي (5): "من أحب الله عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والأحمق يغدو أو يروح في لاشيء".

قال القرطبي (6): "الدنيا وزن فعلى، وألفها للتأنيث، وهي من الدنو بمعنى القرب، وهي

(1) - سبق التعريف به، راجع ص 147 من قسم التحقيق.

(2) - "رحم الله" ساقطة في (ق).

(3) - علقتها: "علق بالشيء علقا وعلقة: نشب فيه.. وعلقت نفسه الشيء فهي علقه وعلاقه يقال: علق بقلبه علاقة، وعلقتها وعلق بها تعليقا: أحبها، وهو معلق القلب بها..".

انظر لسان العرب لابن منظور مادة: علق، ج 4، ص 3071.

(4) - عيسى عليه السلام: "عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح الله، ولدته أمه مريم بنت عمران في بيت لحم بفلسطين على عهد أمبراطور الرومان أوغسطس قيصر.. عاش معظم أيامه في الناصرة.. علمه ربه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.. لما بلغ الثلاثين نزل عليه جبريل بالوحي، وبدأ بتبليغ رسالته إلى قومه بني إسرائيل.. أيده ربه بالمعجزات الباهرة: من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.. الحقيقة في نهاية عيسى أنه لم يقتل ولم يصلب كما قال الله تعالى في كتابه العزيز.. رسالته لم تدم غير ثلاث سنوات أنزل الله عليه خلالها الإنجيل".

انظر مروج الذهب للمسعودي، ج 1، ص 63.

(5) - السري السفطي: "سري بن المغلس السفطي أبو الحسن من كبار المتصوفة بغداديين المولد والوفاء، وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد، وأحوال الصوفية كان إمام البغداديين وشيخهم في وقته.. قيل: أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما روى مضطجعا إلا في علة الموت. من كلامه: (من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز)". انظر الأعلام للزركلي، ج 3، ص 349.

(6) - القرطبي: هو ابن مضاء القرطبي: "أحمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن عاصم بن ماء اللخمي، يكنى بأبي العباس ولد في قرطبة وكانت

في الأصل صفة لموصوف محذوف كما في الآية الشريفة وهي قوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) ⁽¹⁾ والمراد بالدنيا التي تقابلها الدار الآخرة، والحياة الآخرة" إنتهى.

وللعلماء في تعريفها خلاف فقال بعضهم: "هي ما بين السماء والأرض"، وقال بعضهم: هي الأرض التي نحن عليها، والسماء التي تليها وما بينهما، كل ذلك يقال له: دنيا ⁽²⁾ " وقال الجلال السيوطي ⁽³⁾: هي ما على الأرض من الهواء ⁽⁴⁾ والحياة" قيل كل المخلوقات من الجواهر والأعراض، ويطلق على كل جزء من ذلك مجازا ⁽⁵⁾ في كلام الشعراء.

وإن مدحها بعضهم فمدحه لها لفوائد استفيد منها أو تنبه لتلك الفوائد لفعلها مع أهلها فلذلك مدحها ⁽⁶⁾.

ومن مدحها الإمام الجليل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ⁽⁷⁾، وله فيها ذم كثير، غير أنهم قالوا: لا يكون العالم عالما حتى يصير له ملكة وقدرة على مدح الشيء وذمه، وهو نوع من أنواع البديع يقال له: التغاير ⁽⁸⁾، وسمّاه بعضهم: التلطف: وهو أن يتلطف البليغ بتوصله إلى مدح ما قد كان ذمه هو أو ذمه غيره، وهذا منه، وهو ما قاله الإمام علي كرم الله

وفاته باشيئية سنة 592 هـ وفي عهد الخليفة الموحد يعقوب بن يوسف ومن مؤلفاته: الرد على النحاة وتنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان...

انظر ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية لمعاذ السرطاوي، دار محمد لاوي، الأردن، ص 43. ط (1)

(1) - تمام الآية: قال الله تعالى: "إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ قَرَاهُ مُمْسِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" سورة الحديد، الآية: 19.

(2) - الدنيا: "نقيض الآخرة، انقلبت الواو فيها ياءً لأن هُملئ إذا كانت اسما من ذوات الواو ابدلت واوها ياء، والدنيا أيضا اسم لهذه الحياة لبعده الآخرة عنها، والسماء الدنيا لقربها من ساكني الأرض...". انظر لسان العرب، مادة: دنا، ج 2، ص 1436.

(3) - راجع ط 154، من قسم التحقيق.

(4) - وردت في أصل المخطوطة: (الهوى).

(5) - المجاز: "مأخوذ من جاز يجوز إذا ست ماضيا... فلماجاز: يعني أن الكلام الحقيقي يمضي لسننه لا يعرض عليه، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه...".

انظر المزهري للسيوطي، ج 1، ص 355.

(6) - في (ظ) "أوحى الله إلى عيسى" إلى قوله "فلذلك مدحها" ساقطة.

(7) - راجع ترجمته، ط 124، من قسم التحقيق.

(8) - انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموي، ج 1، ص 227.

وجهه في مدحها قوله: "أيها الذام للدنيا، المغتر بغرورها المخدوع بأباطيلها (1)، أتغتر بالدنيا ثم تدمها (2) أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك، متى استهوتك، أم حتى غرتك! أمصارع آباتك من البلى (3)، أو بمضاجع أمهاتك تحت الثرى (4)، كم (5) عللت بكفيك، وكم مرضت بيدك، تبتغي لهم الشفا وتستوصف لهم الأطباء، غداة لا يغني عنهم دواؤك، ولا يجدي عليهم بكاؤك، لم ينفع أحدهم اشفاقك، ولم تسعف فيه بطلبتك، ولم تدفع عنه بقوتك، وقد مثلت لك به الدنيا نفسك، ومصرعه مصرعك.

إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود فيها ودار موعظة لمن تغط بها مسجد (6) أحباء الله ومصلى ملائكته، ومهبط وحي (7) الله ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها (8) الجنة.

فمن ذا يذمها وقد آذنت بينها ونادت لفراقها ونعت نفسها وأهلها، فمثلت لهم البلاء وشوقتهم بسرورها الشرورا، راحت (9) بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا وتخويفا (10) وتحذيرا (11)، فذمها رجال غداة الندامة، وحمدوا آخرون يوم القيامة، ذكرتهم الدنيا فتذكروا، وحدثتهم فصدقوا ووعضتهم فاتعضوا (12) ".

(1) - ساقطة في أصل المخطوطة.

(2) - ساقطة أيضا في أصل المخطوطة.

(3) - وردت في أصل المخطوطة: (البلاء).

(4) - وردت: (النراء) في الأصل.

(5) - ساقطة في أصل المخطوطة.

(6) - وردت في أصل المخطوطة: (محمد).

(7) - بدل: (وحي) وردت: (روح) في أصل المخطوطة.

(8) - وردت: (منها) في الأصل.

(9) - ورد في الأصل: (احت).

(10) - ساقطة في أصل المخطوطة.

(11) - ساقطة أيضا في أصل المخطوطة.

(12) - كلام للإمام علي راجع نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، تحقيق: محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا، مصر ص. 383.

ونظم الشيخ زكي الدين⁽¹⁾ بن أبي الإصبع⁽²⁾ معاني هذه الخطبة فقال:

من يذم الدنيا بظلم فإنني
وعظمتنا بكل شيء لو أنا
نصحتنا فلم نر النصح نصحا
اعلمتنا أن المال يقيننا
كم رأينا مصارع الأهل والأحـ
يوم يؤس لها ويوم رخاء
وتيقن زوال ذلك وهذا
دار زاد لمن تزود منها
مهبط الوحي والمصلى التي كم
متجر الأولياء قد رجحوا الجنـ
رغبت ثم رهبت ليرى كل
فإذا انصفت بعين أن يثـ

بطريق الإنصاف اتنى عليها
حين جادت⁽³⁾ بالوعظ من مصطفيتها
حين ابتد لأهلها لها لديها
للبلبي⁽⁴⁾ حين جدت⁽⁵⁾ عصريها
سباب لو نستفيق بين يديها⁽⁶⁾
فتزود ما شئت من يومها
تسل⁽⁷⁾ عن ما تراه من حادثيها
وغرور لمن يميل إليها
عفرت صورة بها خديها⁽⁸⁾
ة فيها واوردوا عينيها
ليب عقباء من حالتيها
نى عليها عليها البر من ولديها⁽⁹⁾

(1) - "زكي الدين" ساقطة في (ظ).

(2) - زكي الدين بن أبي الإصبع: "أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع المصري، الشاعر المشهور، والإمام في الأدب، صاحب التصانيف الحسنة: تحرير التجميع، كتاب القرآن عاش في أواسط سنة... كانت وفاته بمصر في الثالث والعشرين من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة". انظر فوات الوفيات للكفي، ج 2، ص 363، والنجوم الزاهرة، ج 7، ص 37.

3- وردت في أصل المخطوطة: (جدت).

4- وردت في أصل المخطوطة: (البلاء).

5- وردت في الأصل: (جهدت).

6- وردت في أصل المخطوطة: (يوما إليها).

7- وردت في الأصل: (تنقل).

8- وردت في المخطوطة: (لتستل).

9- وردت في المخطوطة: (بها قسيها).

10- راجع فوات الوفيات، ج 2، ص 364، ومعجم الأدياء لعمر فروح، ج 3، ص 575.

قوله: "فمن عادتها" العادة ⁽¹⁾: جمع عادة بالعين المهملة، وهي فاعلم- ما استمر الناس عليه، وعاودوه مرة بعد أخرى.

وقوله: "تخفض العالي" الخفض ⁽²⁾: لغة الحط مطلقا، والمراد هنا الحط من علو والخفض والعلو ضدان، والمراد هنا تخفض العالي المقام بالعلم والدين وما أشبهه.

أي يفقدها عنه، فإن أبناء الدنيا لا يميلون ولا يعظمون إلا أمثالهم من أبنائها، ولا يلتفتون إلى العلوم والخلال الصالحة، بل ولا [إلى] ⁽³⁾ أهلها وسوقها عندهم كاسد، فإذا خلا الإنسان منهم: من الدنيا ومتاعها لا يلتفتون إليه، ولا يعظمونه، وقد سقط من أعينهم وصار لا يؤبه به عندهم، فهذا ينسفل مقامه وقدره عندهم.

وقوله: "وتُعلي" أي الدنيا من سفلى: أي: تعلى مقامه لأن العلو والسفلى هنا اعتباريان معنويان.

"فمن" اسم موصول بمعنى الذي و"سفل" صلتته، والعائد محذوف تقديره هو وهو راجع "لمن" و"من" مفعول "تعلى" فالدنيا على هذا كالميزان يرتفع فيها الخسيس الناقص وينسفل فيها الراجح في الثقل الكامل. وهذا في اصطلاح أهل الدنيا لا على اصطلاح الشيخ وأهل الإنصاف. وهو كلام حسن، والدنيا من حيث هي مذمومة بأنواعها إذا اشتغلت عن الله. والحديث الشريف يشهد بذلك ⁽⁴⁾.

وهي من حيث لا تساوي عند الله جناح بعوضة لما روى في بعض الأخبار بل الآثار: (لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرٌ مِنْهَا شُرْبَةً

(1) - انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: عود، ج4، ص3158.

(2) - وردت في أصل المخطوطة (الخط) هذا تحريف.

(3) - ما بين المعقوفتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(4) - في (ظ) "لهذا".

ماء⁽¹⁾ . والإنسان بإنسانيته وبما يحسنه من الفضائل كما سيأتي، والتصريح به لا بالدنيا ولا بما فيها، وإنما هذه أوصاف استحسناها أهل الدنيا وقد سبق تعريفها، وتقدم فيها كلام نعين عن إعادته.

قال أهل الصلاح نفعنا الله بهم: من أقبل على الدنيا أحرقتة بنيرانها فصار فحمة سوداء ومن أقبل على الآخرة صار سبيكة ذهب، ومن أقبل على الله صار جوهرا ثميناً لا يقوم⁽²⁾ بمال. تنبيهه:

قال بعضهم من الصالحين المعاصرين⁽³⁾: من جملة ما يقع فيه العامة اعتزافهم على قدرة الله تعالى الأزلية في ارتفاع السافل وانخفاض الأعالي على صورة أو على اعتقاد أرباب الدنيا. وغيب عنهم حكمته ذلك بجهلهم.

إن الله سبحانه ما رفع هؤلاء الأسافل إلا تنبيها لعباده على حقارة الدنيا ليزهدوا فيها وليفهموا حقارتها، وليعلموا أن علو الدنيا لا شيء، ولم تنزل الأسافل ترتفع على الأعالي في الأرض قديما وحديثا لأجل هذه الدقيقة، ولأن أبناء الدنيا أكثر من أبناء الآخرة، وهو كلام حسن وفق قائله.

وفي البيت من أنواع البديع: الطباق⁽⁴⁾ في موضعين: في قوله: "تخفض" أو "تعلى" وفي قوله: "تعلى" و"تسفل"، وفيه الجمع والتقديم⁽⁵⁾ في قوله: "الدنيا وتعلى وتنخفض".

(1) - الحديث: رواه ابن ماجة والترمذي قال: حديث حسن صحيح.. ولفظه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كالمرا منها شربة ماء".

أخرجه ابن ماجة في صحيح سننه كتاب الزهد والترمذي في صحيح سننه. كتاب الزهد، ج2، ص269.

(2) - وردت في أصل المخطوطة: (يقاوم).

(3) - "من الصالحين المعاصرين" ساقطة في (ظ).

(4) - راجع ص127 من قسم التحقيق.

(5) - لوجود الجمع مع التفريق: "هو أن تدخل شيئين في معنى واحد ثم تفرق بين جهتي الأفعال"

والجمع مع التقسيم: "هو أن يجمع متعددا ويقسم". انظر التبيان في البيان للطبي، ص251 - 250، وحلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمنهوري، ص137.

قال رحمه الله تعالى (1):

عَيْشَةُ الرَّاعِبِ فِي تَحْصِيلِهَا عَيْشَةُ الْجَاهِلِ بَلْ هَذَا أَذَلُّ (2)

قوله: "عَيْشَةُ الْجَاهِلِ" الاتي في شطر البيت والعَيْشَةُ والعَيْشُ بمعنى الحياة (3).

قال في الصحاح: "العَيْشُ: الحَيَاةُ، وَقَدْ عَاشَ الرَّجُلُ مَعَاشًا وَمَعِيشًا، وَأَعَاشَهُ اللَّهُ عَيْشَةً وَعَيْشَةً رَاضِيَةً أَيْ: أَحْيَاهُ، وَالتَّعَيْشُ هُوَ التَّكْلُفُ بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ (4) ".

"والرَّاعِبُ (5) فِي الشَّيْءِ" هُوَ الطَّالِبُ لَهُ بِشِدَّةٍ، الْمِيلُ إِلَيْهِ، لِإِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ: رَغِبْتُ فِي كَذَا إِذَا أَحْبَبْتَهُ، فَزِيَادَةُ الْمِيلِ إِلَيْهِ وَهَذَا الْفِعْلُ يَعْدَى "بِفِي" إِذَا أَرَادَهُ وَطَلَبَهُ وَيَعْدَى "بِعَنْ" إِذَا تَرَكْتَهُ (6) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَيْهِ مِيلٌ تَقُولُ: رَغِبْتُ فِيهِ، وَرَغِبْتُ عَنْهُ.

وقوله: "فِي تَحْصِيلِهَا" الضمير فيه للدنيا المتقدم في البيت قبله.

قال في الصحاح: "حَصَلْتُ الشَّيْءَ تَحْصِيلاً، وَحَاصِلُ الشَّيْءِ مَحْصُولُهُ، وَتَحْصِيلُ الْكَلَامِ رَدُّهُ إِلَى مَحْصُولِهِ (7) " وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ وَالْمُرَادُ: عَيْشَةُ الرَّاعِبِ فِي حَوَازِئِهَا وَجَمْعُهَا عِنْدَهُ كَعَيْشَةِ الْجَاهِلِ، وَهُوَ الَّذِي قَامَ بِهِ الْجَهْلُ.

قال في الصحاح: "الْجَهْلُ خِلَافُ الْعِلْمِ، وَقَدْ جَهَلَ فُلَانٌ جَهْلًا، وَجَهَالَةً، وَتَجَاهَلَ إِذَا رَأَى مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ بِهِ، وَاسْتَجْهَلَهُ عَدُوُّهُ جَاهِلًا (8) " انتهى.

(1) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(2) - ورد في أصل المخطوطة: عند كتابته للبيت: (عيشة الجاهل هذا أقل) وعند الشرح: (بل هذا أذل) واللفظ الثاني أصوب.

(3) - من "قوله" إلى قوله "الحياة" ساقطة في (ظ).

(4) - راجع الصحاح للجوهري، مادة: عيش، ج 3، ص 1012.

(5) - انظر مختار الصحاح للرازي، مادة: رغب، ص 177.

(6) - وردت في أصل المخطوطة: (أتركته).

(7) - انظر الصحاح للجوهري، مادة: حصل. ج 5، ص 1669

(8) - انظر الصحاح. للجوهري، مادة: جهل. ج 5، ص 1663

وعرف بعضهم الجاهل بقوله: هو تصور الشيء على خلاف ما هو به في نفس الأمر⁽¹⁾، وبعضهم قسمه إلى: بسيط ومركب، وهو وهذا⁽²⁾ من باب التشبيه البليغ لأنه بلا أداة تشبيه، ويقال: أمم الجاهل لا عيشة له، لأن الجاهل بمنزلة الميت.

قال الشاعر⁽³⁾:

وَلِي الْجَاهِلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورٌ⁽⁴⁾

ولهم حياة قطعا لدخولهم في تعريف الحي إلا أن الشيء إذا كان لا ينفع به يتضح نفيه، وهو مستفيض في القرآن، كثير.

وعلى كلا الحالتين فيه بلاغة المبالغة، وقوله: "بل هذا أذل: يفيد أن في تحصيلها ذلا وفي عيشة الجاهل ذل أيضا، لكن هذا المحصل لها على هذه الكيفية حصل له ذل كثير فهو أذل، فأفعل التفضيل على بابه.

و"الذل⁽⁵⁾" ضد العز وقد يطلق الجاهل ويراد به غير ما ذكرنا.

فائدة:

قوله: "بل هذا أذل" الإشارة إلى عيشة الراغب لا إلى عيشة الجاهل. لأن التشبيه قرينة على ذلك وإشارته "بذا" التي هي للتقريب⁽⁶⁾، ربما توهم، وكان من حقه أن يقول بل ذلك ذل لأن الأول أبعد من الثاني بعدا اعتباريا، والثاني: أقرب قربا اعتباريا.

(1) - انظر التعريفات لعلي الجرجاني. تحقيق د. عبد المنعم الحفني. دار الرشد. القاهرة ص 69

(2) - "هذا" ساقطة في (ظ).

(3) - الشاعر هو الماء وردى أبو الحسن بن حبيب البصري المعروف بالماء وردى نسبة إلى بيع ماء الورد، كان عالما، أديبا، معتزليا، ولد

بالبصرة، تفقه فيها، تدل كتبه المختلفة على مقدرة في التفكير وبراعة في التعبير، من كتبه: الحاوي، أدب الدنيا والدين، نصيحة الملوك...

انظر تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ج 3، ص 141.

(4) - نفس المرجع السابق. ج 3 ص 141

(5) - انظر مختار الصحاح لعبد القادر الرازي دار القلم بيروت مادة: ذل ص 223.

(6) - في (ظ) "للتقريب".

تأمل:

و"بل" هنا ليست للإضراب الإبطلائي⁽¹⁾، وإنما هي للإبطال الانتقالي⁽²⁾، فهي للانتقال من حكم إلى حكم آخر أعلى منه وأبلغ، لأن "أذل" كما تقدم. أفعال تفضيل، تقتضي المشاركة والزيادة. فالعاقل إذا علم أن الحرص⁽³⁾ في طلب الرزق لا فائدة فيه وأنه مورت للذل انكف عن ذلك.

قال سيدنا الحسين بن سيدنا علي رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَضِيَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَلِيلٍ مِنَ الرِّزْقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَلِيلٍ مِنَ الْعَمَلِ)⁽⁴⁾. والمراد هنا بالقليل⁵ من السنن لا من الواجبات، إذ لا بد من أدائها جميعها.

فائدة:

قال بعض العلماء: أبواب الرزق ثلاثة ولا تزيد على ذلك. الأول: التقوى، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)⁽⁶⁾ الثاني: التوكل على الله تعالى وهو في قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)⁽⁷⁾ أي: كافي، فيكفيه الرزق وغيره. الثالث: السعي، قال الشيخ: وهو أضعفها وهو في قوله تعالى: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ

(1) - الإضراب الإبطلائي: الإضراب هو التوقف والعدول عند حكم ما، ونقله إلى آخر وهو غرض استعمال ((بل)) إذا ما وقع بعدها جملة وهو في تعبير سيويه (الانقطاع) يقسمه النحاة إلى قسمين والإضراب الإبطلائي: هو التوقف عن الحكم لما قبلها واعطاؤه لما بعدها مع ابطاله. الأول انظر معني اللبيب ج 1 ص 112 ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية محمد اللبدي مؤسسة الرسالة دار الفرقان ص 130.

(2) - الإبطل الانتقالي: ويطلق عليه الإضراب الانتقالي: وهو نقل الحكم عن الأول إلى الثاني دون ابطاله عن الأول ومثاله قوله تعالى: (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثر الحياة الدنيا) انظر معني اللبيب ج 1 ص 112 ومعجم المصطلحات ص 131
(3) - في (ظ) "الدأب" والصواب من (ق).

(4) - الحديث: انظر الملل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي كتاب الزهد باب القناعة باليسير، ج 2، ص 806.

(5) - في (ظ) "المراد بالقليل هنا" تقديم وتأخير.

(6) - تمام الآية: قال الله تعالى: "إِذَا بَلَغَ الْبُلُغَ فَمَسْكُوهُنَّ فَمَسْكُوهُنَّ مَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ مَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ بِاللَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ". سورة الطلاق: الآية: 2.

(7) - وتمام الآية: قال الله تعالى: "وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا". سورة الطلاق، الآية 3.

رِزْقِهِ⁽¹⁾ قاله بعض العلماء.

وليس في القرآن آية تدل على وجوب السعي تحقيقاً من غير شك، وهذه الآية طرقها التأويل فلا يصح الاستدلال بها.

تأمل:

قال الشاعر :

وركيف أخاف الفقر والله رازقي ورازق أهل الأرض في العسر واليسر
تكفل بالأرزاق للناس كلهم وللوحش في الصحراء وللحوت في البحر⁽²⁾

قال وهب بن منبه⁽³⁾ : "إن الرزق والغنى خرجا بجولان، فلقيا القناعة فاستقرا معها" وفي البيت من أنواع البديع: التزديد⁽⁴⁾، وقد تقدم تعريفه والتبنيه عليه أوائل الكتاب وفيه التشبيه البليغ⁽⁵⁾.

قال رحمه الله تعالى⁽⁶⁾:

كَمْ جَهُولٌ وَهُوَ مُثْرٌ مَكْثَرٌ وَعَلِيمٌ مَاتَ مِنْهَا بَعْلَلٌ
كَمْ شَجَاعٌ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمَنَى وَجَبَانٌ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

قوله: "كم جهول" أي: كم رجل جهول فهو نعت محذوف، وجهول: فعول، وهو من صيغ المبالغة: أي: كثير الجهل، وتقدم قريباً معنى الجهل وتعريفه.

(1) - قام الآية: قال الله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ". سورة الملك، الآية: 15.

(2) - لم أقف على قائلها .

(3) - وهب بن منبه: "أبو عبد الله اليماني الاخباري صاحب القصص، كان من خيار التابعين ثقة، صدوقاً، كثير النقل من الكتب القديمة.. له كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك، مات سنة عشر ومئة" انظر تهذيب سير الأعلام، ج1، ص166، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، ج7، ص232.

(4) - راجع ص 132 من لسم التحقيق.

(5) - راجع خزانة الأدب، ج1، ص384.

(6) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

وأما "كم" (1) " هذه فهي الخبرية التكريرية مثلها في قول الشاعر (2) :

كم عمة لك ياجرير وخالة (3)

أي لك عمات وخالات كثيرات (4) خدمني.

وقوله: "مثر مكثر" الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر، و"الواو" فيها "واو الحال"، فالجملة في محل نصب من رجل لأنه نعت مجهول وهذا على رأي [سيبويه] (5) لأنه يجيز الحال من المبتدأ. ويجوز أن تكون الجملة الحال من النسبة بين المبتدأ والخبر وهو رأي الأكثر، والخبر مقدر والتقدير: رجال جهال كثيرون وهم مثرون مكثرون.

وقوله: "مثر" منقوص، مرفوع على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين: يقال: أثرى (6) الرجل فهو مثر إذا كثر ماله.

وقوله: "مكثر" يجوز أن تكون عطف بيان "لمثر" ومرادف لأنه بمعناه، ويجوز أن يكون خيرا بعد خبر. وكأنه قال: ولا خير في الإكثار من الدنيا ولا الثروة فيها أي: إذا خلا ذلك من صلة رحم أو معروف أو فعل طاعة كصدقة وتطوع. وهذا شأن الدنيا وعاداتها مع أبنائها، فلا يكون غالبا إلا مع الأرزال الجهال.

وقوله: "وَعَلِيمٌ مَاتَ مِنْهَا بِالْعِلَلِ" بجر: "عليم" ليكون معطوفا على "كم جهول" ولو جعلنا الواو استثنائية وما بعدها مرفوع لفات التكرير وهو مقصود.

(1) - قارن: معنى اللبيب لابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ج1، ص207.

(2) - الشاعر هو الفرزدق، راجع ترجمته ص172 من قسم التحقيق.

(3) - عجز البيت: (لدعاء حلبت علي عشاري) راجع ديوان الفرزدق، ج1، ص358.

(4) - "كثيرات" ساقطة في (ظ).

(5) - ما بين المعقولتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(6) - وردت في أصل المخطوطة: (أثرا).

والعليم: العالم وهو الذي قام به العلم وهو ضد الجهول و"عليم" صفة مبالغة أيضا واختارها دون "عالم" لما فيها من المبالغة.

قال في جمع الجوامع⁽¹⁾: وهل يعرف العلم أو لا يعرف، ادعى بعضهم أنه لا يعرف لبدايته وقيل لدقته، والصحيح أنه يعرف كما قال إمام الحرمين⁽²⁾ وغيره أيضا، وهو لغة الشعور يقال اشعرت بكذا أي: اعلمت.

وهو في الاصطلاح: تصور لشيء على ما هو عليه في الواقع، وقد عرفه غيرهم بغير هذا.

والموت⁽³⁾ يكون حقيقيا وهو ضد الحياة والحركة والإحساس، وهو انفصال الروح من الجسد ومفارقتها، ويكون مجازيا وله اطلاقات كثيرة، فيطلق على العمى والعشى وعلى سوء الخلق والغيظ وعلى الجهل وعلى فوات المطلوب، ولعله المراد هنا. فيكون المراد بالموت هنا المجازي، ويجوز أن يكون الحقيقي، والمعنى ظاهر أي: مات بسبب عللها وفارق الدنيا، أو مازال معللا بعلاها إلى أن مات وفارق الدنيا ولم يفز منها بطائل.

قوله: "بعلل" يجوز أن تكون الفاء فيه للالة وأن تكون للسببية.

قال في القاموس: "وَالْعِلْلُ جَمْعُ عِلَّةٍ بِالْكَسْرِ: الْمَرَضُ، يُقَالُ: عَلَّ فَهُوَ مَعَلٌّ وَاعْتَلَّ، وَهَذَانِ الْمَثَلَانِ لِلْإِضْمَارِ وَأَمَّا الْمُتَعَدِّي فَهُوَ كَقَوْلِكَ: أَعْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ مَعَلٌّ وَعَلِيلٌ" وقال صاحب القاموس: "ولا يقال فيه معلول"⁽⁴⁾ انتهى.

(1) - جمع الجوامع: في النحو لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911.. مختصر وهو على مقدمات في تعريف الكلمة وأقسامها، وسبعة كتب في الرفوعات والمجرورات والتوابع والأبنية وفي تعبيرات الكلم.. قال في طبقاته: وهو كتاب لم يؤلف مثله في صغر الحجم وكثرتها الجمع.. انظر كشف الظنون لحاجي خليفة، ج2، ص598.

(2) - إمام الحرمين (الجنوبي)، إمام الحرمين أبو المعالي الجنوبي عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف، الفقيه الشافعي، ضياء الدين أحمد أئمة الاعلام.. خرج إلى مكة فجاور بها أربع سنين نشر العلم، ولهذا قيل له إمام الحرمين.. اعترف أهل وقته بأنه لم يصنف في المذهب مثله.. صنّف الشامل في أصول الدين والإرشاد والعقيدة ومغث الخلق والبرهان في أصول الفقه وغيرها.. انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، ج3، ص359.

(3) - الموت: "ضد الحياة، خلق من خلق الله تعالى، والموات بالضم: الموت". انظر لسان العرب، مادة: موت، ج6، ص4295.

(4) - انظر القاموس المحيط للفيروز أباذي، مادة علة، ج4، ص24.

والمعنى في البيت ظاهر، ولعل هذا البيت مأخوذ من قول القائل:

كَمْ عَاقِلٍ لَا يَنَالُ قُوَّتَا وَجَاهِلٍ فِي غِنَى الْأَمَانِي (1)

أي: اتعبته الأمانى، وكيف تحصل له الكفاية وهو كلما حصل أمنية تبعثها أخرى، فتعبه متسلسل أبدا لكثرة طلبه، وأمانيه كذلك .

وقول المصنف في البيت الثاني: "كم شجاع" هي كم التكثرية المتقدمة، والجملة معطوفة على الذي (2) قبلها. و"الشجاع" (3) " هو من له الجرأة والإقدام. والشجاعة ممدوحة في السنة في مواضع منها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله يحب الشجاع) (4) ولو على قتل حية أو ثعبان (5).

وإعراب الجملة كما تقدم في البيت قبله.

وقوله: "لم ينل منها المنى" أي لم يحصل منها طلبته والمنى (6) بضم الميم جمع: أمنية وهي ما يحنأه الإنسان ويطلبه.

قوله: "وجبان" (7) معطوف على الأول، و"جبان" ضد شجاع، والجبن: وصف مذموم استعاذ منه [النبي] (8) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواضع متعددة في السنة.

قوله: "نال" أي: حصل وفاز، و"الغايات" جمع غاية وهو النهاية آخر الشيء وطرفه الأخير،

(1) - لم أقف على قتله

(2) - في (ظ) "التي" وهو الصواب.

(3) - الشجاعة: "شدة القلب في البأس، شجَعُ بالبضم، شجاعة: اشتد عن البأس، ورجل شجاع وشجاع وشجاع. انظر لسان العرب، مادة: شجع، ج 4، ص 2200.

(4) - "إن الله يحب الشجاع" ساقطة من "ظ".

(5) - الحديث: لم اعثر عليه بهذا اللفظ، وجدته: "من قتل حية فكأنما قتل كافرا" رواه الديلمي عن ابن مسعود ولفظه عن الخطيب وابن النجار عن ابن مسعود: "من قتل حية أو عقربا فكأنما قتل كافرا" انظر مزبل الإلباس، ج 2، ص 271.

(6) - انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: منى، ج 6، ص 4282.

(7) - الجبن: "الجبان من الرجال: الذي يهاب التقدم على كل شيء ليلا كان أو نهارا، والجمع جُبْنَاء، وهو ضد الشجاعة والشجاع، والأنثى جبان مثل حصان، وجبانة ونساء جبانات" انظر لسان العرب، مادة: جبن، ج 1، ص 539.

(8) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

و"الأمل" الرجاء، والمعنى أيضا ظاهر. وفي البيت من أنواع البديع: الطباق (1) بين: "عليم" و"جهول" وبين "شجاع" و"جبان" وبين قوله: "لم ينل منها" وبين قوله: "نال غايات المنى" وفي "مثر ومكثر" الجناس اللاحق (2) على رأي وفيه أيضا: تجنيس التطابق (3) في "عليم" و"علل" وسماه بعضهم تجنيس التشابه، وفي البيتين: تمكين القافية وتقدم تعريفه، وفيها المجاز (4) في لفظ "مات" المراد بالموت في البيت "المجازي"، وهذا على القول بأن المجاز من أنواع البديع، كما عده بعضهم.

قال رحمه الله:

فَاتْرُكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَأَتِّدِ إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحَيْلِ

قوله: "فاتركِ الحيلة" يجوز في هذه الفاء أن تكون الفصيحة، وهي التي دلت على شرط محذوف، والتقدير: إذا كانت الدنيا بهذه المثابة المذكورة فاترك الحيلة في تحصيلها. ويجوز أن تكون فاء السببية، والمعنى: فيتسبب عما ذكر تركك إياها، وترك الحيلة في تحصيلها و"الترك" بديهي لا يحتاج إلى تعريف. والحيلة هي كما قال في القاموس: "الخدق، وجودة النظر، والقدرة على حسن (5) التصرف (6)" وقوله "فيها" أي في تحصيلها كما سبقت الإشارة إليه بالتقدير السابق، ويجوز أن

(1) - راجع ص 127 من قسم التحقيق.

(2) - الجناس اللاحق: "هو ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) بين كلمتي: (تقهر وتنهر) أنظر حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للدمنهوري، ص 151، وخزانة الأدب، ج 1، ص 72، وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي، ص 146.

(3) - التجنيس: "ان يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبها في تأليف حروفها.. فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظا واشتقاقا معنى.. أنظر الصناعتين لأبي هلال العسكري، ص 321.

(4) - راجع كتاب معاني الحروف لأبي الحسن الرماني النحوي، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، ص 46 - 44.

(5) - "حسن" ساقطة في (ظ).

(6) - انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: الحَوْلُ، ج 3، ص 363.

يكون المعنى: أترك (1) الحيلة ما دمت في الدنيا، فإن الحيلة لا تنفك في الآخرة والوجه الأول أولى كما يشهد له السياق.

قوله: "وأتمد" أي: تمهل، وارفق بنفسك، والمعنى: تمهل وارفق بنفسك وأرحمها من هذا التعب فإنه [على] (2) غير طائل، فإن هذا مما يضعف الإيمان ويكون سببا للبعد عن الرحمن.

وقوله: "إنَّما الحِيلَةُ فِي تَرْكِ الحَيْلِ" يقول: وإن كان لا بد من الحيلة فاحتل في أن لا تحتال، فإن مطلوبك منها لا ينال بالحيلة، وهذا البيت من جوامع الكلم (3)، ومثله ما قاله سيدي أبو الحسن الشاذلي (4) رضي الله عنه ونفع به في بعض كتبه: "إن كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبير" وارد مثله في كلام البلغاء، وفي البيت من أنواع البديع: جمل فمنها: التهذيب (5) وهو وصف (6) يعم كل منقح ومحرر، ومنها الانسجام: وهو أن يأتي الناظم أو الكاتب الناثر بالكلام خاليا من التعقيد (7)، فيكون كأنسجام الماء في انحداره ويكون لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، وفيه التكميل والتذييل ونفي الشيء وإثباته لنكتة، ويجوز أن يكون فيه التزديد، وفيه العكس والتبديل وقد أثبت الجلال السيوطي في بديعته وجعله من أصل البديع، وإن كان غيره لم يثبت فيه أيضا تمكين القافية (8).

(1) - وردت مكررة في أصل المخطوطة. حذفت واحدة منها.

(2) - ما بين المعقوفتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(3) - معنى الكلم: "ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر.. فالكلمة واحد الكلم، فالكلام عند النحاة هو اللفظ المفيد: ولا يكون مفيدا إلا إذا كان مركبا: كاستقم، والكلم ثلاثة أقسام: إسم وفعل وحرف وواحدة كلمة" أنظر الصحابي لأبي الحسن الرازي اللغوي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ص 82.

(4) - لم أعتز على ترجمته رغم البحث الطويل

(5) - التهذيب: "أن يخلص المعنى قبل السبك للفظ والقوافي قبل الأبيات... وهذا النوع من مستحسنات البديع وليس له شاهد يخصه، لأنه وصف يخص كل كلام منقح ومحرر، وعرفه بن أبي الأصعب قائلا: (التهذيب عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله لينقح ويتنبه منه لما مر على الناثر أو الشاعر حين يكون مستغرق الفكر في العمل، فيغير منه ما يجب تغييره.. " أنظر المعجم المفصل في علوم البلاغة، د. إنعام عكاري، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 448.

(6) - واو "وصف" ساقطة في (ظ).

(7) - وردت في الأصل: (عقادة) والصواب ما ذكرناه والتعقيد الا يكون اللفظ ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع إما في النظم بأن لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار مما يوجب صعوبة فهم المراد انظر التعريفات لعلي الجرجاني

ص 70

(8) - "تمكين القافية" ساقطة في (ظ).

قال رحمه الله:

أَيُّ كَفِّ لَمْ تَفِيدِ مِمَّا تَفَدُّ فَرَمَاهَا اللَّهُ مِنْهُ بِالشَّلِّ

قوله: "أي كف" ⁽¹⁾ يجوز في "أي" هذه أن تكون إستفهامية، وأن تكون شرطية وهي معربة في الموضعين لملازمتها الإضافة.

قال في التوضيح: "وإنما أعربت أي شرطية نحو: (أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) ⁽²⁾ وأي الإستفهامية نحو: (فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ) ⁽³⁾. لضعف الشبه "أي" شبه الحرف بما عارضه أي الشبه من ملازمتها أي هي من خصائص الأسماء".

"فأي" مضاف و"كف" مضاف إليه قال في القاموس: "الكُفُّ: اليَدُ، أو إلى الكوع جمعها أكف وكفوف وكُف بالضم ⁽⁴⁾ إنتهى".

وقوله: "لم تُفَدِّ" ⁽⁵⁾ "بضم التاء مضارع "أفاد" مجزوم "بلم" لفظا لأنه من الرباعي مبني للفاعل وأصله: تفيد وحذفت الياء [منه] ⁽⁶⁾ لالتقاء الساكنين، وليس هو من فاد يفود وتفيد بفتح المضارع، وهذا الفعل مصدره: الفيد، والاسم منه الفائدة كما ذكره في القاموس وقال أيضا فيه: "يقال إفاده واستفاده ويفيده وافدته إذا اعطيته وهما يتفاودان العلم والصواب: يتفايدان أي: يفيد كل صاحبه" إنتهى ملخصا منه.

وجملة "لم تفد" نعت "لكف" والمعنى: لم تعط وأسند الإعطاء لها وأن المعطي في الحقيقة صاحبها لأنها آلة العطاء غالبا.

⁽¹⁾ - راجع معنى اللبيب لابن هشام، ج 1، ص 91. ومعاني الحروف للرماني. تحقيق عبد الفتاح شلبي. دار الشروق جدة ص 159.

⁽²⁾ - تمام الآية: قال الله تعالى: "قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" سورة القصص، الآية: 28.

⁽³⁾ - انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: كف، ج 3، ص 197.

⁽⁴⁾ - القاموس المحيط مادة: فيدج 1 ص 336.

⁽⁶⁾ - ما بين المعقوفتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

وقوله: "مما تُفَدُّ مبني للمجهول (1) وهو صلة الموصول الذي هو: "ما" والعائد محذوف.

والمعنى: أي كف لم تعط من الذي تعطاه يرمها الله بالشلل، فيكون قوله: "فرماها الله بالشلل" جواب الشرط إن كانت شرطية، أو "يرميها الله" تقدر: "بالشلل" وإن كانت إستفهامية، ويجوز أن تكون جملة: "فرماها الله منه بالشلل" [جملة] (2) دعائية. والأصل: "مما تفاد" لكن سكن للضرورة، وحذفت الألف للاتقاء الساكنين. وهو ضرورة لا حذف جازم، إذ لا يصح تسليط الجازم على هذا الفعل ولو على القول: بأن "أي" شرطية.

وقوله: "فرماها الله" يجوز أن تكون "الفاء" (3) "سببية، وأن تكون رابطة للجواب على القول بأن "أي" شرطية، والجازم يدخل على الجازم كما في قوله تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا) (4) فالجازم لفظا "لم" ومحلا "أن" كما قالوا في إعراب الآية (5)، والجملة في محل الجزم "بأي" وعلى معنى أن الجملة التي بعدها دعائية يكون معناها: أي كف لم تعط مماتعطي فادعوا عليها بالشلل، فإني قد دعوت عليها بذلك، و"الشلل" هو مرض يبيس له العضو فينقبض (6) ولا ينبسط أو يبسط فلا ينقبض وتبطل المنفعة به.

وفي البيت: الانسجام (7)، وفيه إتفاق اللفظ وإتفاق المعنى (8). قال رحمه الله:

لَا تَقْلُ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ

(1) - وردت: (مبني للمفعول).

(2) - ما بين المعقوفتين ساقط من (ق) أثبتته من (ظ).

(3) - راجع: معنى اللبيب لابن هشام، ج 1، ص 186 - 185.

(4) - تمام الآية: قال الله تعالى: "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ" سورة البقرة، الآية: 23.

(5) - انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 107.

(6) - وردت في أصل المخطوطة: (ينقبض).

(7) - الانسجام: "أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، وعلى هذا أجمع علماء

البيديع في حد هذا النوع فإنه قرروا أن يكون بعيدا من التصنع خاليا من الأنواع البيديعية، إلا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد..."

انظر خزنة الأدب، ج 1، ص 421.

(8) - راجع نقد الشعر لقدماء بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخافجي بالقاهرة، ص 150. ط (3)

يجوز أن تكون من جملة الوصايا لولده. أي لا تتكل على الأصل وتترك الإشتغال بالعلم، وتشتغل عنه بالترهات، بل اشتغل بالعلم وحصله وحصل غيره من الكمالات فإنما قيمة الإنسان ما يحسنه لا أصله ولا فصله.

قوله: "لا تقل" هي لا الناهية و"تقل" مجزوم بها، ومقول القول قوله: "أصلي" وما عطف عليه والأصل والنسب وهما (1) الآباء والأجداد، و"الفصل (2)" العشرة، وفسر [بعضهم] (3) الأصل بالحسب، والفصل باللسان. ولعله لا يستقيم هنا بل ما فسرنا به الأصل هو المراد بدليل قوله الآتي: "مع إني أحمد الله على نسي".

فعلم أن المراد "بالأصل": النسب لا الحسب كما فسر به بعضهم، ويمكن أن يفسر "الفصل" باللسان لأنه يدخل في قوله: "قيمة الإنسان ما يحسنه".

وقوله: "أبدا (4)" قال النحاة: "هي لاستغراق المستقبل من الزمن وهي أخت عَوْض إلا أنها تفارقها من وجهين:

الأول: أن "أبدا" معربة في كل أحوالها، و"عَوْض" مبنية في غالب أحوالها، حالة إضافتها كقولهم: "عوض العائضين كدهر الدهرين" بخلاف "أبدا".

والوجه الثاني: أن "عَوْض" تختص بالمنفي بخلاف "أبدا" فإنها تدخل على المنفي كقولك: لا أكلمك أبدا، وعلى المثبت كقوله تعالى: (خَالِدِينَ فِيهَا أَبدا) (5).

قال في القاموس: "الأبد محركة الدهر، وجمعه آباد وآبود، يقال لا آتية أبدا ولا أبد الآبدين وأبد الآبدين كأرضين، وأبد الأبد محركة، وأبد الآباد، وأبيد الأبيد، وأبدا الدهر الكل

(1) - وردت في أصل المخطوطة: (هو).

(2) - الفصل: الفصل يؤن ما بين الشينين، والفصل من الجسد: موضع الفصل... وقول فصل: حق ليس بباطل... انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: فصل، ج5، ص3422.

(3) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(4) - انظر الكليات لأبي البقاء الكفوي. مؤسسة الرسالة. بيروت ص32. ومعني اللبيب لابن هشام ج1 ص172.

(5) - تمام الآية: قال الله تعالى: "جَزَاءُهمْ عِنْدَ رَبِّهمْ جَنَّاتٌ عِدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ" سورة البينة، الآية: 8.

بمعنى (1). انتهى كلام القاموس ملخصا.

قوله: "إنما أصل الفتى ما قد حصل". "إنما (2)" أداة حصر ويكون لقصر الموصوف على الصفة أو الصفة على الموصوف، وهي من الثاني، والمراد: "بالفتى" هنا الإنسان من بني آدم.

وقوله: "قد حصل". "قد" هنا للتحقيق و"حصل" فعل ماضي والمراد: ما حصل له من العلوم والآداب سواء أكان بفعله ودأبه أو هبة من الله. فالإنسان بفضائله (3) وآدابه، لا بأبائه وأجداده.

قال الشاعر (4):

كُنْ إِبْنَ مَنْ شِئْتَ وَاکْتَسِبْ أَدَبًا يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي (5)

ومعنى البيت: لا تفتخر بالأباء والعشيرة، وافتخر بما حصلت من العلوم والآداب والفضائل، وما يليق بهذا المقام مما هو من أمثلة العرب، قولهم: "كن عصاميا (6) ولا تكن عظاميا" ومعنى ذلك: افتخر بما حصلت لأن عصاما هذا كان يفتخر بما حصله لا بأبائه وأجداده وهو القائل:

نَفْسٌ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكُرَّ وَالْإِقْدَامَا

(1) - انظر القاموس المحيط، مادة: أبد، ج 1، ص 283.

(2) - انظر الجنى الداني في حروف المعاني للحسن المرادي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: د. فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل،

ص 395، والكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون مكتبة الخافجي، القاهرة، ج 3، ص 130.

(3) - وردت في أصل المخطوطة (فضيلة).

(4) - الشاعر هو أبو ربيعة النحوي الإصبهاني كان متقدما في علم النحو بارعا فيه، صنّف فيه كتبا كثيرة منها: الجماهير، وله شعر جيد.

(5) - والشعر ينسب له. انظر بغية الوعاة للسيوطي، ص 397.

(6) - وردت: (عاصميا) والصواب: (عصاميا) نسبة إلى عصام، وهو عصام بن شهبير الخزمي، انظر لسان العرب، ج 4، ص 2978.

فافتخر بنفسه وبما إكتسب من الشجاعة والكرم وغيرهما الداخلة تحت قوله: "سودت عصاما" فإن الإنسان غالبا لا يسود ويصير سيّدا إلا بجملة أمور.

وعطف على ذلك قوله: "علمته الكر والإقداما" من باب عطف الخاص على العام لنكتة وهي أن الشجاعة مطلوبة من العرب، قلقت إليها. ولم يفتخر "عصام" هذا بأبائه وأجداده فمن أجل ذلك قيل: "كن عصاميا لا عظاميا" أي لا تفتخر بالآباء الذين صاروا عظاما نخرة.

وهو معنى ما قاله الشيخ لولده: "لا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي" إلخ.

وفي البيت: التزديد (1).

قال رحمه الله تعالى (2):

قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَبِحُسْنِ السَّبِّكَ قَدْ يُنْفَى الزَّغَلُ

قوله: "قد (3)" يحتمل أن تكون للتقليل وأن تكون للتكثير وأن تكون للتحقيق، وكلا المعنيين جائز هنا أي: الأول والثالث (4)، و"يسود" من ساد قومه، يسود إذا صار سيدهم وهو ذو سيادة، والمراد "بالمرء" الواحد من أبناء آدم عليه السلام.

وقوله: "من غير أب" ليس على ظاهره بأن يكون ولد زنى: لا أب له، بل المراد: أن تكون سيادته [ليست] (5) متسببة ولا مكتسبة من سيادة أبيه، والمراد: جنس الآباء.

"فمن" بمعنى "الباء" أو على حذف مضاف، والتقدير: قد يسود الولد من غير سيادة أبيه أو آبائه.

قوله: "ويحسن السبك" أي: بالسبك الحسن، فهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف

(1) - راجع لمن 133 من قسم التحقيق.

(2) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(3) - راجع كتاب معاني الحروف لأبي الحسن الرماني، ص 98.

(4) - تقديم وتأخير في (ظ) "المعنيين أي الأول والثالث؟"

(5) - ما بين المعقوفتين ساقط من (ق) أثبتته من (ظ).

و"السبك (1)" الإدارة للذهب والفضة ونحوهما في البوتقة حتى يصير كالماء.

يقال في اللغة: سبكه ليفرغه وحسن السبك عندهم يذهب الدغيلة، لأن الدغيلة هي الغش،

والدرهم الدغل هو المغشوش، وهذا الكلام أورده المصنف على طريق الاستعارة التمثيلية (2).

فمثل الإنسان إذا إستعمل الرياضة والتطهير من الأوصاف المذمومة، بحيث يصير طاهرا من الغش والأوصاف الذميمة، ولما كان الخروج عن الطباع عسر فيه صعوبة مثل له بما (3) طهرته النار، ولاشك ولا خفاء أن النار المجازية مطهرة للأوصاف المذمومة في الدنيا والنار الحقيقية مطهرة لها أيضا في الآخرة كما هو معلوم مقرر.

والمعنى ظاهر. وفي البيت من أنواع البديع: الاستعارة (4) فإنها معدودة من أنواع البديع، كما عدّها الرازي (5) في بديعته والطبي في التبيان (6) وغيرهما.

وفيه أيضا: مجاز (7) ، وتقدم عليه في الشرح، وفيه مراعاة النظير (8) وضرب المثل (9) .

قال رحمه الله:

وَكَذَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَلَا يَطْلُعُ النَّرْجَسُ إِلَّا مِنْ بَصَلٍ

(1) - السبك: "سبك الذهب والفضة ونحوه من الذائب يسبكه ونسبكه سبكا وسبكه: ذوبه أفرغه في قالب، والسبكية: القطعة الذوبة منه، وقد انسبك".

انظر لسان العرب، مادة: سبك، ج 3، ص 1929.

(2) - الاستعارة التمثيلية: "تركيب أستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي".

راجع جواهر البلاغة للهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 258، وراجع العمدة لابن رشيق، ج 1، ص 189.

(3) - "بما" ساقطة في (ظ).

(4) - راجع ص 130 من قسم التحقيق.

(5) - راجع ترجمته ص 133 من قسم التحقيق..

(6) - راجع التبيان للطبي، ص 160.

(7) - قارن العمدة لابن رشيق، ج 1، ص 178.

(8) - راجع ص 173 من قسم التحقيق.

(9) - راجع العمدة لابن رشيق ج 1، ص 190، وخزانة الأدب، ج 1، ص 186.

قوله: "وكذا" في نسخة بالكاف، والتقدير عليها مثل ما ساد الورد من غير أصل طيب لأن أصله شوك، وكما ساد النرجس⁽¹⁾ من غير أصل طيب إذ أصله: البصل، وهو مذموم شرعا:

لخُبث رائحته⁽²⁾. وطبا: لأن إدمانه بل إدمان أكله يورث ضعف البصر⁽³⁾.

وفي نسخة باللام فتكون تعليلية، والتقدير: وهذه العلة وصدق ما قلته طلع الورد من الشوك، والنرجس من البصل، إلا أنهما حصل لهما سيادة وشرف مما حصل لهما من المنافع والروائح الطيبة.

ومن أراد أن⁽⁴⁾ يطلع على منافعهما فليطالع المفاخرة بينهما للجلال السيوطي⁽⁵⁾، وفي كتب الطب، ولم تحصل لهما تلك السيادة من أصولها وإنما هي من عرض لهما.

وفي البيت وما قبله من أنواع البديع: التلميح⁽⁶⁾ والإشارة إلى قول القائل:

وَقَدْ يَخْبُثُ الْفَرْعُ الَّذِي طَابَ أَصْلُهُ لِيُظْهِرَ اللَّهُ السَّرَّ فِي الْعَكْسِ وَالطَّرْدِ⁽⁷⁾

⁽¹⁾ - ورد في الحديث: "شمو النرجس فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس" رواه الطبراني قيل: حديث معقل ولا مفلس.

أنظر مزيل الألباس، ج2، ص11.

⁽²⁾ - ورد في الحديث الشريف عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم". أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الساجد ومواضع الصلاة، ص564.

⁽³⁾ - هذا أغرب ما أورده الشارح.. فقد جاء في كتب الطب منافع البصل كثيرة للجسم فقد ذكر ابن البيطار في تحفته: إن البصل أنواع كثيرة وأنه نافع شربا وضمادا" وتحدث عنه ابن سينا في كتاب (القانون) فذكر منافعه الكثيرة.. وقد أكد الطب الحديث ما ذهب إليه القدامى، بل اكتشفوا فيه منافع وخواص جديدة واسعة النطاق.

انظر القانون لابن سينا منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ص25، والتداوي بالأعشاب لعبد العزيز زلماطي، ص34.

⁽⁴⁾ - زيادة اقتضاها المعنى.

⁽⁵⁾ - أنظر مقامات السيوطي. تحقيق وتعليق محمد إبراهيم سليم. دار الهدى. عين مليلة. الجزائر ص20.

⁽⁶⁾ - راجع ص1 من قسم التحقيق.

⁽⁷⁾ - لم أقف على قائله.

وعلى نسخة اللام فيه حسن التعليل⁽¹⁾، ولما خاف من تعبيره بما ذكر أن يتوهم متوهم
نسب الشيخ شيئا مما يتوهم قال هذا البيت الآتي وهو للاحتراس⁽²⁾.

قال رحمه الله تعالى⁽³⁾:

مَعَ أَنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نَسَبِي إِذْ بِأَبِي بَكْرٍ اتَّصَلُ

فهو بكري، صديقي لا شبهة في نسبه ولا ريب، وقد ذكر نسبه وأوصله لأبي بكر الصديق⁽⁴⁾
شيخ الإسلام زكريا الأنصاري⁽⁵⁾ وفي بعض شروحه، وذكره غيره أيضا [وليس في]⁽⁶⁾ ذكره
هنا كبير جدوى والناس مؤتلفون على أنسابهم كما قاله العلماء، وأبو بكر: هو عبد الله بن
عثمان رضي الله عنهما بن عامر بن عمر بن كعب من أجداده صَلَّى الله عليه وسلم، ولقبه
عتيق.

قال في الصحاح: "يقال: فرس عتيق أي حسن كأنه عتق من العيوب⁽⁷⁾" قيل ولهذا لقب
أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعتيق، وقيل: لقب عتيقا لحسن وجهه، عتيقا لشرفه لقوله
صَلَّى الله عليه وسلم: (أَبُو بَكْرٍ عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ)⁽⁸⁾ رواه الترمذي⁽⁹⁾ وقال مصعب بن

(1) - حسن التعليل: "وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي في الواقع بل خيالي وهو أقسام...". انظر شرح عقود الجمان
للسيوطي، ص 125.

(2) - راجع ص 210 من قسم التحقيق. "الاحتراس" ساقطة في (ظ).

(3) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(4) - راجع ترجمته، ص 203 من قسم التحقيق.

(5) - زكريا الأنصاري: "زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا أبو يحيى، شيخ الإسلام زين الدين المفسر، ولد في سنيكة بشرقية مصر ونشأ بها، حفظ
القرآن وعمدة الأحكام، أقام بالجامع الأزهر.. أذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس فتصدر وأفتى وأقرأ وصنف... عمّر حتى جاوز المائة.. لم ينقطع
عن العلم تدريسا وتأليفا.. دفن بجوار الإمام الشافعي.. من كتبه: فتح الرحمن وشرح ألفية العراقي...". انظر شذرات الذهب، ج 8، ص 134،
والتعظيم للزركلي، ج 3، ص 80.

(6) - ما بين العقوفتين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(7) - راجع الصحاح للجوهري، مادة عتق، ج 4 ص 1580

(8) - أخرجه الترمذي في صحيح سننه كتاب المناقب، ج 3، ص 203.

(9) - الترمذي: الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى ابن الضحاك الترمذي ولد بترمذ. إماما ثقة، حجة، أخذ الحديث عن جماعة كثيرة، وأخذ
عنه الحديث خلق كثير... كتب الحديث وصنف التصانيف العجيبة منها: الجامع والعلل وكتاب الزهد... كف بصره في آخر عمره. توفي بترمذ

الزبير⁽¹⁾ : فمن يومئذ لقب عتيقا، وقيل لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به. وأبو بكر كنيته والعرب تختار الكنية على اللقب. وهي أشرف فغلبت وصار يدعى بها في غالب الأحوال، والضمير في "وصل" للنسب كما هو ظاهر ووصل بمعنى اتصل.

قال رحمه الله تعالى⁽²⁾:

قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَوْ أَقَلَّ

هذا البيت كأنه نتيجة ما سبق من قوله: "أطلب العلم" إلى هنا. وهو تقرير لما تقدم قوله: "قيمة الإنسان" هو كلام إضافي: مبتدأ أو "القيمة" لغة معلومة لا تحتاج إلى بيان. قال صاحب القاموس في مادة "قام": "والأمة مائة دينار قيمتها⁽³⁾" انتهى.

والقيمة عند الفقهاء: ما ترغب فيه مثلها⁽⁴⁾ أي: المشتري بمثلها أي: القيمة.

"والإنسان⁽⁵⁾" الواحد من الناس وهو اسم جنس يقع⁽⁶⁾ على الذكر والأنثى، مشتق من الأَنَس فالهمزة اصل، وقيل من النسيان⁽⁷⁾ فزائدة وعليه قيل: ما سمي الإنسان إلا لنسيه

= سنة 279 هـ عن سبعين عاما. انظر البداية والنهاية لابن كثير منشورات مكتبة المعارف بيروت ج 11 ص 67 وتذكرة الحفاظ للذهبي دار الكتب العلمية ج 2 ص 536.

(1) - مصعب بن الزبير: "ابن العوام بن خويلد بن أسد أبو عيسى، ويقال: أبو عبد الله القرشي الأسدي المدني... كان يسمى آنية النحل من كرمه وجوده.. قتل يوم النصف من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين.. وله أربعون سنة.."

انظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق د. عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 5، ص 524، ومروج الذهب للمسعودي، ج 2، ص 273، والطبقات الكبرى لابن سعد، ج 5، ص 139.

(2) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(3) - انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي مادة قام، ج 4، ص 170.

(4) - في (ظ) "مثله" والصواب من (ق).

(5) - الإنسان: "يعني الإنسان: آدم.. والإنسان أصله إنسيان لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره، فدلّت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم... سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي"

انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: أنس، ج 1، ص 147.

(6) - في (ظ) "الوجه" والصواب من (ق).

(7) - في (ظ) "النسب" والصواب من (ق).

ويقال للمرأة: إنسان لا إنسانة (1)، والعامية تقول: وما ورد من ذلك من كلام الشعراء فهو من كلام المولدين، فلا حجة فيه، "والإنسان" أشرف الخلائق وأبدعها شكلاً، وأحسنها ولذلك لو قال أحدهم (2) لزوجته: إن لم تكوني أحسن من القمر فأنت طالق، لم تطلق عليه، وإن كانت سوداء زنجية لقوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (3).

وقال المصطفى: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ أَيَّ عَلَى صِفَتِهِ فَجَعَلَهُ حَيًّا، عَلِيًّا، قَادِرًا، مَرِيدًا، مُتَكَلِّمًا، سَمِيعًا، بَصِيرًا، مُدَبِّرًا، حَكِيمًا) (4)، لكن هذه موافقة في الأسماء والصفات لا حقائقها، وجمع فيه ما تفرق في العالم العلوي والسفلي، قيل:

أَتَزَعَمُ أَنَّكَ جُرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ (5)

قوله: "وما يحسنه" من الفضائل والعلوم والآداب، فإن أكثر الإنسان من ذلك غلت وعلت قيمته وأن أقل من ذلك كانت قيمته بدون الأول، فكلما أكثر من الفضائل والعلوم ارتفعت قيمته، وزاد رفعة، وهو ظاهر لا يحتاج إلى تأويل (6).

وفي البيت من أنواع البديع: الطباق بين: "أكثر" و"أقل" وتمكين القافية (6)، فإن السامع إذا علم أن القصيدة (7) لامية وسكت المتكلم بالبيت عند قوله: "أكثر الإنسان منه"

(1) - وردت في أصل المخطوطة: (إنسانية).

(2) - زيادة تقتضيه المعنى.

(3) - سورة التين، الآية: 4.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب قول الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" ج 4، ص 102، ومسلم في صحيحه كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب جهنم أعادنا الله منها ج 17، ص 178.

(5) - البيت من الشعر المنسوب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من أبيات مطلعها:

دَاوُوكَ فِيكَ وَمَا تَشْتَكُرُ وَدَاوُوكَ مِنْكَ وَتَسْتَكْتَكُرُ

وتحتوي أفكارا فلسفية. انظر: من الشعر المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب، جمع وشرح: عبد العزيز سيد الأهل، دار بيروت للطباعة والنشر، ص 75.

(6) - من در العجائب، قوله ردلاية: "تاج إلى تأويل"، ساقطة في (ظ).

(7) - راجع ص 150 من قسم التحقيق.

(8) - وردت في أصل المخطوطة: (العقيدة)، تحريف.

كَمَلَهَا بِقَوْلِهِ: "أَوْ أَقْل". وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، وَفِيهِ الْاِكْتِفَاءُ (١) فِي قَوْلِهِ: "أَوْ أَقْل" وَهُوَ فِعْلٌ مَعْطُوفٌ عَلَى "أَكْثَرَ" وَالتَّقْدِيرُ مِنْهُ حَذْفُ مِنَ الثَّانِي لِدَلَالَةِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ قَالَ: [رَحِمَهُ اللَّهُ] (٢)

وَإِكْتِمِ الْأُمْرَيْنِ فَقْرًا وَغِنَىً وَآكْسِبِ الْفَلْسَ وَحَاسِبٌ مَنْ بَطَلُ

قوله: "واكتم الأمرين" هو من جملة الوصايا لولده والكتم: الإخفاء، وضده الإعلان (٣) والمراد: إخف امريك أي: حاليك في الفقر والغنى ولا تطع عليهما صديقا وهو قليل وعزيز. قال الشافعي رضي الله عنه:

((يقولون الصديق له وجود لقد كذبوا فما ان من صديق، فالصديق بتوجع والعدو يشمت)) ونصب "فقرا" و"غنى" على التمييز أي في حالة الفقر وحالة الغنى و"الفقر" يفسر بالحاجة والعدم، و"الغنى" (٤) بالقصر الجدوى والمال.

ولما كان التكسب واجبا على الصحيح أمره به فقال: "واكسب الفلس وحاسب من بطل" أي: واجعل لك حرفة تكسب منها ولو فلسا حاللا بحيث تكون حرفتك سالمة من الغش وتكون حرفة غير دنيئة، بل تكون حرفة وكسبا لا يعيبك (٥)، إذ الشيخ لا يأمره بكسب حرام بأن يغش فيه، ولا بكسب دنيء يخل بالمروءة، والغش في الحرفة مذموم شرعا.

(روي [مسلم] (٦) في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر في السوق على صرة طعام فأدخل يده فيها فالت أصابعه بللا فقال: ما هذا يا

(١) - راجع ص 158 من قسم التحقيق.

(٢) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(٣) - ورد في الأصل: (الاشفاق)، وهو تحريف، اعتمدنا في تصويبها على لسان العرب، ج 5، مادة: كتم، ص 3823.

في (ظ) "الإفشاء" والصواب من (ق).

(٤) - الغنى "غنا في أسماء الله عز وجل: الغني هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء... الغنى مقصور ضد الفقر فإذا فتح مد..."

انظر لسان العرب مادة: غنا، ج 5، ص 3308.

(٥) - وردت في أصل المخطوطة: (لا تعيب بك) تحريف.

(٦) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

صاحب الطعام قال: يا رسول الله أصابته السماء، فقال: أفلا جعلته (1) فوق الطعام حتى يراه الناس ثم قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) (2).

ومعلوم أن الإنسان يعرف ما به تقع التقوى، وما به يقع الغش. فقد جعل الله العبد أميناً على نفسه في حرفته، فإذا خان الأمانة فإنما خان دينه ودمته، وقد قيل: إن الله تعالى جعل الفقر في الغش والبركة في التقوى (3).

وفي البيت من أنواع البديع: الجمع والتفرقة (4)، والطباق (5) بين: "فقر" و"غنى" وفيه حسن الاتباع (6) قالوا: "وهو أن يأتي المتكلم إلى معنى إختزعه غيره (7) فيحسن إتباعه فيه بحيث يحسنه بوجه من وجوه الزيادة التي توجب للمتأخر إستحقاق معنى المتقدم، إما باختصار لفظه أو قصر وزن وعدوثة لفظ أو تمكين قافية أو تميم نقص أو تحليه من البديع توجب الاستحقاق".

ومن تأمل شطر البيت وقول القائل الأول: "إعمل بحجة وحاسب البطل" وجد بعض (8) ما قلناه أو كله وأنه صرح بالكسب وهو أوضح وأبين من قوله: "إعمل بحجة وحاسب البطل".

وقوله: "الفلس" أحسن من "الحبة" وأنفع وأوقع للحاجة، ومن له ذوق لا يحتاج إلى أكثر من هذا، ويجوز أن يكون من باب التلميح (9) لأنه لمح إلى هذا الشطر المذكور ويجوز أن يكون من باب نظم النثر، فهو من العقد المذكور في البديع، إن كان هذا القول نثراً فإنه ليس عليه رائحة

(1) - الهاء ساقطة في الأصل.

(2) - في حديث آخر "مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا"

أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، ج 1، ص 99.

(3) - من "ومعلوم أن الإنسان" إلى قوله "في التقوى" ساقطة في (ظ).

(4) - راجع ص 135 من قسم التحقيق.

(5) - راجع ص 127 من قسم التحقيق.

(6) - قارن خزانة الأدب لابن حجة الحموي، ج 2، ص 373.

(7) - يوجد بياض في المخطوطة بعد كلمة: (غيره) وليل كلمة: (فيحسن).

(8) - يوجد بياض في المخطوطة قبل كلمة: (ما قلناه)

(9) - راجع ص 126 من قسم التحقيق.

النظم إلا أن يكون زجلا (1) فإنه ملحون.

واللحن (2) لا يجوز في الشعر ولا في الدوييت (3) ولا في الموشحات (4)، ويجوز في القوما (6) وكذا (6) الزجل وأما المواليا (7) فيجوز فيه الوجهان: اللحن والإعراب (8). هكذا نص علماء الأدب، ويجوز أن يكون من الاقتباس (9) على رأي، أو من التضمن (10) على الرأي

(1) - الزجل: "أو الشعر الشعبي، شعر منظم بلغة العامة ولهجة كلامهم فلا تراعى فيه قواعد الإعراب.. بل ينظم من الكلام العامي الراج.. وهو لغة الصوت، وربما سمي به لملازمته الغناء يقول ابن خلدون: "لما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذته الجموع لسلاسته وتمييق كلامه.. وأول من أبدع هذه الطريقة الرّجلية أبو بكر بن قزمان..". انظر تاريخ ابن خلدون المقدمة، ص 1153 والمعجم المفصل، ص 254.

(2) - اللحن: "اللحنُ واللحنُ واللحنُ واللحنُ: ترك الصواب في القراءة والنشيد ورجل لآحنٌ ولحانٌ: يخطئ، وألحن في كلامه أي: أخطأ.. وللحن ستة معان: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء والفطنة والتعريض والمعنى، فاللحن الذي هو الخطأ في الإعراب.. أنظر لسان العرب، مادة: لحن، ج 5، ص 4014.

(3) - الدوييت: لفظ مركب من كلمتين "دو" وهي كلمة فارسية تعني إثنين و"بيت" الكلمة العربية المعروفة و"بيت" تعني شعرا مؤلفا من بيتين إثنين، وله وزن خارج على البحور المتداولة ويعرف عند المحدثين ببحر: السلسلة أو الرباعي وهو:
فعلن متفاعلن فعولن فعلن

وفي هذا النوع من الشعر يقسم الشاعر منظومته إلى مجاميع كل مجموعة مؤلفة من أربعة أشطر يقفها بقافية واحدة أو يقفي الشطر الأول والثاني والرابع بقافية واحدة أنظر تاريخ ابن خلدون، المقدمة، ص 1166.

(4) - الموشحات: استحدث المتأخرون في بلاد الأندلس فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا.. كان المخترع لها مقدم بن معافر القبريري من شعراء الأمير عبد اله بن محمد المرواني.. انظر تاريخ ابن خلدون المقدمة، ص 1138، والمعجم المفصل ص 435.

(5) - وردت في أصل المخطوطة: (القوم) والصواب: (القوما) لون من الشعر الشعبي شاع في بغداد في القرن السادس الهجري ثم انتشر في سواها من الحواضر العربية.. ووزنه شبيه بوزن مجزوء الرجز وهو: مستعلن فعلن أو فاعلان مكررة مرتين. ويجمع الرواة على أن هذا اللون من الشعر الشعبي إنما نظم لدعاء السحور في شهر رمضان وأن تسميته أخذت من قول المسحر: (قوما نسحر قوما) أول من إختره: ابن نقطة برسم الخليفة الناصر" انظر المستطرق من كل فن مستطرق لشهاب الدين الاشيهي، تحقيق درويش الجويدي المكتبة العصرية، بيروت، ج 2، ص 369.

(6) - وردت في الأصل: (كان)

(7) - المواليا: "وهو من بحر البسيط وهو ذو أربعة أغصان وأربع قواف ويسمى صوتا وبيتين من مخترعات أهل واسط.. وهو من الشعر العامي أو شبه الفصيح..". انظر تاريخ ابن خلدون، ص 1166.

(8) - الإعراب: "هو البيان. تقول العرب: أعرب الرجل عن حاجته أي: بين وأوضح وقيل هي التغيير.. علاماته تسع علامات: ثلاث حركات وأربعة أحرف.. انظر التهذيب الوسيط في النحو للصنعاني، تحقيق: فخر الدين سليمان دار الجليل، بيروت، ص 75.

(9) - الإقتباس: "أن يوضح الكلام بشيء من القرآن أو الحديث أو الفقه لا على أنه منه" أنظر التبيان في البيان للطبي، ص 257.

(10) - التضمن: "أن يضمن الشعر من شعر الغير والشرط أن يكون المضمن مشهور أو مشارا إليه وهو على ضروب: الأول: أن يكون المضمن به تمام البيت، والثاني: أن يكون المضمن مصراعا والثالث: أن يضمن بعض المصراع..". انظر نفس المرجع السابق، ص 256.

الثاني، ولا يضره تغيره. فإن تغير يسير وفيه الطباق أيضا بين "كسب" و"بطل".

[تأمل⁽¹⁾]

قال:

وَأَدْرَعُ جِدًّا وَكَدًّا وَاجْتَبَسْتُ صُحْبَةَ الْحُمَقِيِّ أَرْبَابَ الْبَخْلِ

قوله: "وَأَدْرَعُ جِدًّا وَكَدًّا" الدَّرْعُ (2) : يطلق على آلة الحرب المعلومة، وعلى الثوب أيضا يلبس وهذا ما صح في اللغة، ويؤنث الأول تقول: الدَّرْع لبيستها ويذكر الثاني تقول: الدَّرْع لبيسته، وكذلك تقول: درع صافية، ودرع صافي: بمعنى طويل أي سابل.

قال في القاموس: "درع الحديد (3) قد يذكر جمعها: أَدْرُعٌ وَدُرُوعٌ، تصغيرها: دُرَيْعٌ، شاذ ومن المرأة قميصها مذكر جمعه: أَدْرُعٌ وَدُرُوعٌ، ورجل دارع عليه دِرْعٌ، والمدرعة كمكنسة: ثوب كالدرّاعة ولا تكون إلا من صوف (4)" إنتهى ملخصا.

يقال: تدرع وادرع لبس الدرع، و"الجد" بالفتح والكسر، والمراد هنا الإجهاد و"الكد" قال في القاموس: "هو الشدة والإلحاح في الطلب (5) " وعلى هذا النحو (6) يجوز أن يكون مرادفا لما قبله، وأن يكون عطف تفسير، أو هو عطف مغاير على أصل العطف.

وما أمر به ولده من لبس ثوب من الجد والإجهاد. و"الكد" على طريق الإستعارة هو السنة. لأنه ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (تَمَعَّدُوا وَاحْشَوْشُوا وَامْشُوا حَفَاةً) (7)

(1) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(2) - الدرع: "لبوس الحديد، تذكر وتؤنث: درع سابعة ودرع سابع" انظر اللسان مادة: درع ج2، ص1361.

(3) - وردت في أصل المخطوطة (جديد) والصواب (حديد).

(4) - راجع القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة: درع، ج3، ص20.

(5) - راجع القاموس المحيط، مادة: كد، ج1، ص332.

(6) - "النحو" ساقطة في (ظ).

(7) - رواه الطبراني في معجمه الكبير وابن شاهين في الصحابة وأبو شيخ وأبو نعيم. أخرجه الطبراني في معجمه عن أبي هريرة رفعه، ورواه أبو عبيد في الغريب، وروى الدار قطني في الأفراد عن ابن عباس رفعه: "إذا سارعتم إلى الخيرات فامشوا حفاة". انظر كشف الحفاء = ومزيل الالباس للمجلوني، ج1، ص317.

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتباعد وهو أن يكون الرجل على هيئة (1) معد بن عدنان (2) أحد أجداده صلى الله عليه وسلم، وهو الكد في العيش والتعب فيه لأنه كان يزرع بيده ويحصد، ويتعاطى مصالح الزرع.

وقوله: "واخشوشنوا" أمرنا ألا (3) نستزسل في التعم في المأكل والملبس بل تخشوشن فيها ثم أمرنا بالمشي والتحفي فيه خوفا من أن نحتاج إليه في حين لا تقدر عليه فإن من ألف الترفه صعب عليه أصداده، ثم أمرنا بالحفاء وهو من السنة أيضا لما فيه من نفي التكبر. قيده العلماء بالأمن من التلوث والتلطيخ بالنجاسة.

ثم قال: "واجتنب صحبة الحمقى (4) على وزن سكرى والمراد مطلقا، سواء كن نسوة أو رجالا. قال في القاموس: "يقال حمق ككرم وغنم بالضم وبضمين، حماقة، والحمق واستحمق فهو أحمق: قليل العقل، وقوم ونسوة حماق وحمق بضمين وحمق" إنتهى ملخصا.

قال الشاعر:

لكل داء دواءٌ يستطب به إلا الحمأقة أعتت من يداويها (6)

وعطف على "واجتنب" إلخ.

"أرباب البخل" وأرباب جمع رب. ومن معانيه: الصاحب؛ فأرباب هنا بمعنى أصحاب

(1) - في (ظ) "سنة" وهو الصواب.

(2) - معد بن عدنان: أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم.. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتجاوز عن معد، فقد ثبت أن نتوقف في النسب على معد لعلمه من تباعد الإنسان وكثرة الآراء في طول هذه المدة والإعصار.. وعن ابن العباس قال: بين معد بن عدنان وبين إسماعيل ثلاثون أباً.. أنظر تاريخ الطبري، ج 1، ص 315، وتاريخ الإسلام ووفيات الأعلام للذهبي، تحقيق " عمر عبد السلام تدمري ج 1، ص 18، ومروج الذهب، ج 2، ص 273.

(3) - وردت: (أن. لا).

(4) - ورد في الأصل: (حمقا) و (سكرا) بالألف الممدودة وهذا تحريف والصواب ما ذكرناه.

(5) - أنظر القاموس المحيط، مادة، حمق، ج 3، ص 231.

(6) - البيت المذكور في العديد من كتب الأدب، ويرد غالبا كشاهد، عند ذكر الحمقى واخبارهم ونواديرهم، مع عدم ذكر قائله.. راجع محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصبهاني، ج 1، ص 15 (ورد في صعوبة مداواة الأحمق).

أي: أصحاب البخل، المتصفين به، وإسم الفاعل منه: باخل، والبخل مصدر على وزن (أ) جبل، ولما قابل بين: "الحمقى" وهم ضعاف العقل وبين "أرباب البخل" علمنا من ذلك أن مراده بالحمقى المبذرين. فإنه من يصرف في غير محله أو يبذر في صرفه ينتسب لقلّة العقل لأن الله تعالى نهى عن السرف.

ونهي له عن صحبة من ذكر خوفا عليه من أن يكتسب من الأولين، التبذير ومن الثانيين البخل لأن النفس تكتسب من مجالسها الخير والشر.

تأمل 2: قال الشاعر:

لِلنَّفْسِ مِنْ جَلَّاسِهَا كُلِّ نَسْبَةٍ

والبيت بعده يشهد لما قلناه في "أدرع" وهو كالنتيجة لهذا البيت.

تأمل:

وفي البيت من أنواع البديع: الإستعارة، وفي "جدا" موازنة فيهما، والطباق في "حمقى" و"أرباب البخل".

قال رحمه الله تعالى (3):

بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلِ رُبَّةٌ فَكِلَاهُمَا ذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلَ

قوله: "بين تبذير" التبذير: تضييع المال باحتمال غير فاحش في المعاملة كيبيع ما يساوي عشرة بتسعة أو يرميه في نحو بحر أو يغرمه في محرم، ولو كان المحرم ولو صغيره. هذا التبذير [الحرام وأما التبذير] (4) المكروه الجائز: فهو صرف المال في المطاعم والمشارب والملابس والصدقة في وجوه الخير، وإن كان لا يليق بحاله ذلك كذا قاله العلماء.

(1) - في (ظ) "وزان" والصواب من (ق).

(2) - "تأمل" ساقطة في (ظ).

(3) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(4) - ما بين المعقوفين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

وقوله: "بُخْلٌ" بضم الباء الموحدة التحتية وسكون الخاء وهو مصدر بخل وتقدم معناه قريبا.

وقوله: "رتبة" أي عظمة جليلة (1) لأنها طريق الإقتصاد لا تبذير متلف ولا بخل مجحف، وقصده من ولده أن يكون رتبة بينهما. ولعل المراد النهي عن التبذير مطلقا، لأن عدم التقييد يؤذن بذلك، ثم قال: "فكلا هذين" أي أحد هذين المذكورين وهما: "التبذير" و"البخل" "إن زاد قتل" صاحبه أي أماته، والمراد: صيره كالميت لأن القتل في اللغة بمعنى: الإماتة قال في القاموس: "قتله مخففا وبه يعد قتلا، ومقاتلة: أماته، كقتلت مثقلا (2)" إنتهى ما أوردناه منه والموت يكون حقيقيا ومجازيا كما تقدم، وهذا من المجازي (3).

تنبيه:

إستعمل المصنف المثني في موضع المفرد وهو جائز عربي مثني في المعنى.

قوله: "فكلا هذين" بمعنى أحد هذين، لأنه أراد لفظ "كلا" وهو مفرد.

تأمل:

فلا إعتراض على الناظم ومثله قوله تعالى: (كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهُمَا) (4). لأن "كلا (5)" و"كلتا" مفرد في اللفظ و في البيت من أنواع البديع: الطباق (6) في قوله: "بين تبذير وبخل" وهو خبر المبتدأ الذي بعده وهو رتبة وقدمه لجواز الإبتداء بالنكرة، وفيه التقوية والجمع (7) وفيه الإنتقاء لأن "قتل" يتعلق به شيء محذوف.

(1) - يوجد بياض في المخطوطة، بعد كلمة (جليلة) وقبل كلمة (لأنها).

(2) - أنظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: قتل، ج4، ص36.

(3) - من "صيره كالميت" إلى قوله "وهذا من المجازي" ساقطة في (ظ).

(4) - تمام الآية: قال الله تعالى: "كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهُمَا ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا". سورة الكهف: الآية: 33.

(5) - راجع: معنى اللبيب لابن هشام، ج1، ص228.

(6) - راجع ص 127 من قسم التحقيق.

(7) - راجع: ص 135 من قسم التحقيق

قال رحمه الله تعالى (1):

لَا تَخْضُ فِي سَبِّ سَادَاتِ مَضَوًا إِنَّهُمْ لَيَسُؤُوا بِأَهْلِ لِيلَزَلَلْ

قوله: "لَا تَخْضُ" هي لا الناهية، و"تخض" مجزوم بها، والخوض مأخوذ من خاض الماء يخوضه: دخله، والمراد: النهي عن الدخول في الحديث الباطل على التوسع، وإن كان ممن (2) تخاوضوا في الحديث أو تفاضوا فيه بلا توسع وعلى كل حال فهو خوض في الباطل، قال الله تعالى حكاية عن أهل النار: (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) (3).

قال المفسر (4): أي (5) في الباطل. وقال تعالى: (وَحَضَّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) (6). أي: كخوضكم (7) وقوله: "في سب سادات مضوا" السب: الشتم كما ذكره في القاموس (8). و"سادات" جمع سادة وسادة جمع سيد وهو أجل القوم، فإن أراد بقوله "سادات مضوا" الصحابة رضي الله عنهم (9) فسيادتهم لا شك فيها، إذ هي معلومة من الكتاب والسنة.

وإن أراد غيرهم من المتقدمين من العلماء والأولياء، وعلى كل حال (والعياذ بالله) هو حرام ومقت وسم قاتل إذ لحوم العلماء مسمومة، وقد وقع لبعض العلماء التكلم في أولياء

(1) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(2) - وردت في أصل المخطوطة: "من".

(3) - سورة المدثر، الآية: 45.

(4) - راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ج19، ص87.

(5) - "أي" ساقطة في (ظ).

(6) - تمام الآية: قال الله تعالى: (وَحَضَّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أَوْلَيْكُمْ حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَوْلَيْكُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ) سورة التوبة، الآية: 69.

(7) - في (ظ) "كخوضهم".

(8) - القاموس المحيط، مادة: سب، ج1، ص83.

(9) - "رضي الله عنهم" ساقطة في (ظ).

الله كسيدي محي الدين بن العربي (1) وسيدي عمر بن الفارض (2) وعنا بهما (3)
فأذهب الله علمه وهكذا شأن من تعرض لأولياء الله (4) وعلماء الأمة وصلحائها يخشى عليه
المقت، والعياذ بالله من ذلك (5) وأما الصحابة رضي الله عنهم فجميع ما وقع لهم ومنهم
مؤول لأن فعلهم على إجتهد، وكلهم مجتهد (والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر
واحد) (6).

هكذا قال العلماء وقال ابن رسلان (7) في زبده. كذا وما جرى بين الصحابة نسكت
عنه للسلامة. والجواب ما تقدم.

وهذا من جملة نصائحه لولده ولحبيه وللمسلمين أيضا، فإن القائل من العلماء
والصلحاء وحاشاه أن يخص بنصائحه، وإنما هو من باب الكلام لك، ثم علل ما قال وما
نهى عنه بقوله: "إنهم" أي: لسادات ليسوا بأهل للزلل. "الباء" تدخل على خبر ليس كثيرا.
وقوله: "للزلل (8)" يقال إذا زلق في طين أو زل بنطقه ثم توسع فيه فشمل القول
والعقل.

وفي البيت من أنواع البديع: حسن التعليل (9) وهو كما قال أهل البديع وهو أن يريد
المتكلم ذكر حكم واقع ومتوقع فيقدم قبل ذكر وقوعه أو بعده ذكره وإنما قدم لأن رتبة العلة

(1) - راجع ترجمته ص 145 من التحقيق.

(2) - راجع ترجمته ص 166 من التحقيق.

(3) - وردت مكررة.. حذف واحدة منها

(4) - في (ظ) "أهل الله".

(5) - يوجد بياض في المخطوطة قبل كلمة « (أما) » وبعد كلمة « ذلك »

(6) - حديث شريف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم
وأخطأ فله أجر واحد». أخرجه الترمذي في صحيح سننه، ج2، ص35.

(7) - ابن رسلان: «ساتلين بن رسلان أبو منصور التركي» النحوي، المالكي، ذكره الصفدي قال: له مقدمة في النحو" توفي بالقدس سنة سبع
وثمانين وأربعمائة". انظر بغية الوعاة للسيوطي، ص251.

(8) - الزلل: «زَلَّتْ.. زَلًّا وزَلِيلًا ومَزَلَّةٌ بكسر الزاي.. ويمد: زَلَقَتْ في طين أو منطلق.. وقوس زلاء يزل السهم عنها لسرعة خروجه وزل
عمره، ذهب" انظر القاموس المحيط، مادة: زلل، ج3، ص389، ولسان العرب، مادة: زلل، ج3، ص1855.

(9) - راجع ص 235 من قسم التحقيق

التقدم على المعلول فمثال أول قوله تعالى: (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (1) وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْلَا أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي لَأَمَرْتَهُمْ بِالسُّبُوكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ) (2).

والمثال الثاني: هو تقدم المعلول على العلة ما قاله ابن رشيقي (3) (4) في قوله [علة] (5) قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا) (6) حيث قال في ذلك: سَأَلْتُ الْأَرْضَ لِمَا جَعَلْتَ مَصَلِيَّ وَمَا كَانَتْ لَنَا طَهْرًا وَطِيْبًا
فَقَالَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ لِأَنَّيَّ حَوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَيِّبًا

وبيت القصيد من هذا الباب أي: من تقدم المعلول على العلة والمعلول "لا تخض في سب سادات مضوا" والعلة قوله: "إنهم ليسوا بأهل للزلل" وقد أطلنا الكلام في هذا النوع لأنه لم يتقدم له ذكر.

قال رحمه الله تعالى ونفع به (7):

وَتَغَافَلُ عَنْ أُمُورٍ إِنَّهُ لَمْ يَفْزُ بِالْحَمْدِ إِلَّا مَنْ غَفَلَ

قوله: "وتغافل" أي تكلف بالغفلة وهي الاسم من غفل عنه، غفولاً: تركه وسهى عنه.

قوله: "عن أمور" هو جمع أمر: وهو الشيء الواحد من الأشياء أي تغافل عما الناس فيه ولا تذكر لأحد عيوبه ولا ما هو منطو عليه ولا تظهر للعلم به، وهذا إذا لم تجد للأمر بالمعروف

(1) - سورة الأنفال، الآية: 69.

(2) - أخرجه ابن ماجة في صحيح سننه، ج 1، ص 53، وصحيح مسلم كتاب الطهارة، ج 1، ص 220.

(3) - سبق الترجمة له راجع ص من قسم التحقيق.

(4) - يوجد بياض في المخطوطة قبل كلمة: (ابن رشيقي) وبعد كلمة: (في).

(5) - ما بين المعقوفتين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

(6) - لم أقف عليه.

(7) - "رحمه الله تعالى ونفع به" ساقطة في (ظ).

للتعظيم أي: تغافل عن أمور الناس العظيمة بعد رعاية ما ذكرناه.

"وتغافل" فعل أمر مبني على السكون وهو يتعدى بـ "عن" وقد عداها بها وفي النظم شيء محذوف تقديره: فإن فعلت ذلك وهو التغافل فزت بالحمد من أهل زمانك بالثناء عليك والإقبال منهم مع أنك ما فارقت الشرع ولا قدر شعرة.

قوله إنه علة للفوز، وهو الظفر⁽¹⁾ بالثناء منهم عليك، والتقدير لأنه لم يفز بالحمد من أهل زمانه إلا من تغافل عنهم، ورأى من نفسه العمى عن عيوبهم، والصمم عن أقوالهم.

فتغافل عنهم قولاً وفعلاً، بل أرقى من ذلك أن تظن بهم الظنون وتسد ما رأيت منهم بظن حسن كما هو الواجب وتحمل منهم على الوجه الحسن، إذ الظن⁽²⁾ [السوء] بالناس حرام كما صرح به العلماء، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (إِحْتَرَسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ)⁽³⁾ فحملة العلماء على من جهل حاله.

ومعناه: صن نفسك منه بسوء الظن لئلا يفتالك إذا سافرت معه فربما ضربك أو قتلك أو أطعمك ما يزيل عقلك.

فلا يرد على ما قلناه. وهذا البيت خاص بأهل هذا الزمن والذي قبله، خاص بالمتقدمين وربما رجع البيتان هذا والذي قبله إلى تحسين الظن بالناس وهي الطريقة الحسنی⁽⁴⁾ المخلصة الأتام الواجبة على المسلم، والمعنى ظاهر لا يحتاج إلى أكثر من هذا.

وفي البيت من أنواع البديع: حسن التعليل⁽⁵⁾ كما تقدم قريباً، وفيه رد الصدر على

(1) - وردت في الأصل: "الضفر"

(2) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(3) - ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الأوسط وابن عدي، عن معاوية بن يحيى عن سليمان بن سليم، منده ضعيف.. ثم إن الحديث منكر لمخالفته للأحاديث الكثيرة التي يأمر النبي صلى الله عليه وسلم فيها المسلمين بالألا يسيئوا الظن بأخوانهم منها قوله صلى الله عليه وسلم: (يَاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث) رواه البخاري.
انظر الأحاديث الضعيفة للألباني، ج 1، ص 288، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن اليماني، المكتب الإسلامي، ص 258.

(4) - وردت في الأصل: (الحسنة).

(5) - راجع ص 235 من قسم التحقيق.

العجز⁽¹⁾ ومنه تمكين القافية وقد تقدم مرات في الكتاب، ولما أمر ولده بالتغافل وفي ضمنه ملاطفة الأخوان وخفض الجناح لهم علم أنه وإن فعل ذلك كله لا يسلم من أذى وعداوة. فاعلمه أنه لا يمكن إجتماعهم على محبة إنسان، وأنه لا بد له من أعداء كذا بعداوته وإيذائه، قال القائل: ولا بد من مثر عليك وقال: أي: مبغض فاعلمه وأشار إليه بالطف إشارة وأشرف عبارة ليسليه بذلك⁽²⁾ قال رحمه الله تعالى ونفع به آمين⁽³⁾:

لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّهِ وَإِنْ حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ

قوله: "ليس" هي النافية الناسخة للمبتدأ والخبر، وهي من أخوات كان لها إسم وخبر.

وقوله: "يخلو المرء" جملة فعلية خبر ليس فتكون الجملة في محل نصب وهذا المذهب المرضي، ويجوز أن تكون "ليس" مجرد النفي فتكون بمنزلة حرف النفي. والتقدير على الأول ليس الشأن، والقصة: خلو المرء من ضد⁽⁴⁾ وهو مذهب ضعيف أورده⁽⁵⁾ ابن هشام⁽⁶⁾ وقوله: "من ضد" متعلق بـ "يخلو" وال ضد. قال في القاموس: "الضد والضديد المثل المخالف فهو الضد ويكون للواحد والجمع ومنه، ويكونون عليهم ضدا، وضادده خالفه⁽⁷⁾" إنتهى.

والمراد به هنا العدو، وقوله: "وإن حاول العزلة في رأس جبل" إن هذه يجوز أن تكون الغائية، فلا يجزم الشرط والجزاء، ويجوز أن تكون الشرطية، وفعل شرطها: "حاول العزلة في رأس جبل" والجواب مأخوذ مما تقدم، والتقدير: فلا يخلو من ضد.

(1) - راجع البيان في التبيين: الطيبي. 305

(2) - من در ملاطفة الإخوان، إلى قوله در ليسليه بذلك، ساقطة في (ط).

(3) - "رحمه الله تعالى ونفع به آمين" ساقطة في (ط).

(4) - انظر مغنى اللبيب لابن هشام، ج 1، ص 323.

(5) - وردت في أصل المخطوطة: (ورد).

(6) - راجع ترجمته ص 211 من قسم التحقيق.

(7) - القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: ضد، ج 1، ص 320.

و"حاول" بمعنى أراد، وطلب و "العزلة" الإفراد والتثني ناحية. وقوله في "رأس" رأس كل شيء أعلاه و"الجبل" محرك، قال في القاموس: "كل وتد الأرض (2)" انتهى.

ولعله مأخوذ من قوله تعالى: (وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا) (3) أي للأرض، ولو لا هي أي: الجبال لمادت الأرض بنا أي: تحركت. والجبل محل العزلة والوحدة غالباً وهو أولى من بيته، وأبعد عن الناس.

ومعنى البيت: لا يسلم الإنسان من الإيذاء ولا يخلو من الأعداء وإن إعتزل بالفعل في رأس الجبل بعيداً عن الناس. قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو كان [المؤمن] (4) في حجر ضب لقيظ الله له من يؤذيه) (5). والمعنى ظاهر، وفي البيت من أنواع البديع: تمكين القافية (6) وهو إئتلاف القافية ومنهم من سماه بذلك وهو أن يمهد النثر لسجته وفقرته والناظم لقافية بيته تمهيداً تأتي القافية فيه متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، غير نائرة ولا قلقة. ولا مسترعاة فيما (7) ليس له تعلق بلفظ البيت، ومعناه بحيث أن منشد البيت إذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها، وأكثر فواصل القرآن (8) العظيم على هذه الصورة. ولولا تخوف الإطالة مثلنا لذلك (9) بأمثلة من كلام البلغاء.

(1) - "لام الخير" ساقطة في أصل المخطوطة.

(2) - راجع القاموس المحيط للفيروز أبادي مادة: جبل، ج3، ص344.

(3) - سورة النبأ، الآية: 7.

(4) - "المؤمن" ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

(5) - لم أعتز عليه في كتب الأحاديث.

(6) - راجع خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ج2، ص446.

(7) - في (ظ) "مأليس".

(8) - فواصل القرآن: تقع الفاصلة عند الإستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين بها القرآن بقية الكلام، وسميت فواصلًا

لأنه انفصل عندها الكلام حيث أن آخر الآية لفصل بينها وبين ما بعدها، ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً من العلماء لأن الله تعالى لما سلب

عن القرآن إسم الشعر، وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه.. ومنع استعمال الفاصلة في الشعر إذ أنها صفة لكتاب الله لا تتعداه. انظر

البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص58، والفاصلة القرآنية،

د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، ص8.

(9) - "لذلك" ساقطة في (ظ).

مِلْ عَنِ النَّمَامِ وَأَزْجُرْهُ فَمَا بَلَغَ الْمَكْرُوهَ إِلَّا مَنْ نَقَلَ

قوله: "مل عن النمام" هو جملة من⁽¹⁾ نصائحه لولده. ومل: فعل أمر من الميل وهو العدول أي: إعدل عنه واجتنبه ولا تصاحبه، بل ولا تجالسه فتكون شريكا له في إثمه، يقال: "مال إليه ومال عنه".

قال في القاموس: "مال إليه ميلا، وميالا، وأماله إليه، وميَّله فاستمال⁽²⁾" انتهى.

والنمام: فعّال من النّم وهو التحريش والإغواء وأنمى⁽³⁾ الحديث: أشاعه ضررا وفسادا وهو تزوين الكلام أيضا بالكذب. يقال: نم وينم بالكسر والضم على نفي الدخول أول وهلة، وإن كان غير مستحيل لها وعلى نفيه مطلقا إن كان مستحيلا لأنه والحالة هذه يصير مرتدا لإعتقاده جواز ما قام على تحريمه الكتاب والسنة والإجماع المعلوم من الدين بالضرورة - نسئل الله الكريم السلامة من كل سوء بمنه وكرمه - كما نقله العز بن عبد السلام⁽⁴⁾.

وأما الغيبة فهي ذكر الإنسان بما يكره فيه، مما يمكن فيه. وهذا الحد نقل الغزالي⁽⁵⁾ الإجماع عليه كما حكاه عنه في الأذكار.

(1) - في (ظ) "هو من جملة" تقديم وتأخير.

(2) - أنظر القاموس المحيط، مادة: مال، ج4، ص54.

(3) - (أنما) هكذا وردت والصواب: ((أنمى)).

أنمى: "النماء: الزيادة، نمى ينمي يمنا ونميا ونمَاء: زاد وكثر.

النّم: التحريش والإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل تزوين الكلام بالكذب والفعل: نم، ينم، ينم" انظر لسان العرب، مادة: نم، نمى، ج6، ص455.

(4) - العز بن عبد السلام: "هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن شيخ الإسلام الشيخ الدمشقي.. تفقه على الإمام فخر الدين بن عساکر، وقرأ الأصول العربية، ودرس وأفتى وصنّف وبلغ رتبة الاجتهاد. إختصر نهاية المطلب وله القواعد الكبرى والقواعد الصغرى، ومقاصد الرعاية وغير ذلك.. توفي سنة ستين وستمائة" أنظر فوات الوفيات للكتبي، ج2، ص350، والنجوم الزاهرة، ج7، ص208.

(5) - الغزالي: "ولد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي بمدينة طوس من أعمال خراسان.. إرتحل إلى نيسابور متوجها إلى حلقة المتكلم الشهير الجونبي.. عين أستاذا في المدرسة النظامية.. شملت مؤلفاته أكثر فروع المعرفة مثل الفقه والدين والأخلاق والتصوف منها: إحياء علوم الدين، أيها الولد، جواهر القرآن ودرره، خلاصة التصانيف وغيرها كثير.. توفي الغزالي في طوس عن سن بلغت به الثالثة والخمسين وذلك سنة 505هـ". أنظر الأعلام للزركلي، ج7، ص23، وشذرات الذهب، ج4، ص10.

قال في الأذكار (1): "سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خَلْقِهِ أو خُلُقِهِ أو ماله وولده أو زوجه أو خادمه أو مملوكه أو عمامته أو ركوبه أو مشيه أو حركته أو بشاشته، وخلاعته، وعبوسه وصلابته، أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو كتابتك أو رمزت أو أشرت إليه بعينيك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك" (2) إنتهى المقصود بحروفه، ويتأيد ذلك بما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإن كان فيه ما (3) تقول فقد أغتبتة وإن لم يكن فيه فقد بهته (4) " (5) أي قلت عليه البهتان وهو الزور.

فاعلمه فهو نوم وتمام ومنهم (6) والنميمة الإسم ومنه في الشرع: النمام: هو الذي ينقل الكلام ويلقيه ليفتن بين الناس، والنميمة حرام وهي معدودة من الكبائر. وفي الصحيحين (7): عن حذيفة (8) رضي الله عنه: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ) (9) وهو محمول عند العلماء [على نفي الدخول أول وهلة (10)، قوله: "وازجره" أي عند الإتيان بها وعند تبليغها،

(1) - الأذكار: هو كتاب حلية الأبرار وشعار الأخيار المعروف بالأذكار النووية، ألفه الحافظ، الفقيه ابن زكريا يحيى بن شرف النواوي الدهلبي.. صنف كتابا كثيرة في علوم شتى. توفي في رجب سنة 676 هـ.

(2) - قارن كتاب الأذكار للنووي، تحقيق علي الشريحي وقاسم النوري، مؤسسة الرسالة بيروت، باب تحريم الغيبة والنميمة، ص 534.

(3) - (ما) ساقطة في الأصل.

(4) - وردت في المتن: (أبهته) والصواب: (بهته).

(5) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، ج 4، ص 2001، وصحيح سنن الترمذي، ج 2، ص 182.

(6) - تركه الناسخ بياضا بعد كلمة (منهم) وقبل كلمة (والنميمة).

(7) - صحيح مسلم وصحيح البخاري.

(8) - حذيفة رضي الله عنه: "حذيفة بن اليمان العسبي وإسم اليمان حسين جابر بن ربيعة بن عيسى حليف بني عبد الاشهلبي، كنيته أبو عبد الله، هاجر إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم شهأ. أحد.. مات قبل قتل عثمان بن عفان بأربعين ليلة سنة 36.

انظر تاريخ الصحابة للإمام البستي، تحقيق الصناوي، ص 73، وتاريخ الإسلام للدهبي، ج 3، ص 491، وشجرة النور الزكية، ص 85.

(9) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، ج 1، ص 101.

(10) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

قال في القاموس: "زجره: منعه ونهاه كازدجره (1) " إنتهى.

وهو الأمر بالمعروف أي بالشروط المتقدمة قريبا.

قوله: "فما بلّغ" يقال: بلغ يبلغ تبليغا فهو مبلّغ، سمي مبلغا لأنه يبالغ في قوله، و"المكروه" هو هنا ما تكرهه النفوس (2) وتأنف منه وتتأذى به، لا المكروه الشرعي قوله: "إلا من نقل" هو فاعل بلغ إسم موصول و"نقل" فعل ماضي وفاعله مستتر فيه، راجع لـ "من" وعائد الموصول محذوف، والتقدير "من نقله" أي المكروه، والمعنى: خذ جانبا عن النمام واعدل عنه ولا تصاحبه، وإن أمكنك زجره ونهره فافعل، فما حصل المكروه والأذى إلاّ منه لا من غيره بدليل الحصر في العبارة، وهو من باب قصر الصفة عن الموصوف لا عكسه.

تأمّل:

وفي البيت من أنواع البديع: حسن التعليل (3) في قوله: "فما بلغ" إلخ وقد تقدم تعريفه سابقا، وفيه تمكين القافية (4) وسبقت قريبا، وفيه الإكتفاء (5) في قوله: "إلاّ من نقل" إذ التقدير: إلاّ من نقله لك عن غيرك وما أشبه ذلك من التقديرات.

قال رحمه الله:

دَارِ جَارِ الدَّارِ إِنْ جَارَ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلُ

قوله: "دار" فعل أمر من المدارات مبني على حذف الياء و"جار الدار" مفعوله و"الجار" المجاور الذي أجرته من أن يظلم. قال في القاموس: "والدار: المحل بجميع (6) البناء والعرصة وقد يذكر، وجمعه: دور وأدور بالهمزة وتركه ودار وديار وديرات وديران، والبلد إسم مدينة الرسول

(1) - راجع القاموس المحيط، مادة: زجر، ج2، ص39.

(2) - في (ظ) "النفوس".

(3) - راجع ص 135 من قسم التحقيق.

(4) - راجع ص 150 من قسم التحقيق.

(5) - راجع ص 158 من قسم التحقيق.

(6) - في (ظ) "يجمع" والصواب من (ق).

صلى الله عليه وسلم (١) " إنتهى.

المراد منه، قوله: "إن جار" هي إن الشرطية، وفعل الشرط، والضمير فيه راجع للجار. و"جار" فعل ماضي من الجور نقيض العدل وضد القصد، وتقوم جوراً وجارة وجائرون.

والتقدير: إن جار جار الدار فداره، فالجواب مأخوذ من الجملة وهي: داره من المدارات التي قبل الشرط وفعله هو الجواب بعينه، وفي قول (٢): ولعله أراد مطلق الجار سواء كان جاراً في الدار أو في الدكان، أو كان مسلماً أو غير مسلم، إذ الجار من حيث هو وصى عليه النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) (٣)،

وقال: (ما زال يعني جبريل يوصي محمداً عليه السلام حتى ظننت أنه سيورثه) (٤) (٥).

قال [البهلول] (٦) رضي الله عنه في زجله المبارك الحاوي للسلوك:

ربي اجعلني مؤمن	موصوف بالإيمان
ولمن يوصي محسن	موصوف بالإحسان
من جاري مؤمن	في الدار والدكان

وهذا من جملة الوصايا التي وصى بها ولده.

وكانه يقول له: أد الجار حقه وأحسن جيرتك له وغض عما ترى (٧) منه، وإذا جار داره ولا تقابله بمثله. وحقوق الجوار كثيرة في المطولات منها: أن يعود في المرض ومنها تشييع جنازته

(١) - راجع القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: دار، ج ٢، ص 32.

(٢) - من "المدارات" إلى قوله "وفي قول" ساقطة في (ظ).

(٣) - جاء بلفظ: عن أبي شريح الخزامي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره".

أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الأدب، ج ٢، ص 296، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، ج 1، ص 68.

(٤) - الحديث: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه". أخرجه البخاري في صحيحه كتاب ما

جاء في الوصية بالجارح ص 18، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، ج 4، ص 2025.

(٥) - وردت (يورثه) بدل (سيورثه).

(٦) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(٧) - وردت في متن المخطوطة "ترا" بالألف الممدودة، تحريف الصواب فيه ما وردناه.

إذا مات وأن يتفقدته في غالب أوقاته، فإذا رآه محتاجا إلى إعانة أو إلى حاجة له قدره عليها فليفعل، وإذا غاب يسأل (١) عنه وغير ذلك، وليس هذا محلا لسردها لأن مبنى هذه العجالة على الإختصار.

هذا وإن كان لك صبر على مداراته وعلى تحمل أذاه، و"الصبر" (٢) حبس النفس على ما تكره و"إن لم تجد صبيرا فما أحلى النقل" "ما أحلى" من أفعال التعجب وهو فعل ماضي وفاعله مضمّر وجوبا لا ينطق به أبدا. و"النقل" مفعوله والنقل: جمع نقله وهي الانتقال والتحول من محل إلى محل آخر والمعنى ظاهر وفي البيت من صناعة البديع: الجناس التام (٣) في "دار والدار" وفي "جار وجار" وفيه شبه العكس والتبديل (٤).
قال رحمه الله:

جَانِبِ السُّلْطَانِ واحْذَرْ بَطْشَهُ لا تُخَاصِمَ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ

قوله: "جَانِبِ السُّلْطَانِ" قال في القاموس: "جانبه مجانبة وجنابا صار إلى جنبه وباعده أيضا فهو ضد (٥) إنتهى.

أي يطلق على الشيء وضده والمراد هنا الثاني وهو المباعدة أي: باعده ولا تتقرب منه بأن لا تكون من حاشيته ولا بطانته ولا من جلسائه، فإن السلطان لا يؤمن المتقرب منه.

(١) - ورد في أصل المخطوطة (يسئل) تحريف صوبناه.

(٢) - الصبر: نقيض الجزع صَبْرًا، يَصْبُرُ صَبْرًا فهو صابر صَبْرًا وصبير وصور والأنثى صور أيضا بغير هاء وجمعها: صُبُرٌ.. والصبر: حبس النفس عند الجزع.."

انظر لسان العرب، مادة: صبر، ج 4، ص 2392.

(٣) - الجناس التام: "أن يتفقا في إعداد الحروف وأنواعها وترتيبها وهيتها".

انظر شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي، ص 143.

(٤) - راجع خزنة الأدب وغاية الأرب، ج 1، ص 242.

(٥) - انظر القاموس المحيط، مادة: جنب، ج 1، ص 50.

و"السلطان"⁽¹⁾ مأخوذ من سلط ككرم أو من سلط كسمع، سلاطة وسلوطة بالضم.
والأصل فيه الحجة فحجته قوية على غيره والأصل فيه: السليط وهو الدهن من كل حب
كأله يضي به الملك.

قوله: "وأحذر بطشه" مأخوذ من حذر كعلم، والحذر بالكسر فالسكون، ويجوز الإحتراز
كالإحتذار والمحدورة وهو حاذره وحذيران وحذر وجمعه حذرون وهو المتيقظ شديد الحذر⁽²⁾.
و"بطشه" مفعول "أحذر" يقال: بطش به يبطش: أخذه بالعنف والسطوة والبطش: الأخذ
الشديد في كل شيء⁽³⁾.

وقوله: "لا تخاصم" الخصومة في الأصل: الجدل ثم توسع فيها، يقال: خاصمه مخاصمة وخصومة
فخصمه أي: غلبه. ولعل السلطان ما خصم أدنى منه إلا غلبه وأذاه غالبا.

و"لا" هي الناهية الجازمة للفاعل و"تخاصم" مجزوم بها والمفعول "من" وهو إسم موصول
وصلته. قال: و"إذا"⁽⁴⁾ ظرف للزمان المستقبل وهي من الشروط الغير الجازمة، وفعل الشرط:
لقال" وفعل الجواب فعل "فإن قلت" جملة الشرط محلها جر ياذا، وإذا كانت صلة الموصول فلا
محل لها.

ما هذا إلا تمناع وتباين قلت⁽⁵⁾ في الجواب قال في المغني⁽⁶⁾: "إن إذا هذه تخرج عن
الإستقبال وتجي للماضي كما جاءت [إذا] 7 للمستقبل في قول بعضهم⁽⁸⁾" ومثل بأمثلة قرآنية

(1) - السلطان : الحجة والبرهان.. والسلطان إنما سمي سلطانا لأنه حجة الله في أرضه. قال: واشتقاق السلطان من السليط. والسليط ما يضاء به
ومن هذا قيل للزيت : سليط.. أنظر لسان العرب. مادة: سلط ج 3 ص 2065

(2) - راجع القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة: حذر، ج 2، ص 6.

(3) - انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: بطش، ج 1، ص 301.

(4) - (إذا) راجع مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج 1، ص 111.

(5) - في (ظ) "قلنا".

(6) - المغني: "مغني اللبيب عن كتب الأعراب في النحو للشيخ جمال الدين أي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوي.. صنف هذا
التصنيف على أحسن أحكام وترصيف فجعله منحصرًا في ثمانية أبواب، وهو كتاب جليل الشأن باهر البرهان شرحه الاماميني والسيوطي".
أنظر كشف الظنون لحاجي خليفة، ج 2، ص 1852، ومقدمة المغني، ج 1، ص 2.

(7) - ما بين المعقوفتين ساقطة في (ق) أثبتته من (ظ).

(8) - راجع المغني، ج 1، ص 117.

وشعرية عربية ثم ذكر بعد ذلك أنها تخرج عن الشرطية فلا تكون شرطا ومثل لها بقوله تعالى: (إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)، (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)⁽¹⁾.

فإذا تمحضت للظرفية وسلب منها معنى الشرط و"إذا" التي في النظم يجوز أن تكون كذلك فلا تمنع ولا تباين حينئذ فإن قلت أن "إذا" هنا باقية على أصلها من كونها شرطية ولا ظرفية، وأن الجملة التي بعدها في محل جر بها.

قلت⁽²⁾: لا مانع أيضا من أن تكون الجملة في محل وأنها وما معها محكوم عليه بأنه لا محل له وليس فيه تمنع.

تأمل:

والمعنى: أحذر السلطان ولا تقاربه، وأحذر بطشه إن قاربتَه فإنه ممن إذا قال قولا فعل به ونجزه، فإن توعدك بشيء⁽³⁾ لنجزه ولا مانع له من ذلك إلا الله تعالى، والقول معلوم والفعل بالكسر حركة الإنسان وكناية عن كل عمل متعمد وبالفتح مصدر فعله كمنع، وإذا كان كسحاب فهو إسم الفعل يكون للخير وللشر.

قوله: "لا تخاصم" إلخ يجوز أن يكون توكيدا للجملة قبله وبيانا لها ويجوز أن يكون علة لها فيكون في البيت: "حسن التعليل⁽⁴⁾ أو يكون من نوع التكميل⁽⁵⁾."

قال أصحاب البديع: والفرق بين التكميل والتتميم أن التتميم يرد على الناقص قيمته والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله⁽⁶⁾ وقد تم الكلام عند قوله: "وأحذر بطشه" فقوله: "لا تخاصم" إلخ تكميل لأنه جاء بعد تمام الكلام لفظا ومعنى.

(1) - تمام الآية: قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبِيرَ الْأَنْثِمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ". سورة الشورى، الآية: 34 إلى 36.

(2) - في (ظ) "قلنا".

(3) - في (ظ) "يسوء" وهو الصواب.

(4) - راجع ص 235 من قسم التحقيق.

(5) - راجع ص 143 من قسم التحقيق.

(6) - راجع الصناعتين للعسكري، ص 389.

تأمل (1):

ويكون فيه الطباق (2) في قوله: "قال" و"فعل".

قال رحمه الله:

لَا تَلِي الْحُكْمَ وَإِنْ هُمْ سَأَلُوا
رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَذَلْ

قوله: "لا تلي" لا (3) الناهية و"تلي" مجزوم بها ونشبع الحركة، فربما تولدت الياء بعد ذلك وما رجعت إلا بحركة الإشباع وقيل هي لغة (4) ومثلها في الشعر كثير كقول الشاعر:

أَلَمْ يَأْتِكَ وَالْأَنْبَاءَ تَنْمِي
بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ (5)

وقيل هي من عيوب الشعر (6) الجائزة العشرة المذكورة في محلها للكسائي و"تلي" هذه من الولاية يقال: وليته ولاية أي قلدته إياها.

و"الحكم" بضم الحاء وسكون الكاف، قال في القاموس: "هو القضاء وجمعه أحكام والإسم الحكمة والأحكام (7)" إنتهى.

المراد منه وقوله "وإن هم سألوا" أي: وإن سألوا في توليتك وطلبوك من أنفسهم فلا تليه لأنه شيء خطر ومزلة أقدام.

وقوله: "رغبة فيك" أي لأجل الرغبة فيك أو حالة كونهم راغبين فيك يقال: رغب فيه

(1) - من "قال أصحاب البديع" إلى قوله "تأمل" ساقطة في (ظ).

(2) - راجع ص 127 من قسم التحقيق.

(3) - راجع معاني الحروف للروماني، ص 83.

(4) - قرئ "تأت" بخذف الياء كما قالوا: "لا أدر" وهي لغة هذيل، ويجوز في الشعر إثبات الياء وعدم حذفها للضرورة الشعرية.

راجع لسان العرب لابن منظور، مادة: أتى، ج 1، ص 22.

(5) - البيت ينسب لقيس بن زهير العبسي.

(6) - أنظر تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب للشيخ أبي شنب. دار الغرب الإسلامي ص 116 والوالم في العروض والقوافي للخطيب التبريزي.

تحقيق فخر الدين قباوة. دار الفكر. دمشق ص 215.

(7) - أنظر القاموس المحيط للفروغ أبادي، مادة: حكم، ج 4، ص 99

أي: أراده، وورغب عنه، أي: لم يرده، فلا تل القضاء أبدا وإن سألوك فيه وكانوا راغبين فيك فستنقلب رغبتهم فيك برغبتهم عنك وستنقلب الأحباب أعداء لك أو نصفهم كما سيأتي في البيت بعده.

ولو كان القضاء خيرا ما أباه سيدنا ومولانا أبو حنيفة النعمان (1) والشافعي (2) رضي الله عنهما، وغيرهما من أمثال القوم.

قال العز بن عبد السلام (3): "وقد كان السلف الصالح يمتنعون عن الدخول في القضاء مع تأهلهم له لورعهم ومراقبتهم الله تعالى خوفا مما عساه يحصل من هفوة ونحوها فمنهم سيدنا ومولانا إمامنا محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه " لما كتب له المأمون (4) يستدعيه لتولية القضاء في الشرق والغرب فأبى ودعا (5) بالمزيني في مرض موته ونهاه عن تول القضاء وأظهر له كتاب المأمون وقال له: إني لم أظهره لأحد غيرك" حكاها القاضي أبو الطيب الطبري (6) ، ومنهم الإمام أبو حنيفة لما (7) مر عمر (8).

وقوله: "وخالف من عدل" أي أترك من لامك في تركه فإنه لا ينفك عند الله

- (1) - أبو حنيفة النعمان: بن ثابت، فقيه العراق، من سلالة فارسية، نشأ بالكوفة وعاصر بعض الصحابة، إمتنبت فقهه من القرآن الكريم وما صح عنده من الحديث مع استعمال الرأي والقياس.. كان عالما زاهدا وإماما في القياس.. مناقبه وفضائله كثيرة.. أنظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج5، ص39.
- (2) - راجع ترجمته ص130 من قسم التحقيق.
- (3) - راجع ترجمته ص154 من قسم التحقيق.
- (4) - المأمون: "عبد الله بن هارون الرشيد وكنيته أبو جعفر وأمه باذغيسية وإسمها مراحل وقيل أن كنيته أبو العباس.. بويح وهو ابن ثمان وعشرين سنة قال المسعودي: "وللمأمون أخبار حسان ومعان وسير ومجالات وأشعار وأخلاق جميلة" وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة". أنظر مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، ج4، ص4.
- (5) - وردت في أصل المخطوطة: (دعى) والصواب: (دعا) بالألف الممدودة.

- (7) - أبو الطيب الطبري: "توفي عن مائة وستين ولم يحتل عمله ولا تغير فهمه، يفتي مع الفقهاء ويستدرك عليهم ويقضي ويشهد، قرأ على أبي سعيد الأسماء.. ارتحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، حضر مجلس أبي حامد.. شرح مختصر المرني و صنف في الخلاف والمذهب والأصول والجدل كتب كثيرة.. " انظر شذرات الذهب لابن العماد ، ج3، ص284.
- (8) - تركه الناسخ بياضا بعد لفظ (لما) وقيل كلمة (مر).
- (9) - من قوله "قال العز بن عبد السلام" إلى قوله "عمر" ساقطة في (ظ).

شيء كيف؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم (قَاضٍ فِي الْجَنَّةِ وَقَاضِيَانِ فِي النَّارِ) (1) وفي رواية أخرى بتقديم "القاضيين" على لفظ "القاضي" كما في الجامع الصغير (2) (قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضِي فِي الْجَنَّةِ) (3) قال المحشي رحمه الله تعالى: ومن مائتين سنة بعد الهجرة لم يوجد قاضي الجنة.

تأمل:

والمعنى صريح صحيح لا يحتاج إلى بيان، والكلام في هذا طويل إختصرناه لما تقدم. والشيخ رحمه الله تولى القضاء نيابة وعزل نفسه وحلف لا يليه أبداً لمنام رآه وكنا وعدنا به في أول الكتاب وهذا محله، وفي نسخة بمال وخول والخول: محرکه، ما أعطاك الله من المال ذكره في القاموس فعلى هذا يكون عطف مرادف.

قال رحمه الله:

إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءٌ لِمَنْ
وَلِيَ الْأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلُ
فَهُوَ كَالْمُحْبُوسِ عَنِ لِدَاتِهِ
وَكَأَنَّ كَفَيْهِ فِي الْحَشْرِ تُغَلُّ

قوله: "إن نصف الناس" هذه "إن" المؤكدة للخبر وكان ولده (4) ينكر هذا الخبر أولاً ينكره فنزله منزلة المنكر، وألقى إليه الحكم مؤكداً "بأن" و"نصف" إسمها منصوب بها مضاف و"الناس" مضاف إليه و"نصف" بكسر النون وسكون الهاء المهملة هو الشطر أو مثله و"الناس" (5) يكون من الأنس والجن هكذا ذكر في القاموس. أصله: أناس جمع هذا الجمع وهو جمع عزيز أدخل عليه اللام و"الناس" مأخوذ من ناس إذا تحرك منه وأناسه: حركه أو من نوس بالمكان تنويسا إذا أقام به.

(1) - أخرجه ابن ماجة في صحيح سننه، ج2، ص34.

(2) - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أودع فيه الكلم النبوية الوفا من الحكم المصطفوية صنوفا على الأحاديث الوجيزة بالغ في تحرير التخريج
انظر الجامع الصغير للسيوطي، ص3.

(3) - الجامع الصغير للسيوطي، ج1، ص81.

(4) - في (ظ) "إبته".

(5) - راجع القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: الأنس، ج2، ص198.

قوله: "أعداء" جمع عدو وهو الضد كما سبق، وهو خبر "إن"، وقوله: "لمن ولي الأحكام" أي الذي تولى القضاء أي: ولي القضاء. والأحكام: جمع حكم وجمعه باعتبار أفراده مع كل محكوم له ومحكوم عليه.

وقوله: "هذا إن عدل" إذا لم يجز في أحكامه وهو ظاهر، وهذا البيت علة للبيت الذي قبله وعلل القضاء كثيرة إلا أنه إختار هذه العلة من بينها لأن العقل يشهد بصحته ولا قدرة له على مخالفته لأن الحاكم إذا حكم بين إثنين قضى على أحدهما للآخر فمن قضى عليه صار عدوا له وإن كان بحق، ومن قضى له صار راضيا مسرورا محبا⁽¹⁾ وإن كان باطل، فمن هذا انقسم الناس قسمين: راضيا وساخطا، فبان بذلك أن نصف الناس أعداء له وأما إذا جار والعياذ بالله في أحكامه فرجما صار الناس كلهم أعداء له لأنه لم يرض الله ورسوله ولا الناس، ومن علل القضاء [أيضا]⁽²⁾ إذا كان عادلا صير يومه كالمحبوس.

وقوله: "فهو كالمحبوس" الفاء فيه للترتيب الخبري ولا معنى له هنا غيره لأنه لا قدرة له على التفريط في الحضور لإضاعة مصالح الناس، وفي هذا الزمان المبارك مراعاة لمن ولّاه القضاء أو لغير ذلك، فلو أراد أن يجلس في بيته يوما واحدا قد لا يتيسر له ذلك.

و"لذات" جمع لذة من أكل وشرب ونكاح مباح وغير ذلك، إذ اللذات تختلف باختلاف الأغراض.

وآخرة الأمر أن كفيه يغلان أي يجعلان في غل وهو حديد يجعل في العنق، وفيه ذل في الدنيا والآخرة أشد ذلا.

تبيهه لا اعتراض على الشيخ في قوله: "تغل" فإنه أفرد بعد التشية وهو كقوله تعالى: (كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا)⁽³⁾ وهو عربي فصيح لأن لفظ "كلا"⁽⁴⁾ و"كلتا"⁽⁵⁾ مفرد ومعناها مثني.

(1) - "محبا" ساقطة في (ظ).

(2) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبت من (ظ).

(3) - تمام الآية: قال الله تعالى: كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا. سورة الكهف، الآية: 33.

(4) - راجع معنى اللبيب لابن هشام، ج 1، ص 228 وكتاب الشعر لأبي علي الفارسي تحقيق محمود الطناحي مكتبة الخالجي القاهرة ج 1 ص 131

(5) - نفس المرجع السابق. ج 1 ص 131.

فمن راعى (١) المعنى ثنى، والإعتبار المذكور في قول الشاعر:

كِلَاهُمَا حِينَ جَدَّ الْجَرَى بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَعَا وَكَلَا أُنْفِيَهُمَا رَأْيِي بِي (٢)

وأتى ذلك في كتب النحو، إذا حشر مع الناس لأنه أخذ الرشوة وما يحصله من أمر القضاء بيده، فتغلان يدها لذلك، ومن علت يدها خيف عليه العذاب (٣) بأشد من ذلك.

والبيتان من حسن التعليل (٤) وفيهما الإيغال (٥) والغلو (٦) وفي البيت الثاني: مراعاة النظر (٧) في ذكر "الحبس" و"الغل".

قال رحمه الله تعالى ونفع به (٨):

إِنَّ لِلنَّقْصِ وَالْإِسْتِنْقَالِ فِي لَفْظَةِ الْقَاضِي لَوْعْظًا وَمَثَلٌ

قوله: "إنَّ للنقص" هي أن الناسخة للمبتدأ والخبر، وتدخل لتأكيد الحكم كما تقدم.

وقد تقدم مثلها قريباً فما قيل هناك (٩) يقال مثله هنا و:النقص" الخسران في الحظ وغيره، ونقص لازم ومتعد ويقال: "دخل عليه نقص في دينه ولا يقال نقصان" هكذا قال في القاموس (١٠): والناقص والمنقوص سيئان، وأما في اصطلاح النحاة فيقولون: ما ختم بياء ساكنة قبلها كسرة لازمة كقاضي فهو منقوص، أي: نقص فيه الإعراب، فإنه يقدر رفعه وجره وأما نصبه فيظهر.

(١) - وردت (راعى) والصواب (راعى).

(٢) - البيت للفرزدق.

(٣) - وردت في أصل المخطوطة: (التعذب) والصواب ما أوردناه.

(٤) - راجع ص ٢٣٥ من قسم التحقيق.

(٥) - راجع ص ٢٦٢ من قسم التحقيق.

(٦) - راجع ص ١٧٣ من قسم التحقيق.

(٧) - من "أتى ذلك" إلى قوله "مراعاة النظر" ساقطة في (ظ).

(٨) - "رحمه الله تعالى ونفع به" ساقطة في (ظ).

(٩) - وردت في أصل المخطوطة: (هاك) تحريف.

(١٠) - القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة: نقص، ص ٣٢٩.

قال في ألفية النحو (1) لابن مالك (2):

وَالْقَاضِي مَنقُوصٌ وَنَضْبُهُ ظَهْرٌ
فَيَقْدَرُ فِيهِ الرَّفْعُ وَالْجَرُّ (3)

لثقل الحركة على الياء ففيه الثقل، وفيه النقص. وقد أشار إليهما الشيخ في قوله: "إن للنقص والاستثقال في لفظة القاضي" حكمة بديعة غريبة لم يطلع عليها النحاة وقت تكلمهم على إعراب الكلمة وإنما وقع ذلك اتفاقاً، فصار كالوعظ والمثل يضرب للإنسان وهو اتفاق وقع للشيخ أنه عثر عليه بفكره ونظره ذكره لولده لينفر طبعه عن القضاء ويخوفه منه، إذ هو مهلكة (4).

وفي البيت من أنواع البديع: الاتفاق: وهو عزيز الوقوع جداً كما قال علماء البديع وهو أن يتفق للشاعر واقعة ونكتة يستخرجها من الكلام ومن الوقائع. وربما أسماه كذلك لتلك الواقعة، تعلمه العمل في نفسها إما بالمشاهدة أو بالسماع (5) فإن للسبق في معاني الوقائع التي يشترك الناس في مشاهدتها وسماعها فضلاً، لا يجحد وإن حصل للشاعر في ذلك قران سعد سارت الركبان بقوله، كما اتفق للرضي ابن حصينة (6) المصري في حسام الدين لؤلؤ (7) حاجب الملك

(1) - ألفية النحو: راجع ص 115 من قسم التحقيق.

(2) - ابن مالك: سبق الترجمة له راجع ص 114 من قسم التحقيق.

(3) - عجز البيت: ورد في متن الألفية: (وَرَفَعَهُ يَتَوَى كَذَا أَيْضًا يَجْرُ) الألفية ص 7

(4) - في (ظ) "مهلك".

(5) - وردت في أصل المخطوطة: "بسماع" تحريف.

(6) - الرضي بن حصينة: "الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن أبي حصينة السلمي، المعري، ولد في المعرة.. وهو شاعر، مكثر، مطيل، فياض الشاعرية، جيد الشعر أكثر شعره المديح، مدح به آل مرداس.. رثاؤه قليل.. وله وصف للطبيعة وللحرب وله غزل وحمز.. توفي في سروج.. انظر الأعلام للزركلي، ج 2، ص 197. وفوات الوفيات، ج 1، ص 332.

(7) - لؤلؤ الحاجب: "العادي له مواقف حميدة بالسواحل، كان مقدم المجاهدين المؤيدين الذين ساروا لحرب الفرنج الذين قصدوا الحرم النبوي في البحر.. كان لؤلؤ شيخاً أرمينياً من غلمان القصر فخدم مع صلاح الدين فكان أينما اتجه فتح ونصر.. انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج 4، ص 336.

الناصر صلاح الدين يوسف⁽¹⁾ حين اغزا⁽²⁾ الفرنج الذين قصدوا الحجاز⁽³⁾ من بحر القلزم⁽⁴⁾، وظفر الحجاب بهم، فقال ابن حصينة يخاطب الفرنج:

عَدُوْكُمْ لَوْلُوْ وَابْحَرُ مَسْكَنَهُ
وَالدَّرُ فِي الْبَحْرِ لَا يَخْشَى مِنْ الْغَيْدِ

ومثله قول الصفي الحلبي⁽⁵⁾ في بديعته:

وَمَنْ غَدَا اسْمُ أُمَّه نَعْتَا لَامَتَهُ
فَتِلْكَ آمِنَهُ مِنْ سَائِرِ النَّقَمِ

ومنه قول الساعاتي⁽⁶⁾ وقد قصد الملك الناصر المتقدم ذكره قريبا، بيت يعقوب من حصون الشام مخاطبا الفرنج.

دعوا بيت يعقوب قد جاء يوسف

.....

(1) - الملك الناصر صلاح الدين يوسف: "أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب: صلاح الدين صاحب الديار المصرية، والبلاد الشامية والفراتية واليمانية.. ولد سنة الثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت. "انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج7 ص139.

(2) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(3) - الحجاز: "بالكسر وآخره زاي، قال أبو بكر الانباري: وفي الحجاز وجهان أن يكون مأخوذ من قول العرب حجز الرجل بعيره: إذا شده شدا يقيده به، ويقال للجدل حجاز.. وقالوا أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب، أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازا لأنه حجز بين العور وهو تهامة، وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر.. "انظر آثار البلاد والعباد للقسوي، دار بيروت للطباعة والنشر، ص84، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ج2، ص253.

(4) - بحر القلزم: "شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان ثم يمتد مغربا، وفي أقصاه مدينة القلزم قرب مصر، ولذلك سمي بحر القلزم، ويسمى في كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع.. "انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، ج1، ص419، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنوبري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1، ص233.

(5) - الصفي الحلبي: "أبو الحامس عبد العزيز بن سرايا بن علي بن باق بن عبد الله السنيس، الطائي، الحلبي، ولد الشاعر في مدينة الحلة، وهي مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد.. خلف لنا آثار أدبية هامة منها: "درر النحو في مدائح الملك المنصور، والخدمة الجليلة، والرسالة التوأمية والدر النفيس في أجناس التجنيس.. توفي الشاعر ببغداد في شهر ذي الحجة سنة 750 هـ / 1349 م انظر النجوم الزاهرة، ج10، ص238. وتاريخ الأدب العربي (العصر المملوكي) عمر وموسى باشا دار الفكر بيروت، ص275.

(6) - ابن الساعاتي: "أبو الحسن علي بن رستم بن هرذ المعروف بابن الساعاتي الملقب بهاء الدين الشاعر المشهور، المرز في حلية المتأخرين.. له ديوان شعر في مجلدين، أجاد فيه كل الإجادة، وديوان آخر لطيف، سماه (مقطعات النيل). انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج3، ص73.

لَا تُوَازِي لَذَّةَ الْحُكْمِ بِمَا ذَاقَهُ الشَّخْصُ إِذَا الشَّخْصُ الْعَزَلَ

قوله: "لا توازي" بالرأي أي: لا تساوي، وفاعله: "لذة الحكم" واللذة ضد الألم وما يتلذذ به و"الحكم" الولاية، وقوله: "بما ذاقه" أي: بما يذوقه الشخص من ألم العزل والتنحي. عن الحكم إذا هو انغزل أي: تنحى عن الولاية فإنه يذوق ألما كثيرا وربما مرض قهرا. قال العقلاء: العزل عن المنصب حيز الرجال. وهذا لمن له ميل إلى الولاية ومحبة فيها.

وأما من يكرهها ولا يشتهيها فإذا عزل فرح، أو عزل نفسه، كما وقع للناظم فإنه ولي بالرغم عليه ثم عزل نفسه بعد مدة لنام رآه كما سبق الوعد به في أول الكتاب وصورته، ولكن توليته كانت بلا رغبة منه فمن أجل ذلك فرح لما عزل نفسه، وزالت عنه هذه الحملة الثقيلة والنصب الشديد، فبالغ في نصح ولده فيها لما يعلمه منها ومن خطرها، وقد أطاعه ولده وامثل أمره، ولم يتول القضاء مدة عمره.

والبيت ظاهر ومعناه بين، وفي البيت من الصناعة البديعية: الطباق (٢) في قوله: "لذة الحكم"، وفي قوله: "ذاقه الشخص إذ هو انغزل" والمراد ما ذاقه من ألم العزل، وفيه مراعاة النظير (٣) في: "اللذة" و"ما ذاق" وهو ظاهر.

قال رحمه الله (٤):

نَصَبُ الْمَنْصِبِ أَوْهَى جَلْدِي وَعَنَائِي مِنْ مُدَارَاتِ السُّفْلِ

قوله: "نصب المنصب" هو مصدر نصب كفرح اعنى وانصبه. قال صاحب القاموس: وسمع نصبه اهم نصبه فعلى هذا يكون لازما ومتعديا، فالنصب هنا التعب، والمنصب: الولاية، وهو

(١) - ما بين المعقوفين، ساقط في (ن) أثبتته من (ظ)

(٢) - راجع ص ١٢٧ من قسم التحقيق.

(٣) - راجع ص ١٧٣ من قسم التحقيق

(٤) - رحمه الله، ساقطة في (ظ)

مأخوذ من النصب، وسمى منصبا (١) لذلك.

وقوله: "أوهى جلدي" يقال: أوهى، يهي، ضعف، وأوهى: أضعف. و"جلدي" المراد بالجلد: الشدة والقوة، قال في القاموس: "الجلد: شدة اللام: الشدة والقوة وهو جلد وجليد وتجلد تكلف (٢)".

وقوله: "وعنائي" أي تعبي، وهو معطوف على فاعل "أوهى" وهو الضمير الراجع لنصب، وهو عطف جملة اسمية على جملة اسمية.

وقوله: "من مدارات السفل" وهو خبر المبتدأ الذي هو عنائي" وكأنه يتألم ويتبرّم من شيئين: الأول: نصب المنصب وتعبه، والثاني: من تعبته أيضا من مدارات السفل بالضم، وفي الظاهر لكنه وإن كان أجنيا عما بصدده إلا أنه أراد تسلية ولده وإنه لا بد من مدارات السفل كما فعل، هو جمع سفلة وسفلة بالكسر كفرح وهم أسافل الناس وغوغاؤهم (٣).

وفي البيت من أنواع البديع: جناس الاشتقاق (٤) في "نصب" و"منصب" أو الجناس المرفل، وفيه الطباق (٥) بين "أوهى" و"جلدي" لأن الأول بمعنى الضعف والثاني بمعنى القوة وفيه تمكين القافية (٦)، فإنها قارة في محلها.

قال رحمه الله:

قَصْرُ الْأَمَالِ فِي الدُّنْيَا تَفْزُرُ
فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
إِنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ الْمَوْتُ عَلَى
غِرَّةٍ جَدِيدٍ بِالْوَجَلِ

(١) - القاموس المحيط، مادة: نصب، ج ١، ص 137.

(٢) - نفس المرجع السابق، مادة: جلد ج ١، ص 293.

(٣) - وردت في أصل المخطوطة: "غوغاهم"

(٤) - جناس الاشتقاق: "وهو أن يجتمعا في أصل الاشتقاق، ويسمى أيضا المقنضب نحو: فإقم وجهك للدين القيم" "فروح وريحان"

انظر شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي، ص 147.

(٥) - راجع ص 127 من قسم التحقيق.

(٦) - راجع ص 150 من قسم التحقيق.

قوله: "قصر الآمال" القصر كعب خلاف الطول، وقصر على وزن كرم (1). انتهى.

و"قصر" فعل أمر من قصر المثلث والأول المخفف، و"الآمال" مفعوله، جمع: أمل وهو الرجاء، وفي القاموس: "الأمل محرّكة كجبل ونجم وبشر الدجا جمعه: آمال (2)" انتهى.

ويطلق الأمل على الثبت في الأمور والنظر، وقوله في الدنيا، تقدم تعريف الدنيا والكلام عليها في قول الشيخ.

"فاقطع الدنيا فمن عاداتها" وقوله: "تفز" هو مضارع مجزوم في جواب الأمر أي: إن تقصير (3) الآمال في الدنيا فوز والفوز: الظفر المطلوب.

وقوله: "فدليل العقل" أي التام النافع، والدليل: ما يستدل به أو هو الموصّر للمطلوب (4) أي دليل وجوده وحصوله، تقصير الأمل" أي في الدنيا بدليل الأوّل في صدر البيت، فدليل وجود العقل النافع تقصير آمال الإنسان في الدنيا والتأهب للآخرة والعمل لها لأنها ليست دار بقاء بل هي دار فناء وزوال، وهذا وإن كان راکزاً في الطبيعة، معلوماً لكل إنسان بالضرورة، إلا أنه لطول (5) آماله أعرض عن هذا التأهب.

وقطع الأمل في الدنيا إنّما يكون للمراقب المهّي للقاء ربّه، الداخل في قوله صلّى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) (6)، والشيخ رحمه الله كان متلبساً بما أمر به ولده ورباه به، ولا تعتقد أنه ممن يقول ولا يعمل - استغفر الله في حقه - ثم إنه علل هذه الوصية بقوله بعدها: "إن من يطلبه الموت على غرة" أي: لأن من يطلبه الموت وهو مفارقة الروح

(1) - انظر القاموس المحيط للفروز أبادي، مادة: قصر، ج2، ص117.

(2) - القاموس المحيط، مادة: أمل، ج3، ص330.

(3) - في (ظ) "تقصر" والصواب من (ق).

(4) - في (ظ) "المقصود".

(5) - "لطول" ساقطة في (ظ).

(6) - تمام الحديث: حدثنا هذّاب بن خالد، حدثنا همام، حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن عبادة بن صامت أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه".

صحيح البخاري، كتاب الرقاق، ج8، ص190، وصحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ص2065.

الروح الجسد، طلبا حثيثا لا يمكن الانفكاك عنه بمال جدير أي حقيق بالوجل أي: بالخوف، ويحتمل أن المتعلق بالخوف من الموت أو بالخوف من الله إنما لم يخص بواحد منها ليعم، وهذا شأن البليغ، والموت لا يأتي إلا على غفل وغرة من العبد، أي: بغتة (1).

إلا أن يعلمه معصوم بذلك فمعلوم استيثاره بها، وقد يطلع على بعضها بعض من عباده وهذا معاين. وقع فلا ريب ولا شك، وهو كما قال تعالى: (فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ) (2) (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ) (3) إلا بما في الخصائص الصغرى الصحيح أن الله أطلع نبيه محمد عليهما جميعا وأمره بكنتم ذلك.

فإن الله يطلع نبيه أو وليه على ذلك، وأما استيثار الله بذلك وبالغية المذكورة في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) (4) الآية.

وفي البيت الأول من أنواع البديع: رد العجز على الصدر (5)، وفيه التبديل (6)، والعكس وقد تقدم مثله، وتعريفه، وفيه الاشتقاق (7) في "قصر" و"تقصير" وفيه تمكين القافية (8) وتقدم تعريفه، والبيت الثاني وهو قوله: "إن من يطلبه الموت" إلخ. فيه حسن

(1) - وردت في أصل المخطوطة: (بغية) والصواب: (بغتة).

(2) - تمام الآية: قال الله تعالى: "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسئل من بين يديه ومن خلفه رصداً" سورة الجن: الآيات: 26-27.

(3) - تمام الآية: قال الله تعالى: "لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم" سورة البقرة، الآية: 254.

(4) - قال الله تعالى: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي آرض تموت إن الله عليم خبير". سورة لقمان الآية: 31.

(5) - راجع ط 149 من قسم التحقيق.

(6) - راجع ص 181 من قسم التحقيق.

(7) - راجع ط 173 من قسم التحقيق.

(8) - راجع ص 150 من قسم التحقيق.

التعليل⁽¹⁾، وفيه السلاسة⁽²⁾ وتقدمت، وفيه تتميم البيت الأول، وفيه تبين ما أدمجه في البيت الأول وهو: التخويف، فصرح به في الثاني بقوله: "جدير بالوجل".
قال رحمه الله:

حَبٌّ وَزُرٌّ غَبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَصْمَاهُ الْمَلَلُ

"حب" بضم الحاء المهملة وتشديد الباء أيضا⁽³⁾ وهو أيضا أمر بالمحبة⁽⁴⁾ أي: في الله فإنها فضيلة محبوبة، مندوب إليها (والله يحب المتحابين فيه، المتزاورين فيه)⁽⁵⁾ وقد ورد في فضل ذلك، والثواب عليه أحاديث جمة معلومة لا نطيل بذكرها. ويخفف هذا الفعل لأجل الوزن أو يسكن مخففا للوزن أيضا. ثم قال: "وزر غبا" من الزيارة وهي التردد مرة بعد أخرى وقيل: يوما بعد يوم وقيل هي في الحديث محمولة على إعادة المريض يوما بعد يوم، أو وقتا بعد وقت، كما هي من السنة واسم الفاعل منه: زائر والجمع: زائرون.

و"حب" و"زر" فعلا⁽⁶⁾ أمر. أمر ولده بالمحبة في الله تعالى والزيارة فيه ثم اعلمه أن الزيارة لا تكون بالإكثار بل تكون بالإقلال. قال العلماء وهذا في غير الغريب.

قوله: "زر غبا" فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، والمعنى: إن أحببت وزرت مقللا في الزيارة ازداد المزور حبا فيك أي: محبة، فإن الحب بالضم: المحبة وبالكسر المحبوب.

وقوله: "فمن أكثر الترداد بشرطها، والترداد بمعنى التردد، والذي يكثر ترده يخشى عليه من الملل والسآمة، وجواب الشرط قوله: "أصماه" بمعنى: أهلكه الملل، هو فاعل: "أصماه"

(1) - راجع ص 35 من قسم التحقيق.

(2) - في (ظ) "السلامة" والصواب من (ق).

(3) - "أيضا" ساقطة في (ظ).

(4) - وردت في أصل المخطوطة: (من المحبة) والصواب: (بالمحبة).

(5) - الحديث: عن أبي ادريس الخولاني.. عن معاذ بن جبل، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله تبارك وتعالى:

وحب محبتي للمتحابين والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في". موطأ الإمام مالك، ص 680.

(6) - وردت: (فعل) والصواب: (فعلا).

والمثل " مفسر بالسامة، وأصل الأسماء⁽¹⁾: الرمي في المقتل، يقال: أصمى الرامي إذا أصاب المقتل، وقيل: وأسر إذا أصاب ولم يقتل وعلى هذا فالمعنى ظاهر لا يحتاج إلى تبيين، وفي البيت من أنواع البديع: التلميح⁽²⁾ وهو الإشارة إلى الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (زر غبا تزدد حبا) وفيه: التسجيع في "زر غبا تزدد حبا".

وفيه التتميم: في قوله⁽⁴⁾: فمن أكثر التزداد" وفيه الشطر الأول بالشطر الثاني، وهو من جملة الحكم التي ابداها لولده وعلمه⁽⁵⁾ إياها.
قال رحمه الله:

حُذِّ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَأَتْرُكُ غِمْدَهُ وَأَعْتَبِرْ فَضْلَ الْفَتَى ذُونَ الْحَلَلِ
لَا يَقْلُ الْفَضْلُ إِقْلَالَ كَمَا لَا يَضُرُّ الشَّمْسُ أَطْبَاقَ الطَّفَلِ

قوله: "خذ" الأخذ: التناول، وليس مرادا هنا، والمراد: حكم السيف بالأصالة إذا كان نصله طيبا، ولا تغتر بتزويقه ورونق حفيره وسيأتي المراد به⁽⁶⁾.

وقوله: "بنصل السيف" النصل هو حديدة، قال في القاموس: "النصل والنصلان حديدة السهم والرمح والسيف ما لم يكن له مقبض⁽⁷⁾" انتهى.

والمراد: استدل على حسن السيف بحقارة لحقيقته وأصالته، لا بتمويهه وتزويقه وتحسينه،

(1) - في (ظ) "أسماء" والصواب من (ق).

(2) - راجع ص 110 من قسم التحقيق.

(3) - الحديث رواه البزاز وأبو نعيم العسكري في الأمثال والبيهقي في الشعب، عن أبي هريرة، وقال في مسند غير قوي، وقال في اللآلئ رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: (زرروا غبا تزدادوا حبا). انظر كشف الخفاء ومزيل الالباس، ج 1، ص 438. والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. محمد الشوكاني. تحقيق عبد الرحمان اليماني. المكتب الإسلامي ص 260.

(4) - وردت: (بقوله) وهو تحريف، الصواب ما أوردناه.

(5) - وردت: (عمله) بدل: (علمه).

(6) - من "التزداد" إلى قوله "سيأتي المراد به" ساقطة في (ظ).

(7) - انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي، مادة: نصل، ج 4، ص 58.

فاجعل حُكْمَكَ⁽¹⁾ فيه وعليه بنصله، فإن كان حسنا فاحكم له بالحسن وإلا فلا تحكم له بالحسن، بتزويق غمده وتحليته؛ فإن تزويقه لا يفيد شيئا ولا يجعله طيبا، والغمد⁽²⁾ بالكسر: حفن⁽³⁾ السيف وجمعه: أغماد وغمود وأما بالفتح فمصدر غمده إذا جعله في الغمد كأغمده، وفي المعنى قول ابن نباتة⁽⁴⁾:

وَهَلْ يَنْفَعُ الْفَتِيَانَ⁽⁵⁾ حُسْنَ وَجُوهِهِمْ
إِذَا كَانَتِ الْأَعْرَاضُ غَيْرَ حَسَانِ
فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِ⁽⁶⁾

و"السيف" معروف وله أسماء كثيرة جمعها بعضهم في مؤلف.

وكأنه قال: إذا أردت أن تعتبر الإنسان إعتبره بما حواه من فضل وعلم وآداب: فإن قيمة الإنسان ما يحسنه منها، لا تعتبره بحسن الحلال فإنها تزويق، والتزويق هذا محل التبيين، ولم يذكر الأصل، إذ لا فائدة فيه مجردا عما ذكره والمراد "بالفتى" هنا الواحد من أبناء آدم، لا المأخوذ من الفتوة.

و"الحلل" بالضم جمع: حُلَّة⁽⁷⁾ بالضم أيضا، ولا تكون حلة إلا إذا كانت من إزار ورداء سواء

(1) - "حكّمك" ساقطة في (ظ).

(2) - راجع القاموس المحيط، مادة: غمد، ج1، ص321.

(3) - وردت في أصل المخطوطة: (حفر) والصواب: (حفن) راجع القاموس، ج1، ص321.

(4) - ابن نباتة: "أبو يحيى بن نباتة، خطيب الخطباء، عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة اللخمي المولود، المصري، خطابة حلب لسيف

الدولة، وفي خطبه دلالة على قوة علمه وسعته وقوة قريحته.. كان رجلا صالحا..

انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب للحنبلي، ج3، ص83.

(5) - وردت في أصل المخطوطة: (فتى).

(6) - هذا الشعر من البحر الطويل لابن نباتة السعدي.. قوله شبيه بقول المتنبي

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فَعَلِيَّهُ وَالْخَلَامُ قُ

راجع بيتمة الدهر للتعالي، ج2، ص388.

البيت الشعري ساقط في (ظ).

(7) - الحلة: رداء وقميص وتماها العمامة، قال: ولا يزال الثوب الجيد يقال له في الثياب حُلَّة.. وقيل: الحلة: كل ثوب جيد جديد =

كان رداء العادة أو غيره، قالوا: إلا إذا كانت من ثوبين أو ثوب له بطانة. ثم كرر⁽¹⁾ على ما قال مؤكدا له بقوله: " لا يقل الفضل إقلال" فلا هذه " لا " النافية و"يقل" بضم أوله لأنه من الرباعي، إذ الثلاثي منه لازم وفاعله في البيت "إقلال" و"الإقلال": قلة الجدة، ورجل مقلل وأقل: فقير " قاله في القاموس⁽²⁾، أي لا ينقص الفضل فقر الفتى ولا قلة جدواه.

قال سيدي عبد الله المنوفي⁽³⁾:

النَّفْسُ تَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرَةً وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى يُطغِيهَا
فغنى النَّفْسِ هُوَ الْغِنَى⁽⁴⁾ فجميع ما في الأرض ما يكفيها⁽⁵⁾

وقوله: "كما لا يضر الشمس اطباق الطفل" أي كما لا يضرها ولا يخرجها عن حقيقتها إدامة الطفل.

قال صاحب اللامية⁽⁶⁾: لامية العجم:

وَالشَّمْسُ رَأَد الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطِّفْلِ⁽⁷⁾

تلبسه، غليظ أو دقيق، لا يكون إلا إذا ثوبين وقال ابن شميل: الحلة: القميص والإزار والرداء، لا تكون أقل من هذه الثلاثة وقال ابن الأعرابي: يقال للإزار والرداء حلة، ولكل واحد لهما على انفراد حلة.

انظر لسان العرب مادة: حلل، ج2، ص978.

(1) - في (ظ) "كر" والصواب من (ق).

(2) - انظر القاموس المحيط، مادة: قلل، ج4، ص40.

(3) - سيدي عبد الله المنوفي: "الشيخ الصالح، الفقيه، المالكي، توفي يوم الأحد ثامن من شهر رمضان ودفن بالصحراء وقبره معروف يقصد للزيارة والتبرك". انظر النجوم الزاهرة، ج1، ص239.

(4) - وردت: (الغنا) بالألف المدودة، والصواب: (الغنى) ضد الفقر وهو الذي يصدد التحدث عنه.

(5) - وردت: (الغنا) بالألف المدودة، والصواب: (الغنى) ضد الفقر وهو الذي يصدد التحدث عنه.

(6) - صاحب لامية العجم: هو مؤيد الدين إسماعيل بن الحسين علي العميد الطغراني المتوفى سنة 514، نظمها ببغداد في وصف حاله وشكاية زمانه. انظر الغيث المنسجم في شرح لامية العجم للصفدي، ج1، ص2.

(7) - صدر البيت: (مجددي أخيرا ومجدي أو لا شرع) انظر شرح لامية العجم ج1، ص51.

أي الشمس أول⁽¹⁾ النهار كهي في آخره، إذا أدنت الشمس للغروب وقل ضوءها يقال له: طفل، وفي البيت الأول من أنواع البديع⁽²⁾ الاستعارة⁽³⁾، فإن الكلام في "الفتى" دون "السيف" استعار له "نصله" واستعار منه "غمده" وقد مثل بقول الشاعر:

تنال عني ردائي وعبد عمرو رويدك يا أخا عمرو
وأين يكون الشطر الذي ملكت عيني ودونك فاعتجز منه بشطر

استعارا لرد للسيف، والجامع بينهما: إن كل واحد يصون صاحبه، وفي مسألتنا استعار النصل للفتى⁽⁴⁾ والغمد للحال بجامع أن كل واحد منهما يتزين به.

تأمل. والكلام فيها يطول. ليس هذا محلا له، وفيه مراعاة النظير⁽⁵⁾ في: "نصل" و"سيف" و"غمد" وفيه الطباق⁽⁶⁾ في قوله: "خذ" و"اترك" وفي البيت الثاني الاشتقاق⁽⁷⁾ في قوله: "لا يقل" و"إقلال" والتشبيه الحسن في قوله: "كما" وما بعده إلى آخر البيت، وهو تكميل.

قال رحمه الله:

حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجَزٌ ظَاهِرٌ فَأَغْتَرِبْتُ تَلَقَّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلٌ
فَبِمُكْثِ الْمَاءِ يَبْقَى آسِنًا وَسُرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلُ

قوله: "حبك الأوطان" هو مصدر مضاف لفاعله وقع مبتدأ، و"الأوطان" مفعوله والخبر قوله: "عجز".

(1) - في (ظ) "أول" اللام ساقطة والصواب من (ق).

(2) - كلمة (بديع) ساقطة.

(3) - راجع ص 130 من قسم التحقيق.

(4) - وردت في الأصل: (فتا) بالألف الممدودة، والصواب ما أوردها.

(5) - راجع ص 177 من قسم التحقيق.

(6) - راجع ص 127 من قسم التحقيق.

(7) - راجع ص 173 من قسم التحقيق.

"والأوطان: جمع وطن يحرك ويسكن، وهو منزل الإقامة" كما قاله في القاموس (1).

"العجز" بالسكون مصدر عجز واسم الفاعل منه عاجز، و"ظاهر" نعت له أي: بين الدلالة على العجز، وفي الكلام حذف تقديره: حبك المكث والإقامة في الأوطان فهو مجاز في الحذف كما في قوله تعالى: (وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ) (2) أي أهلها، والهجرة مندوب إليها. قال العلماء وقد تكون واجبة كما إذا كانت في بلدة فيها يسب الصحابة رضي الله عنهم، والأولياء جهارا، وكانوا يرتكبون المعاصي ويخاف أن يفعل كفعالهم، والترجيح مذكور في محله والسفر محبوب يرغب فيه. قال صلى الله عليه وسلم: (سافروا تغنموا، سافروا ترزقوا سافروا تغنموا وتصحوا) (3). وللشعراء في الهجرة أقوال كثيرة قال ابن قلاقس (4):

قلقل رِكَابك في الفِلا ودع الغوانسي للخـدور
وخالف أوطانهم أمثال سكان القبور
لولا التقل ما ارتقى در البحور إلى النحور (5)

(1) - راجع القاموس المحيط، مادة: وطن، ج 4، ص 278.

(2) - تمام الآية: قال الله تعالى: (وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) سورة يوسف، الآية: 12.

(3) - حديث منكر رواه ابن عدي والطبراني في الأوسط وابن بشر في الآمالي.. رواه أبو نعيم عن سوار بن مصعب عن عطية عن أبي سعيد مرفوعا...". انظر الأحاديث الضعيفة الألباني، ج 1، ص 422.

(4) - ابن قلاقس: "أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس شاعرا مجيدا، فاضلا ونبیلا، كانت ولادته بشفر الإسكندرية. دخل صقلية واتصل بالقائد أبو القاسم بن حجر، وصنف له كتابا سماه: (الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم وأجاده فيه).

انظر الأعلام للزركلي، ج 8، ص 24، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج 5، ص 385.

(5) - هذه الأبيات نسبت في أكثر من موضع للشاعر: صردر.. وأما ابن قلاقس فقد أخذ معنى البيت الثالث من هذه الأبيات ونظم شعره الذي يقول فيه:

سافر إذا حاولت قـدرا سار الهلال فصار بـدرا
والماء يكسب ما جرى طيما ويخث ما استقرا
وبنقله الـدردر النقيـ سة بدلت بالبحر لـدرا

والشراح هنا أخطأ في نسبة تلك الأبيات لابن قلاقس.

انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ج 5، ص 387، وشرح العلامة الصفدي على لامية العجم، ج 2، ص 76.

- الأبيات الشعرية ساقطة في (ظ).

قال صاحب لامية العجم (1) فيها أيضا:

إِنَّ الْعَلَا حَدَّثَنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
لَوْ أَنَّ فِي شَرْفِ الْمَأْوَى بَلْوُغٌ فَتَى
فِيمَا تَحَدَّثُ إِنَّ الْعِزَّ فِي النُّقْلِ
لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمْلِ

لأن الشمس شرفها في برج الحمل وهو أقوى سعد لها، يقال: تغرب: إذا نزع أي: بعد عن الوطن، ومثله الغربية والاغتراب.

قوله: "فاغترب [فعل أمر] (2) وتلق (3)" مجزوم في جواب الأمر محذوف الألف لأنه معتل. والمعنى أن تتغرب تلق عن الأهل "بدل (5)" وسكنة لأجل الوقف، وحرف الروي. وهي لغة لبعض من بنو ربيعة (6)، وإلا فالمنصوب لا يوقف عليه بالسكون، بل لا يوقف عليه بالألف الخفيفة الساكنة، فيقال: تلق غنى عن الأهل بدلا من غير تنوين وهذه هي اللغة الجيدة أي: تلق بدل أهلك أهلا والأهل العشيرة وذو قرابة الرجل قال القائل:

سَافِرٌ تَجِدُ عَوْضًا عَمَّنْ تَفَارِقُهُمْ
أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ

والبدل: الخلف أي تجد خلفا عنهم.

قوله: "بمكث الماء" أي: تطويل مكثه ولبثه يصير آسنا أي: متغيرا، نتنا، ولو سال أو سار على وجه الأرض لم يكن كذلك بل يكون على حالة طيبا غير متغير، وقد ضرب به مثلا فمن

(1) - راجع شرح الصفدي على لامية العجم، ج2، ص74، ودائرة المعارف للبستاني، ج11، ص311، وفن الشعر بين الروث والحداثة عبد العزيز النعماني، ص136.

(2) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(3) - وردت في الأصل: (تلقى) والصواب: (تلق) مجزوم محذوف ألفه لأنه معتل الآخر.

(4) - في (ظ) "بمكث" وهو الصواب.

(5) - وردت: (بدلا) والصواب: (بدل) لأجل الوقف.

(6) - بنو ربيعة بن نزار يسكنون في بداية نشأتهم حول الحرم وتهامة في الحجاز مع بقية إخوانهم من ولد نزار وانتقل بنو ربيعة إلى نجد ونواحي البحرين.. المشهور من آل ربيعة ثلاثة بطون: آل فضل وآل مرا وآل علي^{انظر}.. موسوعة القبائل العربية محمد سليمان الطيب. دار الفكر العربي ص35 وصبح الأعشى ج1 ص325.

لا يتغرب ولا يفارق وطنه لزيادة إلفته وهذا لا يعارض: (حب الوطن من الإيمان) (١) لأن التغرب ربما زاد المحبة ثم قال: "وسرى البدر به البدر اكتمل" السري: السير ليلا، وسير القمر وحلوله في المنازل: يكون ليلا بذلك يُكْتَسَبُ، نورا، ولا يزال ينمو حتى يبقى بدرا والبدر: هو القمر الممتلئ نورا وسماه بدرا باعتبار الأوّل.

قوله: "واكتمل" أي: صار كاملا ويؤخذ من تعليله أن كمال البدر وقامه إنما اكتسبه من سيره وحلوله في المنازل وفيه نظر.

تأمل:

قال رحمه الله تعالى (٢):

أَيُّهَا الْعَائِبُ قَوْلِي عَبْثًا إِنَّ طَيْبَ الْوَرْدِ مُؤَذِّبٌ بِالْجُعَلِ

قوله: "أيها" الهمزة لنداء القريب و"أي" منادى يوتى بها للتوصل لنداء ما فيه الألف واللام، قال علماء النحو: إذا قلت: يا أيها الرجل "فأي" والرجل كاسم واحد و"أي" منادى و"الرجل" تابع مخصص ملازم له.

لأن: "أي" (٣) مبهم لا يستعمل بدون المخصص، وكان قبل النداء يتخصص بالإضافة وتعوض عنها في النداء بالتخصص بالتابع، فإن كان مشتقا فهو نعت نحو: يا أيها الفاضل ومنه: مسألتنا: "أيها العائب قولي عبثا" وإن كان جامدا فهو عطف بيان نحو: يا أيها الغلام، ولزمته "هاء" التنييه تعويضا عما فاتته من الإضافة، وذكرت هذا كله لما فيه من حسن الفائدة، والعائب" نعت "لأي" المنادي.

(١) - موضوع كما قال الصّغاني وغيره.. ومعناه غير مستقيم، إذ أن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه، كل ذلك عزيز للإنسان.

راجع الأحاديث الضعيفة الموضوعه وأثرها السيئ في الأمة لمحمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ج١، ص١١٠، ومزيل الألباس للعجلوني، ج١، ص٣٤٥.

(٢) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(٣) - راجع التهذيب الوسيط في النحو لابن يعيش تحقيق: د. فخر الدين سليمان قدره، دار الجليل، بيروت، ص١٩٥.

يقال: عاب⁽¹⁾ فهو عائب وعاب: الفعل لازم ومتعد، وهو معيوب ومعيب والمراد بالعيب: الوصمة سواء عاب غيره وأعاب عليه قوله أو فعله، والعائب مضاف و"قولي" مضاف إليه.

قوله: "عبثا منه" أي: باطلا لا حاجة ولا فائدة له في ذلك وإنما هو مجرد الجسم. قوله: "إن طيب الورد" أي: عرفه ورائحته. "مؤذ بالجعل" الجعل⁽²⁾: دويبة يقال لها الجعلان أيضا، وعند العامة أبو جعران يجوز أن يكون مضموما، فيكون للمفرد وأن يكون مكسورها فيكون للجمع وهي⁽³⁾: تألف الحباث ولا تعيش إلا بها، والورد يؤذيها وقيل: يقتلها. فإذا وضعت الورد في طريقها فإن فطنت تحولت بسرعة وإلا وقفت عندها، وربما ماتت، ولا تقف عندها إلا تأذيا منها لأنها لا تعيش كما سبق إلا بالحباث وهذا ضرب مثال⁽⁴⁾ لمن عاب حكمه ووصاياه، وأنها لا عيب بها، وقد نصح وبالغ فجزاه الله خيرا.

وفي البيت من أنواع البديع: الاستعارة⁽⁵⁾، وفيه التورية أيضا في قوله: "إن طيب الورد مؤذ بالجعل" فإنه يحتمل أن يريد رائحة الورد نفيسه أو طيب أقواله هو عطرها إذ هو ابن الورد، فاستعار⁽⁶⁾ الطيب لحكمه ووصاياه، واستعار الجعل للعائب وفيه الاتفاق لأنه ابن وردى. [تأمل] ⁽⁷⁾. قال رحمه الله تعالى⁽⁸⁾:

عُدَّ عَنْ أَسْهُمِ قَوْلِي وَأَسْتَبْرَ
لَا يُصَيَّبُكَ سَهْمٌ مِنْ ثَعْلٍ
لَا يَغُرُّكَ لَيْنٌ مِنْ فَتَى
إِنَّ لِلْحَيَاتِ⁽⁹⁾ لَيْنًا يُعْتَزَلُ

(1) - انظر لسان العرب لابن منظور، مادة: عيب، ج 4، ص 3184.

(2) - الجعل: دابة سوداء من دواب الأرض، قيل: هو أبو جعلان، بفتح الجيم، وجمعه جعلان وقد جعل الماء، بالكسر، جعل أي كثر فيه الجعلان.. ويقال للجعل أبو وجزة بلغة طي، ورجل جعل: أسود دميم مشبه بالجعل..

انظر لسان العرب مادة: جعل، ج 1، ص 638.

(3) - من قوله "أبو جعران" إلى قوله "وهي تألف" ساقطة في (ظ).

(4) - في (ظ) "مثل" وهو الصواب.

(5) - راجع ص 139 من قسم التحقيق.

(6) - "مؤذ بالجعل" إلى قوله "فاستعار" ساقطة في (ظ).

(7) - ما بين المعقوفين ساقط في (ق) أثبتته من (ظ).

(8) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(9) - وردت في أصل المخطوطة: (حياة) و الصواب: (الحيات) جمع حية.

قوله: "عَدَّ" بفتح العين المهملة، وتشديد الدال مكسورة فعل أمر مبني على حذف الياء لاعتلاله بها مأخوذ من العجلة والسرعة في الشيء أي: إسرع و"استتر" أي: تجدد لك سترًا، يسترك أي: يمنعك من اسهم قولي. و"الأسهم" والسهم⁽¹⁾ جمع سهم ولا يكون سهما إلا إذا كان مشتملا على الريش والنصل، فإن لا يكن فيه ذلك فهو قدح. والسهم هنا استعارة للقول المؤلم وأخبره إن قوله لا يخطئ أبدا، كما أن "بني ثعل" طائفة من العرب منسوبون إلى جددهم هذا وهو أبوحي من طي، وهو: "ثعل بن عمرو"⁽²⁾ والطائي مشهور بالإصابة في رمي السهام.

قال في لامية العجم:

إني أريدُ طروقَ الحيِّ من أضْمٍ وقدَّ حمَاهُ⁽⁴⁾ رماةٌ من بني ثعل⁽⁵⁾

ثم قال: "لا يغرنك لين من فتى" هي: لا الناهية الجازمة للفعل، والفعل هنا مبني لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، فهو في محل الجزم بلا الناهية، وهو من: غره غرا وغرور، وغره بالكسر فهو مغرور، وغرير جزعه وأطعمه بالباطل، واغتر هو أي: لا يحدعك لين تراه من فتى، فما كل لين تؤمن غائلته، قوله "إن للحيات" جمع حية، وهو الذكر الأثني، وللحيات "خبر" إن" مقدم، و"لينا" اسمها، ويعتزل جملة فعلية نعت "لينا" ومعنى البيت لا يحدعك لين تجده في أو تعهده مني فالحيات لها لين يخشى منه، واللين في الموضعين مخفف لا مثقل. قال في النهاية: "يقال لين في مقام المدح ولا يشدد إلا في مقام الذم" ومنه: (المؤمنُ هين لين)⁽⁶⁾ بالتخفيف فيهما.

(1) - انظر القاموس المحيط، مادة: سهم، ج4، ص134.

(2) - ثعل بن عمرو أو عمرو بن المشيخ الثعلبي الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفود العرب فأسلم وهو ابن مائة وثمانين سنة، وكان ارمى العرب بالسهم وبنو ثعل مشهورون باتقان الرمي، وقد أكثر الشعراء من نسبة ذلك إليهم".
انظر طبقات الشعراء لابن قتيبة.

(4) - في (ظ) "حمته" والصواب من (ق).

(5) - ورد في أصل المخطوطة عجز البيت محرفا: (وقد حماه رماة الحي من ثعل) والصواب ما أوردها. راجع شرح لامية العجم، ج1، ص330.

(6) - ورد بلفظ: "المؤمن كيس، فطن، حذر، لا يعجل" رواه الديلمي والقضاعي عن أنس رفعه، وهو ضعيف.

انظر كشف الحفاء ومزيل الألباس للعجلوني، ج2، ص316.

وقوله: "يعتزل" أي: يتنحى عنه جانبا، لأن معنى "اعتزل" تنحى جانبا. وفي البيت من أنواع البديع الأول: الاستعارة في "أسهم" و"أستتر" وفي "سهم" والتشبيه البليغ (1): في "ثعل" وفي البيت الثاني: التأكيد للشطر الأول وهو قوله: "لا يغرنك لين من فتى" بالشطر الثاني وهو قوله: "إن للحيات لنا يعتزل" وفيه تمكين القافية (2)، وقد تقدم تعريفه.

قال رحمه الله تعالى:

أَنَا مِثْلُ الْمَاءِ سَهْلٌ سَائِغٌ وَإِذَا سُخِّنَ آذَى وَبَسَلٌ
أَنَا كَالْحَيْزُورِ صَعْبٌ كَسْرُهُ وَهُوَ لَيْنٌ كَيْفَمَا شِئْتَ أَنْفَتَلُ

قوله: "أنا مثل الماء" أي: شبه الماء³ الحلو العذب، الفرات في نفعه وسهولته وإساعته. و"السهل" من السهولة وهي: اللين وسرعة الانحدار في الحلق وسائغ أيضا في قولهم: "ساع الشراب سوغاً، سهل مدخله، ويقال: سغته، أسيفة، فهو لازم ومتعد فهما بمعنى واحد، أو متقاربان في معناهما.

قال الشاعر:

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصَّ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ

وكانه يقول: أنا مثل الماء في سهولته وإساعته لو لينت وسهلت، وأما إذا عوسرت وخوشنت فأنا مثله أيضا في حالة صورته، لأنه إذا سخن أذى، وبسل أي: قتل.

فأنا كذلك إذا غير من أجلي عدوي وادخل في سخونته العصب أكون كذلك.

قال جرير (4):

(1) - راجع ص 279 من قسم التحقيق.

(2) - راجع ص 150 من قسم التحقيق.

(3) - "الماء" ساقطة في (ظ).

(4) - جرير: "بن عطية الحطفي، نشأ في اليمامة وفيها مات ودفن، كان يكنى بأبي حزره وحزره كبير أولاده.. كان جرير يستهل أكثر قصائده المدحية والهجائية بالغزل التقليدي، عد جرير أهجاءهم وأنسبهم، واجمعهم لفنون الشعر أي: الشعراء." انظر ديوان جرير دار بيروت ص 8.

بَشْرُ بْنُ مِرْوَانَ إِنْ عَاسِرْتَهُ (١)

عَسِرَ عِنْدَ (٢) يَسَارِهِ مِيسُورٌ (٣)

وقال اصبع العدواني (٤):

لَا يَخْرُجُ الْعَسِرُ مِنْ غَيْرِ يَابَسَةٍ

وَلَا اللَّيْنُ لِمَنْ لَا يَتَغَيَّرُ لَيْنٌ

قال رحمه الله:

غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَنْ يَكُنُّ

فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلَى الْأَجَلُ

وَاجِبٌ عِنْدَ الْوَرَى إِكْرَامُهُ

وَقَلِيلُ الْمَالِ فِيهِمْ يُسْتَقَلُّ

يقول: أنا أبديت هذه النصائح للمسلمين وأخلصت فيها، ولعل سامعها لا يقتدي بي لأنني لست المولى الأجل، يحتمل أنه قال [ذلك تواضعا منه ويحتمل أنه قاله على بابه] (٥). و"المولى" هو السيد لأن الزمان؛ قد تغير أهله وصار ذو المال هو المولى الأجل، ولعل أهل هذا الزمن يقتدون به وبأقواله ولا يقتدون بي.

نقل لنا بعض الفضلاء: مولانا الشيخ أحمد المقرئ (٦) المغربي أنه انشده أخ له في الله من أهل العلم والفضل والصلاح بيتين مما نحن فيه وهما:

أَرَادَ النَّاسَ طَرَا كُلُّ ذِي غِنَى وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ فِي النَّاسِ أَهْلًا لِأَكْبَارِ

(١) - ورد في الأصل: (عاسرته) تحريف، والصواب: (عاسرته).

(٢) - ورد أيضا: (عندي) والصواب: (عند).

(٣) - انظر ديوان جرير، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف المصرية، ج ١، ص 366، وطبقات فحول الشعراء للجمحي إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، ص 109.

(٤) - راجع ترجمته ص 286 من قسم التحقيق.

(٥) - ما بين المعقوفين مقاطع في (ق) أثبتته من (ظ).

(٦) - أحمد المقرئ: "أحمد بن محمد المقرئ شهاب الدين، المغربي المالكي، نزيل مصر توفي بها.. له من التصانيف: "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، والجمان في مختصر أخبار الزمان ونفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" انظر هدية العارفين للبغدادي، ج 1، ص 157.

بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمة فما قبلوا إلا حديث بن دينار

وقال بعض الفضلاء أيضا (1):

عَتَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا لِتَقْدِيمِ جَاهِلِ
بَنُو الْجَهْلِ أَبْنَائِي هَذَا رَفَعْتَهُمْ
وَتَأخِيرِ عَالِمٍ فَقَالَتْ خُذِ الْعُدْرَةَ
وَأَهْلَ التَّقَى أَبْنَاءَ صُرْتِي الأُخْرَى

والبيت الأول كله اعتراض وقد عدوه من أنواع البديع على الصحيح، وإنما سماه بعضهم حشوا، والفرق أن الحشو إنما يأتي للانتقام من الوزن، والاعتراض من المحاسن المكملة للمعاني المقصودة ما يتميز به عن أنواع كثيرة.

قال رحمه الله تعالى (2):

كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غَمْرٌ وَأَنَا مِنْهُمْ فَاتْرُكْ تَفَاصِيلَ الْجَمَلِ

قوله: "كل أهل العصر" قال النحاة في لفظ "كل" أنها معيار العموم، فلم يخرج أحدا من أهل عصره. و"العصر" الزمن من حيث هو، إلا أنه يقيد، وهنا تقيد بعصر الشيخ رحمه الله. "الألف واللام" (3) للعهد الحضوري كما في قوله تعالى: (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (4) أي: اليوم الحاضر.

وقوله: "غمر" (5) إن كان بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وآخره راء مهملة فهو كما قال في القاموس: "الغمر: الماء الكثير كالغمر، وجمعه: غمار وغمور، ويطلق على معظم البحر، وعلى البحر جميعه من باب إطلاق اسم بعض (6) الشيء على كله" وهو مجاز صحيح مستعمل مذکور

(1) - في (ظ) "قال بعضهم".

(2) - "تعالى" ساقطة في (ظ).

(3) - راجع كتاب معاني الحروف لأبو الحسن الرماني النحوي، ص 65.

(4) - سورة المائدة، الآية: 3.

مادة: غمر

(5) - انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ج 2 ص 107.

(6) - "بعض" ساقطة في (ظ).

مذكور المراد: كل أهل العصر كالماء الكثير الذي ينتفع به فيكون كلامه مشتملا على التشبيه البليغ، المجرد عن الأداة، والمعنى صحيح ويجوز أن يكون قوله: "غمرا" بضم الغين المعجمة كما قاله في القاموس أيضا الذي لم يجرب الأمور فيكون المراد به الجاهل، الغبي. ولا شك ولا خفاء إن لم يلتفت إلى إصلاح آخرته واصلاح أمر دنياه فقط فهو جاهل، غبي بل وأحق لأنه ما انتفع بعلمه ولا عقله.

فإذا حكم على أهل عصره لأنهم التفتوا لإصلاح أحوالهم أيضا ومراده: أهل العصر المقيدون بالقيد الذي ذكره بقوله: غير اني في زمان" إلخ ويجوز أن يكون أراد كما هو الصحيح تشبيه أهل العصر ببحر مهول. لأن غمر وغمار من صفات البحر.

يقال: بحار غمار أي: مهولة. ولما قال هذين البيتين وخاف من أن يقال له: أنت من أهل العصر، أو من أن يقال له المتكلم: يدخل في عموم كلامه والتخلص قال هذا البيت: إحتراسا من ذلك وأدخل نفسه معهم تواضعا فقال وأنا منهم أي من أهل العصر فلا تفضلني من جملتهم "واترك تفاصيل الحمل" فباني داخل في جملتهم، وقد تفنن الشيخ رضي الله عنه في هذه القصيدة وأبدى فيها من الحكم والوصايا ما سمعت وما رأيت.

وجمع أنواع البديع فيها، وقد أحسن ختامها غاية الاحسان كما هو المطلوب من الشاعر والمنشئ⁽¹⁾، حسن الابتداء والاختتام.

أما الابتداء فقد سبق وتكلمنا عليه بما ينبغي، وأما حسن الاختتام فقد ظفر به أيضا وأتى به حسنا.

قال علماء البديع: يجب على الشاعر: حسن الاختتام⁽²⁾ لأنه آخر ما يبقى في الأسماع من الأقوال، وربما حفظ البيت المختتم به دون سائر الكلام في غالب الأحوال ولا يحسن السكوت على غيره، وله شواهد كثيرة من القرآن العزيز ومن كلام الشعراء ومن الرسائل، فلا نطيل بذكر ذلك، فليست هذه العجالة إلا مبنية على الاختصار.

(1) - "المنشئ" ساقطة في (ظ).

(2) - في (ظ) "الختم".

نفعلنا الله بناظمها⁽¹⁾ وبعلمومه وبركاته وأمدنا من مدده وأدخلنا الجنة معه ومع ولده آمين.

قال شارحها: ووافق الفراغ من هذه العجالة يوم الأحد خامس ربيع الأول من شهر عام 1071
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تم الشرح المبارك بحمد الله وحسن عونه على يد العبد، الفقير إلى مولاه، الغني محمد بن عمر
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولكافة المسلمين أجمعين.

الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

⁽¹⁾ - في (ظ) "بالناظم" والصواب من (ق).

الختام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الطويلة والشاقة والملتعة مع هذا البحث... الطويلة لأنها أخذت من الوقت حيزاً غير يسير، وشاقة لأنها اقتضت الصبر والاحتمال في الرجوع إلى المصادر والمراجع الكثيرة والكثيرة جداً التي يستلزمها البحث المتنوع المتشعب بطبعه. والملتعة لأن البحث بطبعه مفيد ونافع، وكلما انخرط الباحث فيه أعطاه منه تلك المتعة الكبيرة المتمثلة في الاكتشاف للجديد في كل مرحلة من مراحلها وفي كل فصل من فصوله، بل وفي كل مبحث من بحوثه.

بعد هذه الرحلة التي حملتنا إلى عصر من أزهي العصور وأكثرها تأليفاً ونشاطاً وفكراً وثقافة، ولكن مع ذلك لحقه ما أشرنا إليه من العسف والظلم؛ حيث سُمي عصر الانحطاط، وكان رمزاً عاماً للتدهور والتقهقر، بمقاييس ومعايير غير موضوعية؛ لأنها مقاييس المستشرقين وتلامذتهم من الباحثين والكتاب العرب المسلمين.

يحق لنا في نهاية هذه الرحلة أن نسجل جملة ملاحظات كنتائج لهذه الرحلة في البحث والدرس، والتنقيب والتحقيق، وأهم تلك النتائج:

1- أن الأدب كان في المنظور الإسلامي دوماً أدباً هادفاً، له وظائفه التربوية والتعليمية، والثقافية، والروحية.

2- أن الأديب المسلم كان يحمل دوماً تلك الروح الإيجابية نحو الآخر؛ من حيث يريد أن يجعل من أدبه أدباً ذا رسالة، قد تتمثل في النصيح والوعظ، وقد تكون في الدفاع عن العقيدة والمبادئ الإسلامية النبيلة، وعن الشرع وكل ما يحمله، كما أوضحت المنظومة.

3- تبين لنا أن قصيدة ابن الوردي المعروفة باسم " نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان " واحدة من الحلقات المهمة في تاريخ التراث الأدبي الديني الإسلامي التي حملت

راية ربط الأدب بالأخلاق والإيمان ، ذلك الربط الوثيق الذي لاتنقسم عراه، استنادا إلى الهدى القرآني الشريف.الذي يجعل الشعراء في مرتبة "الغاوين" ويستثنى منهم "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، والنصح والوعظ، ونقل التجربة الحياتية السليمة إلى الأبناء من أفضل الصالحات وأعظمها عند الله.وهو ما تبناه الشارح وأكد عليه كل التأكيد.

4- أفدنا من البحث الكشف عن "مظلمة" كبيرة لحقت عصرا من عصور الأدب والثقافة الإسلامية، وحاولنا قدر المستطاع تحقيق ذلك وبيان الخطأ فيه.وهو بعض الواجب الذي يجب أن ينهض به الباحثون والدارسون.

5- كشف لنا البحث عن سفير من الأسفار التراثية المهمة في تاريخ الأدب والثقافة الإسلامية،وهو "شرح الشيخ ياسين على منظومة ابن الوردي". وقد أكد ذلك مبدأ مهما في وجوب الاهتمام بتراثنا الإسلامي، في مختلف حقوله وميادينه،خاصة وأن أعداد المخطوطات المتناثرة هنا وهناك تعد بالآلاف دون أن يلقي العناية الكافية،إلا ما كان من اهتمام بعض المراكز المتخصصة في بعض الأقطار العربية، وهو ما لايمكن معه الاستجابة لحاجة ملحة تخص هذا التراث الذي لايمكن الحفاظ عليه بحق إلا بتحقيقه ونشره.

6- سمح لنا البحث بالتعرف عن قرب على مهمة"الشارح" ، ورأينا،خلافًا للكثير من الآراء المتسرعة، أن التصدي للشرح في مجال المنظومات خاصة،ليس مهمة سهلة أبدا. بل إنها من الصعوبة بمكان، فليس من مهمة الشارح أن يشرح ويفسر وحسب،ولكن يضيف إضافات جليلة القدر إلى المتن الذي يشرحه، وهو مرفع المدونة التي اعتمدها إلى هذا المستوى من الغني الفكري والمعرفي والأدبي، ما تدل عليه تلك الهواش الكثيرة المنشورة. وبمصطلحات العصر؛ فإن الشارح يتجاوز كثيرا مهمة الناقد العادي ، إلى ما هو أبعد من ذلك؛ حيث لا يكتفي بشرح النصوص ولكن يضيف إليها محمولات جديدة كثيرة تغني النص وتجعله في ميزان القاريء أثقل وأوفى.والشارح في متن البحث عالم جليل، له اهتمامات كثيرة،وله إلمام واسع بكثير من العلوم:شرعية. ولغوية بلاغية.

7- كما كشف لنا البحث عن نتيجة مهمة، وهي أسلوب المنظومات الذي اعتمد في تراثنا، في كثير من الأوقات، والذي تبين أنه كان نظاما وأسلوبا خاصا لحفظ وصيانة المعارف والعلوم، ولذلك وجدنا الكثير من تلك المعارف مصنفة في شكل منظومات شعرية: في النحو، والفقه، والعقيدة، والبلاغة، وغيرها من ميادين الثقافة والمعرفة الإسلامية.

- ومادام الأمر متصلا بالحفاظ على التراث فلا مندوحة من أن نقترح في هذا المجال بعض مقترحات نرجو أن تجد طريقها إلى التحقيق، ومنها:

أ- توجيه الطلاب في مراحل الدراسات العليا أكثر فأكثر نحو البحوث التي لها صلة بالتراث وتشجيعهم على ذلك.

ب- العمل على مسح شامل لخزائن التراث ومكتباته، سواء العامة منها أو الخاصة... إنقاذ هذا التراث وتعريفنا به وتيسيرا للباحثين فيه على تحقيقه ونشره.

ج- تنسيق الجهود في مجال التحقيق والنشر في مجال التراث، بما يعين على عدم الاهتمام بجوانب بعينها دون غيرها. وحفظا للجهود من التكديس والمراكمة.

د- الاهتمام بالشخصيات الإسلامية التي شكلت بجد ذاتها "موسوعات" معرفية، وإبراز جوانب الغني في شخصياتها تلك... فكثيرا ما نجد أدبيا أو شاعرا، ولكنه أيضا عميق التبصر في فنون: الفقه، والأصول، والتفسير والحديث. كما رأينا ذلك في شخصيتي صاحب اللامية (ابن الوردي)، والشيخ ياسين الحمصي العليمي، على السواء.

وأخيرا فإن هذا البحث كان بحق منعطفًا مهما في حياتي، وقد أوصلني إلى قناعة راسخة، وهي أن العلم ذو قيمة عظيمة لاتعد لها أي قيمة. وأن العلم في الإسلام الذي أنزل تلك المنزلة الرفيعة السامية هو بالفعل مفتاح التفوق والنجاح في الدنيا و مفتاح السعادة والفوز في الآخرة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

ملحق

(يتضمن قصيدة ابن الوردي المعروفة باسم "اللامية...")

"أو" نصحية الإخوان ومرشدة الخلان"

عَتَزَلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالغَزَلْ
 وَدِعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
 إِنَّ أَهْنَا عَيْشِيَّةٌ قَضَيْتَهَا
 وَاتْرَكِ الْعَادَةَ لَا تَحْفَلْ بِهَا
 وَاللَّهُ عَنِ آلَةٍ لَهْوٍ أَطْرَبَتْ
 إِنَّ تَبَدَّى تَنكَشِفُ شَمْسُ الضُّحَا
 زَادَ إِنْ قِسْنَاهُ بِالْبَدْرِ سَنَاءً
 وَافْتَكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الدِّي
 وَاهْجُرِ الْخَمْزَةَ إِنْ كُنْتَ فَتْسَى
 وَاتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهُ مَا
 لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطْلًا
 صَدِّقِ الشَّرْعَ وَلَا تَرَكَنْ إِلَى
 حَارَتِ الْأَفْكَارِ فِي قُدْرَةِ مَنْ
 كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمِ
 أَيْنَ مُتْرُودٌ وَكُنْعَانٌ وَمَنْ
 أَيْنَ عَادُ أَيْنَ فِرْعَوْنٌ وَمَنْ
 أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنَسُوا؟
 أَيْنَ أَرْبَابُ الْحِجَا أَهْلُ النَّهْيِ؟
 سَيَعِيدُ اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمْ
 أَيُّ بُيِّ اسْمِعْ وَصَايَا جَمَعَتْ
 أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
 وَاحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا

وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
 فَلِأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفْلٌ
 ذَهَبَتْ لَذَائِهَا وَالْإِثْمُ حَلٌ
 تُمِسُ فِي عِزٍّ وَتُرْفَعُ وَتُجَلُّ
 وَعَنِ الْأَمْرِدِ مُرْتَجِّ الْكَفْلِ
 أَوْ تَشْنَى فَهُوَ يَزْرِي بِالْأَسْلِ
 أَوْ عَدَلْنَا هُ بَغُصْنٍ فَأَعْتَدَلْ
 أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلُّ
 كَيْفَ يَسْعَى فِي جُؤُونٍ مَنْ عَقَلْ
 جَاوَزَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلْ
 إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ الْبَطْلُ
 رَجُلٌ يَرْصُدُ فِي اللَّيْلِ زُحَلْ
 قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا عَزَّ وَجَسَلْ
 فَلَ مِنْ عَرْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دُؤَلْ
 مَلِكِ الْمَلِكِ وَوَلَى وَعَزَلْ
 رَفَعَ الْأَهْرَامَ مَنْ يَسْمَعُ يَحِجَلْ
 هَلَكَ الْكُلُّ فَلَمْ تُغْنِ الْقُلُوبُ
 أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلْ؟
 وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلْ
 حَكَمًا خَصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلْ
 أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلْ
 تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَسُولْ

واهجرِ النّومَ وَحَصَلَهُ فَمَنْ
 لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ
 فِي أَرْذِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِيدَا
 جَمَلُ الْمَنْطِقِ بِالنَّحْوِ فَمَنْ
 وَانْظِمِ الشَّعْرَ وَلَا زِمَ مَذْهَبِي
 فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
 لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّهِ وَإِنْ
 مَلَ عَنِ النَّمَامِ وَاهْجُرْهُ فَمَا
 دَارَ جَارِ الدَّارِ إِنْ جَارَ وَإِنْ
 جَانِبِ السُّلْطَانِ وَاحْذِرْ بَطْشَهُ
 لَا تَلِي الْحُكْمَ وَإِنْ هُمْ سَأَلُوا
 إِنْ نِصَفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ
 فَهُوَ كَأَخْبَسُوسٍ عَنْ لِدَاتِيهِ
 إِنْ لِلنَّقْصِ وَالِاسْتِيقْصَالِ فِي
 لَا تُوَاظِي لَذَّةَ الْحُكْمِ بِمَا
 نَصَبَ الْمَنْصِبِ أَوْ هِيَ جَلْدِي
 قَصِّرِ الْأَمْوَالَ فِي الدُّنْيَا تَفُزْ
 إِنْ مَنْ يَطْلُبُهُ الْمَوْتُ عَلَيَّ
 حِبٌّ وَزُرٌّ غِبًّا تَزُدُّ حُبًّا فَمَنْ
 خَذَ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَاتْرَكَ غِمِّدَهُ
 لَا يَقِلُّ الْفَضْلُ إِقْلَالٌ كَمَا
 حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزٌ ظَاهِرٌ
 فَبِمَكْتِ الْمَاءِ يَبْقَى آسِنًا
 أَيُّهَا الْعَائِبُ قَوْلِي عَابِثًا
 عَدُّ عَنْ أَسْهَمِ قَوْلِي وَاسْتَبِرْ

يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يُخْفِرُ مَا بَدَلُ
 كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلُ
 وَجَمَالَ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
 يُحْرَمُ الْإِعْرَابُ فِي النَّطْقِ اخْتِبَلُ
 فَاطْرَاحُ الرَّفْدِ فِي الدُّنْيَا أَقْلُ
 أَحْسَنَ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يَبْتَدَلُ
 حَاوِلِ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلُ
 بَلِّغِ الْمَكْرُوهَ إِلَّا مِنْ نَقْلُ
 لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النَّقْلُ
 لَا تَخَاصِمَ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلُ
 رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَاذَلُ
 وَبِ الْأَحْكَامِ هَذَا إِنْ عَدَلُ
 وَكِلَا كَفَيْهِ فِي الْحَشْرِ تَغْلُ
 لَفِظَةَ الْقَاضِي لَوْ عَطَا أَوْ مَثَلُ
 ذَاقَهُ الشَّخْصُ إِذَا الشَّخْصُ انْعَزَلُ
 وَعِنَانِي مِنْ مُدَارَاتِ السَّفَالُ
 فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلُ
 غِرَّةٌ مِنْهُ جَدِيدٌ بِالْوَجْهِ
 أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْرَابُ الْمَلَلُ
 وَاعْتَبِرْ فَضْلَ الْفَتَى دُونَ الْحَلَلُ
 لَا يَضُرُّ الشَّمْسُ أَطْبَاقَ الطُّفَلُ
 فَاعْتَرَبَ تَلَقَّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلُ
 وَسَرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلُ
 إِنْ طِيبَ الْوَرْدِ مُؤْذِي بِالْجَعْلُ
 لَا يُصَيِّنُكَ سَهْمٌ مِنْ ثَعْلُ

لَا يَغُرَّنَكَ لَيْنٌ مِنْ فَتْنِي
أَنَا مِثْلُ الْمَاءِ سَهْلٌ سَائِغٌ
أَنَا كَالْحَيْزُورِ صَعْبٌ كَسْرُهُ
غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَنْ يَكُونُ
وَاجِبٌ عِنْدَ الْوَرَى إِكْرَامُهُ
كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غَمْرٌ وَأَنَا
[مَاتَ أَهْلُ الْفَضْلِ لَمْ يَبْقَ سِوَى
أَنَا لَا أَخْتَارُ تَقْيِيلَ يَسِيرِ
إِنْ جَزْتَنِي فِي مَدِيحِي صِرْتُ فِي
مُلْكٍ كَسْرِي عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةٌ
إِعْتَبِرْ (لَمَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ)
لَيْسَ مَا يَجُوي الْفَتَى مِنْ عَزْمِهِ
فَاقْطَعِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا
عَيْشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
كَمْ جَهْلٌ وَهُوَ مِثْرٌ مُكْثِرٌ
كَمْ شُجَاعٌ لَمْ يَنْلِ مِنْهَا الْمُنَى
فَاتْرُكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّئِدِ
أَيُّ كَفِّ لَمْ تَفِدْ بِمَسِّهَا تَفْدُ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَضْلِي أَبَدًا
قَدْ يَسْوُدُ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ أَبِي
وَكَذَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوكِ وَمَا
مَعَ أَنِّي أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَيَّ

إِنَّ لِلْحَيَاتِ لَيْنًا يُعْتَزَلُ
وَمَتَى سُخْنٌ آذَى وَبَسَّسَلُ
وَهُوَ لَدُنَّ كَيْفَمَا شِئْتَ الْفَتَلُ
فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلى الْأَجَلُ
وَقَلِيلُ الْمَالِ فِيهِمْ يُسْتَقَلُ
مِنْهُمْ فَاتْرُكْ تَفَاصِيلَ الْجُمَلُ
مُقْرِفٍ أَوْ مَنْ عَلَى الْأَصْلِ اتَّكَلُ
قَطْعُهَا أَجْمَلُ مِنْ تِلْكَ الْقَبَلُ
رِقْهًا أَوْ لَا، فَيَكْفِينِي الْحَجَلُ
وَعَنْ الْبَحْرِ اجْتِرَاءٌ بِالْوَشَلُ
تَلْقَاهُ حَقًّا (وَبِالْحَقِّ نَزَلُ) *
لَا، وَمَا فَاتَ يَوْمًا بِالْكَسَلُ
تُخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلُ
عَيْشَةُ الْجَاهِلِ بَلْ هَذَا أَذَلُ
وَعَلِيمٌ مَاتَ مِنْهَا بِعِلَلُ
وَجَبَانٌ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلُ
إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحَيْلُ
فَرَمَاهَا اللَّهُ مِنْهُ بِالشَّلَلُ
إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلُ
وَبِحُسْنِ السَّبِّكَ قَدْ يُنْفَى الرَّغَلُ
يَطْلُعُ النَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلُ
نَسِي إِذْ بِأَبِي بَكْرٍ اتَّصَلُ

الآيات الموجودة بين المعرفتين ماقطة في شرح الشيخ ياسين موجودة في تخميس الملاح للآمية .

وفي شرح القناوي للآمية وجدنا هذين البيتين :

أَعْدَبَ الْأَلْفَاظِ قَوْلِي لَكَ خُدَّ وَأَمْرَ اللَّفْظِ نَطْقِي بِلَعْلُ
فَالْوَلَايَاتِ وَإِنْ طَابَتْ لِمَنْ ذَاقَهَا فَالْشَّمُ فِي ذَاكَ الْعَسَلُ

أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَوْ أَقْلَ
وَكَسِبَ الْفَلَسَ وَحَاسِبَ مَنْ بَطَلَ
صُحْبَةَ الْحَمَقَى وَأَرْبَابَ الْخَلَلِ
فَكِلَا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتَلَ
إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلٍ لِلزَّلِّ
لَمْ يُفْزَرْ بِالْحَمْدِ إِلَّا مَنْ عَفَى

قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ
وَإَكْتُمِ الْأَمْزِينَ فَقْرًا وَغِنَى
وَادْرِعْ جِدًّا وَكَدًّا وَاجْتَنِبْ
بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَبُخْلِ رَبِّكَ
لَا تَخْضُ فِي سَبِّ سَادَاتِ مَضَوًّا
وَتَعَافَلْ عَنِ أُمُورِ إِنْسَانِهِ

الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصفحة	الآية/	رقم الآية
	سورة البقرة	
	(فإن لم تفعلوا ...)	23
229	(وإذ نجيناكم من آل فرعون ...)	48
176	(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ...)	43
197	(ولا يحيطون بشيء من علمه ...)	254
268		
	سورة آل عمران	
	(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم ...)	18
196	(كنتم خير أمة أخرجت للناس ...)	110
190	(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل ...)	190
166	(ربنا ما خلقت هذا باطلا ...)	191
166	سورة النساء	
	(وليخش الذين) إلى (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ...)	9
123	سورة المائدة	
	(اليوم أكملت لكم دينكم ...)	3
281	(إنما الله إله واحد...)	170
160	سورة الأعراف	
	(وذكرى للمؤمنين ...)	1
128	(خذ العفو وأمر بالمعروف واعررض عن الجاهلين ...)	7
	(لا يجليها لوقتها إلا هو ...)	187
129	(لهم قلوب لا يفقهون بها ...)	179
158		

	سورة الأنفال	
247	(لولا كتاب من الله سبق لمسكم ...)	68
	سورة التوبة	
	(وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم ...)	69
245	(إن الله بريء من المشركين ورسوله ...)	3
200	سورة يونس	
	(أمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ...)	90
175		
	سورة يوسف	
	(واسأل القرية ...)	8
274	سورة النحل	
	(إن الله مع الذين اتقوا ...)	128
157		
	سورة الإسراء	
	(أقم الصلاة لدلوك الشمس ...)	78
129	(ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ...)	33
134		
	سورة الكهف	
	(كلتا الجنتين آتت أكلها ...)	33
244 261		
	سورة الأنبياء	
	(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ...)	22
155	(كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا ...)	104
187	سورة الحج	
	(وقصر مشيد ...)	43
181		

سورة الشعراء

223 224 (والشعراء يتبعهم الغاؤون) ... إلى (إلا الذين آمنوا ..) 129-205

سورة القصص

32 (اسلك يدك في جيбок تخرج بيضاء من غير سوء ...) 209

28 (أيما الأجلين قضيت ...) 218

سورة العنكبوت

41 (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت ...) 147

سورة الروم

55 (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ...) 186

26 (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ...) 186

سورة لقمان

31 (إن الله عنده علم الساعة ...) 268

سورة الأحزاب

4 (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ...) 126

سورة سبأ

17 (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور ...) 183

104

سورة يس

68 (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ...) 202

سورة ص

43 (وذكرى لأولي الألباب ...) 128

سورة الزمر

196

(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون

9

سورة الشورى

257

(إذا ما غضبوا هم يغفرون ...)

34

257

(والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ..)

36

سورة الدخان

129

(أنى لهم الذكرى ...)

44

سورة محمد

129

(فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ...)

19

سورة الحديد

214

(والحياة الدنيا إلا متاع الغرور..)

19

سورة الحشر

170

(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ...)

50

133

(لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة)

20

سورة الطلاق

221

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ...)

2

221

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه ...)

3

سورة الملك

222

(فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ...)

15

سورة القلم

118

(وإنك لعلى خلق عظيم ...)

4

	سورة الجن	
104	(فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول ...)	26 - 27
	سورة المدثر	
245	(وكننا لمخوض مع الخائضين ...)	45
	سورة النبأ	
250	(والجبال أوتادا ...)	7
	سورة الطارق	
227	(إنه لتقول فصل وما هو بالهزل)	13
	سورة الشمس	
116	(ونفس وما سواها)	9
	سورة التين	
237	(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ...)	4
	سورة البينة	
230	(خالدين فيها أبدا ...)	8
	سورة الزلزلة	
187	(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ...)	9 - 8

- 235..... " أبو بكر الصديق عتيق الله من النار "
- 252..... " أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم... "
- 156 " إتقوا الله في هذه البهائم "
- 157 " إتقوا الظلم... "
- 190 " أطلبوا العلم ولو في الصين "
- 252 " أفرأيت إن كان في أخي... "
- 184 " أكثروا من ذكر هادم اللذات... "
- 203 " أيدك الله بروح القدس... "
- 197 " اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا... "
- 123 " إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا... "
- 145 " إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته... "
- 269 " إن الله يحب المتحابين فيه، المتزاورين فيه... "
- 237 " إن الله خلق آدم على صورته... "
- 225 " إن الله يحب الشجاع... "
- 206 " إن من الشعر لحكمة وإن من السحر لبيان "
- 241 " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "
- 247 " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا "
- 276 " حب الوطن من الإيمان "
- 188 - 192 " الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع... "
- 188 " الحكمة ضالة الحكيم "
- 154 " الخمر أم الخبائث... "
- 128 " دعوا الحبشة ما ودعوكم... "
- 270 " زر غبا تزدد حبا "

- 274 "سافروا تغموا، سافروا ترزقوا ..."
- 190 "طلب العلم فريضة على كل مسلم ..."
- 129 "عجب ربك من شاب لا صبوة له"
- 191 "العلماء خلفاء الأنبياء ..."
- 157 "عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير"
- 260 "قاض في الجنة وقاضيان في النار"
- 152 "كل مسكر خمر وكل خمر حرام"
- 137 "لأنهن حبايل الشيطان"
- 196 "لا ينزع العلم انتزاعا وإنما ينتزعه ..."
- 252 "لا يدخل الجنة نمام"
- 156 "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ..."
- 42 "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك ..."
- 250 "لو كان المؤمن في جحر ضب ..."
- 217 "لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ..."
- 137 "ما آيس الشيطان من بني آدم قط ..."
- 246 "المجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ ..."
- 163 "من أتى عرافا فسأله عن شيء ..."
- 239 "من غشنا فليس منا"
- 254 "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره"
- 187 "الناس مجزيون بأعمالهم ..."
- 123 "وهل يكب الناس على مناخرهم ..."
- 124 "يحشر المرء على دين خليله ..."
- 191 "لا يحمل هذا العلم من كل قرن ..."
- 192 "يوزن يوم القيامة مداد ..."

فهرس الأعلام

الصفحة اسم العلم الذي اشتهر به بقية اسمه الكامل
- الهمزة -

162 211 231 271	(أبو البشر)	آدم
116	(معد يكرب بن قيس)	الأشعث بن قيس
204 205	عبد الملك بن قريب	الأصمعي
207	(ميمون بن قيس)	الأعشى
235	(زكريا بن محمد أو يحيى)	الأنصاري
	- الباء -	
204	(إبراهيم التونسي)	الباجي
113	(شرف الدين أبو القاسم)	البارزي
115	(محمد أبو عبد الله)	البزاز
212	(علي بن بسام أبو الحسن)	ابن بسام
141	(محمد بن زين الدين أبو الحسن)	البكري
161	(محمد بن حماد الشرف الدلاصي)	البوصيري
	- التاء -	
235	(الحافظ أبو عيسى)	الترمذي
134 136 148	(أحمد بن يوسف)	التيفاشي
	- الثاء -	
203 206	(حسان أبو الوليد)	ثابت
125 138 208	(أبو منصور بن اسماعيل النيسابوري)	الثعالبي
278	(عمرو بن المشيخ الثعلبي)	ثعل بن عمرو
	- الجيم -	
142	(سعيد أبو عبد الله)	ابن جبير
279	(ابن عطية الخطفي)	جرير

140 167	(النابغة أبو ليلى حسان)	الجعدي
170	(محمد بن سلام أبو عبد الله)	الجمحي
224	(عبد الملك محمد أبو المعالي)	الجوني
177	(أبونصر إسماعيل بن حماد)	الجوهري
	- الحاء -	
120	(شهاب الدين أبو الفضل)	ابن حجر
142 168 189	(بن يوسف بن الحكم)	الحجاج الثقفي
252	(أبو عبد الله حسين بن علي)	حذيفة بن اليمان
221	(بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه)	الحسين رضي الله عنه
	(بن المنذر الخزرجي)	حسان بن ثابت
259	(النعمان بن ثابت)	أبو حنيفة
	- الحاء -	
164	(عمر بن نفيل أبو حفص ثاني الخلفاء الراشدين)	الخطاب
152	(أبو سليمان البستي)	الخطابي
191 204	(أحمد بن علي بن ثابت)	الخطيب البغدادي
153	(إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام)	الخليل
204	(محمد بن إبراهيم)	الخوارزمي
	- الدال -	
200	(ظالم بن عمر أبو الأسود)	الدؤلي
	(عمير بن عامر)	أبو الدرداء
132	(محمد بن أبي بكر)	الداميني
205	(عبيد الله بن محمد أبو بكر)	ابن أبي الدنيا
157	(بهزام أبو البقاء تاج الدين)	الدميري
	- الراء -	
150 233	(الفخر محمد بن عمر بن حسين)	الرازي

246	(ساتلين أبو منصور التركي)	ابن رسلان
207	(عبد الله بن رشيق المغربي)	ابن رشيق
263	(أبو الفتح الحسن بن عبد الله)	الرضي بن حصينة
	- الزاي -	
134 138 168	(بن ربيعة)	زهير بن أبي سلمى
182	(بن منقذ بن عمر الحنظلي)	زياد
	(أحمد بن زين الدين)	زين العابدين المدني
	- السين -	
264	(أبو الحسن علي بن رستم بهاء الدين)	ابن الساعاتي
414	(علي بن عبد الكافي أبو الحسن)	السبكي
149	(هبة الله بن محمد)	ابن سناء الملك
179		سنان بن المهلهل
176	(عبد الرحمن بن أحمد)	السهيلي
223	(النحوي اللغوي الأشهر أبو بشر بن قنبر)	سيويه
154 178 279 214 227	(جلال الدين بن همام الدين)	السيوطي
	- الشين -	
227	(أبو الحسن)	الشاذلي
131 259 205 204	(محمد بن إدريس)	الشافعي
212 204	(أواس بن حجر)	الشنفرى
	- الصاد -	
280 216	(زكي الدين أبو محمد)	أبو الأصبع
203 235	(أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة)	الصدى
112	(صلاح الدين خليل بن أيبك)	الصفدي
264	(عبد العزيز بن عبد الله أبو الحسن)	الصفى الحلبي

264	صالح الدين يوسف (أبوالمظفر بن أيوب)	
	- الطاء -	
259	(أبو الطيب	الطبري
210 212	(عمرو بن الحيد البكري)	طرفة بن العبد
112 275	(مؤيد الدين اسماعيل بن الحسين)	الطغرائي
233	(شرف الدين بن محمد)	الطيبي
	- العين -	
204	(عبد الله بن رافع أبو محمد المصري)	عبدالحكم
	(بن أبي العاص بن أمية)	عثمان بن عفان
	(بن أبي الأصبع)	العدواني
145 246	(محمد بن علي محيي الدين)	ابن العربي
251 259	(عبد العزيز بن الحسن)	العز بن عبدالسلام
161	(الحسن بن عبد الله)	العسكري
136	(أحمد بن محمد)	ابن عطاء الله
136	(أبو عمرو بن عمارة)	ابن العلا
163	(محمد بن أبي بكر شمس الدين)	العلقمي
214 203 197	(بن أبي طالب ، كرم الله وجهه)	علي
200 203	(بن الخطاب ، أبو حفص)	عمر
126	(ابن العاص أبو عبد الله)	عمرو
163	(القاضي عياض بن موسى بن عمر)	عياض
213	(ابن مريم عليه السلام)	عيسى
	- الغين -	
251	(ابو حامد محمد بن أحمد)	الغزالي
	- الفاء -	
246 166	(عمر أبو حفص شرف الدين)	ابن الفارض

180	(أبوزكرياء يحيى بن زياد)	الفراء
223 172 186	(همام بن غالب التميمي)	الفرزدق
174 176	(لقب لكل عات متجير)	فرعون
- القاف -		
219 175	(بن جعفر بن زياد)	قدامة
274	(أحمد بن عمر أبو العباس)	القرطبي
274	(أبو الفتوح نصر الله بن عبد القوي)	ابن قلاقس
241	(شمس الدين أبو عبد الله الشهرستاني الجوزية)	ابن القيم
- الكاف -		
180	(علي بن حمزة أحد القراء السبعة)	الكسائي
176	(ملك الفرس)	كسرى
	بن أبي سلمى	كعب بن زهير
172 173	(أبو نمروذ من أولاد حام بن نوح)	كنعان
- اللام -		
263	(حسام الدين العادلي)	لؤلؤ
- الميم -		
259	(عبد الله بن هارون الرشيد)	المأمون
204	(أبو عثمان)	المازني
191	(بن أنس إمام الهجرة)	مالك
115	(جمال الدين الجياني الأندلسي)	ابن مالك
159 116	(أبو الطيب الكندي الكوفي)	المتنبي
189 205 237 254 283	صلى الله عليه وسلم	محمد "رسول الله"
177	(علي بن الحسن)	المسعودي
	(بن الحجاج القشيري، المحدث)	مسلم
235	(بن العوام أبو عبد الله)	مصعب ابن الزبير

206 122	(ناصر بن علي أبو الفتوح)	المطرزي
242	(أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم)	معد بن عدنان
192	(عمرو بن أوس)	معاذ بن جبل
114	(أبو الحسن يحيى بن عبد النور)	ابن معطي
280	(أحمد بن محمد شهاب الدين)	المقري
175	(عبد الله)	المنوفي
175	(بن عمران عليه الصلاة والسلام)	موسى
	- النون -	
271	(عبد الرحمن بن اسماعيل بن يحيى)	ابن نباتة
275	(ملك الحبشة)	النجاشي
192	(الفضل بن ذكين)	ابن نعيم
113	(محمد بن شمس الدين)	ابن النقيب
133	(الحسن بن هانيء)	أبونواس
171	(بن لامك بن آدم عليه السلام)	نوح
163	(أبوزكريا محي الدين يحيى بن شرف)	النووي
	- الهاء -	
197	()	أبوهريرة
249 211	(عبدالله بن أحمد)	ابن هشام
173	(بن عبد الملك)	هشام
	- الواو -	
113 112	(عمر بن المظفر زين الدين)	ابن الوردي
175	(فرعون موسى)	الوليد بن مصعب
176 222	(أبو عبد الله اليماني)	وهب بن منبه
	- الياء -	
112 182	(إبراهيم بن يحيى)	اليزيدي

191 7 12

(العلمي الحمصي)

ياسين

264

يعقوب

170

(بن حبيب الطي)

يونس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصفحة	الشاعر	الشطر الثاني من البيت
133	- أبو نواس	- لومسها حجر مسته ضراء
125		- رب من صاحبتة مثل الجرب
149	- ابن سناء الملك	- فلا تسألوا كم من نفوس ذوائب
231	- أبو ربيعة الأصبهاني	- يغنيك محموده عن النسب
279		- أكاد أغص بالماء الفرات
186		- إن ابن عمك فيهم رماح
258	- قيس بن زهير	- بمالقيت لبون بني زياد
158		- مادمت في قيد الحياة ولا إذا
281		- وتأخير عالم فقلت خذ العذرا
133	- أبو نواس	- لومسها حجر مسته ضراء
149	- ابن الصائغ	- الجامع بينهما وهو الخفر
135		- من الحرام ويبقى الإثم والعار
280	- جرير	- عسر عند يساره ميسور
220	- الماء وردي	- فأجسامهم قبل القبور قبور
237	- علي بن أبي طالب	- وفيك انطوى العالم الأكبر
263	- ابن مالك	- فيقدر منه الرفع والبحر
212		- بين العباد فمرزوق ومختبر
179	- أمية بن عبد العزيز	- مايرويان عن الزمان الغابر
168	- زهير بن أبي سلمى	- القوم بالخلق ثم لا يفري
274	- ابن قلاقس	- ودع الغواني للخدور
182	- الدماميني	- ومن بعد يدعى بالصبي رضيعا
141	- البكري	- فكل ساعة طرب تفتح لنا أحوال
278	- الطغراني	- وقد حماه رماة من بني ثعل

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الشطر الثاني من البيت</u>
167	- الجعدي	- وهل امنع الله ما فعل
140	- النابغة الجعدي	- وطرب الواله وكالمختبل
275	- الطغراني	- فيما تحدث أن العز في النقل
116	- المتنبى	- كنعص القادرين على التمام
134 - 138	- زهير بن أبي سلمى	- وإن خالها تحفى على الناس تعلم
138		- أرى كل ما في الكون لي يتسم
159	- المتنبى	- فسرهم وآتياه على هرم
161	- البوصيري	- وإن هما محضاك النصح فاتهم
182	- زياد بن منقذ	- يستن منه عليهم وابل رزم
197	- البوصيري	- لقد نسبت به نسلا لذي عقم
264	- الصفي الحلبي	- فتلك آمنة من سائر النقم
231		- وعلمته الكرو والإقداما
212	- ابن بسام	- وصنت نفسن عن الهوان
271	- ابن نباتة	- إذا كانت الأعراض غير حسان
122	- المطرزي	- حليف غوان وأليف أغان
242	- المتنبى	- إلا الحمافة أعيت من يداويها
131	- الشافعي	- واظلم ليلى إذ أضاء شهابها
216	- بن أبي الأصعب	- بطريق الإنصاف أثنى عليها
149		- وأين للبدر معنى أنت حاويه
173	- الفرزدق	- أبوأمه حي أبوه يقاربه
207	- الأعشى	- والشعر لا يستطيعه من يظلمه
207	- الأعشى	- فشاعر لا يرتجى لمنفعة
212	طرفة بن العبد	- دون السماء لا يفر رزقه منه

الصفحة

الأماكن

174	- إرم ذات العماد
174 - 177	- الأهرام
264	- بحر القلزم
264	- الحجاز
264	- حصون الشام
115	- حلب
138	- الكعبة
178	- مصر
178	- الهرم الشرقي
177	- الهرم الغربي

المركز الإسلامي للعلوم
عبد القادر القادر

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير
علاء القادر للعلوم الإسلامية

القرآن الكريم

- 1 - ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية: معاذ السرطاوي. دار محمد لاوي، عمان. الأردن. ط1، 1988.
- 2 - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثامن الهجري: مصطفى هدارة. دار المعارف . القاهرة. 1963
- 3 - الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة: محمد ناصر الدين الألباني . مكتبة المعارف، الرياض. ط1.
- 4 - أعيان العصر وأغوان النصر: صلاح الدين الصفدي. (طبعة مصورة) معهد تآخ العلوم العربية والاسلامية، جامعة فرانكفورت. ألمانيا.
- 5 - إغاثة الأمة بكشف الغمة: تقي الدين بن العباس المقرئزي. دار ابن الوليد، سورية، 1956.
- 6 - الأدب الإسلامي: إنسانيته وعالميته: عدنان علي رضا النحوي. دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض. ط2، 87
- 7 - أدب الدنيا والدين : أبو الحسن البصري. المكتبة العلامة. الأزهر الشريف. القاهرة. د.ت
- 8 - الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار: جودت الركابي. دار الفكر . دمشق. 1989.
- 9 - الأدب العربي في العصر المملوكي والعثماني: عمر موسى باشا. مطبعة الانشاء دمشق، ط2 ، 1982.
- 10 - أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام: بطرس البستاني. دار الجليل ، بيروت. لبنان (د.ت)
- 11 - أساس البلاغة: أبو القاسم الزمخشري. مراجعة: إبراهيم قلاتي. دار الهدى، عين مليلة، الجزائر. (د. ت)
- 12 - أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني. تحقيق: هـ. ريتز. مطبعة وزارة المعارف. استانبول. 1954.
- 13 - الأسس النفسية لأساليب البلاغة: عبد الحميد ناجي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. ط1، 1984
- 14 - أشعار الستة الجاهليين : الأعلم الشنتمري: تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة. ط2. 1958.
- 15 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى طارق الرفاعي. دار المعارف ، القاهرة.
- 16 - الأعلام : خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين . بيروت، لبنان . ط5. 1980
- 17 - إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية ، حلب . سوريا. 1342 هـ
- 18 - الألفاظ الكتابية: عبد الرحمن الهمذاني. دار الكتب العلمية ، بيروت.

19 - الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع : الخطيب القزويني. دار الجيل . بيروت

(د.ت)

20 - البداية والنهاية: الحافظ بن كثير الدمشقي . مكتبة المعارف ،بيروت. لبنان. (د.ت)

21 - البرهان في علوم القرآن :بدرالدين الزركشي . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .دار المعرفة.

بيروت ط2، 1982

22 - بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي. تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم

.دار الفكر ، بيروت .ط2 ، 1979

23 - البلاغة عرض وتوجيه وتفسير: محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع،

عمّان. ط1. 1983.

24 - البلاغة تطورها وتاريخ: شوقي ضيف. دار المعارف ، القاهرة. ط6. (د.ت).

25 - بلوغ الأرب في شرح لامية العرب: تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي، محمد عبد الرزاق

عرفان. دار الحديث ، القاهرة.(د.ت).

26 - تاريخ الادب العربي: أحمد حسن الزيات. دار المعرفة، بيروت ، لبنان. 1999

27 - تاريخ الصحابة: الإمام محمد بن حبان البستي. تحقيق: بوران الضناوي. دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، ط1، 1988

28 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام: شمس الدين بن عثمان الذهبي . تحقيق :عبد السلام

تدمري، دار الكتاب العربي ،بيروت. ط2 - 1989.

29 - تاريخ الطبري؛ تاريخ الأمم والملوك : أبو جعفر بن جرير الطبري : دار الكتب العلمية.

بيروت، لبنان ، ط3، 1991

30 - تاريخ

الأدب العربي :شوقي ضيف . دار المعارف . مصر 1977 .

31 - التبيان في البيان : شرف الدين بن محمد الطيبي ،دار البلاغة للطباعة والنشر ،بيروت، لبنان،

ط1. 1991

32 - تنمة المختصر في أخبار البشر: زين الدين ابن الوردي. تحقيق: أحمد رفعت البدرأوي. دار

المعرفة، بيروت. ط1، 1980 .

- 33 - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: ابن أبي الأصعب، تحقيق: حفي شرف الدين. طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة.
- 34- ترتيب القاموس: الطاهر أحمد الزاوي . دار الفكر . ط 3 (د.ت).
- 35 - الترغيب والترهيب: عبد العظيم المنذري. تعليق: مصطفى محمد عمارة. ط 2. 1954
- 36 - التعريفات : الجرجاني . تحقيق: عبد المنعم حنفي . دار الرشاد. القاهرة. مصر.
- 37 - تقي الدين بن حجة الحموي: محمود رزق سليم. (سلسلة نوابغ الفكر). دار المعارف. القاهرة.
- 38 - التلخيص في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني الخطيب. شرح: عبد الرحمن البرقوقي. المكتبة التجارية. القاهرة. مصر. ط. 2. 1932.
- 39 - تهذيب سير أعلام النبلاء: شمس الدين بن عثمان الذهبي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. 1992 ط 2
- 40 - تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكرياء شرف النووي. دار الكتب العلمية . بيروت (د. ت).
- 41 - تهذيب الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض بن موسى الأندلسي . ترتيب : جمال الدين سيروان . 1403 هـ
- 42 - ثمرات الأوراق: تقي الدين بن حجة الحموي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الجيل . بيروت . ط 2. 1987
- 43 - الجامع لاحكام القرآن : أبو عبد الله الانصاري القرطبي . دار الكتب المصرية. ط 3. 1967.
- 44 - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين السيوطي. دار الفكر. بيروت. ط 1. 1981.
- 45 - جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي . تحقيق: علي محمد البجاوي. دار النهضة . القاهرة. (د.ت)
- 46 - الجني الداني في حروف المعاني: الحسن المرادي . تحقيق: فخر الدين قباوة. محمد نديم فاضل . دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان . ط 1. ص 1992
- 47 - جواهر الأدب في أدييات وإنشاء لغة العرب: سيد أحمد الهاشمي، دار الفكر. القاهرة. مصر. (د.ت)
- 48 - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: احمد الهاشمي. دار الكتب العلمية. بيروت . (د.ت)

- 49 - الحديث النبوي الشريف من الواجهة البلاغية: كما عز الدين . دار إقرأ. بيروت . لبنان ط 1 1984
- 50 - الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء: أحمد فوزي الهيب. مؤسسة الرسالة. بيروت لبنان. ط 1 / 1986
- 51 - حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي. مطبعة الموسوعات. القاهرة. مصر (د.ت)
- 52 - حلية الاولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الاصبهاني . دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط 3. 1980
- 53 - حلية اللب المصون على الجوهر المكنون : الدمنهوري . دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
- 54 - خزانة الادب وغاية الأرب: تقي الدين بن حجة الحموي. شرح :عصام شعيتو. دار مكتبة الهلال، بيروت . ط 1. 1987
- 55 - خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الحديث: أنور الجندي. دار الكتاب اللبناني. بيروت . (د.ت).
- 56 - الخصائص: ابن جني . تحقيق: علي النجار. دار الكتاب العربي. بيروت . لبنان 1952
- 57 - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: المحيي. دار الكتاب الإسلامي . القاهرة. (د. ت).
- 58 - دائرة المعارف : بطرس البستاني. دار المعرفة. بيروت . لبنان. (د.ت).
- 59 - دراسة في الشعر الجاهلي: زكريا صيام. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
- 60 - دراسات في البلاغة: محمد بركات. دار الفكر للنشر والتوزيع . عمان ط 1 1984 .
- 61 - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي . دار المعرفة ، بيروت . لبنان. (د.ت)
- 62 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: تحقيق: محمد سيد جاد الحق. دار الكتب . القاهرة. 1966.
- 63 - دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك : حمدي عبد المنعم محمد حسين . دار المعرفة الجامعية. القاهرة. 1996.
- 64 - دولة الظاهر بيبرس: محمد جمال الدين سرور. دار الفكر العربي. القاهرة. 1993.
- 65 - ديوان الشافعي: جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي. دار الجليل. بيروت . ط 3. 1974.
- 66 - ديوان ابي نواس: دار بيروت للطباعة والنشر , بيروت . لبنان. 1982
- 67 - ديوان زهير بن أبي سلمى. دار بيروت . لبنان. 1986
- 68 - ديوان البوصيري: تحقيق: محمد سيد الكيلاني. القاهرة.

- 69 - ديوان الفرزدق. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت. 1984
- 70 - ديوان امرؤ القيس: تحقيق: حنا الفاخوري. دار الجليل . بيروت. لبنان.
- 71 - ديوان أبي فراس الحمداني. دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت . لبنان.
- 72 - ديوان ابن الوردي : مطبعة الجوائب. القسطنطينية . اسطنبول. تركيا. طباعة حجرية. 1300
- 73 - ديوان جرير: شرح : يوسف عيد . دار الجليل . بيروت. لبنان. ط 1 . 1992 .
- 74 - رسالة في السماع والرقص: الشيخ محمد المنبجي الحنبلي. تعليق: محمد حسن حلاق . دار ابن حزم . دمشق.
- 75 - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء: دار بيروت. لبنان. 1983.
- 76 - زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم الجوزية. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. (د.ت)
- 77 - زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع : احمد المحلاوي . مطبعة الاعتماد . مصر. ط 3
- 78 - سحر البلاغة وسر البراعة: أبي منصور الثعالبي. تحقيق: احمد عبيد . المطبعة العربية. دمشق. ط 2.
- 79 - السلوك لمعرفة الملوك : المقرئزي. تحقيق: محمد مصطفى زياد. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. مصر 1958.
- 80 - سنن النسائي: ابو عبد الرحمن ابن شعيب النسائي. تصحيح: محمد ناصر الدين الألباني. نشر مكتب التربية العربي . الرياض. المملكة العربية السعودية. ط 1. 1988
- 81 - سنن الترمذي : أبو عيسى محمد الترمذي. تصحيح: محمد ناصر الدين الألباني. نشر مكتب التربية العربي . الرياض.
- المملكة العربية السعودية. ط 1 . 1988
- 82 - سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني. دار الفكر (د.ت)
- 83 - سنن أبي داود : سليمان بن أشعث السجستاني. طبعة دار الفكر . (د.ت)
- 84 - الشاب الظريف: زكي المحاسني. (سلسلة مفكرون من الشرق والغرب). دار الأنوار. بيروت.
- 85 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد مخلوف. دار الكتاب العربي. بيروت . (د.ت).
- 86 - شرح البردة: تحقيق: فتحي عثمان. دار المعرفة. بيروت. ط 1 . 1973.
- 87 - شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان: جلال الدين السيوطي. القاهرة. (د.ت).

88 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن العماد الحنبلي. منشورات دار الآفاق. بيروت. لبنان. (د.ت)

89 - الشريعة الإسلامية والفنون: احمد القضاة. دار الجليل. بيروت. لبنان.

90 - شرح شواهد المغني: جلال الدين السيوطي . دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان. (د.ت)

91 - صبح الاعشى في صناعة الإنشاء: أبو العباس احمد القلقشندي. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. 1992

92 - الصحاح: الجوهري. تحقيق: احمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط 3. 1984.

93 - الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها: أبو الحسن بن فارس الرازي :تحقيق: عمر فاروق الطباع. مكتبة المعارف. بيروت. لبنان. ط 1، 1991.

94 - صحيح البخاري: دار الفكر. بيروت . لبنان.

95 - صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري. دار الحديث. القاهرة. 1994.

96 - صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني. دار القرآن. بيروت. لبنان. ط 1.

97 - طبقات فحول الشعراء: محمد سلام الجمحي. شرح :محمود شاكر. القاهرة. 1974

98 - طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي. تحقيق: علي محمود عمر. مكتبة وهبة. القاهرة. ط 2. 1994.

99 - طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي. درا النهضة العربية. بيروت. لبنان. (د.ت.)

100 - طبقات الفقهاء: ابن اسحاق الشيرازي الشافعي. دار الرائد العربي. بيروت. ط 2. 1981.

101 - طبقات ابن سناء (الطبقات الكبرى): تحقيق: أبو عبد الله سعد الزهري المصري. طبعة بيروت.

102 - طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط 1، 1983

103 - الضوء اللامع لاهل القرن التاسع: محمد بن عبدالرحمن السخاوي. دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان. (د.ت)

104 - العصر المالكي في مصر والشام: سعيد عبد الفتاح عاشور. دار النهضة العربية. القاهرة. مصر . 1965.

105 - العقد الفريد :لابن عبد ربه الأندلسي .تحقيق: احمد أمين؛ أحمد الزين ؛ إبراهيم الايباري. دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان. 1983.

106 - عقيدة الإسلام: محمد المكي بن عزوز. المطبعة الفنية. تونس.

- 107 - العقائد الإسلامية: الشيخ عبد الحميد بن باديس. دار الكتاب الجزائري. (د.ت)
- 108 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.: ابن رشيقي القيرواني. تحقيق: محمد محيي الدين. دار الجليل. بيروت. ط.5. 1987.
- 109 - عيار الشعر: أبو الحسن بن أحمد بن طباطبا. تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر (د.ت)
- 110 - عيون الأخبار: أبو محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط.1. 1986
- 111 - الغيث المنسجم في شرح لامية العجم: صلاح الدين الصفدي. المطبعة الوطنية، الاسكندرية. مصر: 1290 هـ .
- 112 - الفاصلة القرآنية: عبد الفتاح لاشين. دار المريخ للنشر. الرياض. 1982.
- 113 - فتح الرحيم الرحمن : مسعود أبي بكر القناوي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. 1970
- 114 - الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي. دار الآفاق، بيروت. لبنان.
- 115 - فقه اللغة وأسرار العربية: أبو منصور الثعالبي. منشورات مكتبة الحياة، بيروت. لبنان. (د.ت)
- 116 - فن الشعر بين التراث والحداثة: عبد العزيز النعماني. الدار المصرية اللبنانية. ط.1. 1991.
- 117 - الفن والأدب: ميشال عاصي. مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان. ط.3. 1980
- 118 - في النقد والأدب: إيليا الحاوي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. لبنان. ط.4. 1979.
- 119 - في التاريخ الأيوبي والمملوكي: أحمد مختار العبادي. مؤسسة شباب الجامعة. الاسكندرية. مصر. د.ت .
- 120 - الفهرست :ابن النديم. المطبعة الرحمانية. القاهرة. مصر. (د.ت)
- 121 - فوات الوفيات والذيل عليها: محمد شاكر الكتبي. تحقيق: إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت. (د.ت)
- 122 - قطر الندى: ابن هشام. شرح: طه محمد الزين؛ محمد عبد المنعم خفاجي. مطبعة محمد علي صبيح. القاهرة.
- 123 - القاموس المحيط: الفيروز آبادي. دار الجليل. بيروت، لبنان.
- 124 - قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: إميل يعقوب. بسام بركة؛ مي شيخاني. دار العلم للملايين. بيروت. ط.1، 1997 .

- 125 - القاموس الفقهي: سعدي أبو حبيب. دار الفكر، دمشق. سورية. ط2. 1992.
- 126 - كتاب الشعر: أبو علي الفارسي. تحقيق: محمود الطناحي. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط1. 1988.
- 127 - كتاب سيويه: أبو بشر عمرو بن قنبر. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة. ط3، 1988.
- 128 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة. تصحيح: محمد شرف الدين وكالة المعارف، أستانبول. تركيا. 1941.
- 129 - كشف الخفاء ومزيل الألباس: إسماعيل العجلوني. دار إحياء التراث الإسلامي. القاهرة. ط2.
- 130 - الكليات: أبي البقاء أيوب الكفوي. مؤسسة الرسالة بيروت. لبنان. ط2، 1993.
- 131 - لسان العرب: ابن منظور. تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، مصر. د.ت.
- 132 - لامية ابن الوردي مع تخميسها: الملاح. شرح: عبد الحميد محمد الدرويش. دار العلم الحديث، دمشق. 1998.
- 133 - متن الألفية: الإمام مالك. منشورات دار الكتب الجزائرية. (د.ت.).
- 134 - المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي: موسى الملياني الأحمدي. المطبعة الجزائرية. الجزائر. (د.ت.).
- 135 - المحرر الوجيز في كتاب التفسير العزيز: تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية، بيروت.
- 136 - المدخل إلى علم الجغرافيا: طه الفراد. دار المريخ. الرياض. 1984.
- 137 - المدارس النحوية: شوقي ضيف. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط1. (د.ت.).
- 138 - مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن المسعودي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت. (د.ت.).
- 139 - المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله طيبي. دار الفكر. بيروت.
- 140 - المزهري في علوم اللغة: جلال الدين السيوطي. شرح وتعليق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العلمية. بيروت. 1987.
- 141 - مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي. تعليق: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. صيدا، بيروت. ط2، 87.
- 142 - المستطرف من كل فن مستظرف: شهاب الدين الإبيشي. تحقيق: درويش الجودي. المكتبة العصرية. صيدا، بيروت. ط2. 1977.
- 143 - مصادر اللغة في المكتبة العربية: عبد اللطيف الصوفي. دار الهدى، عين مليلة. الجزائر. (د.ت.).
- 144 - المعارف: ابن قتيبة الدينوري. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1987.
- 145 - معالم الفلسفة الإسلامية: محمد جواد مغنية. مكتبة الهلال. بيروت. ط3، 1982.
- 146 - معاهد التنصيص: العباسي. عالم الكتب. بيروت. (د.ت.).
- 147 - معاني الحروف: أبو الحسن الرماني. تحقيق: عبد الفتاح شليبي. دار الشروق. جدة. 1984.

- 148 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر، بيروت. ط1. 1981.
- 149 - معجم المؤلفين : رضا كحالة. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط1، 1995.
- 150 - معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الإصفهاني. تحقيق: نديم مرعشلي. دار الكتاب العربي. 1972.
- 151 - معجم المفسرين: عادل نويهض. تقديم: حسن خالد . مؤسسة نويهض الثقافية. بيروت. ط1، 84
- 152 - معجم البلدان: ياقوت الحموي. تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1، 1980
- 153 - المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر: إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1، 1991.
- 154 - المعجم المفصل في علوم البلاغة: إنعام عكاري. دار الكتب العلمية. بيروت. (د.ت).
- 155 - معجم الأدباء أو إرشاد الأريب معرفة الأديب: أبو عبد الله ياقوت الحموي. دار الكتب العلمية ط1؛ 91.
- 156 - موسوعة التاريخ الإسلامي: أحمد شلي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ط8، 1985.
- 157 - مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري. تحقيق: مازن المبارك؛ محمد علي حمد الله. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت.
- 158 - مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي. جابر عصفور. مؤسسة فرح للصحافة. نيقوسيا. قبرص. ط4، 1999
- 159 - مقامات السيوطي: تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم. دار الهدى. عين اميلية. الجزائر.
- 160 - مقدمة ابن خلدون: دار الكتاب اللبناني. ومكتبة المدرسة. بيروت. 1982.
- 161 - الملل والنحل: أبو الفتح أحمد الشهرستاني. تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة. بيروت. ط2، 1975.
- 162 - مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي: فرانز روزنتال. ترجمة: أنيس فريجة. دار الثقافة. بيروت. 1961.
- 163 - من اسمه عمرو من الشعراء: أبو عبد الله الجراح. تحقيق: عبد العزيز المانع. مكتبة الخانجي. القاهرة، ط1، 1991
- 164 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي : تحقيق: محمّد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان .
- 165 - منهل الواردين: شرح رياض الصالحين. النووي المقرئ. مطبعة النيل. القاهرة. 1324 ع
- 166 - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: تقي الدين المقرئ. مؤسسة الحلبي للنشر. (د.ت).
- 167 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين الأتافي . أبو الحاس. تحقيق: إبراهيم طرخان. مطبعة دار الكتاب ، القاهرة. مصر.
- 168 - النقد الأدبي في العصر المملوكي: عبد العزيز قلقيلة. مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة. ط1 . 1972.
- 169 - نقد الشعر : قدامة بن جعفر. تحقيق : كمال مصطفى. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر. ط3، 1978.

- 170 - نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. ط 2، 1929.
- 171 - نهج البلاغة. شرح: الشيخ محمد عبده. تحقيق: محمد أحمد عاشور. القاهرة. مصر.
- 172 - هدية العارفين: أسماء المؤلفين والمصنفين: إسماعيل البغدادي، وكالة المعارف. استانبول. 1951.
- 173 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. د.ت
- 174 - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة. القاهرة. ط 2، 1956.

عبد القادر للعطوم الإسلامية

.....	مقدمة.....
قسم الدراسة	
2.....	الفصل الاول: عن عصر المماليك وتاريخهم
2	المبحث الأول: عصر المماليك البحرية.....
5.....	المبحث الثاني: تشويه العصر وأسبابه
11	المبحث الثالث: صورة المجتمع المملوكي.....
18.....	المبحث الرابع: الثقافة في العصر المملوكي.....
23.....	المبحث الخامس: قضايا وخصائص الثقافة في العصر المملوكي.....
28.....	المبحث السادس: الأدب في العصر المملوكي
30.....	الفصل الثاني: ابن الوردي حياته وأدبه
31.....	المبحث الأول : نشأته وثقافته.....
39.....	المبحث الثاني: شعر ابن الوردي :دراسة عامة.....
52.....	المبحث الثالث: دراسة اللامية.....
67.....	المبحث الرابع: الأدب والأخلاق.....
71.....	الفصل الثالث: الشيخ ياسين العليمي ومنهجه في شرح المخطوطة
72.....	المبحث الأول: ترجمة الشيخ ياسين.....
74.....	المبحث الثاني: منهجه في الشرح
78.....	المبحث الثالث: مصادره من كتب اللغة.....
84.....	المبحث الرابع:عنايته بقضايا البلاغة.....
92.....	المبحث الخامس: شواهد من القرآن الكريم.....
95.....	المبحث السادس: شواهد من الحديث الشريف.....
98.....	المبحث السابع: شواهد من الشعر.....
قسم التحقيق	
104.....	في وصف المخطوطتين
106.....	منهج التحقيق.....
112.....	التحقيق.....